شرح

سفر العدد



بقلم

تشارلس ماكنتوش

إهـــــــداء٢٠٠٧

الأستاذ الدكتور / قدري محمود حفني

جمهورية مصر العربية

شرح الكتاب

(٤)

مذكرات على سفر العدد

بقلم

ث.ا.س ماكنتوش

«وسيرهم في اللجج كالبرية» (مزمور ١٠٦ : ٩)

طبعة ثانية

١٩٨١

تمهيد للشرح

بما أني طالعت أصول هذه المذكرات على « شرح سفر العدد » فمن هذا الوجه صار في وسعي كتابة بعض السطور مقدمة للشرح . على أني لا أقصد تقريظ الكتاب بما اكتبه انما غايتي اظهار الشركة التي بيني وبين المؤلف في كل اتعابه . أما الكتاب فانه يشهد لنفسه وعلى القاريء أن يحكم حكمه فيه .

ولولا اشتراكي مع المؤلف في تحرير المجلة الشهرية المسماة « جدداً وعتقاً » -مدة تنيف عن اثنتي عشرة سنة لما كان هناك داع لتداخلي في مذكراته بهذه الصورة . ولكن اتحادنا معاً في اصدار المجلة اتحاداً قلبياً ودياً كان هو الباعث على حشر اسمي عند ظهور كل مجلد من مجلدات الشرح على اسفار موسى الخمسة .

ولا ريب ان نفاذ النسخ التي طبعت من المجلدات الثلاثة السابقة بتلك السرعة العجيبة ورغبة الجمهور الشديدة في صدور المجلد الرابع وتشوقهم اليه بمثل تلك الصورة دليل على قيمة هذه المذكرات لديهم وما سيكون لهذا الشرح من الانتشار الواسع والشهرة التي يستحقها .

ولكننا ننظر في مميزات هذا السفر عن سوابقه نظرة اجمالية تاركين الاسهاب للمذكرات نفسها

وعلى وجه العموم يصح لنا أن نعتبر هـذا السفر تاريخاً لتيـه شعب اسرائيل في البرية مدة ثمانية وثلاثين سنة وعشرة شهور تبتديء من وقت ارتحال السحابة بعد ما نصبت الخيمة. وفيه نقرأ عن طول اناة الرب وصبره وعنايته ورعايته المستمرة بشعبه العاصي المتذمر . فهو من هذا الوجه سفر البرية وقد امتاز باسفاره وخدماته وضيقاته وجهاده ولا يخفى ما في تطبيق هذه الظروف وما تضمنته من التعاليم والنصائح من الفائدة للمسيحي السائر في قفر هذا العالم الحاضر الشرير (قارن عدد ص ١ و١٣:٣٦ مع تث ٣:١)

وأول أمر يستلفت نظرنا عند مطالعتنا هذا السفر ويملأ نفوسنا تعزية وسروراً هو أمر تعداد الشعب واظهار الله عنايته الشديدة بنفوس جميع شعبه الملتفين حوله الذين سكن في خيمة وسطهم «في وسطهم أسكن» وأي حب أعظم من هذا . فاسباط اسرائيل الاثنا عشر يحيطون بخيمة الاجتماع واللاويون يعسكرون حولها . وموسى وهرون وبقية الكهنة نازلون قدام الباب الذي يدخل منه الله . وكان متى اجتمع الشعب حول الخيمه بهذه الصورة ووجوههم نحوها ان قطر الدائرة التي تضمهم على ما يظن لا يقل عن ثلاثة كيلو مترات أي سفر نصف ساعة . أما وحدة هذا الجمع الكبير وقوته ومجد المحلة التي كان يسكن فيها في البرية فنشأ هذا جميعه كان حضور الله في الخيمة كمركز شعبه المختار . وهي صورة رمزية جميلة للخيرات العتيدة — المسيح مركز وقوة وحيوة ومجد الكنيسة في الوقت الحاضر وهي عابرة وسط العالم

إذ كان قـد مر على خروج شعب اسرائيل نيف وسنة من الزمان

حدث أن الرب أمر موسى أن يعد الشعب القادر على حمل السلاح من سن عشرين سنة فما فوق . و لم يعف من الخدمة العسكرية سوى سبط لاوي الذي كان تعداده مستقلا عن باقي الاسباط ولكي يعوض الرب عن هـذا السبط قسم سبط يوسف الى اثنين (افرايم ومنسى) ليكون العـدد كامـلا أي اثني عشر (ص ١ و٢ و٣)

وهكذا أخذ كل واحد محله ووضع كل شيء مكانه وعرف كل فرد واجباته سوآء ارتحلت السحابة أو وقفت وإذ صارت الخيمة مهيأة والكهنة على استعداد والشعب متجنداً صـدرت الاوامر بالارتحال من حوريب « الرب الهنا كلمنا في حوريب قائلا كفاكم قعود في هذا الجبل » وفي السنة الثانية في الشهر الثاني في العشرين من الشهر ارتفعت السحابة عن مسكن الشهادة فارتحل بنو اسرائيل في رحلاتهم من برية سيناء فحلت السحابة في برية فاران » (تث ١:٦ وعدد ١٠:١١ و١٢)

وكان عمود السحاب يقودهم بالنهار وعمود النار بالليل في جميع رحلات المحلة (عدد ٩ : ١٧ ـ ٤٣) فمتى ارتفعت السحابة عن الخيمة كانوا يضربون بالابواق الفضية لتنبيه الجماعة فترتحل المحلات كلها عند سماع صوت الهتاف. في ذلك الوقت كان يصلي موسى قائلا « قم يارب فلتتبدد اعداؤك ويهرب مبغضوك من أمامك» وعند حلول السحابة كانت تحل جميع المحلات ويأخذ كل واحد خدمته المعينة له. حينئذ كان موسى يصلي قائلا « ارجع يا رب الى ربوات الوف اسرائيل ». (عدد ١٠:٣٥ و٣٦)

حقاً ما كان أجمل منظر تلك المحلة العظيمة وسط ذلك القفر البلقع

وما أشد وقع ذلك المشهد الهائل في نفس كل من شاهده. ولذلك نسمع بلعام يقول « ما أحلى مساكنك يا يعقوب . خيامك يا اسرائيل » وعين الايمان هي التي ترى جمال تلك الصورة فقد كانت أبدع بقعة في العالم كله وأوفرها غنى ولو انها وسط رمال قاحلة . وفضلا عن حسن ترتيبها وهندامها وبهاء رونقها فان أعظم امتيازاتها كان حضور الله نفسه في وسطها

ومجرد الاعتراف بذلك كان يخلب البصر لانه تعالى هو الذي يسد بوجوده كل عوز ويهيء كل حاجة . ومن يوم الى يوم كان يرتب أمامهم مائدة في القفر ويفجر لهم الماء من صخرة الصوان وهكذا سازوا وأرجلهم لم تتورم وثيابهم لم تبل كل الاربعين سنة التي صرفوها في البرية (تث ٨:٤)

وكان عدد الذين يزيد عمرهم عن عشرين سنة فوق ستمائة ألف نسمة ماعدا اللاويين والنساء والاولاد الذين يقدر تعدادهم بما لا يقل عن مليوني نفس. ولكن الرب كان يجمع هذا الجمهور كله حول شخصه كما يجمع الاب أولاده حوله وهم مظللون بالسحابة كل يوم « بسط سحاباً سجفاً وناراً لتضيء الليل » (مز ١٠٥:٣٩) وهكذا سارت تلك العائلة المباركة في الراحة والبركة والسلام لان دم العهد الابدي سبق رشه على غطاء تابوت العهد داخل الحجاب بعد ما وقعت الدينونة على ذبيحة الخطية خارج المحلة . فأصبح الله لشعبه سوراً من نار حولهم ومجده في وسطهم . آه يا اسرائيل لو انك ادركت عظم هذه الامتيازات . يا ليتك كنت فهمت لطف الرب ورحمته التي بسطها عليك فاعتمدت عليه من كل قلبك (راجع تث ٣٢ و٣٣)

وفي مركز اللاويين وخدمتهم مما يهم المسيحي معرفته الشيء الكثير

فقد كانوا رمزاً للكنيسة ـ أو المسيحيين أفراداً باعتبار خدمتهم كما كان الكهنة رمزاً للكنيسة أو المؤمنين في سجودهم . وفي أخذ اللاويين لخدمة الرب عوضا عن الابكار معنى سام . فقد كانوا أبكاراً كما أن الكنيسة هي جماعة أبكار مقدسين للرب «كنيسة أبكار» كما ورد في عب ١٢ ويع ١

وكما أصبح اللاويون نصيب الرب وخاصته المفرزين لخدمته هكذا الكنيسة أيضا . فقد افتدينا بثمن ـ ولسنا لانفسنا ـ بل مقتنى ومشتري الدم . ونحن مكلفون أن نمجد الله في أجسادنا وفي أرواحنا التي هي لله . وقد رجعنا من الاوثان لكي نعبد الله الحي الحقيقي في الشركة مع المسيح رئيس الكهنة العظيم الذي اجتاز السموات . على أن دعوة الكنيسة أسمى من مركز اللاويين في العهد القديم لانها أصبحت واحداً مع المسيح وقد أخذت الروح القدس ليكون هو قوة الخدمة والعامل في السجود

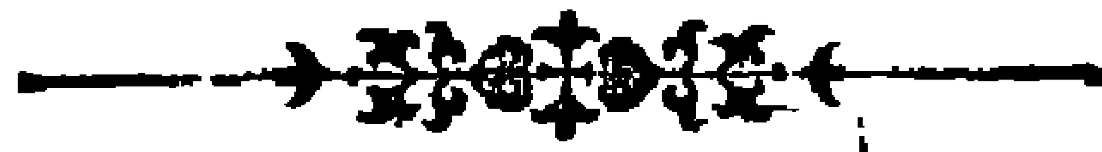
وأخيراً فانه يصح لنا أن نجزم في القول بانه لا يوجد في المسيحية حق أثمن وأهم من حقيقة نسبة الكنيسة للمسيح ولا شيء يكسبها قوة عملية للتصرف كما يحق لدعوتها مثل تحقق هذه العلاقة التي لها مع رأسها في المجد لان «فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديا وأنتم مملوؤن فيه الذي هو رأس كل رئاسة وسلطان» (كو ٢ : ٩ و١٠) وبمقدار نمونا في معرفة هذا الحق الجوهري هكذا نصبح أبطال حرب واجناداً للرب وكهنة ساجدين ولاويين خادمين بالمعنى الصحيح . فنحن مقترنون بالرب بروح واحد ـ وحياتنا مستترة مع المسيح في الله . ونحتاج أن نعيش في الاستتار مكتفين بمركزنا المخفي غير ظاهرين في العالم وانما معروفين كخدام الرب العائشين

لمجده الى أن يأتي الينا ويأخذنا لنفسه وحينئذ نظهر معه في مجده

وتوسلاتنا الى الرب أن يرافق المذكرات الآتية ببركته ويكسوها بجلال مجده ويجعلها واسطة لبنيان شعبه ويقبلها من يد خادمه كخدمة مقدمة لذاته تعالى ليستخدمها لمجد اسمه . وله كل الحمد والمدح من الآن والى كل الدهور آمين .

(ا . م)

تحريراً في لندن أول ديسمبر سنة ١٨٦٩



شرح سفر العدد

الاصحاحان الاول والثاني

نبدأ الان بشرح الكتاب الرابع من أسفار موسى الخمسة . وسنرى فيه مايميزه عن الاسفار الثلاثة السابق لنا التأمل فيها . ففي سفر التكوين بعد ذكر الخليقة والطوفان وبلبلة الالسنة نقرأ عن دعوة الله لابرهيم واختيار نسله . ثم في سفر الخروج نقرأ عن الفداء . أما سفر اللاويين فيشرح لنا الخدمة والشركة الكهنوتية . وهنا في سفر العدد نطالع عن السير والحرب في البرية . هذه هي مميزات كل سفر ما عدا اعتبارات اخرى وبعض نقط مهمة مرتبطة بها . وقد وفق الرب لنا من مراحمه أن ندرس ونتأمل في أسفار التكوين والخروج واللاويين ولنا ملء الثقة في نعمته أن يقودنا أيضا بروحه في شرح سفر العدد ، ويهدي أفكارنا ويمسح قلمنا حتى لا نملي أو نخط حرفا يخالف فكره أو لا ينطبق على قصده المقدس . راجين منه تعالى أن يختم على كل فكرة ويصادق على كل صفحة حتى تكون آيلة لمجده تعالى وبنيان القراء والسامعين

«وكلم الرب موسى في برية سيناء في خيمة الاجتماع في أول الشهر الثاني في السنة الثانية لخروجهم من أرض مصر قائلا . احصوا كل جماعة بني اسرائيل بعشائرهم وبيوت آبائهم بعدد الاسماء كل ذكر برأسه . من ابن

عشرين سنة فصاعداً كل خارج للحرب في اسرائيل . تحسبهم انت وهرون حسب أجنادهم » (ص ١:١—٣)

هنا نرى أنفسنا داخلين البرية التي انما يعبر فيها « كل خارج للحرب » هذه هي النقطة التي يجب الالتفات اليها · ففي سفر التكوين نرى نسل اسرائيل في صلب أبيهم ابراهيم . وفي سفر الخروج نراهم يضربون الطوب في مصر . ثم في سفر اللاويين نراهم مجتمعين حول خيمة الاجتماع . أما في سفر العدد فهم عابرون البرية ولذلك فاننا نقرأ في سفر التكوين عن دعوة الله واختياره لابرهيم . وفي سفر الخروج نرى دم الخروف للفداء . وفي سفر اللاويين لا نجد سوى الخدمة والعبادة في الاقداس . وبمجرد فتح سفر العدد نقرأ عن رجال الحرب والجيوش والالوية والمعسكرات والابواق

ولا يخفي ما في هذه الميزات من الاهمية والاعتبار . ومن هذا الوجه يكون سفر العدد ضروريا ونافعاً ومفيداً لكل مسيحي . نعم ان كل سفر من أسفار الوحي له مركز خاص كما ان له غرضاً خاصاً . وقد وضع الله كل جزء من أجزاء الكتاب في موضعه الذي يليق به . ولا يحق لنا أن نفضل سفراً على سفر أو نقارن بين أهمية الاسفار وقيمتها المتفاوتة لان الله هو الموحي بها كلها فهي اذن كاملة وعلى المسيحي أن يؤمن ويعترف بهذه الحقيقة ويختم على صحة أقوال الوحي جميعها بما فيها أسفار موسى الخمسة . ومهما اعترض الكفار أو انتقد العلماء أو تهجم الملحدون متأخرين أو متقدمين فلا يتزعزع من ثباته ولا ينتقل قيد شبر عن التسليم الكامل بأن « كل الكتاب هو موحى به من الله » ولو تناقش العقليون أو تباحث الفلاسفة

بمباحثات العلم الكاذب وجاهروا بالعداء ضد الكتاب المقدس وصاحبه الا ان المسيحي يبقى راسخاً على اعتقاده «عالما ممن تعلمت وموقنا بمن آمنت»

على اننا ولو حرمنا تفضيل كتاب على كتاب من حيث قيمته أو أهميته فانه يصح لنا مع ذلك أن نقارن بين أسفار الوحي من حيث مضمونها وأغراضها. وكلما دققنا النظر في هذه الاغراض كلما دهشنا لدقة الوحي وانسجامه وتناسب أجزائه وما اتصف به من الكمال والجلال والجمال والحكمة في كل أسفاره مجملة ومفصلة. ومهما كان الكاتب للوحي فامامه غرض واحد لا يحيد عنه ايا كان. ولن تجد في سفر من الاسفار جملة تناقض ما كتب في سفر آخر. واذا أردنا أن نثبت هذه الحقائق الآن لطال بنا المقام واضطررنا أن نسرد الشواهد التي لا تحصى من جميع أسفار الكتاب المقدس من التكوين الى الرؤيا. ولكن المسيحي الفطن لا يحتاج الى برهان حتى اذا كان يشتاق أن يرى قياسا أو مثالا. لأنه واثق أن كل الكتاب في كلياته وجزئياته صادر من الله. لذلك هو مطمئن في داخله ان المجموع باجزائه المختلفة لا يوجد فيه حرف واحد لا يليق بمن أوحى به

وقد قال بعضهم معبراً عن وجدانه بواسطة قلمه «اني مقتنع كل الاقتناع بأن كل الكتاب موحى به من الله وفي كل يوم ازداد اقتناعا بصحة هذا الاعتقاد باختباري اليومي واكتشافي بنعمة الله ما في هذا الكتاب من ملء وعمق وكمال كل جزئياته وارتباطها ببعضها البعض ارتباطا كاملا»

ثم قال هذا الكاتب بعد ذلك «وفي الكتاب قوة فعالة وتأثير حي وتناسب كلي بين أجزائه المتفرقة لان الها واحداً هو مصدره ومسيحا واحداً هو

المركز الذي تدور حوله كل حقائقه وتتجه اليه جميع أشعة مجده وروحا واحداً هو العامل في كل فرع من فروعه شاهداً بمجد ونعمة وحق ذاك الذي وضعه الله غرض ومركز ورأس كل شيء له ارتباط به الذي به وله ومنه الكل الكائن الها مباركا الى الابد ..... وكلما تعمقنا في درس ذلك الكتاب الذي وصلنا الى اطرافه فقط حينما اعلن لنا فكر الله في بداية هدايتنا ـ فقربنا من قلبه اكثر كلما ازداد شعورنا باتساع ودقة الوحي وادركنا عجزنا وضعفنا عن الاحاطة بمحتوياته والالمام بكامل اجزائه وفروعه . ومع ذلك فان المحبة التي تتخلل جميع الفاظه التي هي مصدره قد اظهرت لنا ونحن في حالة الخراب . بل الله نفسه ظاهر من خلال سطوره كاله المحبة الكاملة . أما حكمة الله ومشوراته الازلية التي سر ان يعلنها الينا فيه فلا تنفك موضوع بحثنا وتنقيبنا المتواصل بحيث ان كل اكتشاف جديد يزيد في قامتنا الروحية ويصور لنا المجموع في شكل يفوق تصورات عقولنا بطريقة تسمو على أفكارنا ولكنها تزداد وضوحا وجلاء أمام أذهاننا المستنيرة بالروح القدس »

حقاً ان أقوالا كهذه صادرة من قلم كاتب درس كتب الوحي ماينوف على الاربعين سنة لمما يعزي النفس وينشط الذهن . بل هي ذات قيمة لا يعبر عنها في أزمنة صعبة كهذه كثرت فيها الهرطقة والاستخفاف بكتب الوحي. ليس اننا نبني انفسنا على شهادات البشر أو نعلق أهمية على نتائج مأخوذة من مصادر غير الكتاب المقدس لكي نثبت بها صحة الوحي الالهي وانما نحن نقتبس مثل هذه الاقوال لانها مؤسسة على أقوال التوراة

نفسها . فاننا نعلم ان كتاب الله يشهد لنفسه . وكلمته مثل أعماله تخبر بمجده ومتى نطق الله فكلامه مصدق في حد ذاته لانه يؤثر على الوجدان ويفحص القلب ويميز الافكار والنيات ويخرق مفرق النفس والروح ، ويدخل الى اعماق الضمير ويكشف لنا حالتنا . ولا يوجد كتاب آخر له هذا التأثير . وكما ان امرأة سوخار فهمت أن يسوع الذي يكلمها هو المسيح لانه اخبرها بكل شيء هكذا نحن ايضا نفهم ان الكتاب موحى به من الله لانه يخبرنا بكل مافعلنا . نعم ان تصديقنا الحق هو بعمل الروح القدس وفهمنا أقوال الله هو بتعليم الروح فقط ولكن ذلك لا يؤخذ منه اننا نحتاج الى شهادة بشرية نستند عليها بل كتاب الله يتكلم لذاته . وكما اننا لا نبني ايماننا بالكتاب المقدس على شهادة انسان كذلك لا يتزعزع ايماننا بمفتريات البشر وتجديفهم على ذلك الكتاب

ومن الاهمية بما لا يقاس ولا سيما في أوقات مثل اوقاتنا الحاضرة ان نثبت قلوبنا وافكارنا على هذا الحق الثمين المختص بسلطان الكتاب المقدس — وانه موحى به من الله — وانه كاف لكل الظروف وكل المقاصد وكل الازمنة وكل الناس . لانه قد انتشر حولنا مبدأان يخشى منهما على المسيحي ، اولهما مبدأ الكفر بأقوال الله وثانيهما مبدأ التقليد . فالاول ينكر على الله انه كلم الانسان بما هو مكتوب . والثاني ينكر على الانسان امكانه فهم ما تكلم به الله ويعطي هذا السلطان للكنيسة وحدها

ومع ان كثيرين جداً ينفرون من مجرد سماع اقوال كفرية ويرون فيها ما ينافي الايمان الصحيح والتقوى الحقيقية الا انهم لا يرون في تقاليد

الناس ووصاياهم وفلسفتهم الكاذبة مايحرمهم حق التمتع بالكتاب المقدس .
ومثل هؤلاء نحب ان نسألهم ما الفرق بين ان ننكر على الله انه يكلمنا أو ان ننكر عليه انه يكلمنا كلاما نقدر ان نفهمه . فاننا في الحالتين نحرم من الاخذ بأقوال الله . لانه اذا كان الله يتكلم بكلام غير مفهوم عندي او انه لا يعطيني ان افهم ما يكلمني به وانه هو الذي يكلمني فسواء عندي تكلم اولم يتكلم .
واذا كانت اقوال الله لا تكفيني وحدها ولا استطيع ان استغني بها عن البشر فهي ليست اقوال الله مطلقاً . وغير ممكن ان يصدر من الله شيء ناقص . ولا بد من احد امرين . اما ان يتكلم الله بكلام مستوفٍ ومفهوم اوانه لا يتكلم اصلا ولا مفر من قبول احد الوجهين . فهل عندنا وحي من الله ام لا ؟ يقول الكافر « لا » ويقول التقليدي « نعم ولكنك لاتقدر أن تفهمه الا من الكنيسة » وكأننا في الحالتين حرمنا من الكتاب الذي هو كنز الله الثمين فالكفر والتقليد اللذان هما حسب الظاهر شيئان مختلفان هاهما قد اتفقا على الاقل في هذه النقطة وهي سلب كلمة الله من بين أيدينا

ولكن مبارك اسم الهنا الذي أعطانا وحيه المقدس وقد كلمنا وكلامه المكتوب يصل الى أعماق قلوبنا وأذهاننا لانه قادر أن يعطينا اليقين بأنه هو الذي يكلمنا وان نفهم أقواله التي يكلمنا بها بدون حاجة الى وساطة بشرية.
ومتى أشرقت الشمس فلا نضيء قنديلا لكي نبصر نور الشمس بنوره . لان أشعة ذلك الجرم المنير كافية لكي نستضيء بها بدون واسطة ضعيفة كالشمعة أو السراج . وما علينا الا أن نقف في ضوء الشمس فنرى الشمس بضوئها . أما اذا حجبنا أنفسنا وراء اكمة أو داخل سرادب فلا

يصل الينا نورها. هكذا الحال في أمر كتاب الوحي الذي اذا وضعنا أنفسنا ضمن دائرة تأثيره استفدنا منه . أما اذا أغلقنا على أنفسنا تحت تأثير الآراء الكفرية أو التقليدية فاننا نحرم أنفسنا لذة التمتع بضياء نور اعلان الوحي

هـذا من جهة كتاب الوحي جملة وأما الآن فنشرع في درس مفردات هـذا السفر المعروض أمامنا للتأمل تفصيلا وسنرى في الاصحاح الاول ذكر « الانساب » ثم في الاصحاح الثاني ذكر « الراية » « فأخـذ موسى وهرون هؤلاء الرجال الذين تعينوا باسمائهم. وجمعا كل الجماعة في الشهر الثاني. فانتسبوا الى عشائرهم وبيوت آبائهم بعـدد الاسماء من ابن عشرين سـنة فصاعداً برؤوسهم . كما أمر الرب موسى . فعدهم في برية سيناء » (ص ١ : ٧ —١٩)

أو ليس لنا نحن من هذا تعليم ؟ الا نستفيد فوائد روحية من التأمل في هذه الاعداد ؟ نعم بدون شك . وأول أمر يخطر على بال القارىء لهذه العبارة هو « هل استطيع أنا ايضاً ان اثبت انتسابي لشعب الله ؟ » وأخاف ان أقول ان مئات بل الوفاً من المعترفين بانهم مسيحيون يعجزون عن الاثبات . هؤلاء لا يقدرون ان يقرروا بصراحة ووضوح انتسابهم الى الله قائلين « الآن نحن أولاد الله » (١ يو ٣ : ٢) « لانكم جميعاً ابناء الله بالايمان بالمسيح يسوع » « فان كنتم للمسيح فأنتم اذن نسل ابرهيم وحسب الموعد ورثة » (غل ٣: ٢٦ و ٢٩) « لان كل الذين ينقادون بروح الله فاولئك هم أبناء الله . . . . الروح نفسه أيضا يشهد لارواحنا اننا اولاد الله » (رو ٨ : ١٤ و ١٦)

هـذا هو نسب المسيحي وعليه أن يشهر « انتسابه » لانه مولود من فوق — مولود من الله — مولود ثانية — مولود من الماء والروح أي كلمة الله والروح القدس (قارن جيداً يو ٣ : ٥ مع يع ١ : ١٨ مع ١ بط ١ : ٢٣ مع اف ٥ : ٢٦) وفي امكان المؤمن ان يثبت انتسابه الى المسيح المقام في المجد . هذه هي تواليد المسيحيين . اما انتسابنا بحسب الطبيعة فاذا رجعنا الى أصلنا واعترفنا بحقيقة تواليدنا فلا مناص من الاعتراف بأننا توالدنا من أصل فاسد وهالك . فنحن ذرية جنس ساقط . وقد فقدنا كل امتيازاتنا وبددنا ميراثنا وافسدنا انفسنا واهلكنا ذواتنا ولم يعد في امكاننا أن نسترد شرفنا او نسترجع مركزنا لاننا خربنا . نعم يوجد اغنياء وشرفاء وعظماء وامراء وحكماء حسب الجسد ولكنهم اذا لم يغالطوا في « انتسابهم » ورجعوا بتواليدهم حسب عشائرهم فلا بد ان يعترفوا بأنهم متناسلون من رأس ساقط وهالك ومطرود ولا بد من الرجوع الى الاصل من الانتساب .

هـذا هو حكم الله ولا مرد لقضائه . وحكمنا في الامور يجب ان يكون على قياس حكمه تعالى . لانه هو صاحب السلطان والقول الفصل . اما حكم البشر فلا يثبت وهو ابن يومه فلا يدوم والمؤمن يقول بكل جراءة « اقل شيء عندي ان يحكم فيّ من يوم بشر » (١ كو ٤ : ٣) انه حكم ليس بحسب فكر الله ويا ليت قلوبنا تقتنع بعدم اهمية حكم البشر لكي لانهتم بما يقوله الناس . وهكذا نسير بالاستقلال عن اراء الناس وأحكامهم . حقاً ما كان ارفعنا واغنانا عن تأثيرات البشر وافكارهم الباطلة . لانه ما هو الصيت الذي ننالهُ هنا واي مجد نكتسبه هنا اذا علمنا اننا انما منتسبون

بالطبيعة الى آدم الساقط الهالك . ان الانسان كان يفاخر بمحتده لولا انه «ولد بالخطية وصور بالأثم» هذا هو تولد الانسان . وهذا هو أصله ـ ومن ذا الذي يفاخر بمثل هذا المولد ومثل ذلك المحتد ، الا الذي أعمى اله هذا الدهر ذهنه لكي لا يرى

أما المسيحي المؤمن فبعكس ذلك لانه يعلم انه سماوي . وسلسلة انسابه تتصل باصل الخليقة الجديدة ولا يمكن أن تنفصم عراها لان الموت لا يسود عليها اذ انها مؤسسة على قيامة المسيح من الاموات هذا ما يجب أن نتحققه جيداً . وعلى القاريء أن يتثبت من هذه الحقيقة الاساسية.ومن الاصحاح الاول من سفر العدد الذي نحن بصدده الآن نقدر ان نفهم بسهولة أهمية هذا الامر لان كل عضو من جماعة شعب اسرائيل كان مكلفاً بتقرير نسبه. وأقل شبهة في التواليد كانت تسبب تشويشاً وارتباكا . ومن يتصور أن أحداً من ذلك الشعب كان اذا سئل عن انتسابه يجاوب بمثل الجواب الذي نسمعه من كثيرين في الوقت الحاضر ؟

فهل تظن أحداً منهم كان يقول « اني لست متيقنا تماما واملي احيانا قوي باني من نسل اسرائيل ولكني في أوقات اخرى اخشى أن لا اكون من جماعة الرب مطلقا وهكذا تجدني بالاجمال في ريب وشك » فهل تتصوره يقول كلاما كهذا ؟ كلا . وبالاولى كثيراً لا يخطر بالبال تصور هذا الفكر الهائل وهو عدم تأكد أحد ما اذا كان اسرائيليا حقيقيا أو لا الى يوم الدين

كل أمثال هذه التصورات ـ وجميع تلك الشكوك والمخاوف والاسئلة ينبغي ان نتأكد انها كانت غريبة عن فكر الاسرائيلي . فكل عضو في

الجماعة كان يثبت نسبته قبل أن يدرج اسمه في صفوف ورتب رجال الحرب فكان يستطيع كل واحد ان يقول كما قال شاول الطرسوسي «مختون في اليوم الثامن من جنس اسرائيل» الخ . وكل شيء مقرر واضح وذلك ضروري اذا دعا الحال للدخول الحقيقي في السير والحرب في البرية

وعليه الا يحق لنا أن نسأل هـذا السؤال وهو «اذا كان لابد على اليهودي ان يتأكد نسبته فلماذا لايكون المسيحي متأكداً نسبته»؟ وارجوك أيها القاريء العزيز ان تتأمل هـذا السؤال واذا كنت واحداً من جماعة كبيرة من الناس لم يستطيعوا قط ان يصلوا الى تأكيد نسبتهم السماوية المباركة وولادتهم الروحية فاتوسل اليك أن تقف وتسمح لي بأن ابحث معك هـذه النقطة الخطيرة . وربما لاتميل لان تسأل قائلا «كيف استطيع ان اتأكد بأني حقا وفعلا ابناً لله وعضواً في المسيح ومولوداً من كلمة وروح الله؟ اني لو كنت امتلك العالم كله لبذلته في سبيل تأكيدي هذا السؤال المهم»

حسنا اذاً فنحن نرغب من صميم قلوبنا أن نساعدك في هذه المسألة. وبالحقيقة أمامنا غرض واحد في كتابة هذه «المذكرات» وهو ان نبين للنفوس الراغبة الجواب على هذه الاسئلة كما يساعدنا الرب ونحل معضلاتهم ونزيل عقباتهم من طريقهم

ولنبين أولا هيئة خصوصية تختص بجميع أولاد الله بدون استثناء وهي هيئة بسيطة للغاية ولكنها مباركة جداً واذا لم نحصل عليها على نوع ما فلا شك اننا لسنا من العائلة السماوية . اما اذا حصلنا عليها فتأكد اننا منها

وقادرون حينئـذ بدون صعوبة أو مانع ان « تثبت نسبتنا » فما هي هذه الهيئة وما هي صفة هذه العائلة العظمى؟ ان الرب يسوع المسيح يجيب على ذلك بقوله « والحكمة تبررت من جميع بنيهـا » (لوقا ٧ : ٣٥ ومتى ١١ : ١٩) . جميع أبناء الحـكمة من أيام هابيـل الى الآن رسمت عليهم صورة هذه العائلة الـكبرى . ولا يوجد استثناء واحد . كل أولاد الله وجميع أبناء الحكمة أظهروا دائمـاً بدرجة ما هذه الهيئة الادبية فبرروا الله

فليتأمل القاريء هذا . فربما يعسر عليه فهم المعنى المقصـود من تبرير الله ولـكننا نثق بأن فصلا أو اثنين من الـكلمة الالهية يتوضح بهما ذلك جلياً فقد ورد بأن « جميع الشعب اذ سمعوا والعشارون برروا الله معتمدين بمعمودية يوحنا . وأما الفريسيون والناموسيون فرفضوا مشورة الله من جهة أنفسهم غير معتمدين منه (لوقا ٧ : ٢٩ و ٣٠)

فنرى هنا الجنسين أتيا معا وتقابلا وجها لوجه . المشارون برروا الله ودانوا أنفسهم والفريسيون برروا أنفسـهم ودانوا الله . الاولون خضعوا لمعمودية يوحنا ـ معمودية التوبة . والآخرون رفضوا المعمودية ـ رفضوا التوبة — وأبوا أن يخضعوا ويحكموا على أنفسهم

فأمامنا النوعان العظيمان اللذان انقسمت اليهما كل العائلة البشرية من أيام هابيل الى وقتنا الحاضر ولنا أيضا أبسط محك ممكن به نفحص « نسبتنا » فهل أخذنا مقام إدانة النفس وهل سجدنا بتوبة حقيقيـة لدى الله؟ ذلك هو تبرير الله والامران يسيران معا . لان الانسان الذي يدين نفسـه يبرر الله والذي يبرر الله يدين نفسه ومن الجهة الاخرى الذي يبرر نفسه يدين

الله والذي يدين الله يبرر نفسه

وعليه نرى ان ذات اللحظة التي نقف فيها موقف التوبة والحكم على الذات يقف الله موقف المبرر وهو تعالى دائما يبرر الذين يدينون أنفسهم. وجميع أولاده يبررونه وهو يبرر كل أولاده . وفي اللحظة التي قال فيها داود « اخطأت الى الرب » كان الجواب « الرب رفع عنك خطيتك » فالغفران الالهي يتبع الاعتراف البشري بغاية السرعة

فليس أجهل من أن يبرر انسان نفسه مع ان الله ينبغي أن يتبرر في كلامه ويزكو في قضائه (مزمور ٥١:٤ ورومية ٣ : ٤)فلابد أن تكون لله اليد العليا في النهاية وحينئذاك يظهر كل تبرير للنفس في نوره الحقيقي . وأحكم شيء إذاً هو ان ندين أنفسنا وهذا ما يفعله جميع أبناء الحكمة وليس أدل على صفات أعضاء عائلة الحكمة الحقيقيين من عادة وروح إدانة النفس. بينما من الجهة الاخرى لا شيء يبين اولئك الذين ليسوا من هذه العائلة مثل روح تبرير الذات

ان هذه الامور تستحق أعظم التفاتنا فان الطبيعة تلوم كل الاشياء وجميع الناس الا نفسها ولكن متى عملت النعمة فيوجد استعداد للحكم على الذات واتخاذ المحل الوضيع وهذا هو السر الحقيقي للغبطة والسلام وجميع أبناء الله وقفوا على هذا الاساس المبارك وأظهروا هذه الصورة المحبوبة الادبية ووصلوا الى هذه النتيجة الكبرى ولا يمكننا ان نجد استثناء واحداً لذلك في كل تاريخ عائلة الحكمة السعيدة ولذا نقول بكل طمأنينة بأنه إذا كان القاريء ارتشد بالحق والفعل لاعتبار نفسه هالكا . ودان نفسه. وأخذ

مقام التائب الحقيقي . فحينئذ هو بالحقيقة أحد أبناء الحكمة ولذلك يمكنه بكل جسارة وجزم أن « يثبت نسبته »

نريد التوسع في شرح هذه النقطة لانه يستحيل على الشخص ان يعرف وينتظم حول « الراية » الخصوصية ما لم يثبت نسبته وبالاجمال لا يمكنه ان يتخذ مقاما صحيحا في البرية طالما يوجد ريب او شك من جهة هذه المسألة المهمة . لانه كيف كان يسوغ لاسرائيلي قديما ان يدخل في الجماعة — ويندمج في الصفوف — وكيف يمكنه ان ينتظر تقدما في البرية إن لم يستطع ان يثبت نسبته جليا . ان ذلك مستحيل وهكذا الحال بالتمام مع المسيحي الآن فان التقدم في برية الحياة . والنجاح في الحرب الروحية بعيد عنه اذا كان عنده أدنى ريب من جهة نسبته الروحية . فلا بد من امكانية القول « نحن نعلم اننا انتقلنا من الموت الى الحيوة » . « نحن نعلم اننا من الله » « نؤمن ونتيقن » قبل أن يوجد أي تقدم فعلي في حياة وسير المسيحي

فيا أيها القاريء ارجوك ان تخبرني أتقدر ان تثبت نسبتك ؟ وهل تقررت هذه النقطة أمامك تماما ؟ وهل أنت واثق بها وواضحة في أعماق نفسك ؟ ومتى انفردت مع الله فهل تقررت وانحلت هذه المسألة بينك وبينه تعالى ؟ افحص وانظر وتأكد ذلك جيداً ولا تستخف بالامر وتهمله ولا تبني على مجرد الاقرار ولا تقل « اني عضو بالكنيسة الفلانية وأتناول عشاء الرب وأتمسك بكذا وكذا من التعاليم والعقائد وتربيت تربية دينية وأعيش عيشة أدبية ولم أضر احداً وأقرأ الكتاب المقدس وأتلو صلواتي

وأقوم بالعبادة العائلية في بيتي وأدفع مبالغ جسيمة في سبيل محبة عمل الخير والدين » .

قد يكون كل ذلك منك حقيقياً ومع ذلك فلا يكون فيك نبض واحد من الحياة الالهية ولا شعاعة من النور الالهي . وإنه ولا بشيئ من هذه الاشياء ولا كلها مجتمعة معاً تقبل كاثبات للنسبة الروحية اذ لا بد من شهادة الروح بأنك إبناً لله وهذه الشهادة دائماً ترافق الايمان البسيط بالرب يسوع المسيح « من يؤمن بابن الله فعنده الشهادة في نفسه » (١ يوحنا ٥ : ١٠) وليست مسألة نظر الى قلبك مطلقاً لاجل البرهان ولا بناء على خواطر أو شعور واختبارات ولا شيء من هذا القبيل بل هي ايمان بسيط بالمسيح وهي نوال الحيوة الابدية في ابن الله . وتسجيل الروح القدس الذي لا يمحى والثقة بكلمة الله « الحق الحق أقول لكم انمن يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حيوة أبدية ولا يأتي الى دينونة بل قد انتقل من الموت الى الحيوة ». (يوحنا ٥:٢٤)

هذه هي الطريقة الصحيحة التي بها تثبت نسبتك وتتأكدها وينبغي لك أن تثبتها قبلما « تذهب الى الحرب » وليس المعنى اننا نقول بأنك لا تقدر أن تخلص بدون ذلك . حاشا لنا أن نقول مثل هذا . فاننا نعتقد انه يوجد مئات من اسرائيل الروحي الصحيح لا يقدرون ان يثبتوا نسبتهم . ولكننا نسأل قائلين أيقدر أمثال هؤلاء أن يذهبوا الى الحرب؟ وهل هم رجال حرب أقوياء ؟ كلا فانهم لا يستطيعون حتى ان يعرفوا ما هو النزال الحقيقي بل بالعكس يغلطون . اذ يحسبون سكوكهم ومخاوفهم وأوقاتهم

الكثيفة المظلمة بأنها حرب مسيحية صحيحة وهذه غلطة خطيرة جداً ولكنها للاسف عامة . فاننا كثيراً ما نجد أحوالا مظلمة ناموسية تعتبرها النفس المدافعة بأنها حرب مسيحية بينما نرى بحسب تعليم العهد الجديد ان الجهاد المسيحي الصحيح أو الحرب انما يكون في ميدان لا يعرف فيه أثر للشكوك والمخاوف . فحين نقف في النور الباهر لخلاص الله الكامل ذلك الخلاص الذي بالمسيح المقام حينئذاك ندخل فعلا حرباً لا تليق بنا كمسيحيين. فهل نظن لحظة أن جهادنا الناموسي وعدم ايماننا المخطيء ورفضنا الخضوع لبر الله ومجادلاتنا ومعارضتنا ينظر اليها كمحاربة مسيحية ؟ كلا مطلقاً بل كل هذه ينبغي اعتبارها مصارعة مع الله بينما مصارعة المسيحي هي مع الشيطان « فان مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع اجناد الشر الروحية في السماويات » (افسس ٦:١٢)

هذه هي المحاربة المسيحية فهل يستطيع أولئك المرتابون سواء كانوا مسيحيين أو لا ان يحاربوها؟ اننا لا نظنهم يقدرون على هذه المحاربة وهل نتصور اسرائيليا يحارب مع عماليق في البرية أو مع الكنعانيين في أرض الموعد وهو غير قادر بعد على « اثبات نسبته » أو معرفة « رايته »؟ كلا ان هذا بعيد عن التصور . لا . لا . بل كل عضو من الجماعة قادر على الخروج للحرب كان في غاية العلم والتأكيد من تينك النقطتين وحقا انه لا يستطيع الخروج ان لم يكن ملما بهما هكذا

وبينما نحن نتأمل في هذا الموضوع المهم عن مصارعة المسيحي يحسن بنا

ان نوجه أنظار القاريء العزيز الى ثلاثة مواضع في العهد الجديد مقدمة لنا فيها ثلاث صفات واضحة عن طبيعة المصارعة وتلك المواضع هي (رومية ٧: ٧ ــ ٢٤ وغلاطية ٥ : ١٠ وافسس ٦ : ١٠ ــ ١٧) فاذا وجه القاريء نظره لحظة للفصول المذكورة نرجو أن نبين صفة كل منها الحقيقية

نري في (رومية ٧:٧ــ٢٤) جهاد النفس التيأحييت ولكنها لم تتحرر . نفس متجددة ولكنها لا زالت تحت الناموس والبرهان . أمامنا على ان هذه نفس استيقظت موجود في هذه الكلمات « الذي لست أريده فاياه أفعل » ــ « الارادة حاضرة عندي » ــ « اسر بناموس الله بحسب الانسان الباطن » ولا تستطيع ان تتكلم هكذا غير نفس متجددة . فعدم ارادة الخطأ وارادة فعل الصلاح والسرور الباطني بناموس الله ــ كل هـذه علامات واضحة على الحياة الجديدة . وهى اثمار التجديد الثمينة . ولا يوجد شخص غير متجدد يستطيع استعمال لغة كهذه بالحق

ولكن من الجهة الاخرى امامنا البراهين التي لدينا في هذا الفصل على ان النفس لم تتحرر تماماً وليست فرحة بالانقاذ المعلوم ولم تشعر بالتمام بالغلبة ولا واثقة بحصولها على القوة الروحية ونجد البراهين على كل ذلك في الاقوال الاتية :

« أما أنا فجسدي مبيع تحت الخطية » « لست أفعل ما أريده بل ما أبغضه فاياه أفعل » « ويحي انا الانسان الشقي . من ينقذني » ونحن نعلم ان المسيحى ليس «جسدياً» بل روحي وليس «مبيعا تحت الخطية» بل مفدي من قوتها وليس هو انسانا شقيا يئن طالبا النجاة بل هو انسان سعيد

يعلم انه محرر وليس هو عبداً عاجزاً غير قادر على فعل الصلاح ولا هو مضطر لفعل الشر بل حر متشح بقوة الروح القدس ويقدر ان يقول « استطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني » (فيلبي ٤ : ١٣)

لا نرغب في الافاضة في شرح هذا الفصل المهم وانما نكتفي بذكر ملاحظة أو اثنتين فقط مما قد يساعد القاريء على ادراك مضمونه وأهميته. واننا نعلم بان كثيرين من المسيحيين يختلفون اختلافاً كبيراً من جهة تفسير هذا الاصحاح . فالبعض ينكرون ان هذا الاصحاح يشرح اختبار النفس المتجددة وآخرون يذهبون الى أنه يوضح التدريب الخاص بالمسيحي ونحن لا نستطيع ان نقبل أيا من الرأيين لاننا نعتقد انه يمثل أمامنا اختبارات النفس المتجددة حقيقة ولكنها لم تتحرر بمعرفة اتحادها بالمسيح المقام وقوة الروح القدس . فئات من المسيحيين هم في الحقيقة باقون في اختبار الاصحاح السابع من رومية بينما مقامهم الخاص بهم ينطبق عليه الاصحاح الثامن. فهم في رو ٧ تحت الناموس من جهة اختبارهم ولا يميزون أنفسهم كمختومين بالروح القدس ولذا لم يتمتعوا بكمال الفلبية في المسيح المقام والممجد . وعندهم مخاوف وشكوك ومائلون دائماً لان يصرخوا قائلين « ويحي أنا الانسان الشقي من ينقذني » ولكن ألم ينقذ المسيحي وألم يخلص وأليس هو مقبول في الابن الحبيب وأليس مختوماً بالروح القدس ومتحداً بالمسيح أولا ينبغي له ان يعرف ويتمتع ويقر بكل هذا ؟ لا شك في ذلك.

فمقامه اذاً لا يتفق مع اختبار الاصحاح السابع من رومية بل من امتيازه ان يرنم ترنيمة النصرة بجانب السماء عند الجانب الآخر من قبر

يسوع الفارغ ويسلك في كمال الحرية التي حرر بها المسيح شعبه عالما ان الاصحاح السابع من الرسالة الى أهل رومية ليس حرية قط بل كله عبودية ما عدا الجزء الختامي منه الذي تستطيع عنده النفس ان تقول « شكراً لله » ولا شك في ان المؤمن يستفيد من اجتيازه في هذا الاختبار الوارد في الاصحاح السابع بصورة حية مؤثرة زد على ذلك اننا نفضل ان نكون حسب الحقيقة في الاصحاح السابع من رومية من ان ندّعي كذبا وبهتانا اننا في الاصحاح الثامن . ولكن هذا كله لا يؤثر قط على موضوعنا المتعلق بتطبيق هذا الفصل المهم

والان لنتأمل قليلا بنعمة الله في نوع المحاربة الواردة في غلاطية ٥ : ١٧ حيث يقول الرسول « لان الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد . وهذان يقاوم احدهما الاخر حتى تفعلون ما لا تريدون (١) » وطالما اقتبست هذه العبارة لتدل على الانهزام المتسمر بينما هي في الحقيقة تضمن سر النصرة المستديمة ونقرأ في غل ص ٥ : ١٦ قوله « وانما أقول اسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد » وهذا يوضح المعنى المقصود باجلى بيان لان وجود الروح القدس يضمن لنا القوة . ونحن على يقين بان الله أقوى من « الجسد » فلذلك متى دخل في الحرب تكون الغلبة مضمونة ومؤكدة . ولا يغرب عن الاذهان ان ما جاء بغلاطية ٥ : ١٧ لا يشار به

---

(١) ويحسن بنا في هذا المقام ان نوقف القارىء على ما ذهب اليه بعض العلماء الافاضل في حقيقة نص الجزء الاخير من غلاطية ٥ : ١٧ حسب الاصل اليوناني وهو (حتى لا تفعلوا ما تريدون) ونحن نعتقد ان هذا مطابق تمام المطابقة لروح النص

الى المقارنة بين الطبيعتين العتيقة والجديدة بل الى ما بين الروح القدس والجسد وهذا هو السبب في قوله « حتى لا تفعلوا ما تريدون » فاذا لم يكن الروح القدس ساكنا فلا شك اننا نكمل شهوة الجسد ولكن طالما هو فينا ليقوم بالحرب فلا شيء يحتم علينا ارتكاب الشر بل بالعكس نكون أقوياء على فعل الصلاح

هذا يرينا بالاختصار الفرق بين ماورد في رومية ٧: ١٤و١٥ وغلاطية ٥: ١٧ فاننا نرى في الاولى الطبيعة الجديدة وليس قوة الروح القدس الساكن فينا وأما في الثانية فليس لنا فقط الطبيعة الجديدة بل قوة الروح القدس أيضاً . وينبغي لنا والحالة هذه ان لا ننسى مطلقا ان الطبيعة الجديدة في المؤمن غير قائمة بنفسها لانها متعلقة على الروح للقوة وعلى الكلمة للارشاد . وانما الامر واضح بغاية الصراحة بأنه حيث يوحد الله الروح القدس فلا بد من وجود قوة . مع انه قد يحزنه المؤمن ويعطل عمله ولكن ماورد في غلاطية ٥ : ١٦ يعلمنا صريحا بأننا ان سلكنا بالروح فلابد أن نتأكد دوام الغلبة على الجسد . فلذلك نغلط غلطا جسيما جداً اذا اقتبسنا ماجاء بغلاطية ٥: ١٨ واتخذناه كمشجع على المعيشة حسب الجسد لان الغرض من تعليمه هو ان يؤدي الى عكس ذلك تماما .

والآن لنا كلمة أيضا عما جاء بالرسالة الى أهل افسس ٦ : ١٠ — ١٧ فهنالك يبين المصارعة بين المسيحي وأجناد الشر الروحية في السماويات . ولا يخفى ان الكنيسة علاقتها بالسماء فينبغي أن يكون سيرها وحديثها سماويا على الدوام ويجب ان يكون غرض قلوبنا دائما ان نحقق عملياً مقامنا

ونثبت أقدامنا راسخة على ميراثنا السماوي المحفوظ هناك . وهذا ما يحاول الشيطان دائماً أن يعيقنا عنه ولهذا نجد المصارعة التي تستلزم « سلاح الله الكامل » الذي به وحده نستطيع ان نثبت ضد عدونا الروحي القوي

وليس من غرضنا ان نتكلم بأسهاب عن شرح السلاح وانما فقط نكتفي بتوجيه نظر القاريء العزيز الى الثلاثة فصول التي ذكرناها آنفاً من الكتاب حتى يكون له المام بموضوع المحاربة من كل وجوهها بمناسبة ذكر الاعداد الاولى من سفر العدد ولا يوجد ألذ من التأمل في ذلك ولا يمكننا أن نقدر أهمية معرفة ووضوح حقيقة المحاربة المسيحية وموضوعها فاذا خرجنا للحرب بدون ان نعرف السبب الذي لاجله نحارب وفي حالة الارتياب من جهة صحة « نسبتنا » فاننا لا نفوز على العدو

وانما كما اشرنا سابقاً يوجد أمر آخر ضروري لرجل الحرب ولازم كلزوم اثبات نسبته وهو معرفة رايته معرفة صحيحة جلية . فكلا الامران جوهريان للسير والمحاربة في البرية وزيادة على ذلك لا ينفصلان عن بعضهما فانه اذا لم يعرف انسان نسبته فكذلك لا يستطيع تحقيق رايته وعليه يستولي على الجميع اليأس والارتياب وعوضاً عن الوقوف في الصفوف والثبات للتقدم يسير كل منهم في واد ويدوسون بعضهم بعضا . فيجب على كل فرد أن يعرف مركزه ويلازمه ـ ويعرف رايته ويمكث بجانبها . وهكذا ساروا معا وتم النجاح وانجز العمل وقامت الحرب فكان للبنياميني مركزه وكذلك الافرايمي ولم يتداخل الواحد في أمر الآخر أو يقاطع طريقه . وهكذا

الحال مع جميع الاسباط في كل محلة اسرائيل الله . كان لكل نسبته ومركزه ولم يكن الامر بحسب فكر هذا ولا ذاك بل الكل بحسب فكر الله فهو تعالى الذي أعطى النسبة وعين الراية ولم تكن ثم حاجة لمقارنة هذه بتلك ولا داعي لغيرة الواحد من الآخر بل كل واحد له محل يملأه وعمل ليؤديه ويوجد عمل ومحل كاف للجميع ورغماً عن وجود الاختلافات الكثيرة الممكنة هنالك فقد كان الاتحاد كاملا وجميلا « ينزل بنو اسرائيل كل عند رايته بأعلام لبيوت آبائهم ... ففعل بنو اسرائيل حسب كل ما أمر به الرب موسى هكذا نزلوا براياتهم وهكذا ارتحلوا كل حسب عشائره مع بيت آبائه » (عدد ص ٢ : ٢ و٣٤)

وعليه نتعلم من المحلة قديما كما من الكنيسة الآن « ان الله ليس اله تشويش » فلا يوجد اجمل واكمل ترتيباً من الاربع المحلات التي لكل منها ثلاثة اسباط تكوّن مربعا كاملا وكل ضلع من المربع يعرض رأيته الخصوصية « وينزل بنو اسرائيل كل عند رأيته بأعلام لبيوت آبائهم . قبالة خيمة الاجتماع حولها ينزلون » لان رب الجنود اله اسرائيل عرف كيف يسير جنده ومن الخطأ الفادح أن يتصور أحد ان جماعة الله المحاربين لم يكونوا مرتبين بحسب أكمل نظام للحركات الحربية . فقد نفخر بتقدمنا في الفنون والعلوم ونتوهم أن جند اسرائيل كانوا يمثلون منظراً سمجا من عدم الترتيب والتشويش بالنسبة لما يظهر من حسن النظام في الوقت الحاضر ولكن هذا الزعم غرور فارغ لاننا نعلم علم اليقين ان محلة اسرائيل كانت مرتبة ومهيأة بأكمل كيفية واتقن نظام لهذا السبب الوحيد وهو انها

ترتبت واعدت بيدالله تعالى . ومتى سلمت معنا بهذا فقط بأن الله هو الذي يفعل أي أمر من الامور فنستطيع أن نبرهن لك بكمال الثقة بأنه قد عمل على الوجه الاكمل

هذا مبدأ بسيط جداً ولكنه مهم للغاية ولو انه طبعا لا يرضي الكافر ولا الملحد مهما كان فان من خاصيات الملحد انه يشك في كل شيء ولا يؤمن بشيء ويقيس جميع الاشياء بمقياسه الخصوصي ويرفض كل ما لا يمكنه تطبيقه على أفكاره وتصوراته ويضع بغاية البرودة مقدماته الخصوصية ثم يتقدم ليستنتج نتائجه ومن المعلوم انه اذا كانت المقدمات فاسدة فلا بد أن تكون النتائج فاسدة أيضا . ومن المقرر المفروض في مقدمات جميع الملحدين والعقليين والكفار هو انهم ينسون أو يتناسون وجود الله فمن ثم لا بد أن تكون كل نتائجهم فاسدة فساداً مهلكا . بينما من الجهة الاخرى نجد المؤمن المتواضع يبتديء بهذا المبدأ العظيم وهو أن الله موجود وليس موجوداً فقط بل متداخل في شؤون خليقته وان سروره في ذلك وهو مشغول دائما بأمر خليقته

ويا لهذا من تعزية للمسيحي بينما الكفر لا يعرف شيئا عن ذلك قط لانك متى أتيت له بالله فقد قلبت كل علل وأسباب الكافر لانها مؤسسة على نسيان الله وتجاهله قطعيا

ولسنا نكتب الان لمجادلة الكفار على كل حال بل لبنيان المؤمنين ومع ذلك فانه يحسن بنا احيانا توجيه الالتفات الى مذهب الكفر الفاسد بكمله والمنقوض من أساسه ولا يظهر فساده القطعي بغاية الوضوح اكثر مما في

قيامه على اعمال الله وطرحه عنه ومتى أدركت هذه الحقيقة فانك تحطم مذهبهم كله ويهدم من جداره ويداس كالتراب تحت أقدامنا فاننا اذا آمنا بان الله موجود فلا شك ان كل شيء ينظر اليه بعلاقته به وينبغي لنا ان ننظر الى كل شيء من وجهته وليس ذلك فقط بل اذا اعتقدنا بوجود الله فحينئذ لا بد أن نرى بانه لا يحق للانسان أن يحكم عليه لانه ينبغي ان يكون هو الحاكم على الصلاح والطلاح وما يناسب جلاله الالهي وما لا يناسبه وهكذا الحال أيضاً بالنسبة لكلمة الله . اذا صح أن الله موجود وانه كلمنا واعطانا اعلاناته فحينئذ لا بد ان تلك الاعلانات لا يحكم فيها الانسان بعقله لانها سامية وفوق ادراكه تأمل فقط في جهل من يريد أن يقيس كلمة الله بقوانين الحساب البشري ومع ذلك فهذا ما قد حصل بالايجاز في زماننا من جهة هذا السفر المبارك سفر العدد الذي نحن بصدده والذي سنشرع في شرحه تاركين الكفر وحسابه جانباً

اننا نشعر بالحاجة الضرورية في مذكراتنا وتأملاتنا في هذا السفر كما في كل سفر آخر بان نتذكر امرين وهما أولا السفر وثانيا النفس . فنضع نصب أعيننا الكتاب ومحتوياته والنفس ولوازمها . لانه يوجد خطر في المشغولية بالاول ونسيان الثاني كما انه من الجهة الاخرى يوجد خطر في انهماكنا بالكلية بالثاني مع اهمال الاول فلابد من مراعاة الامرين معا ونستطيع القول بان ما يؤدي خدمة كافية سواء كانت تحريرية أو شفهية انما هو توفيق هذين الامرين توفيقا في محله فانه يوجد بعض خدام يدرسون كلمة الله باجتهاد وتعمق كثير وهم متضلعون في معرفة الكتاب

وشربوا بغزارة من ينابيع الوحي وكل هـذا في غاية الاهمية وله اسمى قيمة فان الخدمة بدونه تكون عقيمة فملا لانه اذا لم يدرس الانسان كتاب الله باجتهاد وبروح الصلاة فلا يكون عنده فوائد كثيرة يقدمها لقرائه أو سامعيه فيجب على خدام الـكلمة أن يبحثوا لانفسهم « ويتعمقوا في البحث »

وانما ينبغي المشغولية بأمر النفس من حيث الوقوف على حالتها وسد احتياجاتها الضرورية واذا لم يراعَ ذلك تفقد الخدمة قوتها وسلطانها ومفعولها وتصبح عقيمة وغير مثمرة وبالاجمال يجب جمع الامرين وتوفيقهما معا باللياقة لان الذي يقتصر فقط على مجرد درس الكتاب لايخدم حاجة النفس والذي يدرس حاجات النفس لا غير لايوجد عنده كنز ولا ذخيرة يقدمها لها أما الذي يدرس الامرين معا فهو خادم أمين ليسوع المسيح

والآن نريد على قدر الطاقة أن نكون من هذا القبيل للقاريء العزيز فلذلك ونحن سائرون في هذا السبيل برفقته في هذا السفر العجيب المفتوح أمامنا لانطلب فقط اظهار جماله الادبي وبيان دروسه المقدسـة بل نشعر أيضا بأنه من الواجب المحتم علينا أن نطرح على القراء من آن لآخر أسئلة عن مقدار ماتعلموه من هذه الدروس وما قدروه من قيمة جمالهـا البديع . ولنا ملء الثقة بأن لا يعارض القاريء في هذا فلذلك نسأله سؤالا أو اثنين قبل أن نختم هذا الفصل الاول .

فنقول أولا هل أنت واثق ومطمئن من جهة « نسبتك » يا صاحبي العزيز وهل الامر مقرر بانك في جانب الرب . ونرجوك أن لاتترك هذا

السؤال العظيم المهم من قبل أن تجيب عليه. ومع ان هـذا السؤال قد سبق فلا زلنا نرى ضرورة اعادته مرة أخرى . فهل تعلم — وأيمكنك اثبات نسبتك الروحية ؟ لانه لايخفى ان هـذا أول ماهو مطلوب من جنـدي الحرب . ولا فائدة من فكرة الدخول كجندي محارب طالما لم تفصل في هذه النقطة . واننا لانقول ان الانسان لايستطيع أن يخلص بدونهـا . حاشا لنا أن نفتكر ذلك وانما نقول انه لايستطيع أن يدخل الصفوف ويأخذ رتبته فيها كرجل حرب ولا يمكنه أن يجاهد ضد العالم ولا الجسد ولا الشيطان طالمـا كان ممتلئاً بالريب والشكوك والمخاوف اذا كان من ضمن الجنـد الروحي المختار أم لا فمن الامور الجوهرية للجندي الروحي ان أراد نجاحا وعزما وطيداً ينبغي له أن يستطيع القول « نحن نعلم اننا قد انتقلنا من الموت الى الحيوة » « نعلم اننا نحن من الله »

هـذه هي لغة رجل الحرب الخصوصية ولم يكن انسان واحـد من الجند العظيم المجتمعين « قبالة خيمة الاجتماع » وحولها قد خطر في باله أدنى شك أو شبه شك من جهة ذات نسبته. ولا ريب انه كان يبتسم لو سأله أحد عن هـذا الموضوع . فكل فرد من الستمائه الف محارب عرف جيداً من اين نشأ وكذلك أين مقامه في الصف وهكذا الحال بالتمام مع أجناد الله المحاربين الآن يجب على كل عضو منهم أن تكون له الثقة التامة التي لايعتريهـا أقل شبهة من جهة علاقته وإلا فلا يستطيع أن يأخذ مقامه في القتال

ثم من جهة « الراية » ما المقصود منها هل هي عقيدة ؟ كلا . هل هي

مذهب لاهوتي ؟ كلا . وهل هي نظام اكليريكي ؟ لا . أو هي نظام فرائض وطقوس ورسوم؟ كلا ليست شيئا من هذا القبيل؛ فلا يحارب جند الرب تحت راية من ذلك النوع . فما هي راية أجناد الرب المحاربين؟ هلم بنا نسمع ونذكر ذلك . ان تلك الراية هي المسيح . فهو راية الله الوحيدة وراية تلك الفرقة المحاربة الوحيدة المجتمعة في برية العالم لتحارب ضد أجناد الشر وتجاهد في مواقع الرب فالمسيح هو الراية لكل شيء واذا اتخذنا سواه لايجعلنا لائقين لتلك الحرب الروحية التي دعينا اليها . وما لنا نحن المسيحيين والمجادلات المذهبية اللاهوتية والترتيبات الكنائسية وما هي قيمة مراعاة الفرائض والطقوس والرسوم في نظرنا وهل نحن مزمعون ان نحارب تحت رايات كهذه ؟ حاشا لله فان علم أصول ديننا في الكتاب ونظام كنيستنا هو انها جسد واحد مركب ومقترن بسكنى الروح القدس ومتحد بالرأس الحي الممجد في السمويات. والاكتفاء بأقل من ذلك انما هو دون مستوى المحارب الروحي الحقيقي

واآسفاه واحسرتاه على ان كثيرين من المعترفين بأنهم من كنيسة الله ينسون رايتهم الخصوصية ونجدهم يحاربون تحت راية أخرى ولا بد أن نتأكد بان هذا يزيد الضعف ويكذب الشهادة ويعيق النجاح واذا أردنا الثبات في يوم الحرب فلا نعترف براية مهما كانت الا المسيح وكلمته — الكلمة الحي المسيح والكلمة المكتوبة فهنالك ضمان امننا ونجاتنا من وجه جميع أعدائنا الروحيين . وكلما اقتربنا والتصقنا بالمسيح وبه وحده دون غيره كلما تقوينا وصرنا في حالة اكثر أمناً واذا اتخذناه ستراً كاملا لاعيننا

ـــ واستمررنا قريبين منه ـــ وثابتين في جانبه فذلك هو ملجأنا الامين « وينزل بنو اسرائيل كل في محلته وكل عند رايته باجنادهم »

آه ياليت يكون الامر هكذا مع كل جندي في كنيسة الله . وليتنا نترك كل شيء لاجل المسيح . وليته يكون وحده كافياً لقلوبنا واذ تتصل « نسبتنا » به فليت اسمه ينقش على « الراية » التي نحل حولها في هذه البرية التي نحن مسافرون فيها الى موطن راحتنا الابدية في الاعالي فانظر أيها القاريء الحبيب وأرجوك أن تتأمل حتى لايكون حرف واحد أو نقطة واحدة منقوشة على رايتك غير يسوع المسيح ـــ ذلك الاسم الذي هو فوق كل اسم والذي له المجد الى الابد آمين .



الاصحاحان الثالث والرابع

ياله من منظر بديع منظر محلة اسرائيل في تلك البرية المقفرة المجدبة وياله من منظر أمام الملائكة والناس والشياطين فان عين الله كانت عليها دائما وحضوره كان هناك حيث سكن وسط شعبه المحاربين وهناك وجد محل سكناه فلم يجد مسكنا وسط مفاخر مصر واشور وبابل لان ذلك غير ممكن ولا ريب انه كان يوجد عند تلك الامم كثير مما يشتهيه النظر ويجذب العين الطبيعية وناهيك بتقدم العلوم والفنون بينهم فقد بلغ التمدن اسمى درجة بين تلك الامم القديمة أرقى مما وصلنا اليه نحن في العصر الحاضر.وربما انتشر الرخاء والرفاهية عندهم كما بين الذين يفتخرون بتلك

الادعاآت العالية جداً.

وانما لايخفي بان يهوه لم يكن معروفا بين تلك الامم ولم يعلن لهم اسمه قط ولاسكن في وسطهم. نعم كانت توجد الشهادات العديده الدالة على قدرته الخالقة وفضلا عن ذلك عنايته السائدة عليهم فاعطاهم أزمنة المطر المثمرة وملأ قلوبهم طعاما وسروراً وسكب عليهم بركات واحسانات من يده السخية يوما فيوما وسنة فسنة وامطاره اخصبت حقولهم وأشعة شمسه ابهجت قلوبهم ولكنهم لم يعرفوه ولا اهتموا به ولم تكن سكناه هناك ولم يستطع أحد من تلك الامم أن يقول « الرب قوتي ونشيدي. وقد صار خلاصي. هذا الهي فامجده. اله ابي فارفعه » . خروج ١٥ : ٢

اتخذ الرب مسكنه في وسط شعبه المفدي ولا غير. الفداء هو الاساس الضروري لسكنى الله بين الناس فبالابتعاد عنه لا يكون الحضور الالهي الا ليبرهن على هلاك الانسان ولكن اذا صار الفداء معلوما فحينئذ به يتضمن الحضور الالهي أعظم الامتيازات وأبهى الامجاد للانسان

سكن الله وسط شعبه اسرائيل ونزل من السماء لا ليفديهم فقط باخراجه اياهم من أرض مصر بل ليكون رفيقهم السائر معهم في البرية: وياله من فكر عجيب ان الاله العظيم يسكن في صحاري تلك البرية وفي وسط جماعة المفديين. حقاً انه لم يوجد مثل ذلك في كل انحاء العالم. هنالك وجد ذلك الجيش المؤلف من ستمائة الف رجل عدا النساء والاولاد في برية مقفرة حيث لاخضرة ولا قطرة ماء ـ ولا مورد رزق منظور.

وربما سائل يقول كيف كانوا يقتاتون أو كيف يبقون في حالة الانتظام

ويسيرون في تلك البرية الخربة الغير المطروقة .

فالجواب على كل ذلك هو ان الله كان هناك وكفى بوجوده مغنياً حيث يقوتهم ويحفظهم ويرشدهم .

وبالاجمال نرى أن حضور الله يغنيهم في كل شيء فاذا قام الكافر وعديم الايمان مستغربا قائلا ما هذا وهل ثلاثة ملايين من الانفس تقتات من الهواء ومن الذي تولى ادارة المأكولات والملبوسات وأين الذخائر الحربية وأين الامتعة ومن الذي يقوم بكسائهم؟ ان الايمان وحده يستطيع الجواب على كل تلك الاسئلة وجوابه بسيط ومختصر وهو ان الله كان هناك وهذا كافٍ تماما . وكل شيء متضمن في تلك الجملة الواحدة وهي أن الله كان هناك فان في حساب الايمان الله هو رقم واحد واذا كان لك الله فضع على يمينه أصفاراً كما تريد . وان كانت جميع ينابيعك في الله الحي فيبطل كل سؤال من جهة احتياجك ويتوجه الى مسألة كفايته تعالى .

من هم الستمائة الف رجل عند الله القدير على كل شيء وما هي حاجات نسائهم وأولادهم العديدة المختلفة ؟ ان ذلك شيء كثير جداً في نظر الانسان فقد جردت انكلترا مرة جيشا على بلاد الحبشة يبلغ عدده عشرة آلاف جندي فقط فتصور كم مقدار المصاريف والاتعاب التي كابدتها الحكومة الانكليزية خصوصا في ارسال المدد والمؤونة لهذا الجيش الصغير الذي لايحسب شيئا بجانب ذلك الجيش الجرار البالغ من العدد ستمائة الف محارب عدا النساء والاولاد وتصور ذلك الجيش الهائل الكبير سائراً مسافة أربعين سنة في « برية عظمى مخيفة » لا غلة فيها ولا عشب ولا

عيون ماء فكيف يعالون ؟ ولا مؤونة عندهم . ولا عقدوا اتفاقات مع الامم المجاورة لتمدهم بما يلزم من القوت — ولا أرساليات تتقدمهم ليجدوا فيها حاجاتهم وهم سائرون وبالاجمال فلم يكن أمامهم شيئ من المصادر المنظورة التي يمكن أن تركن اليها الطبيعة .

كل هذه أمور تستحق التأمل وانما ينبغي لنا أن نتأملها بنور الحضور الالهي حيث لا يتسنى للعقل أن يجتهد في حل هـذا اللغز العظيم بالحساب البشري . لان ذلك مستحيل أيها القاريء العزيز ولا يحله الا الايمان زد على هـذا انه يعرف بواسطة كلمة الله الحي . فهنا يوجد الحل الثمين لهـذه المعضلة . فاذا أدخلت الله في الامر فلست بعد محتاجاً الى أي مساعد آخر ليعين على الجواب اما إن تناسيت الله وغفلت عنه فمهما كان عقلك راجحاً وحسابك عميقا فبقدر ذلك يعتريك الفشل وتأخذك الحيرة .

وهكذا يحل الايمان هـذه المسألة . كان الله وسط شعبه . وكان هناك بكل ملء نعمته ورحمته — هناك بعلمه الكامل باحتياجات شعبه ومصاعب سبيلهم — هناك بقدرته العظيمة وخزائنه الفائضة الغير المحدودة ليزيل تلك المصاعب ويسد تلك الاحتياجات . وهكذا دخل بالتمام في كل هذه الامور حتى انه وجه الى قلوبهم في ختام تيههم الطويل فى البرية تلك العبارات الحماسية المؤثرة « لان الرب الهك قد باركك في كل عمل يدك عارفا مسيرك في هـذا القفر العظيم . الآن أربعون سـنة للرب الهك معك لم ينقص عنك شيء » ثم يقول أيضا « ثيابك لم تبل عليك ورجلك لم تتورم هذه الاربعين سنة » (تثنية ص ٢ : ٧ و ص ٨ : ٤) .

والآن في كل هذه الامور كانت محلة اسرائيل مثالا ـ مثالا حيا مؤثراً . مثالا لاي شيء يا ترى ؟ مثالا لكنيسة الله السائرة في هـذا العالم وشهادة الكتاب واضحة من هـذه النقطة حتى انهـا لاتترك مجالا للسؤال ولا حاجة للتصورات « فهذه الامور جميعها اصابتهم مثالا وكتبت لانذارنا نحن الذين انتهت الينا أواخر الدهور » ١ كورنثوس ١٠ : ١١

فمن ثم اذاً يليق بنا أن ندنو ونتطلع برغبة شديدة في ذلك المنظر العجيب ونتخذ منه الدروس الثمينة المناسبة جداً لتعليمنا. ويا لها من دروس مفيدة ومن يستطيع أن يقدرها قدرها الواجب . انظر الى تلك المحله التي تعتبر كلغز في البرية وهي مؤلفة كما ذكرنا من جنود وعمال وعابدين وياله من انفصال عن كل امم العالم . ويا لعدم المساعدة بالمرة من كل مايُرى وتعرض لاخطار متنوعة ويا لعظم الاتـكال الكلي على الله . فلم يكن عنـدهم شيء ولا يستطيعون أن يأتوا أمراً أو يعرفوا شيئا وليس عندهم لقمة من الطعام ولا جرعة من المـاء سوى ما كانوا يأخـذونه يوما فيوما من يد الله وقتيا وعندما يذهبون ليستريحوا ليلا لم تكن باقية عنـدهم كسرة واحـدة من القوت للغد . وليس هناك مخزن ولا بيت مؤونة ولا مصدر إعالة منظور ولا شيء تركن اليه الطبيعة وتحسب له حسابا .

ولكن الله كان هناك وهذا يكفي تماما في حكم الايمان فكانوا مسلمين له تعالى وتلك هي الحقيقة الـكبرى الوحيدة . لان الايمان ليس عنده شيء محسوس أو ملموس يمسك به الا الاله الحقيقي الحي الازلي . فلقد تتوق الطبيعة الى مخازن مصر وترى هنالك شيئاً محسوساً وملموساً أما الايمان فيتطلع

نحو السماء فيجد فيها جميع ينابيعه .

ذلك كان حال المحلة في البرية وهكذا هو مع الكنيسة في العالم لم توجد صعوبة واحدة ولا فقر أو احتياج قط لاي نوع مهما كان الا والحضور الالهي كان جواباً كافياً له.قد ينظر الامم الغلف بأعجاب ودهشة فيسألون بوقاحة وهم في عمى عدم الايمان اسئلة شتى من جهة كيف يمكن اطعام جند كثير كهذا دائما ومن أين يكتسون و كيف يحفظون النظام ؟ لا شك انه ليست لهم أعين لينظروا كيف يمكن ذلك . فلم يعرفوا يهوه الرب اله العبرانيين ولذلك ان قلت لهم أنه يتولى أمر تلك الجماعة الكبيرة تلوح في أعينهم كأنك تقص عليهم خرافات .

وهكذا الحال الان بالنسبة لجماعة الله في هـذا العالم الذي يحق لنا أن نعبر عنه ببرية أدبية . فان الله ينظر لجماعته بأنهم ليسوا من العالم لانهم انفصلوا عنه تمام الانفصال وخرجوا منه قطعيا كما خرجت محلة اسرائيل وابتعدت عن مصر واندفعت مياه البحر الاحمر وتموجت بين المحلة ومصر وبأعمق وأشد ظلامهم تتموج مياه موت المسيح بين كنيسة الله وهذا العالم الحاضر الشرير ويستحيل تصور انفصال أكمل من ذلك فان الرب يسوع المسيح يقول « ليسوا من العالم كما اني أنا لست من العالم » يوحنا ١٧ .

أما من جهة الاتكال الكلي فماذا يفوق اتكال كنيسة الله في هـذا العالم تلك التي ليس فيها ولا لها شيء من نفسها وانما وضعت وسط صحراء أدبية وقفر مظلم وبرية شاسعة ولا شيء فيها قطعيا يمكنها ان تعيش عليه فلا نقطة ماء ولا لقمة واحدة مناسبة لطعامها في كل العالم الواسع .

وكما انه ليس للكنيسة في برية هذا العالم أي شيء تقتات به فكذلك هي معرضة أيضاً لكل القوات العدائية الماكسة التي لا يعوقها شيء ولا يوجد بازائها صديق يعينها بل الكل ضدها . وهي في وسط العالم مثل نبات من بلاد غريبة زرع في أرض لا يوافقه مناخها ولا تربتها

هـذا هو مركز كنيسة الله في العالم فقد انفصلت منه لتعتمد على الله لانها غير محصنة في ذاتها ولذلك ليس لها الا الاستناد الكلي على الله الحي ومما ينبه افكارنا ويقويها ويوضح لنا حقيقة الكنيسة اننا نراها مرموزاً اليها بالمحلة في البرية وليست شيئاً وهمياً أو خيالياً (انظر ١ كورنثوس ١٠:١١) فترى ذلك واضحا بأجلى بيان . فكل ما كان لمحلة اسرائيل من الاعتبارات حرفياً هكذا هو للكنيسة روحيا وفوق ذلك كما تعتبر البرية حرفيا لاسرائيل فهكذا يحسب العالم روحياً لكنيسة الله . كانت البرية دائرة مشاق اسرائيل واتعابهم وكلها أخطار ولم يكن لهم فيها مايعولهم أو يفرح قلوبهم وهكذا الحال مع الكنيسة فليس لها في العالم الا التعب والخطر ولا يمكن أن تحصل منه على أي راحة أو سرور ما دامت فيه .

يحسن بنا التمسك بهذه الحقيقة بكل قوتها الادبية فان جماعة الله في العالم مثل « الجماعه في البرية » مستندة فقط على الاله الحي . ولا يخفى اننا نتكلم من الوجهة الالهية — أي من جهة اعتبار الكنيسة في نظر الله أما اذا نظرنا اليها من جهة الانسان — أي كما هي في حالتها العملية فانها بكل أسف تختلف عن ذلك . ونحن الان مشغولون فقط بالحالة المبدئية الاصلية — الفكر الصحيح الالهي عن جماعة الله في هذا العالم

ولا يغرب عن الفكر مطلقا بانه كما وجدت محلة قديماً في الصحراء فعلا ـ اجتماع في البرية ـ فهكذا حقاً توجد كنيسة الله جسد المسيح في العالم الآن ولا شك أن معرفة امم العالم وقتئذ عن تلك الجماعة القديمة كانت قليلة واهتمامهم بها أقل ولكن ذلك لم يضعف الحقيقة الحية المؤثرة أو يقلل من أهميتها وهكذا الحال الآن فان أهل العالم يعرفون قليلا ويهتمون أقل بجماعة الله ـ جسد المسيح ـ غير أن ذلك لا يؤثر قط في الحقيقة الحية المؤثرة عن وجود جماعة كهذه فعلا في هذا العالم ووجدت منذ حل الروح القدس في يوم الخمسين . نعم انه كان لجماعة اسرائيل في البرية ضيقاتهم ومحارباتهم وأحزانهم وتجاربهم ومخاصماتهم ومناظراتهم واضطرابهم الداخلي ومصاعبهم الفائقة العد والحصر فالتجأوا الى المصادر العديدة التي كانت لهم في الله ـ والخدم الثمينة من نبي وكاهن وملك التي جهزها لهم الله حيث كما نعلم أن موسى كان هناك « كملك في يشورون » ونبي مقام من الله وهرون كان هناك ليمارس كل الوظائف الكهنوتية .

انما بالرغم من كل هذه الامور التي ذكرناها — رغماً عن الضعف والفشل والخطية والعصيان والشقاق ـ لازالت توجد الحقيقة المؤثرة التي يجب أن يعرفها الناس والشياطين والملائكة ألا وهي وجود هذه الجماعة العظيمة البالغة من العدد نحو ثلاثة ملايين نفس (بحسب طريقة الاحصاء الاعتيادية) مسافرة في البرية مستندة بالكلية على ذراع غير منظور تحت ارشاد وعناية الاله الازلي الذي لم تغفل عينه لحظة قط عن ذلك الجيش الرمزي المعتبر كلغز . نعم سكن في وسطهم ولم يتركهم أبداً في كل عدم

ايمانهم ونسيانهم وانكارهم جميله وعصيانهم عليه . فكان الله هناك ليعولهم ويرشدهم ويحميهم ويحفظهم نهاراً وليلا واطعمهم بخبز من السماء يوماً فيوماً وأخرج لهم ماء من صخرة الصوان

هذه بلا شك كانت حقيقة خطيرة وعظيمة جداً ـ سراً غامضاً . كان لله جماعة في البرية ـ منفصلين عن الامم الذين حولهم ومفرزين له خاصة وربما لم يعرف امم العالم شيئاً ولا اهتموا بشيء ولم يفتكروا شيئا عن هذه الجماعة . ومن المؤكد أن البرية لم تنتج لهم شيئاً لطعامهم ولا لشرابهم بل هنالك كانت الحيات والعقارب — وهناك الشراك والاخطار — القحط والجدوبة والفقر ومع ذلك كانت هناك تلك الجماعة العجيبة محمية بكيفية اخزت وحيرت العقل البشري

لاحظ أيها القارىء العزيز ان هذا كان مثالاً . مثالا لاي شيء؟ مثالا لشيء كان في الوجود منذ نيف وتسعة عشر قرناً ولا زال موجوداً وسيبقى موجوداً الى تلك اللحظة التي يقوم فيها ربنا يسوع المسيح من عرش أبيه وينزل على السحاب . وبالاجمال مثالاً لكنيسة الله في العالم . فما أهم اعتبار هذه الحقيقة . ويا للاسف والحزن من جرى اغفالها ونسيانها وقليلون هم الذين يفهمونها ويدركون شيئا عنها الآن ومع ذلك فعلى كل مسيحي مسئولية خطيرة في أن يتحققها ويعترف بها عملياً ولا مناص منها . وهل يوجد حقيقة شيء في هذا العالم في هذه اللحظة ذاتها يصح أن يماثل المحلة في البرية؟ نعم يوجد حقاً ألا وهو الكنيسة في برية العالم فتوجد جماعة تعبر هذا العالم كما عبر اسرائيل الحرفي البرية الحرفية . وفوق ذلك فالعالم هو

للكنيسة بالمعنى الروحي الادبي بمثابة تلك البرية حرفياً وعملياً لاسرائيل قديماً . فاسرائيل لم يجد عيون ماء في الصحراء وكذلك لا تجد كنيسة الله ينابيع في العالم واذا وجدت فذلك مما يبرهن على كذبها وعدم امانتها لربها . لم يكن اسرائيل من البرية بل عابراً فيها وكنيسة الله ليست من العالم بل مجتازة فيه

اذا تعمق القارىء العزيز متأملاً في هذه الامور فانها تريه موضع الانفصال التام الخاص بكنيسة الله بوجه الاجمال ولكل عضو فيها . ان الكنيسة في نظر الله مميزة بالتمام عن هذا العالم الحاضر كما كانت محلة اسرائيل مميزة عن البرية المحيطة بها . وكما لم يوجد اتفاق وخلطة بين اسرائيل ورمل البرية فهكذا لا يوجد بين الكنيسة والعالم فان أبهى المناظر الجذابة والاشياء الخلابة التي تفتن العقل في العالم تحسب لكنيسة الله كما كانت الحيات والعقارب وعشرة آلاف من الاخطار الاخرى في البرية للاسرائيليين

ذلك هو الفكر الالهي من جهة الكنيسة وهو موضوع مشغوليتنا الآن . ولكن وآ اسفاه واحسرتاه ما ابعد الفرق بين تلك وما تسمي نفسها بالكنيسة اليوم غير اننا نرجو أن يتأمل القارىء الشيء الصحيح ونريد منه أن ينظر اليها بالايمان في حقيقتها كما يراها الله اذ بذلك يستطيع أن يقف على ماهية الكنيسة ويدرك مسؤوليته الشخصية بازائها . فلله كنيسة في العالم . جسد في الارض الان مسكن للروح القدس ومتحد بالمسيح الرأس وهذه الكنيسة — أو ذلك الجسد — مؤلف من جميع الذين يؤمنون بابن

الله بالحق والذين قد اتحدوا بشخصه المبارك بواسطة سكنى الروح القدس فيهم

وليكن معلوماً أن هذه ليست مسألة رأي أو شيء نأخذه ونضعه كما نريد بل هي حقيقة الهية وصدق عظيم سواء قبلناه أو لم نقبله . فالكنيسة هيئة موجودة ونحن أعضاء فيها اذا كنا مؤمنين ولا مناص من ذلك ولا نستطيع تجاهلها فلنا بها صلة عائلية فعلا ـ واعتمدنا لها بالروح القدس. فهي أمر حقيقي ثابت كولادة ولد في عائلة . فقد حدثت الولادة وتكونت النسبة العائلية وما علينا الا اعتبارها والسير ونحن شاعرون بها يوما فيوما . وفي ذات اللحظة التي تولد فيها النفس ثانية ـ تولد من فوق وتختم بالروح القدس، حينئذ ينضم ذلك الشخص الى جسد المسيح . فلا يعتبر ذاته بعد ذلك فرداً منعزلا ـ أو شخصا مستقلا بل عضواً في جسد . وكما أن اليد أو الرجل عضو في الجسم البشري فهكذا هو عضو في كنيسة الله ولا يمكنه أن يكون عضواً خصوصيا أو حقيقيا في أي شيء آخر . اذ كيف يمكن أن يكون ذراعي عضواً لجسم شخص آخر وعلى هذا المبدأ عينه يجوز لنا أن نسأل قائلين كيف يمكن لعضو في جسد المسيح أن يكون عضواً في أي جسد آخر ؟

يا له من حق مجيد يتعلق بكنيسة الله ـ المرموز اليها بالحلة في البرية « الاجتماع في البرية » ويالها من حقيقة سامية يجب الاعتراف بسلطانها . توجد حقاً كنيسة لله وسط الخراب والدمار والمخاصمات والتشويش والشغب والانقسام والاحزاب والطوائف . فهذا بالتأكيد أثمن حق

ولكنه ليس ثميناً فقط بل فعال ومكون أيضا واننا ملزمون أن نعترف بهذه الكنيسة في العالم بالايمان كما كان الاسرائيلي ملزما أن يعترف بالمحلة في البرية بالعيان. هنالك كانت محلة واحدة واجتماع واحد والاسرائيلي الحقيقي جزء منها وهكذا توجد كنيسة واحدة ـ جسد واحد، والمسيحي الحقيقي عضو فيه.

ولكن كيف يتركب هذا الجسد؟ يتركب بالروح القدس كما هو مكتوب « بروح واحد أيضا اعتمدنا الى جسد واحد » (١ كورنثوس ١٢ : ١٣) وكيف يحفظ؟ يحفظ برأسه في الروح وبالكلمة كما هو مكتوب « فانه لم يبغض أحد جسده قط بل يقوته ويربيه كما الرب أيضا للكنيسة » (افسس ٥ : ٢٩) أفلا يكفي هذا وأليس الرب يسوع المسيح كافيا. والروح القدس وافيا وهل نحن في حاجة الى اكثر من النعم الوافرة التي نحن فيها مقيمون باسم يسوع أليست فضائل الروح الازلي مغنية تماما وكافية لنمو وحفظ كنيسة الله؟ الا تضمن حقيقة الحضور الالهي في الكنيسة جميع ما نحتاج اليه؟ أليس مغنيا « لضروريات كل ساعة » يقول الايمان بكل تأكيد وجزم « نعم » هوكاف اما عدم الايمان ـ أو العقل البشري فيقول « لا. فاننا في عوز لاشياء أخرى كثيرة أيضا » فما هو جوابنا المختصر على ذلك؟ جوابنا هو « اذا لم يكن الله كافيا فلا نعرف الى من نذهب واذا لم يغن اسم يسوع فلا نعلم ماذا نعمل واذا لم يستطع الروح القدس أن يسد كل حاجاتنا في الشركة والخدمة والعبادة فلا نعرف ماذا نقول ».

ربما يعترض سائل قائلا « ان الامور ليست كما كانت في العصر

الرسولي فالكنيسة الاسمية قد فشلت والمواهب الخمسينية انقطعت وأيام حظ وسعادة محبة الكنيسة الاولى قد مضت فلذلك لابد أن تتخذ أفضل الوسائل التي في طاقتنا لتركيب وحفظ قوام كنائسنا » فنجيب على هذا بان « الله قوته لم تضعف والمسيح رأس الكنيسة لم يفشل والروح القدس لم يفشل ولا يمكن أن يسقط حرف أو نقطة واحدة من كلمته » وهذا هو أساس الايمان الصحيح « يسوع المسيح هو هو امسا واليوم والى الابد » كما قال « ها أنا معكم » فالى كم من الزمن ياترى يكون معنا ؟ هل لمدة أيام المحبة الاولى أو الازمنة الرسولية أو ما دامت الكنيسة تبقى أمينة ؟ كلا . بل « ها أنا معكم كل الايام الى انقضاء الدهر » (متى ٢٨) وقبل أن يذكر المسيح هذا الوعد الثمين سبق عندما ذكر اسمها لاول مرة في الاسفار المقدسة وقال عنها تلك الكلمات الخالدة « على هذه الصخرة (ابن الله الحي) ابني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها » (متى ١٦) .

ولنسأل الآن « هل الكنيسة موجودة على الارض في هذه اللحظة »؟ نعم موجودة بكل تأكيد : وحقا توجد كنيسة الآن على الارض كما كانت توجد محلة قديما في البرية . وكما كان الله فعلا في تلك المحلة يسد كل حاجاتهم ، كذلك هو الآن فعلا في الكنيسة ليأثرها ويرشدها في كل شيء كما نقرأ عن ذلك قوله « الذي فيه أنتم أيضا مبنيون معا مسكنا لله في الروح (افسس ٢) وفي هذا الكفاية . وكل ما علينا هو أن نتمسك بقوة هذه الحقيقة العظمى بايمان بسيط . فان اسم يسوع كاف لجميع ضروريات ولوازم كنيسة الله كما لخلاص النفوس واذا سلمنا بالحقيقة الثانية الا وهي كفاية

اسم يسوع لخلاص النفوس فلا مفر عن التسليم بكفايته لان يسد كل أعواز وحاجات الكنيسة وقد قال « حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك اكون في وسطهم » (متى ١٨) فهل بطلت صحة هذا القول؟ واذا لم يكن الا صحيحاً أفلا يكفي والحالة هذه حضور المسيح لكنيسته ؟ وهل نحن في حاجة للسعي لنخترع ونعمل لانفسنا في مسائل الكنيسة؟ اننا لسنا في حاجة الى ذلك ولا نستطيع ، كما اننا لا نستطيع أن نخلص النفوس . فماذا نقول للخاطىء ؟ ألا نقول له اتكل على المسيح وماذا نقول للقديس ؟ أليس اتكل على المسيح . وماذا نقول لجماعة قديسين سواء كانت قليلة أم كثيرة . أتكلوا على المسيح . فهل يوجد شيء لا يستطيع أن يدبره؟ « وهل يصعب عليه أمر » وهل نضب معين كنز العطية والنعمة أو ليس قادراً على ايفاء مواهب الخدمة أو لا يستطيع أن يمد المبشرين والرعاة والمعلمين ؟ الا يقدر أن يسد بالتمام كل ضروريات كنيسته المتنوعة في البرية ؟ واذا لم يقم بكل ذلك فاين نكون نحن وماذا نفعل والى من نذهب ؟ ماذا كان على تلك الجماعة أن تفعل ؟ أنهم كانوا يتطلعون الى يهوه لكل شيء سواء كان للطعام أو الشراب أو اللباس أو الارشاد أو الحماية وبالاجمال لكل شيء لان جميع ينابيعهم كانت فيه تعالى . فهل نذهب نحن الى سواه؟ كلا البتة فان ربنا يسوع المسيح فيه كل الكفاية بسعة رغماً عن كل قصورنا وفقرنا وخطيتنا وعدم امانتنا . وقد أرسل الروح القدس المعزى المبارك ليسكن مع شعبه وفيهم . وليكونهم جسداً واحداً ويتحدهم برأسهم الحي في السمويات فهو قوة الوحدة والشركة والخدمة والعبادة ولم يتركنا وشأننا ولا يهملنا قط

فلنعتمد عليه وحده ونستفد ولنفسح له فينا مكانا ليفعل ولنحذر من كل ماقد يؤدي الى إطفاء عمله فينا ومن كل مايعطله أو يحزنه . ولنعترف به في مقامه الخاص في الجماعة ولنسلم نفوسنا في كل الاشياء لارشاده وسلطانه

وها قد اقتنعنا بأن هذا سر القوة والبركة الصحيح فهل ننكر خراب الكنيسة وكيف نستطيع ذلك . اواه وآ اسفاه فان الحقيقة الناصعة محسوسة ملموسة وواضحة لاتقبل الانكار . فهل ننكر اشتراكنا في ذلك الخراب وجهالتنا وخطيتنا؟ آه ليتنا نزداد شعوراً بذلك الخراب . ولكن هل نزيد خطية أيضاً على خطيتنا بانكارنا نعمة ربنا وقوته الذي قبلنا مع ما كنا عليه من الجهل والخراب أو نتركه وهو ينبوع المياه الحية ونحفر لانفسنا آباراً مشققة لاتضبط ماء وهل نحول اقفيتنا ونرجع عن صخر الدهور ونتوكأ على قصبات مرضوضة من اختراعنا ؟ حاشا . بل لتكن بالأحرى لغة قلوبنا ان كل مانحتاجه نجده فيه ونرنم لاسمه قائلين :

اسم يسوع قد خلا لمسمع المؤمن
يشفي جراح المبتلى والخوف يستأمن
سلوى القلوب الخاشعة تعزية الاحزان
قوت النفوس الجائعة وراحة التعبان

ولا يخطر ببال القاريء اننا نعضد أقل تعضيد فكرة الادعاء الكنائسي . كلا . فاننا نمقت مثل ذلك الفكر ونعتقد
أن الحالة التي وصلت اليها الكنيسة الاسمية في الوقت الحاضر تجعلنا نشعر بخطيتنا وخزينا المشترك . الامر الذي لايلاشيه غير الروح المنسحق

والتواضع الحقيقي . والغرض الوحيد الذي نقصده من كتابتنا هـذه هو أن نؤيد ونثبت كفاية اسم يسوع التامة لجميع ضروريات ولوازم كنيسة الله في كل الازمان وجميع الظروف والاحوال . ففي العصر الرسولي كان لذلك الاسم كل قوة وسلطان ولمـاذا لايكون هكذا الآن . هل حـدث أي تغيير لذلك الاسم المجيد؟ كلا والحمد لله فاذاً هو كاف لنـا في هـذه اللحظة وما علينا الا أن نثق به بالتمام ونظهر هذه الثقة برفض كل ما عداه بالـكلية ونأتي بعزم وطيد الى ذلك الاسم الثمين الذي لا نظير له وانه تبارك اسمه قد تنازل الى أصغر وأقل اجتماع وأحقر عـدد اذ قال « حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك اكون في وسطهم » أفما زال هذا صالحا وهل فقد قوته . أولا يوافق بعد هـذا الوعد؟ وأين أبطل وما الذي الغاه

نرجوك أيها القارىء المسيحي بكل ما يقنع قلبك من الادلة والبراهين أن تقبل وتسلم من صميم فؤادك لهـذا الحق الوحيد الازلي أي كفاية اسم الرب يسوع المسيح التامة لشعب الله في جميع الحالات الممكنة التي يوجد فيها في كل تاريخه (١) ونرجوك أن لاتجعل هذه مجرد نظرية صحيحة بل ان تعترف بها عملياً فمن ثم تذوق بالتأكيد عمق بركات حضور المسيح في المكان

(١) اننا بتعبيرنا بالقول « كفاية اسم الرب يسوع المسيح التامة » نقصد بذلك كل ما هو مذخر لشعبه في هـذا الاسم ـ الحياة والبر والقبول وحضور الروح القدس بمواهبه المتنوعة . فهو المحور الالهي او النقطة المركزية وبالاجمـال نؤمن ان كل ما يمكن ان تحتـاجه الـكنيسة سواء للزمن الحاضر او الابدية العتيدة انما هو متضمن في ذلك الاسم الوحيد المجيد الرب يسوع المسيح ـ « الشارح

الخارجي - بركات ينبغي أن تذاق لتُعرف ، انما من يذوقها مرة لا ينساها قط ولا يرضي عنها بديلا .

وليس غرضنا التوسع في الفكر ومتابعة البحث على هذا المنوال المتقدم ولا تدوين مقدمة مستطيلة على فصل هذا السفر المفتوح أمامنا الذي نوجه الان اليه التفات القاريء العزيز بنوع خاص

اذا تأملنا في « الكنيسة في البرية » (أعمال ٧ : ٣٨) نجدها مؤلفة من ثلاثة عناصر واضحة وهي محاربون وعمال وعابدون فكانت هناك أمة الجند وسبط العمال وعائلة العابدين أو الكهنة وقد تأملنا أول هذه الفرق الثلاث وهي جماعة المحاربين ورأينا كلا منهم بحسب « نسبته » آخذاً مقامه بجانب « رايته » بمقتضى تعيين يهوه رأساً فلنتأمل الان في القسم الثاني بضع دقائق ونرى كلا منهم في شغله وخدمته بحسب ذلك التعيين نفسه فاننا تأملنا فى ماذكر بخصوص الجند ولنفكر الان قليلا في ما ورد عن العمال .

كان اللاويون مفرزين بوضوح تام من كل الاسباط الاخرين وتعينوا لمقام خاص وخدمة معلومة فنقرأ عنهم هكذا « وأما اللاويون حسب سبط ابائهم فلم يعدوا بينهم . اذ كلم الرب موسى قائلا . أما سبط لاوي فلا تحسبه ولا تعده بين بني اسرائيل . بل وكل اللاويين على مسكن الشهادة وعلى جميع امتعته وعلى كل ماله . هم يحملون المسكن وكل أمتعته وهم يخدمونه وحول المسكن ينزلون . فعند ارتحال المسكن ينزله اللاويون وعند نزول المسكن يقيمه اللاويون والاجنبي الذي يقترب يقتل . وينزل

بنو اسرائيل كل في محلته . وكل عند رايته بأجنادهم. وأما اللاويون فينزلون حول مسكن الشهادة لكي لا يكون سخط على جماعة بني اسرائيل فيحفظ اللاويون شعائر مسكن الشهادة » (ص ١ : ٤٧ ـ ٥٣)

ونقرأ أيضاً « وأما اللاويون فلم يعدوا بين بني اسرائيل كما أمر الرب موسى » (ص ٢ : ٣٣)

ولكن لماذا اللاويون ؟ لماذا خُصص هذا السبط وحده دون بقية الاسباط وفُصل جانبا لخدمة شريفة ومقدسة هكذا ؟ هل كان فيهم قداسة أو صلاح خصوصي مما جعلهم ممتازين ؟ كلا بحسب الطبيعة ولا حتى بما أجروه ومارسوه كما نرى من هذه الاقوال « شمعون ولاوي اخوان آلات ظلم سيوفهما . في مجلسهما لا تدخل نفسي بمجمعهما لا تتحد كرامتي . لانهما في غضبهما قتلا انسانا وفي رضاهما عرقبا ثوراً . ملعون غضبهما فانه شديد وسخطهما فانه قاس . أقسمهما في يعقوب وأفرقهما في اسرائيل » (تكوين ٤٩)

هذا هو لاوي بحسب الطبيعة والعمل — دأبه العناد والشدة والقساوة فما أعجب ان مثل هذا يمتاز ويرفع الى مثل ذلك المقام العالي والامتياز المقدس فيمكننا أن نقول بلا شك انها كانت نعمة من الاول الى الاخر لان سبيل النعمة هو انها ترفع وترقي أردأ وأدنى الحالات حيث تنزل الى الحضيض الاسفل وتجمع من هناك أجمل علامات الظفر « صادقة هي الكلمة ومستحقة كل قبول أن المسيح يسوع جاء الى العالم ليخلص الخطاة الذين أولهم أنا » (١ تيموثاوس ١ : ١٦) « لي أنا أصغر جميع القديسين اعطيت

هذه النعمة أن أبشر بين الامم بغنى المسيح الذي لا يستقصى» افسس ٣

ويا لها من عبارة مؤثرة قوله « في مجلسهما لا تدخل نفسي بمجمعهما لا تتحد كرامتي » ان عيني الله أطهر من أن تنظرا الى الشر ولا يستطيع التطلع الى الجور ولا يمكنه الدخول الى مجلس لاوي ولا الاتحاد بمجمعه فان ذلك مستحيل اذ لا مدخل لله قط في عنادهم وشدتهم وقساوتهم ولكنه مع ذلك يستطيع أن يأتي بلاوي الى مجلسه ويتحده بمجمعه فيُخرِج لاوي من مسكنه حيث آلات القساوة ويأتي به الى خيمة الاجتماع ليشغله بالآلات المقدسة والاواني الموجودة هناك تلك هي نعمة ـ مجانية وسامية. وهنا نجد أساس كل خدمة لاوي المباركة الشريفة فمهما كان في حد ذاته فانه يوجد فرق عظيم وبون شاسع بينه وبين الاله القدوس ــ هوة عظيمة لا يمكن أن يعبرها حذق ولا قدرة بشرية. ولا توجد علاقة بين الله قدوس والعناد والشدة والقساوة وانما اله النعمة يستطيع أن يرتبط مع لاوي فيمكنه أن يتنازل ويفتقد مثل هذا برحمة فائقة وينتشله من وهدة انحطاطه الادبي ويأتي به الى مقام الاقتراب منه تعالى

فياله من فرق عظيم عجيب بين مقام لاوي بحسب الطبيعة ومقامه بحسب النعمة . بين آلات الشدة والقساوة واواني المقدس . بين لاوي في تكوين ص ٣٤ ولاوي في سفر العدد ص ٣ و ٤

ولنتأمل في كيفية معاملة الله للاوي ـ والاساس الذي بمقتضاه وصل الى مقام سعادة وغبطة كهذا وفي تأملنا ذلك يلزمنا الاشاره الى الاصحاح الثامن من هذا السفر فهناك ندخل الى سر المسألة كلها ونرى انه لم يكن

ممكناً السماح بقبول أي شيء مهما كان مما يخص لاوي أو المصادقة على أي طريق من طرقه ومع ذلك فهنالك ظهرت النعمة بأكمل معناها ـ نعمة تملك بالبر . ونحن نتكلم عن الرمز ومعناه ونفعل ذلك طبقاً لما اشرنا اليه آنفا من ان « هذه الامور جميعها اصابتهم مثالا » وليس الغرض أن نسأل عن مقدار ما فهمه اللاويون من المراد باستعمال تلك الاشياء لان هذا ليس المقصود هنا فلا يجوز لنا أن نسأل عما رآه اللاويون في معاملات الله معهم وانما السؤال ماذا نتعلم نحن من ذلك ؟

« وكلم الرب موسى قائلا . خذ اللاويين من بين بني اسرائيل وطهرهم . انضح عليهم ماء الخطية وليمروا موسى على كل بشرهم ويغسلوا ثيابهم فيتطهروا » ض ٨ : ٥ ـ ٧ فلنا هنا في هـذا الرمز المبدأ الالهي الوحيد للتطهير وذلك المبدأ هو كلمة الله التي تمر على القلب والضمير بكيفية حية مؤثرة ولا شيء أبلغ في دلالته من الفعل المزدوج المقـدم في العبارة المذكورة آنفا فكان على موسى أن ينضح ماء الخطية وهم عليهم أن يمروا موسى على كل بشرهم ويغسلوا ثيابهم وهنا جمال عظيم واتقان كامل . فموسى كممثل مطاليب الله وحقوقه يطهر اللاويين بناء على تلك المطاليب وهم اذ تطهروا وأصبحوا يستطيعون الاتيان بالموسى الحاد ويمرونه على ماهو مجرد نمو الطبيعة ويغسلون ثيابهم التي يعبر بها في هيئة الرمز على تطهيرهم من عاداتهم بمقتضى كلمة الله.وتلك هي طريقة الله في سد ما يتعلق بحالة لاوي الطبيعية ـ كالعناد والشدة والقساوة . هنالك يفعل فعله المـاء المطهر والموسى الحاد ـ فيجب الغسل والحلق قبل أن يكون لاوي لائقاً للاقتراب

من أواني المقدس

وهكذا الامر في كل حالة فلا يسمح للطبيعة أبداً بالدخول وسط العاملين لخدمة الله ولم يوجد قط خطأ مهلك أكثر من محاولة اندماج الطبيعة في خدمة الله ولا يهم سعيك واجتهادك في تحسينها وترتيبها فان التحسين لا يفيد بشيء بل لابد من الموت. ومما هو في غاية الاهمية التي ليس بعدها للقارىء أن يتمسك بكل جلاء وقوة بهذا الحق العظيم العملي. فقد وزن الانسان في الموازين فوجد ناقصاً وطبق عليه الزيج (أو رصاصة قياس العمق) فوجد معوجاً وعبثا يطلب اصلاحه لانه لاشيء ينفع سوى الماء والموسى فقد ختم الله على تاريخ الانسان وقضى عليه نهائياً بموت المسيح. وأول حقيقة عظمى تبرهن على أن الروح القدس يؤثر ويبكت ضمير الانسان هي أن الله تعالى أصدر قضاءه وحكمه الخطير على الطبيعة البشرية وعلى كل فرد أن يرضخ شخصياً لهـذا الحكم. فليست المسألة مسألة رأي أو شعور فقد يقول شخص « لست أرى ولا أشعر باني رديء كما تزعم » فنجيب أن ذلك لا يؤثر أدنى تأثير في المسألة فقد أعلن الله حكمه علينا وما على الانسان الا ان يخر ساجداً راضخاً لذلك الحكم فماذا كان ينتفع لاوي لو قال انه لا يوافق على ما قالته كلمة الله عنه. فهل كان يمكن لذلك القول أن يغير شيئاً من الحقيقة المتعلقة به؟ كلا البتة فان الشهادة الالهية تبقى بذاتها سواء شعر لاوي بها أو لم يشعر وانما يظهر جليا بانها أول خطوة في سبيل الحكمة أن نخر ساجدين تحت نفوذ تلك الشهادة

كل هـذا موضح في مثال « الماء » « والموسى » « الغسل » و« الحلق »

ولا شيء اكثر دلالة أو ابلغ تأثيراً منه فان هـذه الاعمال تظهر حق حكم الموت الخطير على الطبيعة واجراء القضاء على كل ماتنتجه

ولنسأل مامعنى عمل المسيحية الاولى ـ أي المعمودية ـ ألا تظهر هذه الحقيقة المباركة بأن « انساننا العتيق » ـ طبيعتنا الساقطة ـ وضعت جانبا بالمره واننا دخلنا في مقام جديد بالكلية ؟ حقا انهـا تعبر عن ذلك وكيف نستعمل الموسى ؟ اننا نستعمله بالحكم الشديد على النفس يوما فيوما وعدم الترخيص قطعيا لكل ما هو من نمو الطبيعة وذلك هو السبيل الصحيح لجميع العاملين مع الله في البرية واذا نظرنا الى سلوك لاوي في شكيم كما جاء عنه في تكوين ص ٣٤ والشهادة المدونة عنه في تكوين ص ٤٩ يليق بنا أن نسأل قائلين كيف يسوغ لمثل هذا أن يحمل أواني المقدس ؟ وعليه يكون الجواب بان النعمة اضاءت في دعوة لاوي والقداسـة اشرقت في تطهيره فقد دعي للعمل بناء على غنى النعمة الالهية ولكنه لاق للعمل بمقتضى حقوق القداسة الالهية

وهكذا الحال مع جميع عمال الله فاننا مقتنعون تمام الاقتناع باننا نليق لعمل الله بقـدر ما توضع الطبيعة تحت قوة الصليب وموسى حكم النفس الحاد . ولا يمكن للنفس العنيدة أن تستعمل في خدمة الله بل لا بد من طرحها جانبا اذا أردنا أن نعرف ما هي الخدمة الحقيقية . وآ اسفاه على وجود شيء كثير يدخل بالخدمة مع انه اذا فحص بنور الحضور الالهي يتضح انه ليس الا ثمر ارادة مضطربة قلقة وهـذا أمر شـديد الاهمية ويستدعي التفاتنـا العظيم . ولا نستطيع توقيع فحص دقيق على أنفسنا في هذا الامر عينه لان

القلب خداع حتى انه قد يدلنا على أن نتصور باننا عاملون عمل الله بينما نكون بالحقيقة عاملين ارادة أنفسنا فقط ولكن اذا أردنا أن نسير في سبيل الخدمة الحقيقيه ينبغي أن نسعى في الانفصال والابتعاد اكثر فأكثر عن الطبيعة ولا بد أن لاوي العنيد العاصي يجوز في العملية الرمزية من الغسل واصرار الموسى قبل مايستطيع العمل في تلك الخدمة الشريفة الراقية المسندة اليه بتعيين اله اسرائيل مباشرة .

انما قبل التقدم لفحص عمل وخدمة اللاويين فحصاً دقيقاً ينبغي لنا أن نلقي نظرة على مشهد ما جاء في خروج ص ٣٢ الذي فيه يقومون بجزء مهم وفي غاية الاعتبار من العمل ويشير كما يلاحظ القارىء لأول وهلة الى العجل الذهبي فقد حدث أثناء غياب موسى أن الشعب حولوا نظرهم بالتمام عن الله ومطاليبه وقاموا بعمل عجل مسبوك وسجدوا له هناك وهذا العمل الفظيع استدعى قضاء رهيبا « ولما رأى موسى ان الشعب معرى لان هرون كان قد عراه للهزء بين مقاوميه ، وقف موسى في باب المحلة . وقال من للرب فاليّ . فاجتمع اليه جميع بني لاوي . فقال لهم هكذا قال الرب اله اسرائيل ضعوا كل واحد سيفه على فخذه ومروا وارجعوا من باب الى باب في المحلة واقتلوا كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه . ففعل بنو لاوي بحسب قول موسى . ووقع من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل وقال موسى املأوا أيديكم اليوم للرب حتى كل واحد بابنه وبأخيه . فيعطيكم اليوم بركة» خروج ٣٢ : ٢٥ — ٢٩

ذلك كان وقت امتحان ولا غير حينما ضغط بشدة ذلك السؤال

العظيم على القلب والضمير وهو « من للرب » فلم يوجد أشد منه تأثيراً ولم يكن السؤال « من هو راض أو مستعد للعمل » كلا . بل أعمق من ذلك بكثير وأبلغ وصولا وغصا في القلب . ولم يكن من يريد الذهاب الى هنا أو هناك ولا من يفعل هذا أو ذاك . مع انه ربما كان هناك جانب عظيم من العمل والذهاب وليس ذلك الا باعث ارادة غير خاضعة تعمل في الطبيعة الدينية فتكسبها صورة التقوى والتكريس وهي على الدوام تخدع ذات صاحبها وغيره .

وانما اذا كنت « للرب » فذلك يدل على اخضاع ارادة الانسان - نعم اخضاع الذات وهذا ضروري وجوهري للخادم الحقيقي — العامل الصحيح ، فقد كان شاول الطرسوسي على هذا الاساس حين صرخ قائلا «يارب ماذا تريد أن افعل» ويالها من كلمات نطق بها عنيد شديد ومضطهد قاس لكنيسة الله !

« من للرب »؟فهل أنت أيها القارىء العزيز في جانب الرب؟افحص وانظر وامتحن نفسك بتدقيق واذكر أن السؤال ليس هو أبداً « ماذا أنت فاعل» كلا . بل أعمق جداً من ذلك . لانك اذا كنت للرب فحينئذ تكون مستعداً لكل شيء للتقدم وللذهاب يمينا أو يساراً . مستعداً لان تكون نشيطا وهادئا . ومستعداً للقيام أو القعود والنقطة المهمة هي اخضاع ذاتك لحق هو الرب يسوع المسيح

هذه نقطة مهمة جداً وحقا لانعلم في الوقت الحاضر أهم من هذا السؤال الفاحص « من للرب » فاننا نعيش في زمن كثر فيه العناد وقد

تبجح الانسان واعتز بحريته وما اكثر شهرة ذلك في الامور الدينية كما كان تماما في محلة اسرائيل في أيام العجل الذهبي .

فقد غفلوا عن موسى وغاب عن نظرهم.والارادة البشرية كانت تعمل وطلبت آلة الحفر لانجاز العملية . وماذا كانت النتيجة . كانت ابراز العجل المسبوك ولما رجع موسى وجد الشعب يعبدون صنماً وعريانين وحينئذ صدر ذلك السؤال الخطير الممتحن «من للرب» وذلك وضع حداً ونتيجة للامور أو بالحري وضع الشعب تحت الفحص والامتحان وهو كذلك الآن .

ان ارادة الانسان متقلبة وذلك في مسائل الدين أيضاً ويفتخر بصلاحه وحرية ارادته وحرية حكمه . ويوجد انكار لربوبية المسيح فيلزمنا حينئذ أن ننظر في ذلك جيداً ونرى اننا في جانب الرب فعلا ضد أنفسنا واننا في حالة الخضوع البسيط لسلطانه ومن ثم لانشغل بمقدار أو نوع خدمتنا بل يكون غرضنا الوحيد ان نفعل ارادة ربنا .

اننا اذا قمنا بالعمل هكذا تحت سلطان الرب نظهر أحياناً ضيقا في دائرة عملنا مع انه لاشأن لنا في ذلك . لانه اذا امر سيد خادمه بالوقوف في الصالة ولا يتحرك حتى يقرع له الجرس فما هو واجب الخادم في هذه الحالة ؟ان واجبه ظاهر بأجلى بيان فما عليه الا أن يقف ساكتا ولا ينتقل من ذلك المركز ولا يغير تلك الهيئة ولو استغلطه الخدام رفقاؤه من جهة عدم نشاطه الظاهر وعدم فائدته فانه يبقى مستريحا واثقا ان سيده راض ومصادق على ذلك وفي هذا كفاية لاي خادم حقيقي غايته الوحيدة ليست

في مقدار ما يؤديه من العمل بل في فعل ارادة سيده

وبالاجمال نرى أن السؤال المقدم في محلة اسرائيل في أيام العجل الذهبي والسؤال المطروح الان على الكنيسة في هذه الايام أيام العناد هو هذا « من للرب » وهو سؤال هائل فليس السؤال مَن للامور الدينية والاعمال الخيرية أو الاصلاح الادبي فقد يوجد من هذه الاعمال كمية وافرة ومع ذلك تكون الارادة عاصية بالكلية فلا يبرح هذا من أذهاننا بل بالحري يليق بنا ان نذكره في عقولنا على الدوام فقد نكون غيورين في ترقية جميع تدبيرات الاعمال الخيرية والدينيه والاصلاحات الادبية المتنوعة ومع كل ذلك نكون خادمين الذات ومنشطين العناد وهذا تأمل خطير جدير بالاهتمام فيليق بنا ان نعيره عناية مهمة فاننا مجتازون في زمن فيه ارادة الانسان مشبعة باجتهاد لانظير له ونعتقد بكل تأكيد أن العلاج الصحيح لهذه الارادة الشريرة متضمن في هذا السؤال المهم « من للرب » ففيه قوة عملية هائلة لاننا اذا كنا للرب حقيقة نكون مستعدين للقيام بكل ما يراه لائقا ليدعونا اليه مهما كان . فاذا استطاعت النفس ان تقول بالحق فعلا «يارب ماذا تريد ان افعل» « تكلم يارب فان عبدك سامع » فحينئذ نكون مستعدين لكل شيء وعليه نرى في حالة اللاويين انه طلب منهم أن « يقتل كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه » وهذا من أصعب الاعمال على اللحم والدم ولكن الضرورة الوقتية دعت اليه لان حقوق الله ديست جهاراً وكرامته اهينت حيث قام الاختراع البشري بالعمل بآلة الحفر ونصب العجل فاستبدل مجد الله بهيئة عجل يأكل العشب فلذلك دعي كل

الذين كانوا للرب بان يتقلدوا سيوفهم . ان الطبيعة تقول «لا. لنكن شفوقين لطفاء منعمين وننجز باللطف اكثر مما بالقساوة والشدة ولا يفيد جرح الناس قط وفي المحبة قوة أعظم من الصرامة فلنحب بعضنا بعضا » وهكذا تبدي الطبيعة اقتراحاتها . وهكذا تحتج وتجادل ولكن الامر واضح صريح جازم « ضعوا كل واحد سيفه على فخذه » فالسيف هو الشيء الوحيد متى كان هناك العجل الذهبي والكلام عن المحبة في مثل تلك الفرصة انما هو سلب لحقوق الله اسرائيل العادلة. ومن خصائص روح الطاعة الحقيقية تقديم ذات الخدمة المناسبة للظروف . وليس على الخادم أن يجادل أو يعارض بل أن يفعل فقط ما أمر به واذا اعترضت بسؤال أو أظهرت أي مانع فاني أفقد مقامي كخادم . قد يظهر له انه عمل مرعب قتل أخ أو صاحب أو قريب ولكن كلمة الرب كانت أمراً نافذاً ولم تترك محلا الاعتراض وسلم اللاويون للرب بطاعة كاملة حاضرة « ففعل بنو لاوي بحسب قول موسى »

هذا هو السبيل الوحيد الصحيح للذين يريدون أن يكونوا عمالا مع الله وخدام المسيح في هذا العالم السائد فيه العناد والتشبث بالرأي . وانه لمن المهم جداً أن ينقش على قلوبنا بتعمق حق ربوبية المسيح فهي المنظم الوحيد للسير والسلوك وبها تحل الوف من الاسئلة . واذا خضع القلب فعلا لسلطان المسيح يكون مستعداً لاي شيء وكل ما يدعونا اليه سواء كان للوقوف ساكتين أو للتقدم للفعل قليلا أو كثيراً للعمل أو بلا عمل فالقلب المطيع حقيقة لا يسأل قط قائلا « ماذا انا عامل ولا الى اين أنا ذاهب » بل

يقول فقط « هل أنا فاعل ارادة ربي »

ذلك هو العمل الذي قام به لاوي. ولاحظ التفسير الالهي له كما ورد في ملاخي « فتعلمون اني ارسلت اليكم هذه الوصية لكون عهدي مع لاوي قال رب الجنود . كان عهدي معه للحيوة والسلام واعطيته اياهما للتقوى فاتقاني ومن اسمي ارتاع هو وشريعة الحق كانت في فيه واثم لم يوجد في شفتيه . سلك معي في السلام والاستقامة وارجع كثيرين عن الاثم » (ملاخي ٢ : ٤ - ٦) تأمل أيضا البركة التي نطق بها موسى «وللاوى قال تميمك واوريمك لرجلك الصديق الذي جربته في مسة وخاصمته عند ماء مريبة . الذي قال عن ابيه وأمه لم ارهما وباخوته لم يعترف واولاده لم يعرف بل حفظوا كلامك وصانوا عهدك . يعلمون يعقوب احكامك واسرائيل ناموسك . يضعون بخوراً في انفك ومحرقات على مذبحك . بارك يارب قوته وارتض بعمل يديه . احطم متون مقاوميه ومبغضيه حتى لايقوموا » (تثنية ٣٣ : ٨ — ١١) .

ربما ظهر الامر صعبا وقاسيا على لاوي عدم رؤية والديه أو الاعتراف باخوته ولكن حقوق الله اهم من ذلك وقد صرح السيد المسيح بهذه الاقوال الخطيرة « ان كان احد يأتي الي ولا يبغض أباه وامه وامرأته واولاده واخوته واخواته حتى نفسه ايضا فلا يقدر ان يكون لي تلميذاً » (لوقا ١٤ : ٢٦)

هذه اقوال واضحة وتوصلنا الى سر ما هو مستقر في عمق كل خدمة صحيحة . فلا يتصور احد انه مطلوب منا ان نكون بلا وداد طبيعي. حاشا

من ان يخطر بالبال ذلك الفكر لان من يرمينا بالتجرد من شعور الوداد والانعطاف كأنه يضعنا أدبياً في صف مرتدي الايام الاخيرة الوارد وصفهم في (٢ تيموثاوس ٣ : ٣) ولكن متى وقفت حقوق المودة الطبيعية والقرابة الجسدية في سبيل تسليم قلبنا بأكمله لخدمة المسيح ومتى كان عندنا للمحبة المزعومة لاخوتنا مقام اسمى من الامانة للمسيح فحينئذ لانليق لخدمته ولا نستحق لان ندعى خدامه فلاحظوا بالتدقيق ان الاساس الادبي لتلقيب لاوي وتوظيفه في خدمة الرب هو تلك الحقيقة بأنه لم ير والديه ولا اعترف بأخوته ولا عرف أولاده وبالاجمال استطاع أن يضع حقوق الطبيعة كلها على حدة بالمرة وأن يعطي حقوق يهوه المقام الارفع في قلبه. ونعيد القول بأن هذا هو الاساس الوحيد الصحيح لسجايا الخادم .

ذلك تأمل جدير بالاعتبار ويستحق أن يعيره القارىء المسيحي أعظم التفات فربما وجد مقدار كبير مما يظهر كخدمة — وجانب عظيم من النشاط والمجيء والذهاب والفعل والقول — ومع كل ذلك فلا يوجد فيه كله ذرة واحدة من الخدمة اللاوية الحقيقية ، بل يكون فى اعتبار الله إرادة الذات غيرالثابتة . وربما يسأل أحد قائلا ما معنى ذلك وهل تظهر إرادة الذات في خدمة الله — ومسائل الدين ؟ » فوا آسفاه واحسرتاه . انها تظهر وتفعل وأحيانا كثيرة الهمة الظاهرية والاثمار في العمل والخدمة تكون بنسبة أهمية الارادة وذلك خطير في بابه ويدعو الى ادانة النفس بشدة في نور الحضور الالهي . فلا تتضمن الخدمة الصحيحة في النشاط العظيم بل في الخضوع التام لارادة ربنا ومتى وجد ذلك فحينئذ يوجد الاستعداد لتضحية

حقوق الوالدين والاخوة والاولاد في سبيل القيام بارادة من اتخذناه رباً. حقاً ينبغي أن نحب والدينا واخوتنا وأولادنا محبة غير قليلة وانما يجب أن نحب المسيح اكثر ولا بد أن يكون له ولحقوقه المحل الأرفع والأسمى في القلب ان أردنا ان نكون عمالا حقيقيين لله وخداماً للمسيح بالمعنى الصحيح ولاويين بالحق في البرية. ذلك هو ماميز أفعال لاوي واظهرها في الظروف التي نحن بصددها فحقوق الله كانت موضوع البحث وعليه فحقوق الطبيعة لا تعتبر قط ولا يقام لها وزن بازائها. والوالدون والاخوة والاولاد مهما كانوا أعزاء فلا يصح أن يقفوا حائلا متى استبدل مجد اله اسرائيل بشبه ثور يأكل العشب

هنا يستقر السؤال كله بكل أهميته وعظمته فان روابط القرابة الطبيعية بجميع حقوقها وواجباتها ومسئولياتها الناتجة عنها لا بد من وضعها في مقامها الحقيقي واعطائها اعتبارها الواجب من الذين قلوبهم وعقولهم وضمائرهم وضعت تحت سلطان حق الله المقوّم. ولا شيء يبطل تلك الحقوق المؤسسة على العلاقة الطبيعية سوى ما يجب فعلا لله ومسيحه. وهذا تأمل ضروري جداً وكامل ونحث القاريء المسيحي بالالتفات اليه بنوع خاص حيث يجب علينا ان نحترس دائماً من روح العناد وارضاء الذات التي لا يشتد خطرها الا حينما تلبس نفسها بلباس الخدمة الدينية والعمل المزعوم ويليق بنا ان نتأكد فعلا اننا تحت سلطان حقوق الله مباشرة متي لم نعتبر حقوق القرابة الطبيعية فقد كانت المسألة ظاهرة في حالة لاوي ظهور الشمس في رابعة النهار فكان « سيف » القضاء انسب في الفرصة الحرجة وليس قبلة الوداد

وهكذا أيضاً في عصرنا توجد بعض أوقات اذا اصخنا فيها لحظة واحدة لصوت القراءة الطبيعية فحينئذاك نشق عصا الطاعة علناً على ربنا يسوع المسيح .

فما ذكرناه من الملحوظات المتقدمة قد يعين القارىء ليفهم أعمال اللاويين المذكورة في خروج ص ٣٢ وأقوال ربنا يسوع المسيح في لوقا ص ١٤ : ٢٦ فليت روح الله يساعدنا لان نتحقق ونظهر قوة الحق المقومة

ولنقف قليلا متأملين تكريس اللاويين المذكور في سفر العدد ص ٨ لنلم باطراف الموضوع أمام انظارنا فانه بالحقيقة مبحث مملوء من التعاليم لكل من يريدون ان يكونوا عمالا لله .

بعد تأدية أعمال « الغسل » و « الحلق » الطقسية المشار اليها آنفاً نقرأ قوله « ثم يأخذوا (اي اللاويون) ثوراً ابن بقر وتقدمته دقيقاً ملتوتاً بزيت. وثوراً آخر ابن بقر تأخذ لذبيحة خطية . فتقدم اللاويين أمام خيمة الاجتماع وتجمع كل جماعة بني اسرائيل . وتقدم اللاويين أمام الرب فيضع بنو اسرائيل ايديهم على اللاويين . ويردد هرون اللاويين ترديداً أمام الرب من عند بني اسرائيل فيكونون ليخدموا خدمة الرب . ثم يضع اللاويون أيديهم على راسي الثورين فتقرب الواحد ذبيحة خطية والآخر محرقة للرب للتكفير عن اللاويين »

مقدم لنا هنا في مثال الصورتان العظيمتان لموت المسيح احداهما تمثلها ذبيحة الخطية والثانية تمثلها ذبيحة المحرقة ولا نستطيع الكلام هنا تفصيلا عن كل جزئيات تينك التقدمتين حيث قمنا بذلك في الفصول الاولى من

« مذكرات على سفر اللاويين » وانما نلاحظ فقط هنا اننا في ذبيحة الخطية نرى المسيح حاملا الخطية في جسده على الخشبة ومحتملا غضب الله على الخطية . وفي ذبيحة المحرقة نرى المسيح ممجداً الله بذات كيفية تكفيره عن الخطية ومع ان التكفير تم في كلتيهما غير انه في الاولى تكفير بحسب عمق حاجة الخاطيء وفي الثانية تكفير بحسب قياس تكريس المسيح لله . فنرى في تلك كراهة الخطية وفي هذه كرامة المسيح وقيمته الوافرة . ولسنا في حاجة للقول بانه عين موت المسيح الكفاري وانما مقدم بصورتين مختلفتين (١)

وضع اللاويون ايديهم على كلتى ذبيحتي الخطية والمحرقة. وعمل وضع الايدي هذا وضح الغرض من ذلك بصورة بسيطة ولكن ما ابعد الفرق في نتيجة كل حالة فانه حينما وضع لاوي يديه على رأس ذبيحة الخطية تضمن ذلك نقل كل خطاياه وجميع ذنوبه وكل شدته وقساوته وعناده على الذبيحة ومن الجهة الاخرى حينما وضع يديه على رأس ذبيحة المحرقة تضمن ذلك نقل كل قبول الذبيحة وكل كمالها الى لاوى . واننا نتكلم طبعاً عما وضع له الرمز ولسنا ملتزمين بان نذكر هل نرى فهم لاوي ذلك بدخوله في تلك الامور وانما نقصد فقط ان نكشف معنى الرمز الطقسى . وبكل تأكيد نقول انه لا يوجد رمز ابلغ وادل من وضع الايدى سواء نظرنا اليه من

(١) اذا اراد القاريء زيادة اطلاع على التعليم عن ذبيحة الخطية وذبيحة المحرقة فنوجه انظاره الى «مذكرات على سفر اللاويين» ص ١ و ٤ ويطلب من ادارة مجلة « المراعي الخضراء »

جهة ذبيحة الخطية او في حالة ذبيحة المحرقة. والتعليم من كل هذا مجموع في تلك العبارة العظيمة الاهمية الواردة في آخر الاصحاح الخامس من ٢ كورنثوس حيث يقول « لانه جعل الذى لم يعرف خطية (اى المسيح) خطية لاجلنا لنصير نحن بر الله فيه ». «فتوقف اللاويين امام هرون وبنيه وترددهم ترديداً للرب. وتفرز اللاويين من بين بني اسرائيل فيكون اللاويون لي. وبعد ذلك يأتي اللاويون ليخدموا خيمة الاجتماع فتطهرهم وترددهم ترديداً لانهم موهوبون لي من بين بني اسرائيل. بدل كل فاتح رحم بكر كل من بني اسرائيل قد اتخذتهم لي. لان لي كل بكر في بني اسرائيل من الناس ومن البهائم. يوم ضربت كل بكر في ارض مصر قدستهم لى. فاتخذت اللاويين بدل كل بكر في بنى اسرائيل. ووهبت اللاويين هبة لهرون وبنيه من بين بني اسرائيل ليخدموا خدمة بني اسرائيل في خيمة الاجتماع وللتكفير عن بني اسرائيل لكي لا يكون في بني اسرائيل وبأ عند اقتراب بني اسرائيل الى القدس. ففعل موسى وهرون وكل جماعة بني اسرائيل للاويين حسب ما امر الرب موسى عن اللاويين. هكذا فعل لهم بنو اسرائيل» عدد ٨ : ١٣ — ٢٠.

وما الزم ماتذكرنا به هذه السطور المتقدمة بما قاله ربنا يسوع المسيح « انا اظهرت اسمك للناس الذين اعطيتني من العالم. كانوا لك واعطيتهم لى وقد حفظوا كلامك ..... من اجلهم انا اسأل. لست اسأل من اجل العالم بل من أجل الذين اعطيتني لانهم لك. وكل ما هو لي فهو لك. وما هو لك فهو لي وأنا ممجد فيهم » يوحنا ١٧ : ٦ — ١٠ ،

كان اللاويون سبطاً مفرزاً - ملك الله الخاص وأخذوا مقام كل بكر في اسرائيل - مقام أولئك الذين نجوا من سيف الملاك المهلك بدم الخروف. فكانوا كرمز على شعب ميت ومقام ومفرز لله ومقدم منه تعالى كهبة لهرون رئيس الكهنة ليقوموا بخدمة الخيمة

وياله من مقام للاوى العنيد الشديد القاسي ! ويا له من ظفر وغلبة للنعمة وشرح لكفاية دم الكفارة وماء التطهير ! فانهم بحسب الطبيعة والعمل كانوا بعيدين عن الله ولكن « دم » الكفارة و « ماء » التطهير و « موسى » ادانة النفس هذه قامت بالعمل المبارك فأصبح اللاويون في حالة مناسبة يصح فيها تقديمهم كهبة لهرون وبنيه ليرافقوهم في خدم خيمة الاجتماع المقدسة

في كل هذا كان اللاويون مثالا حيا مؤثراً لشعب الله الآن هؤلاء الذين رُفعوا من اعماق انحطاطهم وخرابهم كخطاة واغتسلوا بدم المسيح الثمين وتطهروا بتقديم الكلمة ودعوا للقيام بعملية اعتياد ادانة النفس الشاقة ولذا لاقوا للخدمة المقدسة التي دعوا اليها واعطاهم الله لابنه ليكونوا عماله في هذا العالم « كانوا لك واعطيتهم لى » فكر عجيب ! ان يقال عن أناس نظيرنا مثل هذا الكلام اننا ملك الله وعطيته لابنه ! حقاً يمكننا القول بان هذا يفوق كل عقل بشرى · فليس اننا فقط خلصنا من جهنم وتبررنا وقُبلنا مع ان كل هذا حق وانما نحن مدعوون للعمل السامي الشريف وهو حمل ذلك الاسم العظيم في هذا العالم والشهادة ومجد ربنا يسوع المسيح . ذلك هو عملنا كلاويين حقيقيين . مطلوب منا كرجال حرب ان نحارب

وككهنة لنا امتياز العبادة ولكن كلاويين مسؤولون أن نخدم وخدمتنا هي أن نحمل في مشهد الصحراء المخيفة هـذه الخيمة المرموز اليها وتلك الخيمة كانت رمزاً للمسيح . هذا هو خط سير خدمتنا الواضح واليها نحن مدعوون ولها مفرزون

ولا شك عندنا بان القارىء يلاحظ برغبة الامر الواقع بان في سفر العدد هذا ولا غير مقدمة لنا كل التفاصيل الثمينة الوافية العميقة المعلمة عن اللاويين . في هـذا لنا صورة جديدة لطبيعة سفرنا فمن نقطة البرية نحصل على نظر كامل صحيح عن عمال الله كما عن جنوده

ولنتأمل الآن برهة في خدمة اللاويين كما هي مذكورة بالتفصيل في سفر العدد ص ٣ و ٤ « وكلم الرب موسى قائلا . قدم سبط لاوي وأوقفهم قدام هرون الكاهن وليخدموه . فيحفظون شعائره وشعائر كل الجماعة قدام خيمة الاجتماع ويخدمون خدمة المسكن . فيحرسون كل أمتعة خيمة الاجتماع وحراسة بني اسرائيل ويخدمون خدمة المسكن . فتعطي اللاويين لهرون ولبنيه . انهم موهوبون له هبة من عند بني اسرائيل » (ص ٣ : ٥ — ٩)

مثل اللاويون كل جماعة اسرائيل وعملوا نيابة عنهم وذلك يظهر من حقيقة أن بني اسرائيل وضعوا أيديهم على رؤوس اللاويين كما وضع اللاويون أيديهم على رؤوس الذبائح (انظر ص ٨ : ١٠)

وعمل وضع الايدي يبين الوحدة أو تحقيق الذاتية فبناء عليه ظهر اللاويون بمنظر خاص كأنهم كل شعب الله في البرية فهم يقدمونهم لنا كجماعة

عمال غيورين ويلاحظ أيضاً بأنهم ليسوا مجرد مشتغلين بلا رابطة وبغير انتظام يروحون ويغدون ويفعل كل واحد ما يحسن في عينيه كلا لا شيء من هذا القبيل. فاذا كان على رجال الحرب أن يظهروا انتسابهم ويلازموا رايتهم فكذلك كان عند اللاويين مركزهم الذي يجتمعون حوله وعملهم الذي يؤدونه وكل شيء كان واضحا وظاهراً ومحدداً كما عمله الله وفوق ذلك كان كل شيء تحت السلطة الحالية وارشاد رئيس الكهنة .

ومن أهم ما هو مطلوب لكل الذين يريدون أن يكونوا لاويين بالحق وعمالا خصوصيين وخداما ماهرين هو أن يقدروا هذه النقطة حق قدرها فكانت خدمة اللاوي تترتب بتعيين الكاهن ولم يعد مكان بعد لاجراء العناد في خدمة اللاويين كما لم يكن في وظيفة رجال الحرب : بل كل شيء تقرر تقريراً الهيا وهذه علامة رحمة صريحة لكل الذين قلوبهم مستقيمة ولكنه كان شاقا على صلب الارادة وعملا متعبا عليه اذ يضطر للقيام باعباء تلك الوظيفة عينها أو ينتظم بالايجاز في سلك ذلك العمل ذاته . فكان يئن مثل ذلك الشخص طالبا شيئا جديداً وتغييراً في شغله ولكن بالعكس متى خضعت الارادة واستقام القلب يمكن كل واحد أن يقول « سبيلي واضح بالتمام وما علي إلا أن أطيع » وهذا هو دائما شغل الخادم الحقيقي وذلك ما اشتهر وظهر بنوع اسمى في من كان الخادم الوحيد الكامل الذي حل على هذه البسيطة فامكنه أن يقول « نزلت من السماء ليس لاعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني » وقوله أيضا « طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله » .

ولكن توجد حقيقة أخرى تستدعي التفاتنا بالنسبة اللاويين وهي علاقة خدمتهم الخاصة بالخيمة ومتعلقاتها مباشرة ولم يكن عليهم شيء آخر ليفعلوه لانه اذا افتكر اللاوي في وضع يده على أي شيء آخر يكون ذلك انكاراً لدعوته وترك عمله المعين من الله ومقاومة وعصيان أوامره.

وهكذا الحال تماما مع المسيحيين الآن فشغلهم الخاص - وعملهم الوحيد العظيم - وخدمتهم المستمرة هي المسيح ومتعلقاته وليس عليهم شيء آخر ليفعلوه واذا افتكر المسيحي بوضع يده على أي شيء آخر فانه ينكر دعوته ويترك عمله المعين تعيينا الهيا ويكون عاصيا الاوامر الالهية فاستطاع اللاوي الحقيقي قديما أن يقول «الحياة لي هي الخيمة» والمسيحي الحقيقي الان يقدر أن يقول « لي الحياة هي المسيح » فالسؤال العظيم في كل مهمة تعترض المسيحي هو « هل أستطيع أن أمجد المسيح بهذه» فاذا كان الجواب سلبيا فيقول لا علاقة لي اذاً بهذه المهمة مهما كانت

هذا هو الطريق القويم في النظر الى الامور وليس السؤال هو أصواب أم خطأ هذا أو ذاك . كلا بل السؤال فقط الى أي حد يختص هذا باسم ومجد المسيح . وذلك يبسط كل شيء بسهولة ويحل الوفا من الاسئلة ويفك الف معضلة وينير سبيل المسيحي الحقيقي الغيور فيظهر كظهور الشمس في رابعة النهار . لم يكن عند اللاوي صعوبة بالنسبة لعمله بل كل شيء معد له باتقان الهي . الحمل الذي على كل واحد أن يحمله والعمل الذي يقوم به كل انسان تقرر بغاية الوضوح الذي لم يبق معه مجال لاسئلة القلب فان كل رجل كان يعرف عمله ويؤديه. ولنضف أيضا بان العمل قد

تم بكل انسان أدى وظيفته الخصوصية لا بالجري الى هنا وهناك وفعل هذا أو ذاك بل بملازمة كل واحد بالتمسك بدعوته الخاصة أنجزت خدمة المسكن بغاية المناسبة .

ويحسن بنا أن نذكر ذلك ولا ننساه فاننا كمسيحيين كثيراً ما اصطدم أحدنا بالآخر ولا شك اننا نفعل ذلك اذا لم يتبع كل منا خط العمل الخصوصي المعين له تعييناً الهياً . ونقول « تعيينا الهيا » ونشدد على هذه الكلمة لانه ليس لنا حق في اختيار عملنا فاذا جعل الرب انسانا مبشراً وآخر معلما وآخر راعيا وآخر واعظا فكيف يسير العمل ؟ لاشك انه ليس بمحاولة المبشر أن يعلم ولا المعلم لان يعظ ولا لمن لا يليق لاية الخدمتين بأن يحاول القيام بهما . كلا بل بتأدية كل انسان موهبته الخاصة الممنوحة له من الله . ولا شك أن الله قد يرتضي بأن يمنح شخصا واحداً عدة عطايا ولكن هذا لايمس المبدأ الذي نحن بصدده قط وهو أن كلا منا مسئول لان يعرف خط سيره الخصوصي ويقتفيه واذا غفلنا عن ذلك نقع في ارتباك اليأس . فلله قاطعو الاحجار ونحاتوها وله البناؤون والعمل يقوم بملازمة كل شخص لعمله الخصوصي اذ لو كان الجميع قاطعي حجارة فأين النحاتون واذا كان الكل نحاتين فأين البناؤون لان أعظم اتلاف وضرر يحدث في سبيل المسيح وعمل الله في العالم هو بدخول الواحد في سير أعمال الآخر أو سعيه في تقليد موهبة غيره وهي غلطة خطيرة فنحذر القارىء منها اذ لاشيء مثلها في عدم الشعور بها والله لا يعطي ذات العمل لشخصين فلا يوجد وجهان متشابهان ولا ورقتان في شجرة تماثلان بعضها ولا حزمتان من العشب سواء .

فلماذا اذاً يتداخل أي واحد في سبيل عمل الآخر أو يسعى في الحصول على موهبة غيره فليرض كل واحد مكتفياً بما منحه إياه سيده فذلك سر السلام الحقيقي والنجاح

كل هذا نجد شرحاً مؤثراً في الشهادة الموحى بها عن خدمة مراتب اللاويين الثلاث الواضحة التي سنقتبسها هنا للقارىء ولا شيء بعد ذلك يضارع لغة الاسفار المقدسة المقررة

« وكلم الرب موسى في برية سيناء قائلا . عد بني لاوي حسب بيوت ابائهم وعشائرهم . كل ذكر من ابن شهر فصاعداً تعدهم. فعدهم موسى حسب قول الرب كما أمر . وكان هؤلاء بني لاوي باسمائهم . جرشون وقهات ومراري . وهذان اسماء ابني جرشون حسب عشائرهم لبني وشمعي . وبنو قهات حسب عشائرهم عمرام ويصهار وحبرون وعزئيل . وأبنا مراري حسب عشائرهما محلي وموشي . هذه هي عشائر اللاويين حسب بيوت ابائهم

لجرشون عشيرة اللبنيين وعشيرة الشمعيين . هذه هي عشائر الجرشونيين . المعدودون منهم بعدد كل ذكر من ابن شهر فصاعداً المعدودون منهم سبعة آلاف وخمس مئة . عشائر الجرشونيين ينزلون وراء المسكن الى الغرب . والرئيس لبيت أبي الجرشونيين الياساف بن لايل . وحراسة بني جرشون في خيمة الاجتماع المسكن والخيمة وغطاؤها وسجف باب خيمه الاجتماع . وأستار الدار وسجف باب الدار اللواتي حول المسكن وحول المذبح محيطاً وأطنابه مع كل خدمته » (ص٣: ١٤ — ٢٦)

ثم نقرأ أيضاً « وكلم الرب موسى قائلاً خذ عدد بني جرشون أيضاً حسب بيوت آبائهم وعشائرهم . من ابن ثلثين سنة فصاعداً الى ابن خمسين سنة تعدهم . كل الداخلين ليتجندوا أجناداً ليخدموا خدمة في خيمة الاجتماع . هذه هي خدمة عشائر الجرشونيين من الخدمة والحمل : يحملون شقق المسكن وخيمة الاجتماع وغطاءها وغطاء التخس الذي عليها من فوق وسجف باب خيمة الاجتماع . وأستار الدار وسجف مدخل باب الدار اللواتي حول المسكن وحول المذبح محيطة وأطنابهن وكل أمتعة خدمتهن وكل مايعمل لهن فهم يصنعونه . حسب قول هرون وبنيه تكون خدمة بني الجرشونيين من كل حملهم ومن كل خدمتهم . وتوكلهم بحراسة كل أحمالهم هذه خدمة عشائر بني الجرشونيين في خيمة الاجتماع وحراستهم بيد ايثامار بن هرون الكاهن » (ص ٤ : ٢١ — ٢٨) .

وهكذا كثير بالنسبة لجرشون وعمله . فكان عليه هو وأخوه أن يحملا « الخيمة » بينما قهات دعي ليحمل « المقدس » كما نقرأ في ص ١٠ ثم أنزل المسكن فارتحل بنو جرشون وبنو مراري حاملين المسكن .... ثم ارتحل القهاتيون حاملين المقدس وأقيم المسكن الى أن جاءوا (أي الجرشونيون والمراريون) (عدد ١٧ و ٢١) فهناك كانت حلقة اتصال أدبية قوية تربط جرشون ومراري في خدمتهما ولو أن عمل كل منهما كان خاصا وظاهراً تماما كما نرى من العبارة الآتية .

« بنو مراري حسب عشائرهم وبيوت آبائهم تعدهم . من ابن ثلثين سنة فصاعداً الى ابن خمسين سنة تعدهم كل الداخلين في الجند ليخدموا خدمة

خيمة الاجتماع . وهـذه حراسـة حملهم وكل خدمتهم في خيمة الاجتماع الواح المسكن وعوارضه وأعمدته وفرضه . وأعمدة الدار حواليها وفرضها وأوتادها وأطنابهـا مع كل امتعتهـا وكل خدمتها . وبالاسماء تعدون أمتعة حراسـة حملهم . هـذه خدمة عشائر بني مراري . كل خدمتهم في خيمة الاجتماع بيد ايثامار بن هرون الكاهن » (ص٤ : ٢٩ — ٣٣) .

كل هذا كان واضحاً وجلياً فلم يكن لجرشون علاقة بالالواح والاوتاد ولا لمراري شأن بالاستار والسجف ومع ذلك فكانا في غاية الاتحاد والارتباط ببعضهما كما كانت المحبة متبادلة بين الطرفين « فالالواح والعوارض » لاتنفع بدون « الاستار » والاستار لاتنفع بدون الالواح والعوارض وأما من جهة الاوتاد فمع انه يلوح عدم أهميتهـا ولكن مَن يستطيع تقدير قيمتهـا في حفظ كل الاشياء معاً وتمكين الوحدة المنظورة لجميع الاجزاء فترى ان كل شيء كان يعمل مع الآخر لغاية مشتركة وصلوا اليها بتأدية كل فرد عمله الخاص فلو خطر في بال جرشوني أن يترك «الاستار» ليقدم ذاته الى « الاوتاد » لكان قد ترك عمله بغير اتمام وتداخل في شغل المراري وذلك لا يفيد قط بل يؤدي بكل شيء الى اليأس والارتباك بينما علا زمتهم القانون الالهي بقي كل أمر في غاية الترتيب واتقن نظام .

ولا بد انه كان في منتهى الجمال أن ترى عمال الله في البرية كلاً في وظيفته ويعمل في دائرته الخاصة المعينة من الله فحينما ترتفع السحابة ويصدر الأمر بالرحيل يعرف كل فرد ماذا عليه أن يفعل فينتظم في عمله ولا يتداخل في عمل غيره ولم يكن لأحد حق بأن يفتكر لنفسه فان يهوه

افتكر لاجل الجميع وأعلن اللاويون انهم « للرب » وسلموا ذواتهم لسلطانه وحقيقة هذا الامر كانت أساس كل عملهم وخدماتهم في البريةوبالنظر في هذا النور نجد انه لافرق بالمرة سواء حمل الانسان وتداً أو ستاراً أو منارة ذهبية بل السؤال العظيم لكل فرد وللجميع هو فقط « هل هذا عملي » « وهل هذا ما اعطانيه الله لأقوم به »

وفي هذا تقرير وفصل كل شيء اذ لو ترك الامر للافتكار البشري أو الاختيار الانساني لأحب انسان هذا العمل وآخر ذاك وثالث يريد شيئاً آخر وكيف يمكن حينئذ حمل الخيمة والسير بها في البرية أو وضعها في مكانها؟ فيستحيل أن يوجد سوى سلطان واحد سام الا وهو يهوه نفسه فقد رتب للكل، وما عليهم جميعا الا الخضوع له ولم يوجد ثم مجال قط لتداخل الارادة البشرية وذلك من علامات الرحمة الظاهرة حيث منعت كثيراً من الخصام والنزاع والارتباك . لابد من خضوع وارادة مطيعة — وتسليم قلبي للسلطان الالهي والا فينقلب الحال ويصبح كما في سفر القضاة « كل انسان يفعل مايحسن في عينيه » فقد يقول المراري واذا لم يقل فعلى الاقل يفتكر هذا الفكر « ما هذا ! وهل اصرف أفضل سني حياتي على الارض أيام شبابي وقوتي — في القيام بحفظ أوتاد قليلة ؟ أهذه هي الغاية التي ولدت لاجلها ؟ أو ليس لي غرض اسمى من ذلك في الحياة ؟ وهل شغلي قاصر على هذا العمل من سن الثلاثين الى الخمسين »

يوجد جوابان لكل من هذه الاسئلة . فاولا كان يكفي لمراري بأن يعلم أن يهوه خصص له عمله وفي ذلك كفاية أن يجلّ ما تعتبره الطبيعة

أصغر وأحقر الامور فلا يهم ماذا نحن فاعلون طالما كنا قائمين بالعمل المعين لنا من الله . وربما يتبع انسان ما يعتبره أنرابه أجمل طريق فقد يبذل همته ووقته ومواهبه وأمواله في اتباع سبيل يحسبه أهل العالم أعظم وأجمل الامور ومع ذلك تدل حياته على أن هذا مظهر كاذب ورونق خداع ولكن من الجهة الاخرى الانسان الذي يفعل فقط ارادة الله مهما كانت — الذي ينفذ أوامر سيده مهما طلبت تلك الاوامر — فذلك هو الانسان الذي استضاء سبيله باشعة الرضا والاستحسان الالهي والذي يُذكر عمله حينما تضمحل أجمل تدبيرات أبناء هذا الدهر وتنقشع ولا يبقى لها أثر في الوجود

انما فضلا عن القيمة الادبية الملازمة دائما لعمل ما أمرنا به فان هنالك كرامة خصوصية مختصة بعمل المراري ولو أن ذلك العمل هو الالتفات « لاوتاد » أو « أطناب » قليلة . وكل ما كانت له علاقة بالخيمة كانت له أغزر فائدة واسمي قيمة ولم يوجد في كل العالم شيء يضارع تلك الخيمة بألواحها وكل متعلقاتها الغامضة فمن الكرامة المقدسة والامتياز العظيم أن يسمح لك بأن تمس أصغر وتد يكون جزءاً في تلك الخيمة العجيبة في البرية وقد كان فخراً وشرفا فائقاً لا يقاس به فخر أن تكون مرارياً يعتني باوتاد الخيمة عن أن تملك على مصر أو اشور . وحقاً ان المراري بحسب مدلول اسمه قد يلوح كأنه انسان مسكين يكد ويتعب « محزن » ولكن يا له من شرف فان كده وتعبه كان متعلقا بمسكن الله العظيم مالك السموات والارض ويده تسلمت الاشياء التي كانت أمثلة لتلك التي في السموات

كل وتد وكل طنب وكل ستار وكل سجف كان رمزاً وظلا للخيرات العتيدة — ظلا للمسيح .

ولسنا نقصد التأكيد بأن المراري أو الجرشوني المشتغل المسكين قد فهم هذه الامور . كلا فليس ذلك هو غرضنا قط أما نحن فنستطيع أن نفهمها ويحق لنا أن نأتي بكل هذه الاشياء — الخيمة وأدواتها الغامضة — تحت نور العهد الجديد الساطع وهنالك نقرأ المسيح فيها جميعها .

وعليه فمع اننا لا نعلم مبلغ ما فهمه اللاويون من جهة عملهم غير اننا في الوقت ذاته نستطيع القول بكل ثقة انه كان امتيازاً ثميناً أن يسمح لهم بمس وتناول وحمل تلك الادوات في البرية . الظل الارضي للحقائق السماوية وفوق ذلك فكانت رحمة خصوصية أن يكون لهم ذلك السلطان « هكذا قال الرب » لكل مايضعون أيديهم عليه . ومن يستطيع تقدير مثل هذه الرحمة وذلك الامتياز . كل عضو من ذلك السبط العجيب سبط العمال كان له خط سيره الخاص معيناً بيد الله وملاحظاً بكاهن العلي فلم يعمل كلٌّ كما أراد ولا جرى أحدهم معترضاً سبيل الآخر بل خضعوا جميعاً لسلطان الله وقاموا بانجاز وعمل ما أمروا به وهذا هو سر ترتيب ذلك الجمع الغفير البالغ عدده ثمانية آلاف وخمسمائة وثمانون عاملا (ص٤ :٤٨) ويمكننا أن نقول بكل ما يمكن من الثقة أن ذلك لازال هو السر الوحيد الصحيح لكل ترتيب . ولماذا عندنا ارتباك كثير في الكنيسة الاسمية وما سبب كل تلك الافكار المنازعة واختلاف الشعور وتباين الاراء ولماذا ذلك التداخل بين الواحد والآخر ولماذا كل يعترض سبيل غيره ؟ ما من سبب

لكن ذلك سوى عدم الخضوع الكلي بالتمام لكلمة الله فان ارادتنا متداخلة في العمل ونحن نختار طرقنا عوضا عن أن ندع الله يختار لأجلنا فيلزمنا اذاً الحصول على حالة نفسية فيها توضع كل الافكار البشرية ومن ضمنها أفكارنا بحسب قيمتها الحقيقية لترتفع أفكار الله الى سلطان كامل لانظير له .

اننا نشعر باقتناعنا بأن هذا هو أعظم مشتهى وهو البغية المنشودة والضالة المفقودة في هذه الايام التي وقعت فيها قرعتنا ففي كل مكان ارادة الانسان مرتفعة وهي سائرة في العلو كمد عظيم مزحزحة تلك العقبات القديمة التي وقفت في سبيلها بقدر الامكان وكم من عمل قديم وشريف في وقته ولى الادبار في هذا الاوان بازاء ذلك التيار الجارف وكم من بناء شاهق كانت أساساته كما ظننا متعمقة في حب واحترام الناس نراه منهدما تحت قنابل الشعور العام المقبول عند الجمهور « لنقطع قيودهما ولنطرح عنا ربطهما » .

تلك هي روح العصر الحاضر السائدة وما هو علاجها ؟ الخضوع . خضوع لاي شيء ؟ هل خضوع لما يدعي بسلطان الكنيسة . أو لصوت التقليد أو لوصايا وتعاليم الناس ؟ كلا . وشكراً لله اننا لانخضع لاي من هذه الامور ولا لها كلها معا . فلأي شيء نخضع ؟ نخضع لصوت الله الحي ـ صوت الكتاب المقدس وهذا من جهة أعظم علاج يداوى به العناد ومن جهة أخرى يداوى به الخضوع للسلطان البشري فنجيب العناد قائلين « ينبغي أن نطيع » ونجيب مجرد الانحناء للسلطة البشرية بأنه « ينبغي انما أن نطيع الله » واننا نرى هذين المبدأين محيطين بنا من كل جهة فالاول

وهو العناد يصمم على الكفر والثاني وهو الخضوع للناس يتحلل الى خرافة وهذان يبيدان جميع العالم المتمدن ويلاشيان كل شيء سوى الذين تعلموا من الله بأن يقولوا ويشعروا ويفعلوا بهذه الجملة الخالدة « ينبغي أن نطيع الله اكثر من الناس »

ذلك هو ما ساعد الجرشوني في البرية على القيام بحمل تلك الجلود الغير جذابة الا وهي « التخس » وأعان المراري على خدمة تلك « الاوتاد » التي هي بحسب الظاهر غير مهمة . نعم وهذا عينه هو مايعين المسيحي الان على تقديم نفسه للاندماج في سلك تلك الخدمة الخاصة التي يرى سيده بأنه لائق لان يدعى اليها. فمع انه قد يلوح للاعين البشرية بأن ذلك العمل شديد وخشن وغير جذاب وعديم الاهمية ولكن يكفينا أن ربنا أسند الينا وظيفتنا وأعطانا شغلنا ولعملنا علاقة مباشرة بشخصه ومجده وهو معلم بين ربوة وكله مشتهيات فعلينا نحن أيضاً أن نحصر أنفسنا للمرموز له بالتخس الخشن الذي لا منظر جميل له أو الوتد العديم الاهمية وانما لايبرح من أذهاننا بأن كل ما يشير الى المسيح ـ لاسمه ـ أو شخصه او شأنه في العالم فانه لايمكن التعبير عن قيمته الثمينة لدى الله . وربما يكون حقيراً في اعتبار الناس ولكن ما لنا ولذلك فانه ينبغي لنا أن ننظر الى الاشياء من الوجهة التي ينظر اليها الله ويجب أن نقيسها بمقياسه الذى هو المسيح فان الله يقيس كل شيء بالمسيح وكل ماله أدنى اشارة للمسيح مفيد ومهم في اعتبار الله بينما من الجهة الاخرى أعظم المشروعات وأضخم التدابير وأهم مساعي وأعمال رجال هذا العالم المدهشة جميعها تزول وتنقشع كسحابة

الصباح والندى المبكر. والانسان يجعل الذات نقطته المركزية وغرضه ومقياسه ويقدّر الامور بحسب المقياس الذي تعظم به ذاته وتقضى رغائبه. حتى الدين ذاته كما يقال يعامل بتلك الكيفية عينها ويجعله المرء قاعدة أو ركيزة يظهر بها نفسه وبالاجمال فكل شيء يعمل لغرض اظهار الذات ويستعمل كمرآة تعكس أشعة النور لاستلفات الانظار الى هيئة تعظم الذات وعليه توجد ثغرة عظيمة وبون شاسع بين افكار الله وافكار الانسان وشواطىء تلك الثغرة بعيدة شاسعة كالبعد بين المسيح والذات وكل ما يتعلق بالمسيح له منفعة أبدية ومهمة وكل ما يختص بالذات يمضي وينسى ذكره فمن ثم أعظم غلطة مميتة يمكن لأي انسان أن يسقط فيها هى أن يجعل الذات غرضه فلابد تنتهي بخيبة أبدية وانما من الجهة الاخرى احكم وأسلم وأفضل مايمكن أن يفعله أي انسان هو ان يجعل المسيح غرضه الوحيد الذى ينهمك فيه وينشغل به وهذا بالتأكيد لا بد أن ينتهي بغبطة ومجد أبدي

قف أيها القارىء الحبيب هنا قليلا وناج قلبك وضميرك فانه يلوح لنا في هذه النقطة أن عليك مسئولية مقدسة تقوم بها بالنسبة لنفسك. نحن نحرر هذه السطور في قاعتنا وخلوتنا بمدينة برستول وربما تقرأها في خلوتك بقاعتك في نيوزيلانده أو استراليا أو مصر أو أية جهة أخرى نائية فلذلك نذكر بأن ليس غرضنا أن نضع كتاباً وليس أيضاً مجرد شرح سفر بل نريد أن يستخدمنا الله في العمل المبارك المتعلق بذات نفسك الداخلية فاسمح لنا اذاً أن نقدم لك هذا السؤال الخطير والمهم وهو ما هو غرضك؟

المسيح أو الذات؟ وكن أمينا لنفسك لدى القدير البصير فاحص الكلي والقلوب فاجلس واحكم بشدة على نفسك كما في ذات نور الحضور الالهي ولا تنخدع بأى طلاء وتمويه أو لون كاذب فان الله ينظر الى أعماق الامور ولا ينظر نظراً سطحيا ونود ان يكون ذلك نظرك أيضا وهو يقدم لك المسيح بالمقابلة مع كل ماعداه فهل قبلته ؟ وهل هو حكمتك وبرك وقداستك وفداؤك وهل تستطيع أن تقول دون تردد « أنا لحبيبي وحبيبي لي» افحص وأنظر . أهذه نقطة تقررت في ذات أعماق نفسك ؟ واذا كان الامر كذلك فهل أنت جاعل المسيح غرضك النهائي وهل تقيس كل شيء به ؟ آه ياصديقي العزيز ان هذه أسئلة فاحصة فثق اننا لانقدمها لك بدون شعور بانها حادة وقوية لنا كما ان الله شاهدنا . نشعر ولو بدرجة قليلة جداً باهميتها وخطورتها واننا في غاية الاقتناع أن لاشيء يثبت سوى ما له ارتباط وعلاقة بالمسيح وفوق ذلك فان أقل وأصغر مسألة تشير اليه مهما كانت قاصية وبعيدة فمنفعتها جزيلة فى حساب السماء . وان أتيح لنا بأن نوقظ الشعور بهذا في أي قلب أو نعمقه فيه فحينئذ نعلم اننا لم نسطر هذا المؤلف عبثاً .

* * *

وينبغي لنا الآن قبل ختام هذا الفصل المطول أن نلقي نظرة على القهاتيين وعملهم

« وكلم الرب موسى وهرون قائلا . خذ عدد بني قهات من بين بني لاوي حسب عشائرهم وبيوت آبائهم . من ابن ثلاثين سنة فصاعداً الى ابن

خمسين سنة كل داخل في الجند ليعمل عملاً في خيمة الاجتماع قدس الاقداس يأتي هرون وبنوه عند ارتحال المحلة وينزلون حجاب السجف ويغطون به تابوت الشهادة ويجعلون عليه غطاء من تخس ويبسطون من فوق ثوباً كله اسمانجوني ويضعون عصيه. وعلى مائدة الوجوه يبسطون ثوب اسمانجون ويضعون عليه الصحاف والصحون والاقداح وكاسات السكيب. ويكون الخبز الدائم عليه : ويبسطون عليها ثوب قرمز ويغطونه بغطاء من جلد تخس ويضعون عصيه. ويأخذون ثوب اسمانجون ويغطون منارة الضوء وسرجها وملاقطها ومنافضها وجميع آنية زيتها التي يخدمونها بها. ويجعلونها وجميع آنيتها في غطاء من جلد تخس ويجعلونه على العتلة. وعلى مذبح الذهب يبسطون ثوب اسمانجون ويغطونه بغطاء جلد تخس ويضعون عصيه. ويأخذون جميع امتعة الخدمة التي يخدمون بها في القدس ويجعلونها في ثوب اسمانجون ويغطونها بغطاء من جلد تخس ويجعلونها على العتلة. ويرفعون رماد المذبح ويبسطون عليه ثوب ارجوان. ويجعلون عليه جميع امتعته التي يخدمون عليه بها المجامر والمناشل والرفوش والمناضح كل امتعة المذبح ويبسطون عليه غطاء من جلد تخس ويضعون عصيه. ومتى فرغ هرون وبنوه من تغطية القدس وجميع امتعة القدس عند ارتحال المحلة يأتي بعد ذلك بنو قهات للحمل ولكن لا يمسوا القدس لئلا يموتوا. ذلك حمل بني قهات في خيمة الاجتماع » (ص ٤ : ١ - ١٥)

نرى هنا السر الثمين المسلم في عهدة القهاتيين . التابوت والمائدة الذهبية والمنارة الذهبية والمذبح الذهبي ومذبح المحرقة - وكل هذه كانت

ظلا للخيرات العتيدة . وأمثلة الاشيـاء التي في السموات ـ واشباه الحقيقة ورموزاً للمسيح في شخصـه وعمـله ووظائفـه كما قصدنا اظهـار ذلك في مذكراتنا (١) على سفر الخروج (ص ٢٤ ـ ٣٣) وهذه مقدمة الرموز هنـا في البرية وهي مكسوة كسوة السفر ونرى فيهـا كلها ماعـدا تابوت العهد مظهراً واحداً غير متغير امام العين البشرية الا وهو غطاء التخس فان التابوت وحده كان له هذا الفرق الا وهو ان فوق التخس الذي عليه « ثوباً كله اسمانجون » دالاً بلا شك على سجية الرب يسوع المسيح السماوية بالتمام في شخصه الالهي فما كان سماوياً جوهرياً فيه ظهر وتجلى لاول وهلة في حياته المباركة هنا على الارض فكان على الدوام الانسـان السماوي بالتمام « الرب من السماء » وتحت هـذا الغطـاء الاسمانجوني كان التخس الذي يمكن النظر اليه كدال على ما يحمي من كل شر فكان التابوت الجزء الوحيد المغطى بتلك الكيفيه الخصوصية

اما من جهة « مائدة الوجوه » التي كانت مثالا لربنـا يسوع المسيح بالنسبة لعلاقتـه باسباط اسرائيـل الاثنى عشر فهنـاك كان اولا « ثوب أسمانجون ثم ثوب قرمز » وفوق الكل التخس وبعبارة أخرى كان هناك ماهو سماوي جوهري ثم ما يعبر عن الرونق البشرى وفوق الـكل ما يحمي من الشر فقصد الله ان اسباط اسرائيل الاثنى عشر يسودون في الارض ـ اي يظهر فيهم اسمى مثال لاعظم أبهة وجلال بشري فلذا نرى منـاسبة

---

(١) هذه المذكرات تطلب من ادارة مجلة المراعي الخضراء

« القرمز » في محله ليغطي مائدة خبز الوجوه والامر واضح جلي بان الاثني عشر رغيفاً من خبز الوجوه تشير الى الاسباط الاثنى عشر اما اللون القرمزي فعلى القارىء ان ينظر فقط في الاسفار المقدسة ليرى انه يدل على ما يعتبره الانسان فاخراً وجليلا

واغطية المنارة الذهبية والمذبح الذهبي كانت من النوع ذاته اي اولا الغطاء السماوي ثم التخس الخارجي ونرى في المنارة ربنا يسوع المسيح بالعلاقة مع عمل الروح القدس في النور والشهادة . والمذبح الذهبي يرينا المسيح وقيمة شفاعته الثمينة ـ رائحته العطرية الزكية وقيمته الغالية لدى الله. وهذان كلاهما كانا ملتفين في ما هو سماوي اثناء عبورهما وسط رمال البرية ومحميين من فوق بالتخس

وآخيراً من جهة الاشارة الى مذبح النحاس نلاحظ علامة ممتازة ذلك انه كان مغطي بارجوان بدلاً من « الاسمانجونى » او «القرمز » فلم ذلك؟ لاشك لان مذبح النحاس كان يرمز الى المسيح كالشخص الذى « تألم لاجل الخطايا » والذي لا بد أن يتسلط ويملك « والارجوان » هو اللون الملوكي فالذى تألم في هذا العالم سيملك والذى كلل بتاج الشوك سيكلل بتاج المجد فمن ثم نرى اللياقة الادبية « للارجوان » يغطي مذبح النحاس لان الذبيحة تقدمت على ذلك المذبح ونحن نعلم انه لا شيء في الاسفار المقدسة بدون معنى وقصد الهي ومن امتيازنا كما انه ايضاً واجبنا ان نبحث لنعرف المقصود من كل ماتفضل به الهنا بجودته وكتبه لتعليمنا . ونعتقد باننا نبلغ ذلك فقط بالتواضع والصبر والصلاة وبالانتظار له. فالذي

كتب الكتاب المقدس يعلم بالتمام الغاية والقصد من الكتاب بجملته وكل سفر منه على الخصوص وهذا ينتج انتهاراً وزجراً لتخيلات الاوهام الغير مقدسة فيطردها الان روح الله وحده يستطيع أن يفتح الاسفار المقدسة لنفوسنا « الله يشرح ويعبر عن نفسه » في الوحي كافي العناية وكلما اتكلنا عليه بانكار نفس حقيقي كلما كان لنا نظر عميق في كلمته وطرقه

وعليه نقول للقارىء المسيحي العزيز خذ الخمس عشرة آية الاولى من الاصحاح الرابع من سفر العدد واقرأها في حضرة الله واطلب منه تعالى أن يشرح لك معنى كل عبارة — معنى التابوت ولماذا تغطى وحده « بثوب كله أسمانجوني » وهكذا جميع البقية وقد عزمنا باتضاع أن نقترح المعنى غير اننا غاية ما نبغي هو انك تحصل على الشرح والايضاح من الله رأساً لنفسك ولا تقبله فقط من إنسان واننا نقر معترفين بخوفنا وفزعنا من التصورات ولا نعلم اننا جلسنا قط لنكتب عن الاسفار المقدسة بشعور أعمق من هذا وهو انه لا أحد غير الروح القدس يستطيع حقيقة أن يوضحها

وربما تعترض قائلا « ولماذا تكتب اذاً » فأجيبك اننا قصدنا بكيفية ضعيفة على نوع ما ان نساعد المطالع المهتم الباحث في الاسفار ان يلقي نظرة على تلك الدرر النادرة والجواهر النفيسة الغالية المنتشرة فوق كل صفحات الوحي الالهي حتى يلتقطها لنفسه . وقد يقرأ الوف من القراء مرات كثيرة الاصحاح الرابع من سفر العدد ولا يلاحظون أو يدركون الحقيقة بأن التابوت كان الجزء الوحيد من كل جهاز الخيمة الرمزي الذي لم يظهر عليه التخس واذا لم نتمسك بهذه الحقيقة البسيطة فكيف تظهر أهميتها ومعناها .

وهكذا الحال أيضا من جهة مذبح النحاس فكم من الناس غاب عن نظرهم ولم يلاحظوا انه وحده وضع عليه « الارجوان »

والان نحن على تمام اليقين ان كلا من هذه الحقائق مملوء بالمعنى الروحي فالتابوت كان أسمى مظهر لله ولذلك يمكننا أن نفهم لماذا يظهر لنا لاول وهلة ما هو سماوي نقي ومذبح النحاس هو المكان الذي دينت فيه الخطية — فقد رمز الى المسيح في عمله كحامل الخطية — وأظهر ذلك المكان البعيد النائي الذي تنازل اليه المسيح لاجلنا ومع ذلك فمذبح النحاس هو الشيء الوحيد الذي اكتسى بغطاء ملوكي وهل يوجد ما يزيد عنه بهاء وجلالا نتعلمه هنا . ويالها من حكمة فائقة في كل هذه التمييزات اللطيفة فالتابوت يقودنا الى أسمى نقطة في السماء ومذبح النحاس يأتي بنا الى أدنى نقطة على الارض . فقد وقفنا في حدين قاصيين في الخيمة فنرى في الاول من عظم الشريعة ونرى في الثاني من حمل خطية فظهر في الواحد لاول وهلة ما كان سماوياً ولكن عند ماندقق النظر نرى التخس وهي ذلك الحجاب الغامض الذي يرمز الى جسد المسيح . أما في الثاني فأول شيء تنظره هو التخس وهنالك عميقاً تحته الغطاء الملوكي ففي كليهما نرى المسيح ولو انه بصورتين مختلفتين . فقد رأينا في رمز التابوت المسيح محافظا على مجد الله وفي مذبح النحاس رأينا المسيح يسد حاجة الخاطىء وأعوازه وياله من ارتباط مبارك لنا

انما هل لاحظ القاريء الحبيب فوق ذلك ان كل هذا الفصل العجيب الذي استدعينا التفاته الخصوصي اليه أغفل ذكر قطعة من الادوات التي عرفناها من خروج ص٣٠ وأسفار اخرى لها مقام مهم في الخيمة وهي مرحضة

النحاس؟ فلماذا تركت ولم يرد ذكرها في الاصحاح الرابع من سفر العدد؟
من المرجح ان بعض الناقدين العقليين يجدون هنا ما يقولون عنه انه غلط ـ ونقص ـ واختلاف . فهل هو كذلك كلا والحمد لله . فان طالب العلم المسيحي التقي يعلم حق العلم ان مثل هذا مستحيل بالكلية ولا يمكن أن يقع في كتاب الله أي نقص أو اختلاف فيعلم المؤمن هذا ويعترف به ولو انه لا يستطيع أن يخبر عن سبب عدم وجود هذه المرحضة النحاس أو عدم ذكر هذا الشيء الخصوصي في هذا الفصل ولكن على قدر ما استطعنا ان نصل اليه برحمة الله من النظر الى سبب الامور الروحي نجد دائما بأنه حيثما يري العقلي أو يتظاهر ويبتغي ان يرى عيوبا ونقائص فهنالك يرى المؤمن الدارس جواهر بهية لامعة مجيدة

وهكذا لا شك عندنا من جهة اغفال مرحضة النحاس وعدم ذكرها بين الادوات الواردة في الاصحاح الرابع من سفر العدد فان ذلك الاغفال أو الاهمال واحد فقط من عشرة آلاف برهان يبين جمال وكمال الكتاب الموحى به .

غير ان القاريء الحبيب قد يسأل قائلا « لماذا لم يرد ذكر المرحضة فيجد السبب في الحقيقة المزدوجة : المادة التي صنعت منها المرحضة، ولاى شيء صنعت . تلك الحقيقة المزدوجة التي لاحظناها في سفر الخروج فقد صنعت المرحضة من مرائى للسيدات المتجندات اللواتى تجندن عند باب خيمة الاجتماع (خروج ٣٨ : ٨) تلك هي مادتها . أما من جهة الغرض الذى صنعت لاجله فهو انها أعدت كواسطة لتطهير الانسان . ففي كل تلك الاشياء التي

تكون منها الحمل الخصوصي الذي عهد به الى القهاتيين نرى فقط اعلانات الله العديدة في المسيح من التابوت في قدس الاقداس الى مذبح النحاس في صحن الخيمة. وبما ان المرحضة لم تكن مظهراً لله بل تطهيراً للانسان فلذلك لم توجد في حراسة وعهدة القهاتيين

ينبغي لنا الآن أن نترك القارىء يتأمل وحده في هذا القسم العزيز الفائدة من سفرنا ص ٣ و ٤ فانه بالحقيقة مشحون بالفوائد التي لا تفرغ وكنا نستطيع الاستمرار متوسعين في الشرح مسهبين في الكلام عليه حتى نملأ مجلدات ضخمة عوضاً عن صفحات ومع كل ذلك كنا نشعر باننا لم نبلغ الا سطح منجم لا يمكن الوصول الى قاعه أو عمقه قط — ولا ينضب معين كنوزه . فاي قلم بشري يستطيع أن يظهر التعليم العجيب المتضمن في الخبر الموحى به عن سبط لاوي ؟ ومن يقدر أن يكشف تلك النعمة الفائقة التي تضيء في حقيقة ان لاوي العنيد يكون أول من يجيب تلك الدعوة المحركة الموقظة « من للرب » ومن يستطيع أن يقول الصواب عن تلك الرحمة الغنية الفائضة المميزة الظاهرة في الامر الواقع ان اولئك الذين تلطخت أيديهم بالدم يسمح لهم أن يتسلموا أواني المقدس وان اولئك الذين لم يدخل روح الله في مجلسهم يؤتى بهم الى ذات حضن جماعة الله ليشتغلوا فيما هو عزيز وثمين لديه

ثم أقسام اولئك العمال الثلاثة المراريين والجرشونيين والقهاتيين ويا له من تعليم هنا ويا له من رمز لاعضاء كنيسة الله المتنوعين في خدمتهم المختلفة ويا لعمق الحكمة الغامضة في كل هذا فهل الكلام شديد جداً — وهل

كثير أن نقول بان لاشيء في هـذا الوقت يؤثر فينا تأثيراً شـديداً مثل الشعور بالضعف الكلي وقلة كل ما قدمناه لكم في شرح أغنى أقسام الكتاب الموحي به . وها قد أرشدنا القاريء العزيز الى منجم لاحد ولا نهاية لعمقه وغناه وينبغي أن نتركه ليغوص فيه بمعونة صاحب المنجم الذي يستطيع وحده أن يفك ويفتح كنوزه . وكل ما يمكن للانسان أن يكتبه أو يقوله على أي جزء من كلمة الله مهما كان من أحسن وأفضل الاقوال أو الكتابة ليس إلا أفكاراً واقتراحات واذا تكلم عنها كمستغرقة البحث أو مستقصاة يكون ذلك كأنه يستخف بالقانون **الالهي** المقدس.فليتنا نطأ المكان المقدس بأرجل غير محتذية ونكون مثل اولئك الذين يستفهمون في الهيكل ودروسهم ومطالعتهم تعبق بشذا عبير روح العبادة (١)

الاصحاح الخامس

« وكلم الرب موسى قائلا . اوص بني اسرائيل أن ينفوا من المحلة كل ابرص وكل ذي سيل وكل متنجس لميت . الذكر والانثى تنفون.الى خارج المحلة تنفونهم لكيلا ينجسوا محلاتهم حيث أنا ساكن في وسطهم . ففعل

---

(١) ان أراد القاريء الوقوف على شرح مستفيض على المواضيع التي نحن بصددها فنوجه نظره الى « مذكرات على سفر الخروج »(ص٢٤ — ٣٠)

هكذا بنو اسرائيل ونفوهم الى خارج المحلة كما كلم الرب موسى هكذا فعل بنو اسرائيل » (عدد ٥ : ١ ـ ٤).

كشف لنا في كلمات قليلة المبدأ الاساسي العظيم الذي بني عليه تأديب الجماعة ـ وهو مبدأ نستطيع أن نقول عنه انه في منتهى الاهمية ولو انه بكل أسف لم يفهم كثيراً أو لم يراع . فقد كان حضور الله وسط شعبه هو **الذى يتطلب** منهم القداسة « حتى لا ينجسوا محلاتهم التي أنا ساكن في وسطها » فالمكان الذي يسكن فيه القدوس لا بد ان يكون مقدساً وهذا حق واضح وضروري .

لاحظنا آنفاً بان الفداء كان أساس سكنى الله في وسط شعبه وانما ينبغي أن لا يبرح من بالنا أن التأديب كان أمراً جوهريا وضروريا لدوام سكناه بينهم فانه لا يستطيع أن يسكن حيث يسمح بوجود الشر أو يصرح به عمداً وانه تبارك اسمه يمكنه احتمال الضعف والجهل ولكن عيناه اطهر من ان تنظرا الشر ولا تستطيعان النظر الى الجور . لا يساكنه الشر ولا يستطيع تعالى أن يعاشره فان ذلك يتضمن انكار ذات طبيعته وهو لا يقدر أن ينكر نفسه

فيمكن أن يقال على كل حال جواباً لمن يسأل قائلا « ألا يسكن الروح القدس في الشخص المؤمن ومع ذلك ففيه كثير من الشر » فنجيب حقاً ان الروح القدس يسكن في المؤمن بناء على فداء قد تم وأكمل . فهو فيه لا مصادقا على ما في الطبيعة بل كختم على ما هو من المسيح ويتمتع المؤمن بحضوره وعشرته بقدر ما يقضي على الشر فينا فهل يستطيع أحد أن

يثبت أو يؤكد اننا نقدران تتحقق وتتمتع بسكنى الروح بينما نسمح لشر ما أن يعمل فينا ونرخص لانفسنا بالانغماس في ملذات الجسد والافكار. حاشا لنا من هذا الفكر الوخيم ! بل ينبغي لنا أن نحكم على أنفسنا ونزيل كل شيء غير مطابق لقداسة من يسكن فينا فلا يعتبر « انساننا العتيق » بالكلية ولا وجود له لدى الله لانه قد دين نهائياً في صليب المسيح . ونحن بالاسف نشعر باعماله ويجب علينا أن نحزن عليها ونحكم على أنفسنا من أجلها ولكن الله ينظر الينا في المسيح - في الروح - في الخليقة الجديدة وفوق ذلك يسكن الروح القدس في جسد المؤمن على أساس دم المسيح وهذه السكنى تستدعي القضاء على الشر في كل هيئة وحالة .

وهكذا أيضاً من جهة الجماعة فلا شك انه يوجد شر هناك - شر في كل فرد مؤمن **وهناك** شر في **الجم** أو الهيئة المؤلفة من الافراد . وانما يجب أن يدان ومتى دين وقضي عليه لايسمح بفعله ويعود مبطلا وملغي. ولكن القول بان الجماعة لاتقضي على الشر فليس اكثر ولا أقل من انكار ضرورة الاعمال الصالحة . ماذا نقول للمسيحي بالاسم الذي يدّعي بانه ليس عليه مسئولية خطيرة ليحكم على الشر في نفسه وطرقه؟ إننا نقرر ونجزم قطعياً عليه بانه من منكري حقوق الناموس واذا كان من الخطأ لفرد اتخاذ مثل هذا الاساس أفلا ينبغي ان يكون هكذا من جهة الجماعة ؟ واننا لا نرى مسوغاً لايراد مثل هذا السؤال البديهي

ماذا كانت تكون النتيجة لو أبى اسرائيل أن يطيع « الامر » القطعي الصادر لهم في فاتحة الاصحاح الذي أمامنا ؟ افرض انهم قالوا «لسنا مسئولين

بان نقضي على الشر ولا نشعر بان من واجبنا كخليقة فقيرة ساقطة. خاطئة مائتة أن نحكم على أحد. فاولئك البرص والمشوهون ومن شا كلهم هم اسرائيليون مثلنا تماما ولهم الحق في كل بركات وامتيازات المحلة مثاما لنا فلذلك لانشعر بأنه من حقنا أن نخرجهم »

والآن سؤالنا هو ماذا يكون رد الله على مثل هذا الجواب؟ لو رجع القاريء العزيز برهة فقط ورأى ما جاء في سفر يشوع ص ٧ لوجد جوابا خطيراً على ذلك ليس له نظير فليقرب ويتأمل بالتدقيق ان « رجمة حجارة عظيمة في وادي عخور » وليقرأ الكتابة المنقوشة عليها فما هي « يجب أن يكون الله مهوبا جداً في جماعة القديسين ومخوفا عند جميع الذين حوله » « الهنا نار آكلة » وما معنى كل هذا فلنسمعه ونتأمله . الشهوة حبلت في قلب عضو من جماعة اسرائيل فولدت خطية . وماذا حدث . هل شمل ذلك كل الجماعة؟ نعم بالتأكيد وهذا هو الحق الخطير « قد اخطأ اسرائيل (ليس فقط عخان) بل تعدوا عهدي الذي أمرتهم به بل أخذوا من الحرام بل سرقوا بل انكروا بل وضعوا في أمتعتهم . فلم يتمكن بنو اسرائيل للثبوت أمام أعدائهم . يديرون قفاهم أمام أعدائهم لانهم محرومون ولا أعود اكون معكم ان لم تبيدوا الحرام من وسطكم » (يشوع ٧ : ١١ و١٢)

هذا هو الامر الخطير الفاحص فانه بكل تأكيد صوت يرن في اذاننا ويوصل درسا مقدساً الى قلوبنا فقد كان كما يخبرنا التاريخ مئات ألوف في كل محلة اسرائيل يجهلون أمر خطية عخان كما يظهر أن يشوع نفسه لم يعلم بها ومع ذلك فكانت الكلمة « قد أخطأ اسرائيل — بل تعدوا — بل أخذوا

من الحرام ... بل سرقوا بل أنكروا بل وضعوا في امتعتهم » وكيف كان ذلك ؟ ان جماعة اسرائيل كانت وحدة فان حضور الله في وسط الجماعة صيرها وحدة حتى ان خطية كل فرد كانت خطية الكل « خميرة صغيرة تخمر العجين كله » وقد يعترض العقل البشري على هذا كما انه يقف معترضاً في سبيل كل شيء يفوق ادراكه القاصر ولكن الله يقوله وهذا يكفي للعقل المؤمن وليس لنا ان نسأل لماذا ؟ ولا كيف أو أين فان شهادة الله تفصل وتقرر كل شيء وما علينا الا أن نؤمن ونطيع ويكفينا أن نعلم بأن حقيقة حضور الله تستدعي قداسة وطهارة وحكماً على الشر ليس على مبدأ « قف وحدك فاني أقدس منك » الذي يرفضه عدلا كل مؤمن ....كلا . كلا . بل مبني بالكلية على ما هو الله « كونوا قديسين لاني أنا قدوس » فان الله لا يمكنه ان يرخص لوجوده المقدس مع اثم غير محكوم عليه . والا فكيف يخطر بالبال ان الله ينصرهم على عاي وعخان في المحلة.ان هذا مستحيل لان انتصاراً في مثل هذه الظروف يكون مهيناً لله تعالى محطا بكرامته ويكون أردأ ما يحدث لاسرائيل . وذلك لا يمكن قط فلابد ان يتأدب اسرائيل و ينبغي ان يتواضعوا وينسحقوا ويلزم ان ينزلوا الى وادي عخور مكان التعب لان هناك فقط يُفتح « باب الرجاء » حيث دخل الشر

فلا يعزب عن فهم القاريء العزيز هذا المبدأ العملي العظيم لاننا نخشى ان كثيرين من شعب الله لم يفهموه ويظن كثيرون انه ليس من الصواب قط ان الذين خلصوا بالنعمة وهم أنفسهم علامات تذكارية دالة على الرحمة

أن يجروا تأديباً من أي نوع أو لاي سبب مهما كان. أمثال هؤلاء ينقضون فكرنا بالكلية عن التأديب مستندين على ما ورد في (متى ٧: ١) ويقولون ألم يقل ربنا بصريح اللفظ لاتدينوا وأليس هذا كلامه الذي لايقبل نقضاً ولا ابراماً «لا تدينوا لكي لا تدانوا؟» لا شك انه كلامه. ولكن ما معنى هذا الكلام. هل معناه اننا لاندين تعليم وحالة حياة هؤلاء الذين يقدمون أنفسهم للشركة المسيحية؟ وهل هذا الكلام يعضد أدنى تعضيد فكرة انه لا بأس بما يتمسك به شخص أو ما يعلّم به أوما يفعله فيلزمنا أن نقبله كما هو. أيمكن أن يكون هذا هو الغرض والقصد من أقوال ربنا؟ من يستطيع التسليم لحيظة واحدة لامر خطير كهذا؟ أو لم يخبرنا ربنا في هذا الاصحاح عينه قائلا. «احترزوا من الانبياء الكذبة» فكيف نحترز من أي واحد اذا لم ندنه واذا لم نجر الدينونة بأية كيفيةفلماذا يقول لنا احترزوا؟

أيها القاريء المسيحي ان الحق بسيط ما أمكن وجماعة الله مسؤولة لان تدين تعليم وآداب كل طالبي دخول الباب. وليس علينا أن ندين البواعث بل الطرق وقد تعلمنامباشرة من الرسول الملهم بأننا ملزمون أن ندين كل من يطلبون أن يكونوا داخلا ضمن الجماعة كما قال «ألستم انتم تدينون الذين من داخل أما الذين من خارج فالله يدينهم فاعزلوا الخبيث من بينكم» (١ كورنثوس ٥: ١٢ و١٣).

وهذا في غاية الوضوح فليس من شأننا ان ندين الذين هم من «خارج» بل ندين الذين من «داخل» أي اولئك الذين يزعمون انهم مسيحيون—

وانهم اعضاء جماعة الله . كل امثال هؤلاء يدخلون ضمن دائرة الحكم ففي ذات اللحظة التي يندمج فيها الانسان في شركة الجماعة يأخذ مقامه في تلك الدائرة حيث يجرى التأديب على كل ما يضاد قداسة الساكن هناك .

ولا يتوهمن القارىء قط ان وحدة الجسد تمس حينما يجري تأديب البيت فتلك حتماً غلطة خطيرة ومع ذلك فهي شائعة بكل اسف.**وكثيرا ما** نسمع من الذين يطلبون بحق ان يجروا تأديب بيت الله بأنهم يخشون ان يمزقوا جسد المسيح.**لا توجد** غلطة اعظم من هذه. والواقع هو ان الاول أي التأديب واجبنا المفروض حتماً والثاني التمزيق مستحيل بالكلية فلا بد من تنفيذ تأديب بيت الله وانما لا يمكن ان تنحل وحدة جسد المسيح .

كذلك نسمع احياناً البعض يتكلمون عن قطع اعضاء جسد المسيح وهذه غلطة ايضاً لانه لا يمكن قط **زحزحة** اي عضو واحد من جسد المسيح فان كل عضو تركب في موضعه بالروح القدس بناء على قصد الله الازلي وعلى كفارة المسيح التي تمت.ولا تقدر أية قوة من الناس او الشياطين ان تفصل عضواً واحداً عن الجسد فان الكل متحدون معاً وحدة كاملة اتحاداً لا يقبل الانفصال ومحفوظون بقدرة الهية ويمكن تشبيه وحدة كنيسة الله بسلسلة ممتدة على نهر فتراها على جانبيه ولكنها غاطسة في الوسط واذا حكمت بحسب نظر عينيك تظن ان السلسلة تفككت حلقاتها من الوسط وهكذا الحال من جهة كنيسة الله ظهرت واحدة في البداية وستظهر انها واحدة تدريجياً وهي في نظر الله واحدة الآن ولو ان الوحدة غير ظاهرة **للعين البشريه**

ان القارىء المسيحي يلزمه أن يفهم جلياً مسألة الكنيسة العظمى هذه. فقد حاول العدو بكل ما في وسعه من الوسائل أن يذر رماداً في عيون شعب الله العزيز حتى لا يروا الحق في هذه المسألة. وعندنا من الجانب الواحد وحدة الرومانية الكاثوليكية المفتخرة ومن الجهة الاخرى انقسامات البروتستانتية المحزنة فتنفخ روما أوداجها مشيرة بتيه وخيلاء الظفر الى طوائف البروتستانت العديدة وكذلك البروتستانت يشيرون الى الاغلاط الكثيرة والفساد وسوء استعمال مذهب الرومان. وطالب الحق الغيور قاما يعرف الى أين يتوجه أو ماذا يفتكر بينما من الجهة الاخرى نرى المهملين المتهاونين المطلقين لانفسهم العنان في الشهوات ومحبي العالم على قدم الاستعداد لان يتخذوا من ذلك الانقسام وكل ما يرونه حولهم حجة لان يرضوا عن كل فكر خطير واهتمام بالامور الالهية. ومع انهم أحياناً يسألون بطلاقة لسان كبيلاطس هذا السؤال ما هو الحق؟ فانهم يشبهونه اذ يرتدون على اعقابهم دون انتظار للجواب.

والآن قد اقتنعنا تمام الاقتناع بان سر كل المسألة الحقيقي — الحل العظيم لهذه المعضلة — والاسعاف الحقيقي لقلوب قديسي الله المحبوبين يوجد في حق وحدة كنيسة الله التي لا تتجزأ جسد المسيح على الارض. ولا يؤخذ الحق كمجرد اعتقاد أو تعليم فقط بل يُعترف به ويُحفظ ويُنفذ مهما كلفنا الامر. فهو حق فعال للنفس ويتضمن فيه الجواب الوحيد للوحدة الرومانية المتبجحة من جهة وللانقسامات البروتستانتية من جهة أخرى ويساعدنا لنشهد للبروتستانتية بانا وجدنا وحدة وللرومان الكاثوليك اننا

وجدنا وحدة الروح .

ربما يعترض أحد قائلا انه لمجرد وهم وخيال طلب تنفيذ هذا الفكر في حالة الامور الحاضرة لان كل شيء وصل الى درجة الخراب والارتباك حتى اننا نشبه تماماً أولاداً ضلوا عن طريقهم في غابة وهم يبذلون قصارى جهدهم محاولين أن يجدوا طريقاً يعودون بها الى بيوتهم فتفرقوا بعضهم الى جماعات وبعضهم الى فرق مؤلفة من مثنى وثلاث وبعضهم آحاداً .

وقد يلوح ان هذا مستحسن وليس عندنا أدنى شك في ذلك وهو في غاية الاعتبار في نظر عدد كبير من شعب الرب في الوقت الحاضر . أما في حكم الايمان فوضع المسألة بهذه الكيفية لاقيمة له وذلك السبب البسيط وهو أن السؤال الكلي الاهمية لاجل الايمان هو هذا « هل وحدة الكنيسة نظرية بشرية أم حقيقة الهية » انها بلا شك حقيقة الهية كما هو مكتوب « جسد واحد وروح واحد » (إفسس ٤ : ٤) واذا انكرنا وجود جسد واحد فبهذه الكيفية عينها ننكر انه « يوجد رب واحد ايمان واحد معمودية واحدة . اله وآب واحد للكل » بما ان جميعها بازاء بعضها على صفحات الوحي واذا عارضنا في واحدة فنعارض في الكل

ولسنا مقيدين بما ورد في موضع واحد من الاسفار المقدسة عن هذا الموضوع ولو لم يكن غيره لكان فيه كل الكفاية ولكن عندنا اكثر من واحد فانصت لهذه العبارة الآتية « كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح . الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح . فاننا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لاننا جميعنا نشترك في الخبز الواحد»

(١ كورنثوس ١٠ : ١٦ و١٧) اقرأ أيضاً (١ كورنثوس ١٢ : ١٢ — ٢٧) حيث تجد هذا الموضوع كله في غاية الايضاح والمناسبة

وبالاجمال نرى أن كلمة الله تبين بغاية الصراحة والكمال وتؤيد حقيقة وجود الوحدة التي لاتقبل الانفصال،ولا تتجزأ وحدة جسد المسيح وفوق ذلك تثبت بغاية الوضوح والتمام حقيقة تأديب بيت الله. وانما ينبغي أن نلاحظ بان توقيع الامر الثاني الا وهو التأديب لا يتداخل قط في الاول أي الوحدة فالامران في غاية المطابقة والملاءمة وهل يخطر في بالنا انه حين أمر الرسول كنيسة كورنثوس بان يعزلوا «الخبيث» من بينهم ان وحدة الجسد مسها أدنى شيء؟ كلا البتة. ومع ذلك ألم يكن ذلك الانسان عضواً في جسد المسيح؟ لاشك انه كان عضواً فيه لاننا نجده قد أُرجع في الرسالة الثانية فقد قام تأديب بيت الله بعمله في عضو من جسد المسيح وأعيد ذلك المخطىء وهذا كان الغرض من عمل الكنيسة.

كل هذا يعين في جلاء الحقيقة لذهن القارىء ليدرك الفائدة الغزيرة من موضوع قبول الاشخاص في مائدة الرب أو حرمانهم منها. وكأنه يوجد ارتباك عظيم في عقول كثيرين من المسيحيين من جهة هذه الامور فالبعض يظنون بانه ما دام الشخص مسيحياً فلا ينبغي على أي حال ان يحرم من مكان على مائدة الرب. ويكفي في دحض هذا الزعم ما ورد عن الحالة المذكورة في ١ كورنثوس ٥ والامر واضح جلياً بان ذلك الشخص عزل وأفرز ليس لانه لم يكن مسيحياً فانه كما نعلم كان ابناً لله رغماً عن قصوره وخطيته ومع ذلك فقد أُمرت كنيسة كورنثوس أن تعزله ولو لم يفعلوا

هكذا لا ستنزلوا قضاء الله على كل الجماعة لأن حضور الله في الجماعة يقتضي الحكم على الشر .

وعليه فسواء نظرنا الى الاصحاح الخامس من سفر العدد أو الخامس من ١ كورنثوس فاننا نتعلم ذات الحق الخطير ألا وهو « ببيتك تليق القداسة يارب الى طول الأيام » وتتعلم ايضاً انه مع ذات شعب الله ينبغي أن يجري التأديب وليس مع الذين هم من خارج لاننا ماذا نقرأ في السطور الاولى من الاصحاح الخامس من سفر العدد ؟ هل أُمر بنو إسرائيل أن ينفوا من المحلة كل من لم يكن اسرائيلياً أو كل من لم يختتن أو كل من لم يستطع إثبات نسبته بالتسلسل حتى يصل الى ابرهيم ؟ وهل كانت هذه هي أسباب الحرمان والنفي من المحلة ؟ كلا البتة . فمن هم اذاً الذين كان ينبغي نفيهم ؟ « كل ابرص » — أي كل من سمح للخطية أن تعمل فيه « وكل ذي سيل » — أي كل من يصدر منه تأثير منجس « وكل متنجس لميت » أولئك هم الذين كان ينبغي فصلهم ونفيهم من المحلة في البرية وكان هذا رمزاً الى الذين يفرزون من الجماعة الآن .

ويليق بنا أن نسأل لماذا كان العزل مطلوباً ؟ هل كان لحفظ صيت واحترام الشعب ؟ كلا ليس لشيء من هذا القبيل . فلماذا اذاً ؟ « لكيلا ينجسوا محلاتهم حيث أنا ساكن في وسطهم » وهكذا الحال الآن فاننا لا نقضي ونحكم على التعاليم الرديئة لكي نحفظ صحة عقائدنا ولا نحكم على الشر الادبي ونعزله لكي نبقي على صيتنا وكرامتنا بل السبب الوحيد في الحكم والعزل هو لان « بيتك تليق القداسة يارب الى طول الايام » الله ساكن وسط شعبه كقوله

«حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» «اما تعلمون انكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم» (١ كورنثوس ٣ : ١٦) وايضاً «فلستم اذاً بعد غرباء ونزلا بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله. مبنيين على أساس الرسل والانبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاويه. الذي فيه كل البناء مركباً معاً ينمو (هيكلا مقدساً) في الرب. الذي فيه أنتم أيضاً مبنيون معاً مسكناً لله في الروح» افسس ٢ : ١٩ ـ ٢٢.

ولربما يشعر القارىء بميل لان يسأل بعض أسئلة كهذه «كيف يمكن أن نجد كنيسة طاهرة وكاملة؟ وألا يوجد الآن وفي المستقبل بعض شر في كل جماعة رغماً عن أشد مراقبة وتحذير وسهر رعوي وأمانة متحدة فكيف يمكن اذاً والحالة هذه بلوغ مقياس الطهارة؟ فنجيب على هذه الاسئلة بانه يوجد شر بلا شك في الجماعة مثلما توجد الخطية في كل عضو منها ولكن لا ينبغي أن يُسمح به أو يجوّز له بل ينبغي أن يُحكم عليه وان يُخضع للحكم فليس وجود الشر المقضي عليه هو الذي ينجس بل السماح والترخيص للشر وذلك في الكنيسة بهيئتها المؤلفة والمركبة معاً كما مع الاعضاء في صفتهم الفردية «لاننا لو كنا حكمنا على أنفسنا لما حكم علينا» (١ كورنثوس ١١ : ٣١) وبناء على ذلك لا ينبغي أن أي مقدار من الشر يؤدي بانسان للانفصال عن كنيسة الله وانما اذا انكرت جماعة مسئوليتها الخطيرة في القضاء على الشر سواء في التعليم أو الآداب فليست بعد على أساس كنيسة الله قط ويجب عليك أن تنفصل عنها حتماً. وطالما كانت الجماعة على أساس كنيسة الله مهما كانت ضعيفة وقليلة في العدد فالانفصال

عنها شقاق وخلاف . ولكن اذا لم تكن الجماعة على أساس الله ولم يكن شك في ذلك فاذا انكرت واجبها في الحكم على الشر — فحينئذ الشقاق والخلاف انما هو الاستمرار على البقاء فيها .

ولكن ألا يؤول هذا الى الاكثار والتكرار في الانقسامات؟ كلا بالتأكيد . فأنه قد يؤول الى انقطاع مرافقة بشرية ولكن هذا ليس انفصالا ولا شقاقاً بل العكس على خط مستقيم لان مثل هذه الجماعات مهما كانت كبيرة وقوية ومفيدة بحسب الظاهر فهي مخالفة ومضادة فعلاً لوحدة جسد المسيح — كنيسة الله .

ولا يغرب عن ذهن القارىء الفطن ان الروح القدس منبه وموجّه الالتفات بكل الوسائط الى مسألة الكنيسة العظمى وبدأ الناس يرون انه يوجد على هذا الموضوع اكثر من مجرد فكر فرد أوعقيدة جماعة فالسؤال « ما هي الكنيسة » تقدم ذاته بقوة على قلوب كثيرة ويطلب جواباً ويا لغبطة من يجد عليه جواباً واضحاً جلياً قاطعاًهوصوت الله صوت الاسفار المقدسة اليس امتيازاً لا يعبر عنه ان يُهجم علي هذا الحق من كل جانب بدعاوي الكنائس « الكنيسة العالية » و « الكنيسة الواطئة » و « الكنيسة المتسعة » و « كنيسة المملكة » و « الكنيسة الحرة » والاجدر الرجوع الى كنيسة الله الحي الواحدة الحقيقية جسد المسيح . اننا بكل تأكيد نعتبره امتيازاً عظيما ومقتنعون تمام الاقتناع ان هناك فقط الحل الالهي لمعضلات الوف من شعب الله .

ولكن أين توجد هذه الكنيسة ؟ أليس عبثاً ان نبحث عنها وسط

الخراب والارتباك المحدق بنا من كل جانب كلا والحمد لله فانه مع كوننا لا نرى كل أعضاء الكنيسة مجتمعين معاً الا انه من امتيازنا وواجبنا المقدس أن نعلم ونتخذ أساس كنيسة الله ولا غير. وكيف نميز هذا الاساس؟ اننا نعتقد بان أول خطوة نحو تمييز أساس كنيسة الله الحقيقية هي الانفصال عن كل ما يضاد ذلك ويعاكسه . ولسنا في حاجة لأن ننتظر اكتشاف ماهو حق بينما ضباب الخرافات والبهتان مخيم على عقولنا فالامر الالهي هو « كفوا عن فعل الشر تعلموا فعل الخير » ولا يعطينا الله نوراً لخطوتين في وقت واحد فلذلك عندما نكتشف باننا على أساس مخطيء فيجب علينا تركه وننتظر من الله نوراً أوفر وهو بلا شك يريد أن يمنحه.

انما ينبغي لنا التقدم في اصحاحنا .

«وكلم الرب موسى قائلا . قل لبني إسرائيل اذا عمل رجل أو امرأة شيئاً من جميع خطايا الانسان وخان خيانة بالرب فقد أذنبت تلك النفس . فلتقر بخطيئتها التي عملت وترد ما أذنبت به بعينه وترد عليه خمسه وتدفعه للذي أذنبت اليه . وان كان ليس للرجل ولي ليرد اليه المذنب به فالمذنب به المردود يكون للرب لاجل الكاهن فضلا عن كبش الكفارة الذي يكفر به عنه ».

سبق لنا أثناء التأمل في « مذكرات على اللاويين » ص ٥ أن شرحنا تعليم قربان الاثم فينبغي أن نوجه اليه انظار القارىء لاننا لا نريد أن نشغل وقته أو وقتنا بالدخول في أية نقطة يكون سبق لنا التأمل فيها ونلاحظ فقط هنا مسألة الاقرار والرد المهمة جداً فليس ان الله والانسان

حقيقة ربحا من قربان الاثم العظيم المقدم على صليب الجلجثة بل نتعلم أيضاً من الاقتباس السابق ان الله نظر الى الاقرار والرد حينما حصل ارتكاب أي ذنب وتبرهن على الاخلاص في الاقرار برد ما أذنب به فلم يكتف اليهودي حينما يذهب الى أخيه أن يذهب ويقول « اني متأسف » بل كان عليه أن يرد الشيء الذي اذنب به ويزيد عليه خمسه والآن وان كنا لسنا تحت الناموس الا اننا نستفيد تعليماً كثيراً من هذا النظام ولو اننا لسنا تحت المؤدب فاننا نتعلم منه دروساً مفيدة فاذا كنا اذنبنا لاحد فلا يكفي أن نعترف بالذنب لله ولاخينا بل لابد من رد، فقد طلب منا أن نؤدي برهاناً عملياً على الواقع باننا حكمنا على أنفسنا من جهة ذلك الامر الذي أذنبنا فيه

اننا نسأل راجين أن يكون هذا الامر في غاية الوضوح كما ينبغي فاننا نخشى من وجود استخفاف وكثرة كلام وتساهل بخصوص الذنب والفشل الذي لابد أن يكون محزناً جداً بالحقيقة لروح الله . فكثيراً ما نقتنع بمجرد اعتراف الشفاه دون شعور القلب العميق واحساسه بشر الخطية في نظر الله والحكم على الامر نفسه بالاصول الادبية . ونظراً لنتيجة استخفاف الذنب واستصغاره يتصلف القلب ويفقد الضمير رقته وهذا أمر خطير جداً فاننا نعلم انه لا شيء أثمن وأعز من ضمير رقيق ولسنا نقصد بذلك ضميراً متشككاً تحت حكم هواه ولا ضميراً فاسداً سقيماً متسلطة عليه مخاوفه فالاثنان كلاهما ضيفان ثقيلان يتعبان من يضيفهما ولكننا نعني ضميراً رقيقاً حساساً خاضعاً في كل الامور لكلمة الله ويرجع في كل

الاوقات لسلطانه تعالى. ونعتبر هذا الوصف الصحيح للضمير كنزاً لا تقدر قيمته فهو ينظم كل شيء ويفحص ويعلم أصغر الامور المتعلقة بسيرنا اليومي وعاداتنا — وموداتملابسنا — وبيوتنا — واثاثاتنا — ومائدتنا — ومصلحتنا — وروحنا وأسلوبنا — وكيفية تدبير أشغالنا — ما نقوم به من جهة الخدمة للآخرين والحالة التي نؤديها بها مهما كان نوعها وبالاجمال كل ما يتناول التأثير الصحي الادبي للضمير الرقيق الحساس. ويقول الرسول المغبوط « لذلك أنا أيضاً ادرب نفسي ليكون لي دائماً ضمير بلا عثرة من نحو الله والناس » اعمال ٢٤ : ١٦ .

هذا ما نطمح اليه ونبغيه . يوجد شيء أدبي جميل جذاب في تدريب أعظم خادم للمسيح حاز أثمن المواهب فانه بجميع مواهبه السامية وقدراته العجيبة ونظره الداخلي العميق الى طرق الله ومشوراته وبكل ما كان له أن يتكلم عنه ويفتخر به وبجميع الاعلانات العجيبة التي كُشفت له في السماء الثالثة . وبالاجمال أشرف الرسل وأعظم القديسين امتيازاً اجتهد اجتهاداً مقدساً أن يكون له دائماً ضمير بلا عثرة من نحو الله والناس وإذا حدث مرة انه فرط بشفتيه وبدرت منه كلمة بتسرع كما فعل مع حنانيا رئيس الكهنة تجده مستعداً على الفور أن يعترف ويرد عوضاً عنها فهذه الكلمة السريعة « سيضربك الله أيها الحائط المبيض » سحبت وأبدلت بكلمة الله « رئيس شعبك لا تقل فيه سوءاً »

ما كان يتسنى لبولس أبداً كما نعتقد أن يهنأ ويعود لراحته تلك الليلة بضمير بلا عثرة لو لم يسحب كلامه . فلا بد من الاعتراف اذا فعلنا أو قلنا

ما هو خطأ وإلا تفسد شركتنا بكل تأكيد لانه يستحيل أدبياً وجود شركة بينما تبقى على الضمير خطية غير معترف بها. ربما تتكلم عنها وانما ذلك كله طفيف جداً فيجب أن نحفظ الضمير طاهراً نقياً اذا أردنا أن نتكلم مع الله . لاشيء يرعب اكثر من عدم الشعور الادبي والضمير المتراخي المهمل والشعور الادبي البليد الذي يترك الامور تسير ويلقي لها الحبل على الغارب دون أن يقضي عليها ويرتكب الخطية بغير مبالاة ويقول ببرود « أي شر عملت » ؟

فلنسهر على كل هذا أيها القارىء العزيز بحذر وانتباه مقدس ولندرب الضمير ليكون رقيقاً حساساً لانه يطلب منا تدريباً كما طلب من بولس الرسول وهو تدريب مبارك يأتي باثمن الاثمار . لاتظن انه يوجد أي شيء يلطف الاباحة في ذلك التدريب. كلا . فانه واجب كل مسيحي ونرى حقاً في تلك الاقوال الشريفة التي نطق بها بولس الرسول انها من جوامع الكلام متضمنة جميع الواجبات المسيحية « ليكون لي دائماً ضمير بلا عثرة من نحو الله والناس » .

ولكن وا أسفاه فما أقل اعتيادنا التأمل في حقوق الله أو حقوق بني جنسنا وما أقل شعورنا بملاحظة ذلك فقد أهملت المطاليب من كل نوع ومع ذلك لانشعر ولا يوجد انسحاق وتذلل امام الرب . نرتكب التعدي في ألوف من الاشياء ومع كلٍ فلا اعتراف ولا رد . والامور التي كان يجب ان نحكم عليها ونعترف بها ونطرحها جانباً سمحنا بجوازها فتوجد خطية في أمورنا المقدسة ، واستخفاف واهمال روحي في الاجتماع ومائدة

الرب . نسلب الله بطرق عديدة وتفتكر أفكارنا وتتكلم كلامنا ونفعل رغبتنا وما كل هـذا إلا سلب الله . لاننا نعلم اننا لسنا لانفسنا بل اشترينا بثمن .

أقول بمزيد الاسف أن كل ذلك لا بد أن يعطل نمونا الروحي ويحزن روح الله ويعيق عمل نعمته في نفوسنا ويعطل نمونا الى مقياس المسيح . ونرى في كثير من المواضع في كلمة الله عظمة شأن الروح المنسحق والقلب المنكسر كما يقول « والى هذا انظر الى المسكين والمنسحق الروح والمرتعد من كلامي » . مع مثل هذا يستطيع الله أن يسكن ولكنه لا يعاشر القساوة وعدم الشعور والبرودة والاستخفاف فليتنا ندرب أنفسنا اذاً ليكون لنا دائماً ضمير بلا عثرة من نحو الله والناس .

ان ثالث وآخر فصل في اصحاحنا الذي نحن في غنى عن اقتباسه يعلمنا درساً خطيراً جداً سواء نظرنا اليه من جهة الفرائض الالهية أو الادبية فانه يشتمل على سجل الفرض العظيم المعين لشريعة الغيرة . ومقامها هنا معروف فقد رأينا في الفصل الاول الحكم المتحد على الشر كما علمنا من الفصل الثاني دينونة الذات الشخصية والاعتراف والرد . وتعلم من الفصل الثالث ان الله لا يمكنه احتمال حتى مجرد الاشتباه في الشر .

اننا على يقين تام بان هـذه الشريعة المؤثرة جدا تتضمن قانوناً وفرضاً الهياً من جهة العلاقة بين يهوه واسرائيل . وكم أفاض الانبياء في التعبير عن سلوك إسرائيل كزوجة وعن غيرة يهوه في ذلك الشأن .

ولسنا نحاول اقتباس تلك الفصول وانما يجدها القارىء فوق صفحات

أرميا وحزقيال. لم يحتمل اسرائيل تجربة الماء المر الفاحصة وظهرت عدم امانتهم وحنثوا في نذورهم فكانوا كزوجة خانت زوجها وغدرت به وهو قدوس إسرائيل الذي اشتعلت غيرته المتقدة على الامة الخائنة لانه إله غيور ولا يحتمل الفكر بان القلب الذي هو حقه وملكه يُعطي لآخر .

وعليه نرى ان صورة الطبيعة الالهية واضحة جلية في شريعة الغيرة وتدخل بالتمام في الافكار والاحساسات كزوج أُسيء اليه اواشتبه في الاساءة وهو لا يطيق مجرد الشبهة بالكلية ومتى استولت على القلب ينبغي تنقية المسألة وفحصها فحصاً دقيقاً ولا بد ان تعمل عملية فحص الطبيعة للمشتبه فيه ولا يحتملها سوى الامين . واذا وجد أثر ذنب فالماء المر ينزل فاحصاً الى ذات أعماق النفس ويخرج كل شيء ولا مناص للمذنب . ونستطيع القول بان حقيقة عدم وجود مناص للمذنب هي نفسها تجعل براءة البريء تزداد غلبة وانتصاراً . ونفس العملية التي كشفت ذنب المذنب أعلنت براءة الامين والذي يشعر تماما بالاستقامة . كلما ازداد الفحص كلما رحب به كثيراً وقبله وان أمكن تخلص المذنب بسبب أي نقص في نظام المحاكمة فانما يكون ذلك ضد البريء ولكن العملية كانت الهية فلذلك هي كاملة ومن ثم لما اجتازتها بامان الزوجة المشتبه فيها ظهرت استقامتها واعيدت الثقة التامة بها

فيالها من رحمة اذاً ان يكون لنا حالة كاملة كهذه للفصل في جميع أحوال الريب والاشتباه . الريبة هي الضربة القاضية لكل وداد وائتلاف ولا يريدها الله وسط جماعته فهو لا يطلب فقط من شعبه اجمالا ان يحكموا على الشر ويقضوا على أنفسهم افراداً وانما متى وجد ريب أو اشتباه في

الشر ولا برهان عليه نراه يدبر بنفسه طريقة للفحص تخرج الحق بالتمام الى النور فلا بد ان يتجرع المذنب كأس الموت وإذا هو دينونة [١] والامين يشرب الموت فيجده انتصاراً .

الاصحاح السادس

« وكلم الرب موسى قائلا . كلم بني اسرائيل وقل لهم . اذا انفرز رجل أو امرأة لينذر نذر النذير للرب . فمن الخمر والمسكر يفترز ولا يشرب خل الخمر ولا خل المسكر ولا يشرب من نقيع العنب ولا يأكل عنباً رطبا ولا يابساً . كل أيام نذره لا يأكل من كل مايعمل من جفنة الخمر من العجم حتى القشر . كل أيام نذر افترازه لا يعبر موسى على رأسه

---

(١) الغبار المأخوذ من أرض المسكن يمكن أن يرمز به الى الموت « يرجع الانسان الى الغبار » « والماء » يرمز به الى الكلمة التي تفعل في الضمير بقوة الروح القدس فتعلن كل شيء فاذا وجد به عدم أمانة للمسيح عريس شعبه الحقيقي فلا بد من الحكم وهذا يفيد من جهة أمة اسرائيل ولكنيسة الله وللمؤمن كفرد . اذا لم يكن القلب سليما من جهة المسيح فلا يستطيع احتمال قوة الكلمة الفاحصة أما ان وجد حق في الاجزاء الداخلية فكلما فحص الانسان واختبر كلما ظهر فضله وما أسعدنا ان استطعنا ان نقول حقاً « اختبرني يا الله وأعرف قلبي امتحني واعرف أفكاري . وانظر ان كان فيّ طريق باطل واهدني طريقاً أبدياً » مزمور ١٣٩ : ٢٣ و ٢٤)

الى كمال الايام التي انتذر فيها للرب يكون مقدساً ويربي خصل شعر رأسه. كل أيام انتذاره للرب لا يأتي الى جسد ميت . أبوه وأمه وأخوه واخته لا يتنجس من أجلهم عند موتهم لان انتذار الهه على رأسه . انه كل أيام انتذاره مقدس للرب » (عدد ٦ : ١ ـ ٨) .

ان فريضة النذر مفعمة بالفوائد الثمينة والتعاليم العملية . ففيها نرى صورة شخص قد أفرز نفسه افرازاً خاصاً عن أمور ولو انها ليست في حد ذاتها خطية ولكنها على كل حال معتبرة بانها تشين أمر تكريس القلب تكريساً كاملا يتطلبه الانتذار الحقيقي لله .

وأول شرط كان على النذير هو أن لا يشرب خمراً لان نتاج الكرمة كان محرما عليه مهما تنوعت صوره وتعددت أشكاله ولا يخفى ان الخمر هو علامة الفرح الارضي ودلالة على السرور الاجتماعي الذي يهرع اليه القلب البشري باستعداد كلي وانشغاف طبيعي وقد كان على النذير العابر البرية أن يحفظ نفسه من ذلك حفظاً تاما وان يتقيد بهذا الناموس تقيدا حرفياً فلم يجز له أن يهيج الطبيعة بتعاطي أي مسكر بل كان عليه ان يمتنع امتناعا كلياً عن شرب الخمر كل أيام انتذاره .

هذا هو المثال الذي كتب لاجل تعليمنا والمدوّن أيضاً في هذا السفر الجليل ـ سفر العدد ـ المفعم بدروس البرية الثمينة. وهذا ما كنا نتوقع ذكره في سفر كهذا . فان فريضة النذير المهمة لائقة جداً بأن تدوّن في سفر العدد لانها تتفق تماماً مع مميزات السفر كما سبق وأوضحنا ذلك فهو سفر يحتوي على كل ما يتعلق بحياة البرية بنوع خاص .

والآن لنبحث في ماهية هـذا الدرس الذي نتعلمه من امتناع النذير عن كل ما يعمل من جفنة الخمر من العجم الى القشر .

لم يوجد في هذا العالم سوى نذير واحد حقيقي كامل . نذير واحد قد انفصل انفصالا تاماً من بداءة حياته الى نهايتها عن كل فرح أرضي . فمن اللحظة التي ابتدأ فيها عمله الجهاري انفصل عن كل ما هو من هـذا العالم وقد تثبت قلبه وعمله بالله بتكريس لم يستطع أن يزعزعه عنه أي شيء ولم يدع مطاليب الارض أو الطبيعة أن تحول مطلقاً بين قلبه وبين العمل الذي جاء ليعمله . « ألم تعلما انه ينبغي ان أكون في ما لأبي » وأيضاً «مالي ولك يا إمرأة » فبأقوال مثل هـذه كان يعالج ذلك النذير الحقيقي مطاليب الطبيعة وكان أمامه عمل واحد ليعمله ولاجل هذا العمل كرس نفسه تكريساً كاملا . فقد كانت عينه بسيطة . وقلبه كاملا . وهذه الصفات كانت ظاهرة في حياته من البداية الى النهاية . فاستطاع ان يقول لتلاميذه « لي طعام لآكل لستم تعرفونه أنتم » ولما لم يدركوا كنه أقواله السامية قالوا « ألعل أحداً أتاه بشيء ليأكل » قال لهم يسوع « طعامي ان أعمل مشيئة الذي ارسلني وأتمم عمله » (يوحنا ٤) . وكذلك أيضاً في نهاية خدمته هنا على الارض نراه يخاطب تلاميذه بهذه الكلمات حينما تناول كأساً في يده قائلا « خذوا هذه واقتسموها بينكم لاني اقول لكم اني لا اشرب من نتاج الكرمة حتى يأتي ملكوت الله » (لوقا ٢٢ : ١٧ و ١٨)

ومن هنا نرى كيف تصرف ذلك النذير الحقيقي في حياته . فلم يكن له سرور لا في هـذه الارض ولا في أمة اسرائيل لأن الوقت المناسب

لذلك لم يكن قد جاء بعد ولذا نراه قد اعتزل بنفسه عن كل ما كان يربطه مع سواه بمجرد علاقات أو عواطف بشرية وذلك لكي يكرس نفسه لذلك الغرض الوحيد السامي الذي كان نصب عينيه وأمام فكره على الدوام وسيأتي الوقت الذي فيه كالمسيا يفرح بشعبه وبالارض أيضاً ولكنه الى ان يأتي ذاك الحين المبارك يبقى مفترزاً كالنذير الحقيقي وشعبه مرتبط به كما قال عنهم « ليسوا من العالم كما اني أنا لست من العالم . قدسهم في حقك. كلامك هو حق . كما أرسلتني الى العالم ارسلتهم انا الى العالم . ولأجلهم أقدس أنا ذاتي ليكونوا هم أيضاً مقدسين في الحق » (يوحنا ١٧ : ١٦ ـ ١٩)

فلنتأمل جيداً أيها القارىء المسيحي في هذا الشرط الأوَّلي والمهم المطلوب من النذير القيام به ويهمنا جداً ان نمتحن أنفسنا بلا مراء في ضياء نوره وانه لأمر خطير جداً في الحقيقة ان نفحص أنفسنا لنرى الى أي حد قد انفصلنا بصفتنا مسيحيين عن كل مهيجات الطبيعة وعن كل المسرات الارضية . ورب قائل يقول « وأي ضرر يحدث من التسلية القليلة او المزح فاننا لسنا رهباناً . او لم يمنحنا الله كل شيء بغنى للتمتع؟ وأليس لنا الحق مادمنا في العالم ان نتمتع به ؟ »

وجوابا على كل ذلك نقول بان المسألة ليست عن الضرر الذي ينشأ عن هذا أو ذاك لاننا اذا نظرنا نظرة عامة لانجد ضرراً في نفس الخمر ولا عيباً في ذات الكرمة ولكن المهم هو هذا انه اذا قصد احد ان يكون نذيراً وتاقت نفسه الى ذلك الافتراز المقدس للرب فعليه ان يعاف استعمال الخمر والمشروبات الروحية بالكلية . فقد يجوز للآخرين أن يشربوا خمراً أما

النذير فلا يمسها

والآن فالسؤال الموجه لنا هو هـذا « هل غرضنا الوحيد أن نكون نذيرين للرب ؟ هل نتوق للافتراز الكلي وتكريس ذواتنا لله جسداً ونفساً وروحاً ؟ » ان كان كذلك فعلينا بالانفصال عن كل ما تجد فيه الطبيعة لذة وسروراً . وعلى هـذا المحور الوحيد يدور السؤال . ولا شك ان السؤال هو ليس « هل نكون رهباناً ؟ » ولكنه بالاحرى « هل نريد ان نكون نذيرين ؟ وهل أشواق قلوبنا ان ننفصل مع ربنا يسوع عن كل فرح أرضي. وان نفترز لله عن تلك الامور التي وان لم تكن في حد ذاتها خطية ولكنها على كل حال تؤول الى اعاقة تكريس القلب تكريساً كاملا لله . الامر الذي هو السر الحقيقي للانتذار الروحي ؟ الا يعلم كل قارىء مسيحي انه توجد حقاً أمور كثيرة من هذا القبيل ؟ ألا يشعر انه توجد أمور لا حصر لها التي من شأنها إضعاف واخماد قوة الروح فيه أما اذا قيست على المقياس الادبي فانها تعتبر أموراً لا ضرر من استعمالها ؟

ولكننا يجب أن نتذكر ان نذيري الرب لا يقيسون الامور بمثل هذا القياس لان مقياسهم ليس مقياساً أدبياً بالكلية وانما هم ينظرون الى الامور من وجهة الهية سماوية ومن ثم فانهم لا يستبيحون أمراً باعتبار ان لا ضرر فيه ما دام انه يشين ذلك المقياس العالي لتكريسهم لله الامر الذي اليه تتوق نفوسهم

ليعطنا الرب نعمة لنزن هذه الامور . ولنسهر ضد كل تأثير نجس . وليحترس كل واحد منا ليمتنع عن كل ما هو في اعتباره خمراً أو مسكراً كل

واحد حسب تجاربه الخصوصية . وربما يظهر ذلك الشيء كأنه امر طفيف بسيط ولكننا يجب ان نعلم علم اليقين ان كل ما يقطع الشركة بين نفوسنا وبين الله ويحرمنا من تلك العشرة المقدسة التي من امتيازاتنا ان نتمتع بها دائما ليس هو بالامر الطفيف البسيط الذي يستهان به .

ولكن كان هناك شرط آخر ايضا على النذير القيام به وهو انه لم يكن يحلق رأسه « كل أيام نذر افترازه لا يمر موسى على رأسه الى كمال الايام التي انتذر فيها للرب يكون مقدسا ويربي خصل شعر رأسه » .

على اننا نتعلم مما ورد في (١ كورنثوس ١١ : ١٤) انه عيب على الرجل ان يرخي شعر راسه كقوله « ام ليست الطبيعة تعلمكم ان الرجل ان كان يرخي شعره فهو عيب له ؟ » ومن هذا نتعلم اننا إذا اردنا حقيقة ان نعيش عيشة الانتذار لله يجب ان نكون مستعدين للتنازل عن مجدنا العالمي وهذا مافعله ربنا يسوع المسيح بالتمام فلم يكن له صيت ولا شهرة بل ترك حقوقه في كل شيء حتى استطاع ان يقول « دودة انا لا انسان » وقد تنازل تنازلا عجيباً آخذاً ادنى مكان . ناسيا نفسه مهتما بصوالح الآخرين وبالاجمال فان انتذاره كان كاملا من هذا الوجه كما وايضاً من كل وجه آخر .

وهنا نلاحظ ذات الامر الذي قلما نميل او نود ان نفعله فاننا بالطبيعة ميالون بان ندافع عن شرفنا العالمي ونهتم بالمحافظة على حقوقنا ونظن ان عملا كهذا هو من علامات الرجولة ولكن الرب يسوع الانسان الكامل في كل تصرفاته لم يفعل هكذا واذا اردنا ان نكون نذيري الرب فعلينا نحن أيضاً أن لا نفعل هكذا . اذا قصدنا أن نسلك طريق الانتذار للرب في هذا

العالم ينبغي علينا أن نتنازل عن امجاد الطبيعة وان نعتزل كل الافراح الارضية ويعد قليل جداً ستتمتع بهذه الامور في الحين المناسب أما الآن فليس لنا هكذا .

ولنلاحظ هنا أيضاً بان المسألة ليست عبارة عن حكم في صواب أو خطأ أمر ما لانه كان جائزاً كقانون عام لكل انسان أن يحلق خصل شعره ولكنه لم يكن جائزاً بل بالحري كان محظوراً على النذير أن يفعل هكذا. هنا كان جوهر الفرق . وقد كان أمراً جائزاً لكل انسان عادي أن يحلق شعر رأسه وأن يشرب خمراً أما النذير فلم يكن معتبراً انه انسان عادي لانه انما كان شخصاً مفترزاً عن كل أمر عادي سالكا طريقاً خاصاً به ممتازاً عن سواه واذا استعمل موسى أو ذاق خمرا فقد كان معنى ذلك عروجاً وضلالا عن ذلك الطريق القويم الذي انتهجه . ولذلك فاذا سأل سائل قائلا « الا يجوز لنا أن نتمتع بمسرات الحياة وان نحافظ على كرامتنا ومجدنا العالمي ؟ » وجوابا على ذلك نقول « انه يجوز لنا ذلك اذا قصدنا أن نعيش عيشة أهل العالم ولكنه خطأ محض بل خطر جسيم اذا قصدنا أن نعيش عيشة نذيري الرب .

هذا هو الحل البسيط لهذه القضية . بل أن هذا هو الجواب الصريح الذي يجيب على الف سؤال ويفك الف عقدة . وليس هناك ثمت فائدة تذكر من البحث في ضرر هذا الامر أو ذاك بل أن السؤال المهم هو هذا « ما هو غرضنا الحقيقي وقصدنا الوحيد ؟ هل غرضنا وقصدنا أن نسير كما يسير أهل العالم أم انا نشتاق أن نعيش كنذيرين حقيقيين للرب ؟ » .

ان التعبيرين الواردين في (١ كورنثوس ٣:٣) وهما «تسلكون بحسب البشر» و «جسديين» مترادفين . فهل تنطبق علينا تعبيرات كهذه؟هل نحن ممن يستقون من روح وحي كهذا ؟ أو يستنشقون من جو نص الهي كهذا؟ هل نحن محكومون بروح ومباديء اناس بلا اله وبلا مسيح في العالم ؟ انه من العبث أن نصرف أوقاتنا في فحص مسائل قد لاتعترضنا مطلقاً اذا كانت نفوسنا في حالة الاستقامة والرشاد . لاشك انه عين الصواب بل أمر طبيعي ولائق جدا بأهل العالم أن يتمتعوا بكل مايقدمه لهم العالم وان يحافظوا على حقوقهم ويدافعوا عن كرامتهم جهد المستطاع . والبحث في أمر واضح كهذا يعتبر من المباحث البديهية ولكن من الوجهة الاخرى كل ماهو صواب وطبيعي ولائق لأهل هـذا العالم هو خطأ وغير طبيعي وغير لائق لنذيري الله أن يستعملوه .

هذا هو الحل الوحيد ان كنا خاضعين لحق الله البسيط والذي نتعلمه من هـذا الحق الوارد في الاصحاح السادس من سفر العدد المطروح أمامنا الآن هو انه اذا شرب النذير خمرا أو حلق خصل شـعر رأسـه فقد نجس رأس انتذاره . ألا يوجد في هـذا التعليم صوت ودرس لنـا . ؟ حقاً ان فيـه صوتا عاليا ودرساً ثمينا فانه يعلمنا انه اذا ابتغت نفوسنا اقتفاء سبيل تـكريس القلب لله تـكريسا كاملا فينبغي علينا أن نمتنع عن أفراح الارض وان نتنازل عن كرامتنا العالمية وحقوقنا الطبيعية ولا بد من ذلك لان الله والعالم — الروح والجسد لا يتفقان معاً . ولا يمكن أن يتفقا . نعم سيأتى وقت فيـه تتبدل حالنا ونصير غير ما نحن عليه الآن اما الآن فـكل من يعيش لله ويسلك

بالروح عليه ان ينفصل عن العالم وان يميت الجسد . يا ليت الرب برحمته الواسعة يعيننا لكي نفعل هكذا .

بقي شرط آخر من مميزات النذير وجب علينا ملاحظته . وهو أن لايمس جسد ميت « كل أيام انتذاره للرب لا يأتي الى جسد ميت . ابوه وامه وأخوه واخته لا يتنجس من اجلهم عند موتهم لان انتذار الهه على رأسه » .

ومن هنا نرى انه سواء كان شرب الخمر أو حلق خصل شعر الرأس أو مس جسد ميت فان النتيجة كانت واحدة وهي ان ارتكاب أي أمر من هذه الامور الثلاثة انما كانت نتيجته تنجيس رأس انتذار النذير والواضح جليا من ذلك ان امر مس جسد الميت كان امرا نجسا لدى النذير مثل شربه خمرا أو حلقه خصل شعر رأسه . وما اثمن هذا الدرس فاننا كثيرا ما نقدم اعتراضات واختلافات لا يمكن ان تقف لحظة اذا محصناها في ضياء الحضرة الالهية فمتى استقر الانتذار لله على رأس أي انسان فقد اصبحت تلك الحقيقة العظمى والمهمة مقياس وحجر محك كل الآداب ووضعت ذلك الشخص على أساس جديد وممتاز وجعلت عليه فرضاً لازماً ان ينظر لكل شيء من وجهة جديدة خاصة ممتازة فلم يكن بعد ذلك يسأل عن مركزه بصفته انساناً عاديا بل بالحري كنذير لله ومن ثم فاذا سقط ميتاً بجانبه أعز صديق لديه فلم يكن جائزا له ان يمسه بل كان عليه ان يمتنع عن تأثير الموت المنجس وكل ذلك لان « انتذار الهه على رأسه » .

والآن يجدر بالقارىء الكريم ان يفهم جيداً ان جميع ماورد بموضوع

الانتذار هذا لا علاقة له مطلقاً بأمر خلاص النفس ولا بالحياة الابدية ولا بثبات المؤمن في المسيح ثباتا كاملا وإن لم يكن هذا الأمر واضحاً وجلياً فقد يقود العقل الى الحيرة وظلام الارتباك . توجد حلقتان عظيمتان في المسيحية اللتان مع اتصالهما ببعضهما اتصالا كاملا غير انهما يتميزان عن بعضهما تميزاً واضحاً وهما حلقة الحياة الابدية وحلقة الشركة الروحية الشخصية فالاولى لا يستطيع أي شيء في الوجود أن يفصم عراها أما الثانية فيمكن فصمها في اي لحظة ولأهون الاسباب ولو كان ذلك مثقال ذرة وموضوع الانتذار الذي نحن الآن بصدده متعلق بهذه الحلقة الثانية .

ونلاحظ في شخص النذير صورة إنسان سلك طريقاً خاصاً لتكريس نفسه وتخصيصها للمسيح وقوة الاستمرار في هذا الطريق مستمدة من الشركة السرية مع الله حتى انه اذا تعطلت هذه الشركة فقدت تلك القوة وهذا مما يجعل الموضوع ذا اهمية وخطورة عظمى لانه متى عزم اي شخص على السير في طريق التكريس لله مع عدم وجود ينبوع القوة المستمدة للسير في ذلك الطريق فهناك أعظم خطر ممكن حصوله بل ان هذا من أعظم النكبات والويلات بل مما يستدعي أعظم سهر وأشد انتباه .

ولقد تأملنا بالاختصار في الاسباب المختلفة التي من شأنها ان تقطع الشركة بين النذير وبين الله ولكنه من رابع المستحيلات ان نوضح بكلمات مثل كلماتنا الضعيفة تلك النتائج الادبية السيئة التي تنجم عن السعي للظهور أمام الناس بصورة النذير بينما القوة الداخلية معدومة بالكلية . هذا خطر عظيم لانه أفضل لنا ان نعترف بعجزنا وأن نأخذ المحل اللائق بنا من ان

نظهر أمام الآخرين بمظهر كاذب غير حقيقي . ان الله يريد حقائق وليس ظواهر غاشة. ويجب ان نعلم علم اليقين انه لا بد ان ينفضح ضعفنا وتنكشف غباوتنا أمام الجميع ان عاجلا او آجلا .

ومما يؤسف له جداً بل مما يطأطيء الراس ويذل النفس ان نرى النذيرين الذين كانوا «ابيض من الثلج» يصبحون «اشد سواداً من الفحم» ولكن اردأ من ذلك ان نرى الذين صاروا اشد سواداً من الفحم يتظاهرون انهم بيض لامعون .

ولنتأمل في حادثة شمشون الخطيرة كما هي واردة في الاصحاح السادس عشر من سفر القضاة ففي ساعة منحوسة افشى سره وأضاع قوته — نعم اضاع قوته ولو انه لم يعلم ذلك ولكن العدو علم به حالا وفي لحظة قصيرة ظهر للجميع ان النذير قد نجس رأس انتذاره «ولما كانت تضايقه بكلامها كل يوم وألحت عليه ضاقت نفسه الى الموت فكشف لها كل قلبه وقال لها لم يعل موسى رأسي لانى نذير الله من بطن امي . فان حلقت تفارقني قوتي وأضعف وأصير كأحد الناس» (قضاة ١٦ : ١٦ و١٧) .

هنا وأأسفاه كان تسليم سر كل قوته — ذلك السر العميق المقدس . فقد كان سبيله لغاية تلك النقطة سبيل القوة والنصرة وذلك فقط لانه كان سبيل الانتذار المقدس ولكن حجر دليلة كان موضوع امتحان لأسر قلب شمشون ووقوعه في الشرك ومالم يستطع ان يفعله الف رجل فلسطيني امام قوة شمشون استطاعت ان تعمله امرأة واحدة بقوة اصطيادها وخداعها فسقط شمشون من ذرى مركز النذير السامي والعالي الى مستوى إنسان

عادي ضعيف .

« ولما رأت دليلة انه قد اخبرها بكل ما بقلبه أرسلت فدعت أقطاب الفلسطينيين وقالت اصعدوا هذه المرة فانه قد كشف لي بكل قلبه . فصعد اليها أقطاب الفلسطينيين واصعدوا الفضة بيدهم وأنامته على ركبتيها (واأسفاه واحسرتاه ! ياله من نوم مميت لنذير الله !) ودعت رجلا وحلقت سبع خصل رأسه وابتدأت باذلاله وفارقته قوته . وقالت الفلسطينيون عليك ياشمشون فانتبه من نومه وقال اخرج حسب كل مرة وانتفض ولم يعلم ان الرب قد فارقه . فأخذه الفلسطينيون وقلعوا عينيه ونزلوا الى غزة وأوثقوه بسلاسل نحاس وكان يطحن في بيت السجن (قضاة ١٦:١٨—٢١) .

آه ايها القارئ العزيز . يالها من صورة خطيرة ويالها من عظة بالغة بل ما أمرّ ذلك المنظر المحزن الذي ظهر فيه شمشون حينما خرج لينتفض « حسب كل مرة » وا أسفاه فان « حسب » لم يكن لها موقع في ذلك الحين فقد كان ممكنا له ان ينتفض ولكن « ليس حسب كل مرة » لان القوة قد هجرته والرب قد فارقه والذي كان مرة ذلك النذير القوي اصبح الآن اسيرا اعمى . وبدلا من انتصاره على الفلسطينيين صار يطحن في بيت السجن . هذا هو جزاء من يسلم نفسه لأميال اهوائه الطبيعية وهكذا لم يسترد شمشون قوته مرة اخرى وان كان الرب برحمته سمح له ان ينتصر مرة اخرى على الغلف غير ان تلك النصرة كلفته ضياع حياته فينبغي اذاً على نذيري الله ان يحفظوا انفسهم طاهرين والا فانهم لاشك يفقدون قوتهم لان القوة والطهارة توأمان بل امران متلازمان لا ينفصلان فلا نجاح ولا

تقدم بدون القداسة الباطنية ولذا يلزم السهر المستمر ضد كل ما من شأنه ان يجذب قلوبنا او يخلب عقولنا ويحط بحالتنا الروحية الى الحضيض.ولنضع نصب أعيننا دائماً تلك الكلمات الثمينة الواردة في هذا الفصل «كل أيام انتذاره مقدس للرب» لان القداسة هي أهم شرط لازم لكل أيام انتذار النذير ومتى فقدت القداسة سقط الانتذار وقضي عليه قضاء مبرما .

ورب سائل يقول وما هو العلاج اذاً فيما لو نقض النذير هذا الشرط الثالث ولمس ميتا ؟ والجواب على ذلك مقدم في ذات الفصل حيث يقول . «واذا مات ميت عنده بغتة على فجأة فنجس رأس انتذاره يحلق رأسه يوم طهره . في اليوم السابع يحلقه وفي اليوم الثامن يأتي بيمامتين او بفرخي حمام الى الكاهن الى بيت خيمة الاجتماع . فيعمل الكاهن واحدا ذبيحة خطية والآخر محرقة ويكفر عنه ما اخطأ بسبب الميت ويقدس رأسه في ذلك اليوم . فمتى نذر للرب أيام انتذاره يأتي بخروف حولي ذبيحة أثم وأما الايام الاولى فتسقط لانه نجس انتذاره» (عدد ٩—١٢) .

وهنا نرى الكفارة بصورتيها العظيمتين كالاساس الوحيد لرد النذير للشركة الروحية فقد ارتكب النجاسة ولا يمكن إزالة هذه النجاسة الا بدم الذبيحة وربما نستهين بالامر فنظن ان لمس جسد ميت أمر تافه جداً وخصوصاً في مثل هذه الظروف الفجائية بل رب معترض يقول كيف يمتنع النذير عن لمس جسد الميت وقد سقط فجأة بجواره . والجواب على ذلك في غاية البساطة بل من الاهمية بمكان عظيم وهو ان نذيري الرب يجب أن يحافظوا على الطهارة الذاتية كل المحافظة وفوق ذلك فان القياس الذي به يقيسون طهارتهم

ليس مقياساً بشريا بل هو مقياس سماوي إلهي ومجرد لمس الميت كان كافيا لان يقطع حلقة الاتصال والشركة بين النذير وبين الله. واذا قصد النذير ان يسير في سبيله كأنه لم يحصل شيء من وراء تلك اللمسة فانما بذلك يكون مقاوما لأوامر الله على خط مستقيم جالباً على نفسه دينونة عظمى .

ولكن تبارك اسم الله فان النعمة قد جهزت لذلك علاجاً . فقد كان هنالك ذبيحة المحرقة وهي رمز لموت المسيح في نظر الله ثم ذبيحة الخطية وهي رمز لموت المسيح من أجلنا ثم ذبيحة الاثم وهي رمز لموت المسيح ليس فقط بالنسبة الى أصل الخطية ومنبعها في الطبيعة ولكن أيضاً بالنسبة للخطايا الفرعية التي نرتكبها . وبالاجمال فان موت المسيح بكل مزاياه وكمالاته كان أمراً لازماً جداً لازالة النجاسة التي سببتها أي لمسة بسيطة لجسد ميت. هـذا أمر جلي وواضح جداً فان الخطية مكروهة وشنيعة في عيني الرب الى درجة غير محدودة. ومجرد فكر واحد شرير أو نظرة شريرة او كلمة شريرة كافية جداً لان تجلب غيوما كثيفة مظلمة على النفس تلك الغيوم التي تحجب عن أبصارنا ضياء طلعة الله البهية وتلقينا في أعماق البؤس والتعاسة .

فلنحترس اذاً من ان نستهين بارتكاب الخطية ولنتذكر انه قبل ان تمحى أي لطخة من ذنب الخطية مهما كانت تلك اللطخة صغيرة جداً كان من اللازم ان يجوز ربنا يسوع المسيح المبارك في جميع أهوال الجلجثة ولا يوجد شيء يصور امام أذهاننا مقدار شناعة الخطية ودينونة الله العادلة لها نظير تلك الصرخات المرة التي كان يصرخها ربنا يسوع قائلا « الهي الهي لماذا تركتني » . نعم تلك الصرخات المرة بل تلك الآلام المبرحة التي لا يستطيع

مطلقاً أي شهيد او أي ملاك ان يتحمل شيئاً منها .

ومع اننا لانستطيع ان نسبر غور اسرار موت المسيح وآلامه فعلى الأقل يجب ان نتأمل ملياً في صليبه واوجاعه وبذلك يمكننا ان ندرك بكيفية اعمق واوسع مقدار شناعة الخطية في نظر الله .

واذا كانت الخطية شنيعة هكذا بهذا المقدار ومكروهة في عيني إله قدوس الى درجة الزمته ان يحجب ضياء طلعته عن ذلك القدوس الوحيد المبارك الذي كان رجل رفقته منذ الازل وان كان الله قد تركه هكذا لانه كان حاملاً الخطايا في جسمه على الخشبة فماذا تكون الخطية اذاً في نظرنا ؟ .

ايها القارىء العزيز . يا ليتنا نتأمل بكل انتباه في هذه الامور بل يا ليتها تجد مكاناً في اعماق قلوبنا — هاته القلوب التي بكل سهولة تنخدع بغرور الخطية .

وكم من مرة نستخف بما تكلفه ربنا يسوع المسيح في سبيل تضحيته كل شيء — ليس فقط انه ضحى حياته بل وما هو اعظم من الحياة — ضياء طلعة الله الذي احتجب عنه . يا ليت الله يمنحنا شعوراً عميقاً بكراهة الخطية بل ياليتنا نحترس احتراساً دقيقاً كي لا نسمح لعيوننا ان تلتفت ولو مجرد لفتة بسيطة غير صالحة ذلك لانه مفروض بلا جدال ان القلب ينجذب وراء نظرات العين وان القدم تنجذب وراء غواية القلب والنتيجة اننا نضل بعيداً عن الرب ونفقد شعورنا بحضرته ومحبته تعالى فنصبح في حالة تعسة بل وارداً من ذلك فاننا نصبح في حالة الهزال والجمود والقساوة « مقسين بغرور الخطية » .

يا ليت الله برحمته التي لا تستقصى يحفظنا من العثور والسقوط بل ياليته يمنحنا نعمة للسهر بكل غيرة وانتباه ضد كل ماينجس رأس انتذارنا مهما كان ذلك الامر واياً كان .

ان انقطاع الشركة بيننا وبين الله امر خطير جداً واذا شرعنا ان نستمر في خدمة الرب بضمير منجس كان ذلك وبالاً علينا وشراً عظيما .

نعم ان النعمة تسامحنا وترد نفوسنا من الضلال ولكننا لا نستطيع مطلقاً ان نستعيض ما خسرناه . هذا الحق واضح بكل جلاء في هذا الفصل المطروح امامنا الآن « فمتى نذر للرب ايام انتذاره يأتي بخروف حولي ذبيحة اثم وأما الايام الأولى فتسقط لانه نجس انتذاره » .

هذه النقطة من موضوعنا مملوءة بالتعاليم والانذارات النافعة لنفوسنا. فانه متى تنجس النذير بأي شيء حتى ولو كان ذلك لمسة جسد ميت فقد كان عليه ان يعيد الكرة ثانية ليسير سيراً جديداً من البداءة وبذلك لم تسقط فقط ايام تنجسه ولكن ايضا كل ايام انتذاره الماضية. كلها ذهبت بلا جدوي وهذا كله بسبب لمسة جسد ميت .

وماذا نتعلم من ذلك ؟ اننا نتعلم على الاقل اننا متى عرجنا ولو مقدار شعرة واحدة عن طريق شركتنا ذلك الطريق الضيق وابتعدنا عن الرب فمن الضروري ان نرجع ثانية لذات النقطة التي ضللنا منها أولا وان نستأنف السير ثانية من جديد . ولنا في الوحي امثلة عديدة على ذلك ومن الحكمة والصواب ان نتأمل فيها وان نقدّر الحق الصريح العملي الوارد بها حق التقدير خذ مثلا حادثة نزول ابراهيم الى مصر كما هي واردة في تكوين

اصحاح ١٢ . هذا بلا شك كان من ابراهيم عروجاً عن طريقه الكامل المستقيم وماذا كانت النتيجة ياترى ؟ انه خسر الايام التي صرفها في هذا الضلال أو بالحرى قد سقطت من تاريخه وكان لا بد له أن يرجع لذات النقطة التي ضل منها ثم يستأنف سيره ثانية من جديد ولذلك نقرأ في تكوين ١٢ : ٨ « ثم نقل من هناك الى الجبل شرقي بيت إيل ونصب خيمته وله بيت ايل من المغرب وعاي من المشرق وبنى هناك مذبحاً للرب ودعا باسم الرب » ثم نقرأ عنه بعد رجوعه من أرض مصر "وسار في رحلاته من الجنوب الى بيت ايل الى المكان الذي كانت خيمته فيه في البداءة بين بيت ايل وعاي الى مكان المذبح الذي عمله هناك أولا ودعا هناك ابرام باسم الرب" (تكوين ١٣ : ٣ و٤) فكأن الزمان الذي صرفه ابرام في أرض مصر ذهب أدراج الرياح فلم يكن هناك مذبح ولا عبادة ولا شركة وكان على ابرام أن يرجع ثانية الى ذات الموضع الذي ضل منه أولا وأن يبتدئ سيراً جديداً من هناك .

هذا هو الحال في كل حادثة كهذه بل هذا هو سبب الفشل وعدم النجاح الذي يقع فيه بعضنا أثناء سيرنا العملي في هذه الحياة فاننا نسقط ونتقهقر ثم نبتعد عن الرب ثم نتوغل في الظلام الروحي وبعد ذلك يقرع آذاننا صوت محبة الله ليرد نفوسنا بقوة ويرجعنا الى ذات النقطة التي ضللنا منها. ومع ان نفوسنا ترد ولكننا قد خسرنا وقتاً ثميناً وتكبدنا مشقات عديدة .

هذا الامر خطير جداً وهو مما يدعونا الى السير بكل دقة وتبصر

واحتراس حتى لا نلتزم ان نعيد الكرة ثانية فنكرر السير ونخسر ما لا نستطيع ان نستعيضه فيما بعد .

نعم ان أمر ضلالنا وغلطاتنا وسقوطنا قد يكشف لنا اختباراً ويرينا ما في قلوبنا من الفساد ويعلمنا عدم الثقة بالذات ويبرهن لنا على نعمة الله الغير المحدودة والغير المتغيرة . كل هذا حق ولكن توجد طريق اخرى أسمى من هذه بها ندرس أنفسنا وندرس عن الله بخلاف طريقة الضلال والسقوط والزلات .

ان الذات بكل ما فيها من أعماق الفساد والشر يجب ان تدان في نور قداسة حضرة الله وهناك ايضاً يجب ان تنمو نفوسنا في معرفة الله نفسه كما يعلن هو ذاته لنا بالروح القدس .

هذه بلا شك أسمى وأعظم طريقة نعرف بها ذواتنا وبها نتعمق في معرفة الله وهي ايضاً قوة انتذار التذير الحقيقية .

ان النفس التي تسكن دائماً بلا انقطاع داخل مقادس الله او بعبارة اخرى النفس التي تسير مع الله في شركة مستمرة هي النفس التي تعرف تماما ماهي الطبيعة الفاسدة بكل صورها ولو انها لا تتعلم ذلك عن طريق الاختبار المحزن المؤلم وليس ذلك فقط بل ان الشخص الذي يفعل ذلك يكون له أيضاً شعور اعمق وأقوى عن الله نفسه بالنسبة لذاته وبالنسبة لكل من يثق فيه ويتكل عليه .

ان درس الذات عن طريق الاختبار درس عقيم وعدم النجاح فقد نتكل على الذات أحياناً ولكن شركتنا مع الله هي الطريقة الوحيدة

لتعليمنا ماهي الذات ومتى تعلمناها في جو الشركة هكذا فاننا لا نكون فيما بعد متكلين على اختبارات طبيعتنا الشخصية الساقطة من حين لآخر بل بالحري ننشغل بما هو خارج عن الطبيعة وفوق الذات بالكلية ونهتم بمعرفة يسوع المسيح ربنا الفائقة المعرفة.

وإننا لدى ختام هذا الفصل سنذكر للقاريء اخيراً محتوى شريعة النذير يوم تكمل ايام انتذاره « يؤتى به الى باب خيمة الاجتماع فيقرب قربانه للرب خروفاً واحداً حولياً صحيحاً محرقة ونعجة واحدة حولية صحيحة ذبيحة خطية وكبشاً واحداً صحيحاً ذبيحة سلامة وسل فطير من دقيق أقراصاً ملتوتة بزيت ورقاق فطير مدهونة بزيت مع تقدمتها وسكائبها فيقدمها الكاهن أمام الرب ويعمل ذبيحة خطيته ومحرقته والكبش يعمله ذبيحة سلامة للرب مع سل الفطير ويعمل الكاهن تقدمته وسكيبه ويحلق النذير لدى باب خيمة الاجتماع رأس انتذاره ويأخذ شعر رأس انتذاره ويجعله على النار التي تحت ذبيحة السلامة ويأخذ الكاهن الساعد مسلوقاً من الكبش وقرص فطير واحداً من السل ورقاقة فطير واحدة ويجعلها في يدي النذير بعد حلقه شعر انتذاره ويرددها الكاهن ترديداً أمام الرب انه قدس للكاهن مع صدر الترديد وساق الرفيعة وبعد ذلك يشرب النذير خمراً. هذه شريعة النذير الذي ينذر قربانه للرب عن انتذاره فضلا عما تنال يده حسب نذره الذي نذر كذلك يعمل حسب شريعة انتذاره — عدد ٦ : ١٣ — ٢١ ».

هذه الشريعة العجيبة تشير الى أمر مستقبل سيتم متى ظهرت كل نتيجة

عمل المسيح الكامل وعند ما الرب نفسه كمسيا اسرائيل سيذوق بعد ان تتم أيام انتذاره لذة الفرح الحقيقي بشعبه في هذه الارض وسيكون الوقت قد جاء إذاً لذلك النذير الحقيقي ليشرب خمراً، ذلك النذير الذي اعتزل عن كل شيء لكي يتمم جميع فرائض هذا العمل العظيم المشروح هنا بكل إيضاح في شريعة النذير المتقدم ذكرها في جميع ظواهرها ومشتملاتها . فقد اعتزل عن الخطاة وانفصل عن هذا العالم وذلك بقوة انتذاره الحقيقي كما قال لتلاميذه في تلك الليلة الوداعية « اني من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا الى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي متى"٢٦ : ٢٩ .

ولكن سيأتي يوم سعيد فيه يبتهج يهوه مسيا بأورشليم ويفرح بشعبه اسرائيل وجميع النبوات من أشعياء الى ملاخي مفعمة بالمواعيد المفرحة والمنعشة للنفس وكلها تشير الى ذلك اليوم السعيد المبارك . واذا شرعنا أن نسرد الآيات التي تدل على ذلك لملأنا مجلداً ضخما ولكن القاريء العزيز اذا رجع الى الفصل الاخير من نبوة أشعياء لوجد عينة من تلك النبوات التي تشير اليها وسيجد نبوات اخرى كثيرة مثلها في جميع أسفار النبوات .

ومع اننا لا نرى موجباً لسرد جميع الشواهد ولكننا نحذر القاريء الكريم من خطر الانخداع بتلك العنوانات غير الموحاة بالروح والتي يضعها البعض كرؤوس لتلك الفصول الثمينة الخاصة بمستقبل إسرائيل والتى يسمونها « بركات الانجيل » « ونمو الكنيسة واتساع دائرتها» وقد ينخدع من هذه التعبيرات كثيرون من الاتقياء الذين بسهولة يسلمون جدلا بأنه

كما ان النص الالهي موحى به فكذلك تلك العنوانات أو ان لم تكن موحى بها فعلى الاقل تشمل شرحاً صحيحاً للنص الالهي. والحقيقة انه لا يوجد حرف واحد يتعلق بالكنيسة في جميع تلك النبوات من أولها الى آخرها. نعم ان الكنيسة قد تجني من ثنايا هذا القسم الكبير من الوحي الالهي تعليما ثميناً جداً ونوراً وارشاداً وتعزية وبنيانا. هذا حق ثمين ومبارك. ولكنها انما تجني هذه البركات ضمن دائرة اختصاصها فقط وبنسبة ما تستطيعه بالروح القدس من ادراك دائرة اختصاصها الحقيقي وتمييز الغرض من هذا القسم من كتاب الله.

وإذا فرضنا لحظة انه يكفينا ان نجني تعزية وفائدة فقط مما يخصنا من الامتيازات واذا كنا نظن اننا لا نستطيع ان نجني تعزية وفائدة إلا من فصول الكتاب المقدس التي تختص بنا فقط أو تشير الينا بنوع خاص نضيق على انفسنا دائرة التمتع بالحق الالهي كما يجب. ويؤدي بنا مثل هذا الفكر إلى روح العجب والافتخار. انظر مثلا. ألا نجني تعاليم ثمينة من سفر اللاويين؟ ومع كل ذلك من ذا الذي يستطيع أن يدعي بأن هذا السفر يختص بالكنيسة؟ كلا. أيها القاريء العزيز ويجب أن تعلم يقيناً ان درس « الناموس والانبياء » درساً هادئاً غير مغرض وبروح الصلاة لا شك يقنعك بأن الغرض العظيم من كل هذا وذاك انما هو اعلان سيادة الله على العالم بواسطة التصاقه الكلي بشعب إسرائيل

نعم انه توجد أقوال في « موسى والانبياء » تختص بالرب نفسه وهذا واضح مما جاء في لوقا ٢٤ : ٢٧ ولكن هذه الاقوال انما تختص بشخص

الرب فيما يتعلق بسيادته وسلطانه على هذا العالم وبالاخص على إسرائيل واذا لم ندرك هذا الحق ونميز هذه الاقوال فاننا قد نطالع أسفار العهد القديم بغير وعي وبدون أن نجني منها فائدة تذكر .

وقد يظهر لبعض القراء ان تقريرنا عدم وجود شيء في جميع النبوات أوبالحري في العهد القديم يختص بالكنيسة قد يكون تقريراً صارما شديداً ولكننا نذكر للقاريء مشتهداً أواثنين من أقوال الوحي الالهي بقلم الرسول بولس وفي هذا فصل الخطاب لكل من يروم الخضوع حقاً لسطوة وسلطان الكتاب المقدس . ففي رومية ١٦ ورد ما يأتي « وللقادر أن يثبتكم حسب انجيلي والكرازة بيسوع المسيح حسب اعلان السر الذي كان مكتوماً في الازمنة الازلية ولكن ظهر الآن وأعلم به جميع الامم بالكتب النبوية (يقصد العهد الجديد طبعاً) حسب أمر الاله الازلي لأطاعة الايمان » (عد ٢٥ و ٢٦) وهكذا نقرأ في افسس ٣ « بسبب هذا أنا بولس أسير المسيح يسوع لاجلكم أيها الأمم ان كنتم قد سمعتم بتدبير نعمة الله المعطاة لي لأجلكم انه باعلان عرفني بالسر كما سبقت فكتبت بالايجاز الذي بحسبه حينما تقرأونه تقدرون أن تفهموا درايتي بسر المسيح الذي في أجيال أخر لم يعرف به بنو البشر كما قد أعلن الآن لرسله القديسين وانبيائه بالروح(١) ان الامم شركاء في الميراث والجسد

---

(١) ان كلمة « الانبياء » الواردة في الشواهد المذكورة آنفاً هم انبياء العهد الجديد كما يتضح ذلك من سياق التعبير . ولو كان الرسول يقصد أنبياء العهد القديم لكان قد قال « أنبياءه ورسله القديسين » ولكن النقطة الوحيدة التي يوجه الرسول اليها سهم أقواله هي ان السر لم يعلن قبل زمانه هو وأنه لم يخبر به أحد من بني البشر في

ونوال موعده في المسيح بالانجيل .... وأنير الجميع في ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع بيسوع المسيح لكي يعرف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة» (عد ١ — ١٠).

ولكننا لضيق المقام لانخوض كثيراً في هذا الموضوع اللذيذ الخاص بالكنيسة وانما أتينا بهذه الاقوال الالهية الواضحة السابق ذكرها لكي يرتاح ذهن القاريء العزيز عالماً انموضوع الكنيسة كما يعلمنا إياه بولس الرسول ليس له ذكر في صفحات العهد القديم ولذلك فمتى طالع القاريء في النبوات وصادف كلمة «اسرائيل» و «أورشليم» و «صهيون» يجب أن لايطبق هذه العبارات على كنيسة الله ما دامت تتعلق بشعب إسرائيل بالذات نسل ابراهيم وأرض كنعان ومدينة أورشليم.(١)

ان الله يقصد بأقواله ما يريده منها ولذا وجب علينا أن لانقبل أي

أجيال أخر وأنه كان مكتوماً في الله وليس مكتوماً في أسفار الوحي ولكن في قصد الله الغير المحدود.

(١) ان النص الوارد في الآية يشير بلا شك الى نبوات العهد القديم وتوجد أقوال في رسائل بولس الى روميه والى غلاطيه فيها يبين ان جميع المؤمنين هم نسل ابراهيم (انظر روميه ٤ : ٩ — ١٧ وغلاطيه ٣ : ٧ و ٩ و ٢٩ و ٦ : ١٦) ولكن أقوال كهذه لاتدخل ضمن دائرة موضوعنا لانها تختلف عنه كل الاختلاف بدون جدال ولا يوجد في جميع أسفار العهد القديم أي شيء بصفة اعلان عن «الكنيسة» بالمعنى المقصود منها حرفياً.

تفسير يخرج كلمة الله الحية الصادقة عن الدائرة التي ترمي اليها وان لا نؤيد أي شرح عقيم يؤدي الى غير الغرض المقصود منها . وبيقين متى ذكر الروح القدس « أورشليم » فانه يقصد « أورشليم » لا سواها ولو انه قصد ذكر « الكنيسة » لقال الكنيسة بالذات والواجب علينا أن لا نقيس اعتبارنا لاقوال بشرية مهما كانت ثمينة بمقياس اعتبارنا لاقوال الوحي الالهي. ونحن عادة نقبل جدلا بأن الانسان البشري ليس فقط يعلم ويقصد ما يقول بل وأيضاً يقول ما يقصد واذا كانت صفة كهذه جديرة بالانسان الضعيف الزائل المتغير فكم بالحري يكون ذلك جديراً بالاله الحكيم الحي المنزه عن الكذب .

والآن يجب أن نختم أقوالنا في هذا الموضوع ونترك للقارىء أن يتأمل فردياً في شريعة النذر — تلك الشريعة المفعمة بالتعاليم المقدسة النافعة للقلب ونرجو ان يتعمق بكيفية خاصة في كيف ان الروح القدس اعطانا شرحاً وافياً عن شريعة الانتذار في سفر العدد — سفر البرية . وليس ذلك فقط بل عليه ان يتأمل في نفس الفريضة وعليه أن يفهم لماذا كان محرماً على النذير أن يشرب خمراً ولماذا لم يجز له ان يحلق خصل شعره ولماذا لم يجز له ان يمس جسد ميت .

ليتأمل القارىء العزيز في هذه الامور الثلاثة وليهتم باجتناء التعاليم الثمينة المشتملة عليها وليسألنّ نفسه « هل أنا مشتاق حقاً لان اكون نذيراً ؟ — لان أسير في ذلك الطريق الضيق طريق الانفصال والتكريس لله — وان كان الامر كذلك فهل أنا مستعد لان أتنازل وابتعد عن كل ما من شأنه

ان ينجس أو يمنع أو يعطل نذيرى الرب عن الانتذار لله ؟ وأخيراً عليه ان يتذكر بانه سيأتي وقت فيه « يجوز للنذير أن يشرب خمراً » أو بعبارة أخرى سيأتي وقت حين لا يكون هناك داع للسهر ضد كل أنواع الشر المختلفة التي فينا والتي حولنا — الكل سيصير طاهراً — في ذلك الوقت يفيض الشعور والعواطف بغير فحص ولا مراقبة ولا تدقيق. في ذلك الوقت نمشي في ثياب واسعة بغير ضرورة الى زمام أو منطقة. هناك لا يوجد شر حتى ننفصل عنه وبالنتيجة لا تكون هناك حاجة للانفصال وبالاجمال فستكون هناك « سماء جديدة وأرض جديدة يسكن فيها البر » ياليت الرب برحمته الواسعة يحفظنا الى ذلك الوقت السعيد ونحن بقلوب مكرسة تكريسا حقيقياً لذاته المباركة العلية .

ليلاحظ القارىء العزيز اننا الى هنا قد وصلنا لختام فصل مهم جداً من الكتاب فهوذا الخيمة قد نصبت وكل جندي قد وقف في موقفه الخاص به (اصحاح ١ و ٢) وكل عامل قد افرز لعمله الخاص به (اصحاح ٣ و ٤) وهوذا الجماعة قد تطهرت من النجاسة (اصحاح ٥) وقد تجهزت جميع الوسائل للوصول الى أسمى الصفات اللازمة للانتذار لله . (اصحاح ٦) كل هذا واضح جداً والنظام والترتيب ظاهران بأجمل مظهر وأمامنا ليس فقط خيمة مطهرة ولكن أيضاً أمامنا الصفات اللازمة لتكريس الذات لله وهي صفات يستحيل البلوغ الى اسمى منها وقد ظهرت بكل جمالها وكمالها في حياة شخص وحيد فريد وهو ربنا يسوع المسيح المبارك . واذ وصلنا الى ذروة هذا السمو لم يبق سوى ان يسكب يهوه بركته على رأس كل الجماعة ولذلك

نجد تلك البركة بركة مدونة في ختام الاصحاح السادس من سفر العدد وبليق بنا في الحقيقة ان نقول انها بركة ملوكية حقاً وصدقا فلنطالعها بتأمل وانتباه ·

«وكلم الرب موسى قائلا كلم هرون وبنيه قائلا هكذا تباركون بني اسرائيل قائلين لهم يباركك الرب ويحرسك يضيء الرب بوجهه عليك ويرحمك يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلاماً فيجعلون اسمى على بني إسرائيل وانا أباركهم»

وهذه البركة العظمى انما تفيض من قناة الكهنوت وبواسطته . فهرون وأولاده هم فقط المكلفون دون غيرهم بأعطاء هذه البركة العجيبة . وجماعة الله لهم البركة والحفظ من لدنه تعالى على الدوام . وفي ضياء طلعته البهية يتمتعون بنور وجهه الوضاح وسلامهم يفيض كنهر جار واسم يهوه يدعي عليهم وهو هناك دائماً ليباركهم .

يا لها من امتيازات ثمينة وعظيمة ويا ليت شعب إسرائيل كان قد تمتع بها وعاش في قوتها . ولكنهم لم يفعلوا ذلك لانهم سريعاً رجعوا من وراء الرب كما سنرى فيما يلي . فقد استبدلوا ضياء طلعة الله البهية بظلمة جبل سيناء القاتمة . تركوا النعمة ووضعوا انفسهم تحت الناموس وبدلا من أن يشبعوا ويكتفوا بنصيبهم في إله آبائهم اسرعوا وراء أمور أخرى (قارن مزموره ١٠ بمزمور ١٠٦) وعوضاً عن النظام والترتيب والطهارة والانفصال لله نشاهد هناك التشويش والنجاسة وتسليم أنفسهم لعبادة الاوثان .

ولكن تبارك اسم الله فهوذا قادم ذلك الوقت الذي فيه تتم تلك البركة

العظمى المدونة في الاصحاح السادس من سفر العدد وستتم بكل معاني الكلمة وذلك عندما يصطف اسباط إسرائيل الاثنى عشر حول ذلك الشخص الكامل والمقياس العالي الذي لا يعتريه تغيير ولا فناء — يهوه شمه (حزقيال ٤٨ : ٣٥) وحينذاك سيطهرون من كل نجاساتهم ويكرسون لله بقوة الانتذار الحقيقي .

هذه الحقائق ظاهرة جداً بكل جلاء ووضوح في ثنايا صفحات النبوات وكل هذه الشواهد الالهية تنبيء بلا شك ولا جدال بمستقبل مجيد مخزون ومجهز لشعب الله بالذات وكلها تشير الى ذلك الوقت الذي فيه تلك الغيوم الملبدة والتي لازالت للآن متكاثفة في افق تلك الامة ستنقشع امام اشعة شمس البر اللامعة وحينذاك سيتمتع إسرائيل بيوم صحو صاف يوم البركة والمجد بجوار الكروم وأشجار التين في تلك الارض التي اعطاها الله ملكاً أبدياً لابراهيم واسحق ويعقوب .

واذا أنكرنا هذا الحق السابق ايضاحه فاننا بذلك نكون بترنا جزءاً كبيراً من العهد القديم وكذلك جزءاً ليس بيسير من العهد الجديد لأن الروح القدس في كلا العهدين يشهد بكل جلاء وبغير التباس مؤيداً هذا الحق الجلي الثمين إلا وهو وعد الرب بالرحمة والخلاص والبركة لذرية يعقوب .

ونحن لا نتردد في اعلان اعتقادنا الراسخ بأن كل من لا يؤمن بهذا الحق فانه لا يستطيع أن يفهم سائر النبوات . فهوذا مستقبل زاهر معد لشعب الله المحبوب ولو انهم الآن مرفوضون . فلنحترس كيف نشرح

هذه الحقيقة كما هي لانه من الخطأ البين العظيم ان نشرح كلمة الله بأي شرح لا يوافق الحق الصريح المقصود منها. وان كان الله قد تعهد على نفسه أن يبارك هذه الأمة فلنحترس لئلا نسعى في تحويل مجرى هذه البركات الى قناة غير القناة المقصودة وكل من يحاول تبديل حق الله الواضح وقصده الصريح انما يعرض نفسه الى خطر عظيم. فقد أعلن الله في مقاصده أن يعطي أرض كنعان ملكا لذرية يعقوب واذا تطرق الشك للقلب وتردد في قبول هذا الحق فاننا لا ندري كيف نستطيع اذن ان نتمسك ونثبت في أي جزء من أجزاء كلمة الله. واذا سمحنا لانفسنا بالتلاعب في جزء مهم كهذا من الوحي الالهي — مع العلم ان السعي في قلب حقائق الله وعدم شرحها حسب القصد الالهي منها يعتبر أعظم تلاعب بلا شك — فكيف اذاً نأمن على تطبيق وشرح باقي أجزاء الوحي ما دام الامر كذلك وان كان الله لا يقصد ما يقول عند ما يتكلم عن اسرائيل وعن أرض كنعان فكيف نعلم اذاً انه يقصد ما يقول عندما يتكلم عن الكنيسة وعن نصيبها السماوي في المسيح؟ واذا سلب الاسرائيلي من نصيبه المستقبل فكيف يضمن المسيحي اذاً نصيبه ومجده المستقبل.

أيها القارىء العزيز لنتذكر أن كل مواعيد الله (وليس فقط بعضها) فيها النعم والامين في المسيح يسوع وان كنا نفرح لدى تطبيق أقوال كهذه على انفسنا فكذلك يجب أن لا ننكرها على الآخرين. اننا نعتقد تمام الاعتقاد بأن الشعب القديم سيتمتع في المستقبل بكل البركات المدونة في القفرات الاخيرة من الاصحاح السادس من سفر العدد ولغاية الوقت الذي فيه

سيتمتع بنو إسرائيل بهذه البركات فعلاً أما كنيسة الله فمدعوة للتمتع ببركات خاصة بها ومن امتيازاتها ان تميز حضور الله معها وفي وسطها على الدوام وان تسلك في نور طلعته وأن ترتوي من نهر السلام وان تتبارك وتحفظ من يوم الى آخر بيد ذاك الذي لا يغفل ولا ينام ولكن علينا أن لا ننسى هذا الامر المهم وان تتذكره دائما وأبداً وهو ان المعنى العملي والتمتع الاختباري بهذه البركات والامتيازات العظيمة انما مقياسه مقدار ما تبذله الكنيسة من الجهاد في السير بلياقه وترتيب مع المحافظة على الطهارة والانفصال والتكريس لله بصفتها نذير الرب الامر الذي اليه قد دعيت كبيت الله. جسد المسيح مسكن الروح القدس.

يا ليت هذه الحقائق تتعمق في قلوبنا وبقوة تأثيرها المقدس تغير مجرى حياتنا واخلاقنا.

الاصحاح السابع

هذا الاصحاح هو اكبر فصل في سفر العدد باجمعه. وهو يحتوي على بيان تفصيلي لاسماء رؤساء الاسباط الاثني عشر وقرابين كل واحد منهم. وذلك بعد ان فرغ موسى من اقامة المسكن.

« ويوم فرغ موسى من اقامة المسكن ومسحه وقدسه وجميع أمتعته والمذبح وجميع امتعته ومسحها وقدسها قرّب رؤساء اسرائيل رؤوس بيوت آبائهم هم رؤساء الأسباط الذين وقفوا على المعدودين أتوا بقرابينهم أمام الرب

ست عجلات مغطاة واثنى عشر ثوراً . لكل رئيسين عجلة ولكل واحد ثور وقدموها أمام المسكن . فكلم الرب موسى قائلا خذها منهم فتكون لعمل خدمة خيمة الاجتماع واعطها للاويين لكل واحد حسب خدمته فأخذ موسى العجلات والثيران وأعطاها للاويين . اثنتان من العجلات وأربعة من الثيران أعطاها لبني جرشون حسب خدمتهم وأربعة من العجلات وثمانية من الثيران اعطاها لبني مراري حسب خدمتهم بيد ايثامار بن هرون الكاهن وأما بنو قهات فلم يعطهم لأن خدمة القدس كانت عليهم على الاكتاف كانوا يحملون" (عدد ١ – ٩) .

لقد لاحظنا لدى تأملنا في الاصحاحين الثالث والرابع ان بني قهات قد امتازوا عن سواهم بحمل كل ما كان ثميناً وذا قيمة من أدوات القدس ولهذا السبب لم يأخذوا شيئاً من قرابين رؤساء إسرائيل وكانت خدمتهم الشريفة المقدسة محصورة في حمل أدوات القدس على اكتافهم وليس على عجلات أو ثيران وكلما تعمقنا في التأمل في أنواع الخدم التي كانت معهودة للقهاتيين وجميع امتعة الخدمة التي كانت في عهدتهم وتحت حراستهم كلما تجلى لنا ما فيها من الاشارة والرمز الى اعلانات الله في المسيح التي هي أعمق وأتم من الرمز بما لا يقاس . أما الجرشيون والمراريون فقد كانت خدمتهم بعكس خدمة القهاتيين متعلقة بالامور الخارجية وقد كان عملهم اكثر مشقة وأكبر خطورة ولهذا السبب كان رؤساء إسرائيل يقدمون لهم عن كرم وسخاء ماهو لازم لمساعدتهم ثم ان القهاتي لم يكن في احتياج الى عربة ولا الى ثور لمعاونته في تلك الخدمة العظيمة بل كان يحمل ذلك الحمل الثمين الغامض الاسرار

على كتفه -

« وقرب الرؤساء لتدشين المذبح يوم مسحه وقدم الرؤساء قرابينهم أمام المذبح فقال الرب لموسى رئيساً رئيساً في كل يوم يقربون قرابينهم لتدشين المذبح » .

ولربَّ قارئ غير روحي لدى وقوع بصره على هذا الاصحاح المطول دوناً عن بقية الاصحاحات يرى دافعاً يدفعه للسؤال عن سبب هذا التطويل في أقوال الوحي التي يمكن اختصارها في بضع سطور قليلة ويلوح له انه لو كتب شخص تاريخاً عن خدمات تلك الاثنى عشر يوماً لاستطاع ان يقدم لنا ملخصاً مختصراً في جملة واحدة ولأخبرنا بأن الاثنى عشر رئيساً قدم كل منهم هذه القرابين وتلك .

ولكن اقتضاباً واختصاراً كهذا لم يكن ليوافق فكر الله بالكلية لان أفكار الله ليست كأفكارنا وطرقه ليست كطرقنا وهو لا يسر الا بذكر كل شيء بالتفصيل التام — ذكر اسم كل شخص بالذات وذكر اسم العشيرة التي يمثلها وذكر نوع القرابين التي يقدمها لخدمة قدس الله ولهذا السبب جاء الاصحاح مشتملا على تسعة وثمانين عدداً وهو ذا كل اسم من أسماء الاسباط قد أضاء بمميزاته الخاصة وكل تقدمة وصفت وصفاً دقيقاً وقدرت تقديرها اللائق بها . ولم تذكر الاسماء ولا القرابين ذكراً مجملاً مشوهاً بغير ترتيب لان نقصاً كهذا لا يليق والله لا يعمل في أي عمل الا كل ما هو جدير به أن يعمل ولا يتكلم عن أي شيء الا بكل ما يليق به أن يتكلم وقد يجوز أن يمر الانسان على ذكر القرابين والعطايا مروراً سريعاً وبغير اهتمام ، أما الله فلا

يستطيع ذلك ولا يريد ذلك لانه إنما يسر بذكر كل جزء بسيط من أجزاء الخدمة ويدون كل قربان مقدم بسرور مهما كان بسيطاً في حد ذاته وهو لا ينسى مطلقاً أحقر الاشياء وأصغرها وليس انه لا ينساها فقط بل ويهتم اهتماماً عظيماً لكي يدع الملايين العديدة تقرأ تاريخ تلك الاشياء . وما كان يدور بخلد أحد الرؤساء الاثنى عشر ان اسمه وقرابينه ستتداولها الايام ويدونها التاريخ من دور الى دور وتقرأها الاجيال التي لاعدد لها . ومع كل فهوذا قد دونت لان الله هكذا أراد تدوينها . وكل ما يظهر لنا انه عمل شاق ومتعب أو ما نظنه تكراراً عديم الفائدة نرى الله يهتم به كثيراً حتى انه لا يغفل ذكر اسم فرد واحد من أسماء خدامه أو أي عمل بسيط من أعمالهم .

ولذا ففي الاصحاح المطروح أمامنا نرى أن لكل رئيس يومه الخاص به لتقديم قرابينه ونرى ذكراً خاصاً على صفحات الوحي الالهي الخالدة فيه وصف كامل لتلك القرابين قد دونه الله الروح القدس .

هذا حق الهي . وألا يحق لنا أن ندعو هذا الاصحاح السابع من سفر العدد عينة من صفحات سفر الابدية المنقوش عليها بأصبع الله أسماء خدامه وذكر خدماتهم؟ نعم انها بالتأكيد لكذلك واذا رجع القاريء الى الاصحاح الثالث والعشرين من صموئيل الثاني والاصحاح السادس عشر من رسالة رومية لوجد صحيفتين من الوحي مشابهتين لهذا الاصحاح . ففي الاول نرى أسماء وأعمال أصحاب داود وفي الثاني نرى أسماء وأعمال اصدقاء بولس في رومية وفي كلا الاصحاحين نري بلاشك صورة معاملة الله مع قديسيه وخدام

المسيح من أولهم لآخرهم في جميع الاجيال والعصور وذلك من جهة ذكر أسمائهم وأعمالهم — كل واحد له مكانه الخاص به في جدول أسماء القديسين وكل واحد له مركزه الممتاز في قلب السيد . ولا شك انه بعد قليل جداً سيعلن ذلك للجميع وسينال كل واحد مايستحقه من الجزاء . ويجب أن نلاحظ أن بين رجال داود والابطال كان « الثلاثة الاول » « والثلاثة » ثم « الثلاثين » وانه لم يستطع واحد من « الثلاثين » ان ينال مركزاً بين « الثلاثة » ولا واحد من « الثلاثة » استطاع أن يصل الى مركز « الثلاثة الاول » .

وليس ذلك فقط بل أن عمل كل بطل من هؤلاء الابطال قد ذكر ذكراً وافياً وكذلك نوع وجوهر الخدمة وكيفية أدائها ذكرت بكل دقة وتفصيل وقد ذكر اسم الشخص وماذا عمل وكيف عمل — كل شيء قد دون بكل عناية وتدقيق وذلك بقلم الروح القدس الذي لا يخطيء ولا يحابي بالوجوه .

الاصحاح الثامن

« وكلم الرب موسى قائلا كلم هرون وقال له . متى رفعت السرج فالى قدام المنارة تضيء السرج السبعة . ففعل هرون هكذا . الى قدام المنارة رفع سرجها كما أمر الرب موسى وهذه هي صنعة المنارة مسحولة من ذهب حتى ساقها وزهرها هي مسحولة حسب المنظر الذي أراه الرب موسى هكذا عمل المنارة » (عد ١ــ٤) .

أن القاريء العزيز لدى مطالعة هذه الاعداد السالفة يجد امرين يستدعيان التفاته أولهما المركز الذي يشغله رمز المنارة الذهبية وثانيهما الدرس الذي نستفيده من هذا الرمز .

ومما هو جدير بالاعتبار أن نرى ذكر المنارة فقط قد ورد في هذا المكان دوناً عن باقي جميع أمتعة خيمة الاجتماع فليس ثمت ذكر عن المذبح الذهبي ولا عن المائدة الذهبية بل أمامنا فقط ذكر المنارة وليست وهي مغطاة بثوب اسما نجوني وبغطاء من جلد تخس كما رأيناها في الاصحاح الرابع من هذا السفر حيث ورد ذكرها مع باقي أدوات الخيمة في ثوب الارتحال ولكننا نراها هنا مضاءة وليست مغطاة وقد جاء ذكرها ما بين ذكر تقدمات رؤساء إسرائيل وذكر تكريس اللاويين وهي تسطع بنورها البسري حسب أمر الرب . وبما أن النور لا يمكن الاستغناء عنه أثناء السير في البرية فقد كان من اللازم أن تجرد المنارة الذهبية عن غطائها لتضيء للشهادة لله الامر الذي يجب أن لا يبرح عن أذهاننا انه هو الغرض العظيم من كل شيء سواء كان ذلك من جهة تقدماتنا كما فعل رؤساء إسرائيل أو من جهة تكريس ذواتنا كما سنرى في أمر اللاويين وبالاجمال فان قيمة كل خدمة وقيمة كل خادم لا تظهر تماماً إلا في ضياء نور قدس الله .

وهنا يتجلى أمامنا جمال وكمال منظر هذا الجزء البديع من سفر العدد وهو في نظامه الأدبي وترتيبه العجيب الكامل كما لا الهياً حقاً وصدقاً . وبما اننا قرأنا في الاصحاح السابع تفصيلا مطولا عن سخاء رؤساء إسرائيل فلربما نظن حسب مظنتنا البشرية ان الذي يجب أن يلي ذلك حسب

الترتيب الطبيعي هو ذكر تكريس اللاويين للخدمة حتى بذلك تكون حلقة الاتصال مابين «أشخاصنا وتقدماتنا» غير منفصلة ولكن ترتيباً كهذا لا يوافق روح الله لانه يقصد أبعد من ذلك وهو أن يدع نور القدس يضيء بلمعانه البديع في الوسط حتى بذلك نتعلم فيه الغرض الحقيقي من كل خدمة نخدمها وكل انتداب ننتدبه وكل سخاء تجود به قلوبنا ونحن عابرون في البرية .

ألا يرى القارىء في هذا الترتيب البديع موافقة أدبية ومناسبة حلوة ؟ وهل يعسر على أى قارىء روحي أن يرى هذا الترتيب ظاهراً في أجمل المظاهر ؟ ولماذا ياترى لم يأت أمامنا هنا ذكر المذبح الذهبي المعبق بدخان البخور ؟ أو لماذا لم يأت ذكر المائدة المقدسة وعليها الاثنى عشر رغيفاً ؟ انما ذلك لانه لا هذه ولا تلك لها أقل علاقة أدبية بالاقوال السابقة في الاصحاح السابع ولا بما يلي في الاصحاح الثامن ولكن المنارة الذهبية ليس الا ، قدجاء ذكرها محكماً ولازماً هنا لان لها اتصال كامل بالاقوال السابقة واللاحقة بحيث انها ترينا ان كل سخاء وكل عمل يجب ان يعلن ويرى في نور القدس لكي تعلم قيمته الحقيقية .

هذا درس عظيم من دروس البرية الثمينة ونحن نتعلمه هنا في هذا السفر بما فيه من بركة وفائدة لنفوسنا فائضة من خلال هذا الرمز الجليل ويتذكر القاريء الكريم اننا لدى تدرجنا في مطالعة سفر العدد قد قرأنا بياناً مفصلا عن سخاء رؤساء جماعة إسرائيل الذي جادوا به عن طيب خاطر واتساع قلب وذلك حين تدشينهم المذبح وها نحن الآن نطالع ذكر تكريس

اللاويين للخدمة ولكن بين هذا وذاك يقف قلم الوحي الالهي لحظة ليدع نور القدس يضيء بجمال لمعانه على كليهما .

هذا ترتيب إلهي بلا شك ونحن بكل جسارة نقول انه يعتبر من ضمن آلاف البراهين والأدلة القاطعة المدونة على صفحات الاسفار الالهية التي تبرهن على ألوهية وكمال الكتب المقدسة جميعها وكل سفر وكل فصل وكل عدد فيها . ونحن بكل سرور بل وبكل فرح عظيم سنبين هذه البراهين الثمينة للقاريء الكريم أثناء مرافقته لنا في التأمل في هذه الاسفار ونحن واثقون اننا انما بذلك نقدم اليه خدمة جليلة تذكر وفي الوقت نفسه نقدم بكل خضوع تقدمة الشكر لذلك السفر الجليل الذي خطه لنا أبونا الصالح بقلم النعمة الغزيرة الفائضة من قلبه . نعم اننا نعلم بالتأكيد ان الامر لا يفتقر لشهادتنا الضعيفة ولا لشهادة قلم بشري أو لسان انسان ضعيف ليصادق على ألوهية هذه الاسفار ولكننا مع ذلك نقدم شهادتنا عن سرور في نفوسنا لنصد بها تلك الهجمات العديدة العنيفة التي يهاجمنا بها أولئك الملحدون الاردياء وخصوم الحق الالداء الذين ينتقدون على ألوهية هذه الاسفار الجليلة . واننا كلما تعمقنا في درس هذه الاسفار بروح الاختبار وكلما سبرنا غور كمالها الالهي كلما تجلى أمام عيوننا منبع وصفة هذه الاعتراضات ومن ثم تتجلى لنا أيضاً جميع البراهين المؤيدة لصدق الاسفار الالهية — سواء كان من جهة تأثيرها القوي على نفوسنا بامجادها الادبية الجوهرية أو من جهة سلطانها على الحكم على أصل ومنبع الاخلاق والصفات وما لها من التركيب البديع والترتيب العجيب في جميع أجزائها كل هذه بينات واضحات وشهود

حق على ألوهيتها . وان كتاباً يكشف لي نفسي ويخبرني عن كل ما يجول بقلبي وبخاطري ويعلن لي أعماق طبيعتي وينابيعها وأصلها ويفحصها فحصاً أدبياً بل ان ذلك الكتاب الذي يدينني ويقاضيني ويحاكمني وفي الوقت نفسه يعلن لي عن شخص كامل يسد جميع نقائصي ، ان كتاباً كهذا لاشك يشهد عن نفسه بصدق محتوياته وكفى بهذه البراهين شهادة فهو لا يلتمس من أي انسان شهادة ولا يحتاج الى خطاب توصية من أي شخص ليحامي عن ألوهيته لانه لا يتزلق استعطافا ولا يخشى غضباً أو يهاب تهديداً وكم من مرة حدث معنا اننا لو شهدنا عن الكتاب المقدس مثل ما شهدت امرأة سوخار عن ربنا يسوع لوصلنا الى نتيجة حسنة كما وصلت هي وقد كانت شهادتها محصورة في جملة واحدة وهى « تعالوا انظروا انساناً قال لي كل ما فعلت ألعل هذا هو المسيح ؟ » أفلا يليق بنا نحن كذلك بأقوال شهادة قوية كهذه نقول للآخرين « تعالوا انظروا كتابا قال لي كل ماصنعت أليست هذه حقاً أقوال الله ؟ » نعم بكل تأكيد يليق بنا ذلك وليس ذلك فقط بل علينا ان نشهد بأكثر من ذلك وهو ان كتاب الله لا يخبرنا فقط عن كل مافعلنا بل وعن كل ما افتكرنا وكل ماقلنا وكل مايتعلق بنا وكل شخصياتنا (انظر رومية ٣ : ١٠ ــ ١٨ ومتى ١٥ : ١٩) .

ولكننا نسأل هل اذا قدمت لنا براهين خارجة عن الكتاب تشهد بالوهيته نحتقر هذه البراهين ؟ حاشا وكلا . اننا نسر بهذه البراهين ونقدر كل برهان ونحترم كل حجة تدعم القلب في الثقة المتينة بصدق وحي والوهية الاسفار السماوية ونؤكد للقاريء العزيز ان لدينا عدداً وافراً من هذه البراهين

الساطعة والادلة القاطعة فان نفس تاريخ الكتاب المقدس بجميع ما تحتويه من الحوادث العجيبة يقدم لنا مجرى واسع الاطراف من الشهادات البينة التي هي كالسيل الجارف الذي يقشع من أمامه كل اعتراض وكل افتراء فان تاريخ تكوينه وتاريخ حفظه الى هذا اليوم وتاريخ ترجمته من لغة الى اخرى وتاريخ تعميمه في جميع أركان العالم الواسعة وبالاجيال فان كل تاريخه «التاريخ العجيب والصادق الحق» كل ذلك لدليل واضح جلي على انه كتاب إلهي وانه كتب بيد الهية عظمى . خذ مثلا شاهداً واحداً مهماً وهو انه قد حفظ اكثر من الف سنة بين أيدي اولئك الذين كانوا يتمنون لو انهم محوا اثره من عالم الوجود لو استطاعوا الى ذلك سبيلا ولكنهم لم يستطيعوا . أفليس في ذلك حكمة بالغة أليس هذا برهاناً صريحاً ودليلاً ساطعاً على الوهية الكتاب؟ نعم بلا شك ولا مراء وتوجد أدلة عديدة أخرى في تاريخ هذه الاسفار الثمينة الغالية تؤيد ذلك أيضاً .

ومع اننا نستطيع أن نملأ صحائف عديدة نذكر فيها قيمة الشواهد الخارجية عن الكتاب التي تؤيد الوهيته ولكننا بيقين شديد وثقة تامة وتقرير قاطع نعود الى القول بأن الشواهد والبراهين التي نلتقطها من الكتاب نفسه هي أعظم سياج منيع ضد تيار كل اعتراض يقدمه الشك وعدم الايمان .

والى هنا نكتفي بما ذكرناه في هذا الموضوع الذي قادنا اليه سياق الكلام أثناء تأملاتنا في المركز البديع والمقام الرفيع الذي أعطي للمنارة الذهبية على صفحات سفر العدد هذا . وقد كنا شاعرين بالتزام ومسئولية

أن تتكلم هكذا كثيراً للشهادة عن كتابنا المقدس الثمين وحيث قد قمنا بهذه المسئولية وقلنا ما لدينا في هذا الخصوص فاننا نعود الى التأمل في اصحاحنا ، مجتهدين في جني الفوائد والتعاليم المتضمنة في الاعداد الاولى منه .

« وكلم الرب موسى قائلاً كلم هرون وقل له متى رفعت السرج فالى قدام المنارة تضيء السرج السبعة » وهذه السرج السبعة تشير الى نور الروح للشهادة وقد كانت هذه السرج متصلة بساق المنارة المسحول الذي يرمز الى المسيح الذي في شخصه وفي عمله أساس عمل الروح في الكنيسة وكل شيء أساسه شخص المسيح .

كل شعاع من النور يضيء من الكنيسة أو من أفراد المؤمنين أو من إسرائيل في المستقبل . الكل يضيء وينبعث من شخص المسيح .

وليس هذا فقط هو كل ما نتعلمه من هذا الرمز بل ان « السرج السبعة تضيء الى قدام المنارة » واذا أردنا ان نعبر عن ذلك بلغة العهد الجديد فعلينا ان نورد أقوال ربنا يسوع المذكورة في متى ٥ : ١٦ حيث يقول « فليضيء نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السموات » ومن هنا نتعلم انه حيثما يضيء نور الروح بالحق فهناك تظهر الشهادة للمسيح صريحة وهذا النور لا يضيء لنفسه ولا يشهد لذاته بل ليشهد ليسوع وهذه هي الطريقة التي بها يتمجد الله « السرج السبعة تضيء الى قدام المنارة »

هذا حق عملي خطير يجب أن يسير فيه جميع المسيحين وأجمل وأعظم

شهادة يقدمها الروح العامل بالحق هي تلك الشهادة التي يقصد بها تعظيم وتمجيد شخص المسيح ليس الا واذا تحول الفكر لتعظيم الخدمة أو الخادم أظلم النور واضطر خادم القدس لاستعمال الملاقط . وقد كانت انارة السرج من اختصاص هارون وهو الذي أيضاً كان منوطاً بترتيبها وبعبارة أخرى. نقول ان النور المطلوب ان يضيء منا كمسيحيين ليس فقط مصدره وأساسه شخص المسيح بل وأيضاً هو الذي يحفظه ويعتني به من وقت لآخر ساهراً عليه طول الليل فاننا بدونه لا نستطيع أن نفعل شيئا ويجب أن نلاحظ ان السرج كانت مرفوعة على ساق المنارة الذهبي وكان على الكهنة تقديم الزيت للسرج واستعمال الملاقط لتنظيفها . الكل في المسيح ومن المسيح وبالمسيح

وأكثر من ذلك ان الكل للمسيح فحيثما أضاء نور روح الله — نور القدس ونور الحق — في برية هذا العالم فان غرض ذلك النور كان دائما تعظيم وتمجيد اسم يسوع. وكل ماعمله الروح القدس وكل ماقاله وكل ما كتبه انما الغرض الوحيد في ذلك كله كان لمجد ذلك الابن المبارك ويمكننا أن نقول بكل تأكيد ويقين ان كل عمل وكل قول ليس له هذا الغرض وهذا القصد فهو ليس من روح الله بالكلية مهما كان ذلك القول ومهما كان ذلك العمل . فقد يعمل البعض أعمالا كثيرة وربما يصلون الى نتيجة باهرة محسوسة ظاهرة ويقومون بخدمات عديدة تجذب استحسان البشر وتحوز رضاء الناس ومع كل ذلك فليس هناك ولا شعاع واحد منبعث من المنارة الذهبية ولماذا ذلك يا ترى ؟ ذلك لان الانظار توجهت الى نفس العمل والابصار

تحولت الى الاشخاص القائمين بهذا العمل وبدلا من أن يتمجد يسوع قد تمجد الانسان وأعمال الانسان وأقوال الانسان . والسبب في ذلك ان النور لم يضيء بواسطة الزيت المقدم بيد رئيس الكهنة العظيم يسوع والنتيجة نور كاذب غير حقيقي لانه نور لا يضيء الى قدام المنارة وانما الى قدام اسم أو عمل انسان بشري ضعيف .

كل هذه الحقائق ثمينة وخطيرة وهي تستدعي عظيم الالتفات والانتباه ومتى ظهر الانسان واشتهر عمله فهناك أعظم خطر وأكبر تجربة عليه ويجب ان يتأكد ذلك الانسان ان مسرة ابليس ونوال غرضه يتمان في تلك اللحظة التي يتحول فيها غرض الانسان عن شخص الرب يسوع المسيح وينصرف الى أي شيء عداه أو أي شخص سواه فقد يبتديء الانسان عملا بكل ما يمكن من البساطة ولكنه لعدم سهره الروحي وانتباهه وصحوه يحدث أن تتوجه أنظار الناس الى شخصه أو الى أعماله وبذلك يقع في فخ ابليس وشراكه . ولا يخفى ان أهم غرض في قلب ابليس لا يكف عن المشغولية به هو ان يهين شخص يسوع ربنا واذا أمكنه ان يصل الى هذا الغرض باستخدام الوسائط التي تظهر في شكل خدمات مسيحية فقد فاز بأعظم غلبة وبلغ أقصى ما يتمنى . وهو لا يمانع ولا يقاطع أي عمل من هذا القبيل بشرط ان يجرد ذلك العمل من اسم يسوع . ولو استطاع ان يمزج نفسه بالعمل ويصطبغ بصبغته لفعل ولم يتأخر لانه يمكنه ان يغير شكله الى شكل خدام المسيح ويتقدم كواحد منهم كما فعل مرة وجاء وسط بني الله حينما جاءوا ليمثلوا أمام الرب ولكن غرضه دائما غرض وحيد وهو اهانة الرب

ليس الا . فقد استخدم الجارية الوارد ذكرها في سفر الاعمال ١٦ لتشهد لخدام المسيح صارخة قائلة « هؤلاء الناس هم عبيد الله العلي الذين ينادون لكم بطريق الخلاص » وقد كان غرضه من ذلك أن يصطاد أولئك الخدام ويعطل عليهم خدمتهم . ولكنه قد انهزم ورجع خائباً لان النور الذي أضاء في بولس وسيلا كان هو نور القدس الحقيقي وقد أضاء لاجل يسوع ليس الا ولم يكن لهما أقل غرض لاشهار أنفسهما أو أظهار أسميهما وبما أن شهادة الجارية كانت قاصرة على شخصيهما وليست لسيدهما فقد رفضا تلك الشهادة وفضّلا أن يتألما لاجل خاطر سيدهما من أن يتمجدا على حسابه .

هذا مثال جميل يجب ان يقتدي به جميع خدام الرب في كل زمان ومكان واذا رجعنا لحظة للاصحاح الثالث من سفر الاعمال لوجدنا هناك مثالا آخراً في غاية الاعجاب وفي ذلك المثال قد أضاء نور القدس بواسطة شفاء الرجل الاعرج ولما تحولت الانظار الى خادمي الرب مع انهما لم يقصدا ذلك أسرع بطرس ويوحنا في الحال لتحويل هذه الانظار وبروح الغيرة المقدسة أخفيا شخصيهما وراء سيدهما المجيد وأعطياه هو كل المجد والتعظيم « وبينما كان الرجل الاعرج الذي شفي متمسكا ببطرس ويوحنا تراكض اليهم جميع الشعب الى الرواق الذي يقال له رواق سليمان وهم مندهشون فلما رأى بطرس ذلك أجاب الشعب أيها الرجال الاسرائيليون ما بالكم تتعجبون من هذا ولماذا تشخصون الينا كأننا بقوتنا أو تقوانا قد جعلنا هذا يمشي أن إله ابراهيم واسحق ويعقوب إله ابائنا مجد فتاه

يسوع »

هنا ولا شك نرى « السرج السبعة مضيئة الى قدام المنارة » أو بعبارة أخرى نرى عمل نور الروح الكامل ظاهراً في أتم مظاهره للشهادة لاسم يسوع «لماذا تشخصون الينا » أجاب هذان الخادمان الامينان لنور الروح. فلا حاجة اذاً لاستعمال الملاقط لان النور مضيء وغير مظلم وبلا شك إن فرصة كهذه كانت سانحة جداً لهذين الرسولين ليغتنماها لتمجيد ذواتهما لو أراداه بل انما كانت فرصة يستطيعان فيها أن يكللا اسميهما بهالة من امجاد البشر وقد كان في طاقتهما أن يرفعا انفسهما الى ذروة الشهرة والصيت وأن يجذبا الى شخصيهما احترام واعتبار واكرام آلاف من الجموع الملتفة حولهما الذين ملأت عقولهم وقلوبهم الدهشة ان لم نقل انهم كانوا على أهبة السجود لهما. ولكنهما لو قبلا ذلك لاختلسا حقوق سيدهما ولأهانا مركز الشهادة ودنساها ولأحزنا روح الله القدوس وجلبا على نفسيهما دينونة الله العادلة وقضاءه لأنه يغير على مجد إبنه ولا يعطيه لآخر.

ولكنهما لم نفعلا ذلك بل أن السرج السبعة كانت مضيئة بلمعان باهر في وسط أورشليم في تلك اللحظة الخطيرة والمنارة الحقيقية كانت قائمة في رواق سليمان في ذلك الوقت وليس في الهيكل. وعلى الاقل فان السرج السبعة كانت هناك وكانت تؤدي عملها المعين لها ببركة جزيلة. وهذان الخادمان المعتبران لم يبحثا عن مجد انفسهما ولكنهما قد بذلا جهدهما ليحولا دهشة وعجب ذلك الجمع الغفير الملتف حولهما الى ذلك الشخص الوحيد المستحق كل اكرام وتعظيم الذي ولو انه قد انطلق الى السموات ولكنه كان عاملا

بروحه فوق الارض

وتوجد أمثلة عديدة أخرى نستطيع اقتباسها من صفحات سفر اعمال الرسل ولكن الحادثة السابق ذكرها كافية لان تطبع على قلوبنا ذلك الدرس العملي الثمين الذي نستفيده من المنارة الذهبية بسرجها السبعة. اننا نشعر بافتقار عظيم واحتياج كلي لتعلم هذا الدرس المبارك في هذه الازمنة العصيبة. والخطر الذي يتهددنا دائماً هو أن يتحول الغرض الى الخدمة أو الى الخادم اكثر مما يتحول الى السيد نفسه فلنحترس لئلا نقع في هذا الشر العظيم. فانه شر محزن. والسقوط فيه يحزن فينا الروح المبارك الذي لا ينقطع عن تمجيد اسم يسوع لحظة واحدة بل انه يغيظ الآب الذي صوته لا يزال يرن في آذاننا ويخترق أعماق قلوبنا بتلك الكلمات النازلة من السماء المفتوحة فوق جبل التجلي قائلا « هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت له اسمعوا » بل ان السقوط في هذا الشر هو ماتبغضه ولا تطيقه السموات نفسها حيث كل عين تشخص ليسوع وكل قلب ينشغل بيسوع وحيث صوت جميع الشعوب والالسنة في كل الابدية سيكون « مستحق »

فلنردد هذه الاقوال في قلوبنا دائماً ولنتفكر فيها بلا انقطاع حتى بذلك يسهل علينا ان نتخلى عن كل مايشتم منه رائحة تعظيم الانسان وتمجيد الذات سواء كان بافعالنا أو أقوالنا أو أفكارنا. ويا ليتنا جميعاً نجتهد لاقتفاء الطريق السلطاني المظلل الخالي من الاحجار والعقبات حيث روح الرب يسوع الوديع المتواضع القلب يقودنا دائماً لنسير معه خادمين. وبالاجمال نقول ياليتنا نتعلم في المسيح فنحصل منه كل يوم وكل لحظة على ذلك الزيت

النقي لنضعه في سرجنا ليضيء نورنا بلمعان عظيم ومشمولية. قلوبنا مدحه ومجد اسمه ذلك الذى فيه وحده لنا كل شيء وبدونه لانستطيع أن نعمل أي شيء.

أما باقي الاصحاح الثامن من سفر العدد فيحتوي على ذكر الفريضة المتعلقة بتكريس اللاويين وتطهيرهم للخدمة وهذا قد سبق التنويه عنه أثناء تأملاتنا في الاصحاح الثالث والرابع من هذا السفر فليرجع القاريء اليهما

الاصحاح التاسع

« وكلم الرب موسى في برية سيناء في السنة الثانية لخروجهم من أرض مصر فى الشهر الاول قائلا وليعمل بنو اسرائيل الفصح في وقته في اليوم الرابع عشر من هذا الشهر بين العشاءين تعملونه في وقته حسب كل فرائضه وكل أحكامه تعملونه فكلم موسى بني اسرائيل أن يعملوا الفصح فعملوا الفصح في الشهر الاول في اليوم الرابع عشر من الشهر بين العشاءين في برية سيناء حسب كل ما أمر الرب موسى هكذا فعل بنو إسرائيل »
(عدد ١ ــ ٥)

ان عيد الفداء العظيم هذا قد صار الاحتفاء به في ثلاثة أماكن مختلفة أولا في مصر (خروج ١٢) ثم في البرية (عدد ٩) ثم في أرض كنعان (يشوع ٥) وغير خاف ان الفداء هو أساس كل شيء متعلق بتاريخ شعب

الله . فسواء كانوا محتاجين للتحرر من عبودية مصر ومذلتها وموتها وظلمتها فانما ينالون ذلك بواسطة الفداء — أو كانوا محتاجين لمن يحملهم ويرفعهم فوق صعوبات واخطار البرية فانما الفداء أساس ذلك أو كانوا قاصدين العبور فوق خرب اسوار اريحا المنهدمة وأن يدوسوا باقدامهم فوق أعناق ملوك كنعان فاعا كل ذلك بفضل الفداء ليس الا .

لذلك نرى ان دم خروف الفصح قابل إسرائيل الله وسط المذلة العظيمة التي كانوا يقاسونها في أرض مصر وانقذهم منها ثم قابلهم في القفر المظلم وحملهم طول الطريق ثم قابلهم لدى دخولهم أرض كنعان وثبت اقدامهم فيها .

وبالاجمال نقول اذاً ان دم الخروف قابل شعب اسرائيل في مصر ثم رافقهم أثناء عبورهم البرية ثم غرسهم في كنعان فهو الاساس المبارك لكل الاعمال والمقاصد الالهية فيهم ومعهم ولأجلهم وسواء كان الامر متعلقا بدينونة الله وقضائه على مصر فهوذا دم الخروف قد حماهم من تلك الدينونة — أو كان متعلقاً باعواز البرية العديدة واحتياجاتها التي لاتحصى ولا تعد فهوذا دم الخروف الكفيل الحقيقي والضامن الوحيد لفوزهم المجيد ونصرتهم الكاملة عليها . واللحظة التي نرى فيها يهوه متداخلا ليعمل في جانب شعبه (لاجل الدم وعلى أساس الدم) فالنجاح مضمون بالتأكيد من الأول الى الآخر وهوذا كل رحلة إسرائيل تلك الرحلة العجيبة الغامضة الاسرار من قمين الطوب في مصر الى تلال فلسطين المظللة بالكروم وسهولها الفائضة عسلا إنما اظهرت فضائل دم الخروف المتعددة وبرهنت على مزاياه الجليلة .

ومع كل فان الاصحاح المطروح الآن أمامنا للتأمل يشرح لنا فريضة

ممارسة الفصح في البرية ليس الا وهذا واضح للقاريء العزيز من مناسبة حدوث الظرف الآتي الوارد في العدد السادس « لكن كان قوم قد تنجسوا لانسان ميت فلم يحل لهم أن يعملوا الفصح في ذلك اليوم فتقدموا أمام موسى وهرون في ذلك اليوم » .

وهنا جدّت مشكلة واقعية ـ أمر غير عادي ـ أمر غير منتظر ـ ولذلك عرضت القصية على موسى وهارون « تقدموا أمام موسى » وهو الاناء المستخدم لاعلان مطالب الله « وأمام هرون » وهو الاناء المستخدم لاعلان نعمة الله ويظهر انه يوجد فرق واضح وجلي في نفس التعبيرات التي يستخدمها الوحي أثناء التكلم عن هذين الاناءين لان الصفتين المرموز اليهما والممتاز بهما هذان الخادمان لازمتان معاً وضروريتان لحل معضلة كهذه .

وقال له اولئك الناس انا متنجسون لانسان ميت لماذا نترك حتى لا نقرب قربان الرب في وقته بين بني اسرائيل » وفي هذه الاقوال نرى اعترافاً ظاهراً بخصوص التنجس والسؤال المقدم هو هذا « هل يمنع هؤلاء الناس من ذلك الامتياز المقدس وهو ان يأتوا أمام الرب حسب أمره ؟ » ألا يوجد حل لهذا المشكل أو علاج لهذا الامر ؟

ويا له من سؤال في غاية اللذة وفي منتهى الابداع ولو انه سؤال لم يسبق له جواب على صفحات الوحي في غير هذا المكان . لان حادثة كهذه لم يرد مثلها لدى ذكر أول كلام عن فريضة الفصح في سفر الخروج ١٢ ولو اننا هناك نجد وصفاً كاملا لجميع الاحكام والفرائض المتعلقة بها . فهذا السؤال

الجديد كان محفوظاً لحين مرور اسرائيل في البرية وتقديمه في هذا الحين كان مناسباً جداً لانه من لوازم البرية ومن متعلقات سير شعب الله العلي أثناء عبورهم فعلا في قفر هذا العالم وفي هذه الاثناء وقعت هذه الحادثة وجدّت هذه المشكلة التي استدعت هذا السؤال لحل عقدتها . ومن هنا يتجلى للقارىء الكريم مناسبة ورود هذه الحادثة برمتها في سفر العدد الذي هو سفر البرية وليس في أي سفر آخر .

« فقال لهم موسى قفوا لأسمع ما يأمر به الرب من جهتكم » ويالها من رقة متناهية وعواطف سامية . فموسى لم يكن لديه جواب ليقدمه على هذا السؤال ولكنه علم من عنده الجواب وانتظر منه الاجابة. وهذه كانت أجمل وأحكم طريقة يتبعها في ظرف كهذا . فهو لم يدّع في نفسه انه قادر على تقديم الجواب ولم يستح من أن يقول « اني لا أعلم »ومع كل حكمته وعلمه لم يتردد في أظهار جهله بالجواب على هذا السؤال . هذه هي المعرفة الحقيقية والحكمة السماوية . ولربما يعتبر البعض أن ظهور رجل مثل موسى وفي مركز موسى بمظهر شخص يجهل الاجابة على أي سؤال أمام جماعة اسرائيل أو البعض منهم يعد أمراً يحط من كرامته في عيونهم . ذلك الرجل الذي أخرج اسرائيل من مصر والذي سار بهم وسط البحر الاحمر والذي تكلم مع يهوه وجهاً لوجه وتسلم ارساليته من الاله العظيم أهيه هل يمكن أن رجلا كهذا يعسر عليه حل مشكلة بسيطة كهذه تقدمت اليه ؟ وهل حقيقي أن رجلا مثل موسى كان يجهل الطريقة التي تتبع مع أناس قد تنجسوا لانسان ميت ؟

حقاً قليلون هم الاشخاص الذين ولو انهم لا يشغلون مركزاً سامياً مثل مركز موسى تراهم يتنحون عن تقديم أي جواب كان على سؤال كهذا .

ولكن موسى كان أحلم رجل على وجه كل الارض وقد عرف الطريقة المثلى التي يجب ان يتبعها حينما لا يكون لديه شيء يقوله بدلاً من ان يسرع في الكلام . ياليتنا جميعاً نتشبه بهذا الرجل الحكيم ونقتدي بقدوته الصالحة فان ذلك ينجينا من مظاهر محزنة كثيرة ويحفظنا من أغلاط عديدة ويحمينا من ادعاءات كاذبة متنوعة وأكثر من ذلك فهو يجعلنا أقرب الى الحقيقة وأكثر بساطة وأبعد بمسافات من التأثيرات والاميال والاغراض ومراراً عديدة نظن من غباوتنا انه عار علينا ان يظهر جهلنا أو عدم علمنا بشيء أمام الآخرين ونتصور خطأ وجهلاً ان صيتنا كأناس حكماء ذوي علم وفطنة قد يعتريه اي خدش أو اهانة اذا نحن صرحنا بتلك الاقوال الجميلة التي تشف عن العظمة الحقيقية الادبية وهي قولنا « لا اعلم » — ان ذلك خطأ بيّن وجهل واضح والحقيقة اننا دائماً نحترم اقوال كل شخص لا يدعي بمعرفة مالا يعرف ونقدر كلماته أتما تقدير كما اننا نعطي آذانا صماء لكل شخص يتسرع في الاقوال ظاهراً بمظهر الثقة الذاتية وحب الانانية ياليتنا نسلك دائماً في روح هذه الكلمات الحلوة اللذيذة « قفوا لاسمع ما يأمر به الرب » .

« فكلم الرب موسى قائلاً . كلم بني اسرائيل قائلاً كل إنسان منكم او من اجيالكم كان نجساً لميت او من سفر بعيد فليعمل الفصح للرب في الشهر الثاني في اليوم الرابع عشر بين العشاءين يعملونه على فطير ومرار يأكلونه »

يوجد حقان مهمان تتعلمهما من فريضة الفصح هذه: أولا الفداء وثانياً وحدة شعب الله وهذان الحقان ثابتان لا يتزعزعان ولا يمكن أن يعتورهما أي تغيير او تبديل ولا ان يؤثر عليهما أي شيء في الوجود. فقد يعثر أولاد الله وتظهر فيهم عدم الامانة بصور مختلفة ولكن ذلك كله لا يؤثر مطلقاً على هذين الحقين المجيدين — الفداء الابدي ووحدة شعب الله — بل يبقيان في ملء قوتهما وسمو قيمتهما ولاجل ذلك كانت ممارسة تلك الفريضة المهمة المتضمنة هذين الحقين الثمينين أمراً لازماً وواجباً محتماً فلا الظروف كان لها أي تأثير عليها. ولا الموت أو بعد السفر كان عائقاً في سبيل ممارستها — «كل انسان منكم أو من أجيالكم كان نجساً لميت او في سفر بعيد فليعمل الفصح للرب» فالاحتفال بهذا العيد كان واجباً مقدساً على كل فرد من أفراد الجماعة حتى اولئك الذين لم تتكمل فيهم جميع الشروط القانونية لممارسة الفريضة كأمر الرب فان الوحي لم يعفهم من ممارستها بل دون لهم فقرة خاصة على صفحات سفر العدد هذا في الاصحاح المطروح لدى تأملنا انما كان على مثل اولئك ان يعملوا الفصح في اليوم الرابع عشر من الشهر الثاني وليس الاول وفي ذلك كان علاج النعمة لكل مسائل التنجس لميت أو الوجود في سفر بعيد.

واذا رجع القاريء العزيز الى سفر اخبار الايام الثاني اصحاح ٣٠ لرأى ان حزقيا والجماعة في أيامه قد تمتعوا بذلك العلاج المجاني — علاج النعمة الالهية حيث يقول « فاجتمع الى اورشليم شعب كثير لعمل عيد الفطير في الشهر الثاني جماعة كثيرة جداً . . . وذبحوا الفصح في الرابع عشر من الشهر الثاني

عدد ١٣ و١٥ »

ان نعمة الله تستطيع ان تتنازل الينا في أعظم ضعفاتنا اذا نحن(*) شعرنا بهذه الضعفات واعترفنا بها ولكن لنحترس لئلا يقودنا التهاون بهذا الحق الثمين المفرح اللذيذ الى درجة التساهل مع الخطية أو النجاسة فان النعمة ولو انها أجازت عمل الفصح في الشهر الثاني بدلا من الشهر الاول فانها مع هذا التسامح لم تسمح بأي تهاون في حفظ جميع الاحكام والفرائض المتعلقة بالفصح ومن تلك الاحكام والفرائض وجوب اكل الفصح على فطير ومرار وهما امران لازمان جداً كما انه كان من الواجب ان لا يبقى شيء منه الى الصباح وعظم منه لا يكسر . ومن هنا يتضح ان الله لا يمكن ابداً ان يسمح بمقياس منخفض للحق او للقداسة فقد يجوز ان يتعطل المؤمن في السير في الطريق بالنسبة لضعفاته او نقائصه أو تأثير الظروف القهرية عليه ولكنه في الوقت نفسه يجب ان لا يستبيح الوجود في الخطية او الانحطاط عن مقياس القداسة المطلوب .

---

* ان القاريء العزيز يجد فائدة ولذة لدى مقارنته تصرف حزقيا الوارد في سفر أخبار الايام الثاني اصحاح ٣٠ بتصرف يربعام الوارد في سفر الملوك الاول اصحاح ١٢ وعدد ٣٢ . فان حزقيا قد التجأ الى النعمة الالهية وتمتع بها بينما يربعام اتبع مشورة نفسه الخاصة فبدلا من ان يعمل الفصح في الشهر الثاني حسب ترتيب الرب وأمره عمله في الشهر الثامن حسب اختراع قلب الانسان وخداعه ويوجد فرق هائل وبون شاسع بين تنازل النعمة الالهية لسد حاجة الانسان وبين الاختراعات البشرية التي هي ضد أفكار الله ونعمته تعالى .

ان النعمة ولو تساهلت في أمر علاج الضعفات والنقائص فالقداسة من الوجه الآخر تحرّم قطعياً الانحطاط عن مقياسها المطلوب ولو ان واحداً من تلك الجماعة استباح التعدي على حقوق القداسة طمعاً في النعمة فان جزاء ذلك الشخص لم يكن الا القطع من بينهم .

فهل يوجد في هذا الدرس تعليم ثمين لنفوسنا ؟ نعم بلا شك . ويجب ان لا يبرح من أذهاننا مطلقاً اثناء تأملاتنا في هذا السفر العجيب — سفر العدد — بأن الامور التي حدثت لاسرائيل انما قد حدثت مثال لنا وان واجبنا وامتيازنا ازاء ذلك ان نأخذ لنا منها تعليما ونجتهد في اجتناء الدروس الثمينة المقدسة المرتبة لنا من الرب .

ولكن ماذا نتعلم من أمر عمل الفصح في الشهر الثاني ؟ ولماذا كان اسرائيل هكذا مقيداً تقييداً خاصاً بأن لا يخل بأي حكم من الاحكام او اية فريضة من الفرائض في هذا الظرف الخاص ؟ ولماذا نجد في الاصحاح التاسع هذا من سفر العدد ان الاحكام الخاصة بالشهر الثاني اكثر تدقيقاً وأوسع نطاقاً من الاحكام المتعلقة بالشهر الاول ؟ ان السبب الحقيقي لذلك هو ليس لان للفريضة مركزاً مهما في حالة دون الاخرى - لان مركزها وقيمتها في نظر الله كان واحداً دائما - ولا لانه كان هنالك ظل اي اختلاف في الاحكام المتعلقة بالفريضة في كلتا الحالتين - لان الاحكام كانت متفقة في الواحدة كما في الاخرى - ولكن الامر الذي يستدعي اعجاب القاريء الكريم لدى تأمله في هذا الاصحاح المطروح امامنا ان الوحي عندما يأتي على ذكر عمل الفصح في الشهر الاول لا يعطينا تفصيلا مسهباً بل يكتب لنا هذه

الاقوال فقط « حسب كل فرائضه وكل أحكامه تعملونه » ولكنه حينما يأتي على ذكر الشهر الثاني فانه يعطينا بياناً كافياً وشرحاً وافياً عما هي تلك الاحكام وما هي تلك الفرائض « على فطير ومرار يأكلونه لا يبقوا منه الى الصباح ولا يكسروا عظماً منه . حسب كل فرائض الفصح يعملونه » (قارن عد ٣ مع عددي ١١ و١٢)

وهنا نتساءل ماذا يعلمنا هذا الحق البسيط ؟ اننا نثق تماما انه يعلمنا بكل جلاء ووضوح انه يجب أن لا يخفض مقياس القداسة في الامور المتعلقة بالله لداعي النقائص والضعفات التي نسقط فيها أحياناً بل بالحري يجب علينا لاجل نفس هذا السبب أن نجاهد كل الجهاد لنحفظ مقياس القداسة في أسمى مقام وفي مركزها الالهي الرفيع . نعم انه ينبغي علينا بلا شك أن نتأثر تأثراً عميقاً من جراء زلاتنا ونقائصنا وكلما كان التأثير أعمق كلما كانت حالتنا الروحية أسمى ولكننا يجب أن لا نتساهل مطلقاً في حق الله فلنا دائما حق القدوم عن ثقة وجراءة الى مناهل النعمة الالهية لنستقي من ينابيعها كل حين ولكننا بغير تردد ولا شكوك يجب أن نحفظ مقياس حق الله كاملاً.

فلنحفظ هذا الامر دائماً في ذاكرة أفكارنا وبين جوانح قلوبنا . اننا في خطر من الوجه الواحد من أن ننسى حقيقة سقوطنا ذلك السقوط العظيم وعدم الامانة والخطية ومن الوجه الآخر اننا في خطر من أن ننسى بإزاء هذا السقوط أمانة الله الغير المحدودة رغماً عن كل ما فينا من النقص والتغير .

ان الكنيسة الاسمية قد سقطت وأصبحت في حالة الخراب الكامل

وليس ذلك فقط بل اننا نحن أيضاً أنفسنا كأفراد قد سقطنا وقد ساعدنا على ذلك الخراب فيجب أن نشعر بكل ذلك . نعم نشعر به شعوراً عميقاً من صميم قلوبنا وأن يكون هذا الشعور دائم الفعل والتأثير في نفوسنا . ويجب أن نتقدم أمام الهنا ونحن حاملون في أنفسنا شعوراً عميقاً واعترافاً حقيقياً صادراً عن أرواح منكسرة وقلوب منسحقة شاعرة بجهالة تصرفاتنا المحزنة المخجلة التي تصرفنا بها في بيت الله واذا تناسينا تقصيراتنا لحظة فانما بذلك نزيد على ضلالنا ضلالا وعلى سقوطنا سقوطا فان مجرد ذكرى تصرفاتنا الماضية تلك التصرفات الغاشمة لما يكسر قلوبنا ويدمي أفئدتنا ويحني نفوسنا ولكن هذه الآلام الداخلية والتدريبات المؤلمة لما تعدنا أكثر لان نعيش عيشة الوداعة والتواضع أثناء سيرنا في وسط مشهد هذه الحياة

« ولكن أساس الله الراسخ قد ثبت اذ له هذا الختم . يعلم الرب الذين هم له وليتجنب الاثم كل من يسمى اسم المسيح » (٢ تيموثاوس ٢ : ١٩) هذا هو قانون حياة المؤمن ومركزه وسط تشويش وخراب المسيحية الاسمية فالله لا يعتريه تقصير ولا تغيير وعلينا فقط أن نتجنب الاثم وان نلتصق بالرب علينا أن نعمل ما هو حق وصالح وان نواظب على ذلك بكل غيرة واجتهاد تاركين النتائج له وحده .

اننا نرجو القارىء العزيز بكل رجاء ان يوجه التفاته الكلي الى هذه الاقوال السالفة ونريد منه أن يقف بضع دقائق ليتأمل بروح الصلاة في هذا الموضوع الجليل من أوله الى آخره ونحن واثقون تماماً اننا اذا أمعنا التأمل الدقيق في هذا الموضوع واعتبرناه من كلا وجهيه السابق ذكرهما فان ذلك

مما يساعدنا مساعدة كبرى على تسديد خطواتنا وحفظ أقدامنا من العثور والسقوط ونحن مارون وسط التشويش والخراب المحيط بنا. إن تذكر الحالة التي وصلت اليها الكنيسة من الانحطاط والخراب وتذكر سلوكنا نحن شخصياً بعدم امانة وتدقيق لما يضع رؤوسنا في التراب ويقودنا الى التذلل والاتضاع ولكننا اذا تأملنا في الوقت نفسه الى صدق مواعيد الله وعدم تغير امانته لما يفصلنا عن الشر المحيط بنا ويحفظنا ثابتين غير متزعزعين في سبيل التكريس والانفصال لله . فاذا لاحظنا هذين الامرين معاً حفظنا أنفسنا من صورة الادعاء الكاذب من الوجه الواحد ومن الاستباحة والتسامح مع الشر من الوجه الآخر فعلينا أن نضع أمام نفوسنا دائماً تذكار هذه الحقيقة المذلة لكبرياء قلوبنا وهي اننا سقطنا وضللنا ولكن في الوقت نفسه نتمسك بذلك الحق الثمين وهو ان الله أمين وصادق

هذه دروس سامية عظيمة الشأن . دروس البرية . دروس لتعليمنا وتدريبنا في هذه الايام . دروس لنا نحن . وهي واضحة وجلية من ثنايا هذه السطور الالهية المتعلقة بعمل الفصح في الشهر الثاني وهي دروس خاصة بسفر العدد لاسواه سفر البرية العظيم . ففي البرية يظهر نقص الانسان وتنكشف عوراته وضعفاته كما وفي البرية أيضاً تتجلى مظاهر النعمة الالهية الغير المحدودة ولكننا نعود ونكرر هذه الحقيقة مرة أخرى وعساها تنقش على صفحات قلوبنا بحروف بارزة وتنطبع على أفئدتنا بتأثير عميق وهي ان هبات النعمة الالهية ومراحم الرب الغنية لا تسمح لنا مطلقاً بالتساهل في العيشة والتسامح مع الشر وخفض مقياس الحق الالهي عن قامته المطلوبة . واذا حدث أن أي

فرد من تلك الجماعة امتنع عن عمل الفصح بحجة تنجسه لميت أو لداعي وجوده في سفر بعيد أو اذا عمله بكيفية غير الكيفية التي رسمها الرب فان جزاء ذلك الشخص بكل تأكيد لم يكن الا قطعه من بين الجماعة وهكذا الحال معنا فاننا اذ تسامحنا في أي حق من حقوق الله بسبب تقصيراتنا وضعفاتنا أو اذا تركنا مقياس الله الكامل وأساسه الراسخ لسبب شكوك قلوبنا وعدم ايماننا أو اذا اعتذرنا بظروفنا المحيطة بنا لنرفع سلطان حق الله عن ضمائرنا أو تأثيره العملي في اخلاقنا وصفاتنا فان الامر واضح جداً ان شركتنا مع الرب تنقطع ومجرى عشرتنا الروحية يتعطل (*) .

ومع اننا كنا نود بكل سرور أن نتوسع اكثر في هذا الموضوع العملي الخطير ولكننا ينبغي ان نكتفي بما ذكرنا ونختم هذا الجزء من موضوعنا بايراد باقي تاريخ البرية المتعلق بالفصح .

« لكن من كان طاهراً وليس في سفر وترك عمل الفصح تقطع تلك النفس من شعبها لانها لم تقرب قربان الرب في وقته . ذلك الانسان يحمل خطيته واذا نزل عندكم غريب فليعمل فصحا للرب حسب فريضة الفصح وحكمه كذلك يعمل فريضة واحدة تكون لكم للغريب ولوطني الارض» (عدد ١٣ و١٤) .

فالاهمال العمدي لفريضة الفصح عند اليهودي انما يثبت عدم تقديره للفوائد والبركات التي تحصل عليها بالفداء والنجاة من أرض مصر وكلما تعمق

* ليلاحظ القارىء ان قطع أي شخص من بين جماعة اسرائيل في العهد القديم يرمز الى قطع شركة المؤمن في العهد الجديد لسبب أي خطية لايحكم عليها ويدينها

الانسان في معرفة تلك الحقيقة الالهية المتعلقة بما تم في تلك الليلة التي تستحق الذكر التي فيها احتمى شعب اسرائيل ووجدوا ملجأ للراحة والطمأنينة تحت حمى الدم كلما اشتاق اكثر الى عودة « اليوم الرابع عشر من الشهر الاول » وذلك ليكون له فرصة للاحتفال بذكرى ذلك الحادث المجيد. واذا حدث ان عائقاً من العوائق منعه عن التمتع بممارسة الفريضة في الشهر الأول فقد كان ممكناً له أن ينتهز فرصة أدائها في الشهر الثاني وقلبه مفعم بالسرور والامتنان للرب على هذا التسامح ولكن الشخص الذي لا يبالي بحفظ فريضة الفصح من سنة الى أخرى فانه انما بذلك يبرهن على ان قلبه بعيد عن إله إسرائيل. واذا ادعى أي انسان بانه أحب اله آبائه وانه متمتع ببركات الفداء ولكنه في الوقت نفسه متهامل في حفظ تلك الفريضة المجيدة التي رتبها الرب لتذكار ذلك الفداء فان ادعاء باطلا كهذا هو كذب محض وافتراء.

وألا يجوز لنا أن نطبق هذه الحقائق على أنفسنا الى درجة ما فيما يتعلق بأمر مائدة الرب؟ نعم بلا شك. وفي هذا التطبيق فائدة عظمى لنفوسنا. أما وجه الصلة بين الفصح والعشاء الرباني فهو أن الأول كان رمزاً الى موت المسيح والثاني كان لتذكار موت المسيح ولذا نقرأ في كورنثوس الاولى الاصحاح الخامس « المسيح فصحنا ذبح لاجلنا » وهذه العبارة تبين العلاقة بين الاثنين فالفصح كان تذكاراً لنجاة إسرائيل من عبودية مصر والعشاء الرباني تذكار لفداء الكنيسة من عبودية الخطية والشيطان التي هي أقسى نيراً وأثقل حملا مما لا يطاق من عبودية مصر وكما انه كان محتماً على كل إسرائيلي حقيقي أمين أن يحفظ الفصح في الوقت المعين حسب كل فرائضه

وأحكامه هكذا هو محتم وواجب على كل مسيحي حقيقي أمين أن يمارس العشاء الرباني في وقته المعين طبقاً للتعاليم المدونة بشأنه في العهد الجديد . ولنلاحظ هذا الامر المهم ان الاسرائيلي اذا اهمل عمل الفصح ولو مرة واحدة فان جزاءه كان القطع من بين الجماعة ولم يكن اهمال كهذا أمراً مغتفراً بين رجال العهد القديم بل ان كل من ارتكبه كان عقابه سريعاً وجزاؤه القضاء العاجل وعدم رضاء الرب عليه .

والا يجوز لنا أن نتساءل أزاء هذا الحق الواضح الجلي ؟ ألا نرى كثيرين من المسيحيين الآن يهملون أمر مائدة الرب ويهجرون ممارسة هذه الذكرى المباركة من أسبوع لأسبوع ومن شهر الى آخر ؟ هل يخطر ببالنا ان الله الذي في الاصحاح التاسع من سفر العدد قد صرح بان كل من أهمل في عمل الفصح يجب ان يقطع من شعبه لايعاقب من يهمل في أمر مائدة الرب ؟ حاشا وكلا اننا لانصدق ذلك مطلقاً وهل لانه لايوجد في العهد الجديد ماينص على ان من يهمل في أمر مائدة الرب يجب ان يقطع من كنيسة الله التي هي جسد المسيح - هل عدم وجود نص كهذا يعطينا فرصة للاهمال وعدم المبالاة ؟ حاشا لنا من فكر كهذا بل بالعكس انه مما يلهب قلوبنا غيرة ويضرمها نشاطاً اكثر لنتسابق الى الاحتفال بهذا العيد العظيم المجيد الذي فيه « نخبر بموت الرب الى ان يجيء »

هذا ولم يكن شيء في نظر الاسرائيلي التقي أعظم قيمة وأدعى للاهتمام والانشغاف اكثر من الفصح لانه كان تذكاراً لفدائه وهكذا العشاء الرباني يجب أن يكون له هذا المركز في نظر كل مسيحي تقي لانه تذكار لفدائه

وأيضاً تذكار لموت الرب . ولا يوجد في جميع الوسائط التي يستخدمها المؤمن ماهو أثمن وأبدع بل ماهو من شأنه ان يشخص الآم المسيح ويعلنها بصورة جلية الى قلب المؤمن أكثر من مائدة الرب فقد يجوز ان يرنم المؤمن ترانيم تتعلق بموت الرب وقد يجوز ان يصلي في موضوع موت الرب وان يقرأ عنه في الكلمة وان يسمع عظات كثيرة بخصوصه ولكنه انما حول المائدة فقط وبممارسته عشاء الرب يستطيع ان « يخبر به » وأخذ خبزاً وشكر وكسر وأعطاهم قائلا هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم اصنعوا هذا لذكري وكذلك الكأس أيضاً بعد العشاء قائلا هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم (لوقا ٢٢ : ١٩ و ٢٠) .

هنا نرى الاساس الذي وضعه الرب لرسم العشاء الرباني واذا رجعنا الى سفر أعمال الرسل نجد هذه الاقوال « وفي أول الاسبوع اذ كان التلاميذ مجتمعين ليكسروا خبزاً » (اعمال ٢٠ : ٧) وهنا نرى كيفية الاحتفال بممارسة هذه الفريضة البديعة واخيراً فاننا إذا رجعنا الى الرسائل نجد هنالك هذه الاقوال « كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح . الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح؟ فاننا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لاننا جميعنا نشترك في الخبز الواحد » (١ كورنثوس ١٠ : ١٦ و ١٧) وكذلك أيضاً نجد هذه الاقوال « لانني تسلمت من الرب ماسلمتكم أيضاً ان الرب يسوع في الليلة التي أسلم فيها اخذ خبزاً وشكر فكسر وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لاجلكم اصنعوا هذا لذكري . كذلك الكأس ايضاً بعد ماتعشوا قائلا هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي

اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري فانكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكاس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء » ١ كورنثوس (١١ : ٢٣ — ٢٦)

وهنا نرى شرحا وافياً وبياناً كافيا لهذه التذكرة الجليلة . والا يجدر بنا أن نقرر هذه الحقيقة الآتية وهي ان هذه الثلاث حالات التي ذكرناها عن الفصح وهي أساس رسمه ثم الاحتفال به ثم شرح كيفية ممارسته هذه كلها كحبل مثلث لا يمكن فصمه بسهولة وهو يربط نفوسنا بهذا العيد المجيد.

وأزاء هذه الاحكام المقدسة هل يليق أن يوجد بين شعب الله من يهمل هذه المائدة الربانية ؟ أو اذا نظرنا الى المائدة من وجهة اخرى نقول كيف يرتاح اي مسيحي من اعضاء جسد المسيح على ان يستمر اسابيع وشهورا والبعض كل ايام حياتهم بدون ان يتذكروا مخلصهم حسب امره الالهي وترتيبه الخاص المدون في الكلمة ؟ إننا نعلم علم اليقين انه يوجد مسيحيون بالاسم ينظرون الى المائدة في نور النظام والترتيب اليهودي والرجوع الى طقوس العهد القديم وبذلك يحطون من مركز الكنيسة السامي الجليل ويعتقدون ان العشاء الرباني والمعمودية هما من الاسرار الروحية الباطنية وبهذا الاعتقاد يعتبروننا في اعينهم بعيدين عن الحياة الروحية الحقيقية لاننا نحتم بوجوب ممارسة هذه الفرائض حسب امر الرب حرفيا .

وعلى هذه الاعتراضات جميعها لنا رد واحد بسيط وهو أن الله أحكم منا وإن كان الرب يسوع قد رسم العشاء بنفسه وإن كان الله الروح القدس قد أرشد الكنيسة الاولى لوجوب الاحتفال به كما وأيضا شرح لنا كيفية ممارسته فمن نحن إذاً حتى نقاوم الله بافكارنا وتصوراتنا . لاشك عندنا

أن عشاء الرب يجب أن يكون سراً روحياً باطنياً لكل من يشترك فيه وهذا لايناقض اعتقادنا ولكنه أيضاً شيء ظاهر حرفي ملموس فهناك خبز حرفي وخمر كما وان الاكل حرفي والشرب حرفي واذا أنكر البعض هذه الحقيقة فكذلك يستطيعون أن ينكروا أمر وجود ذاتية الاشخاص الذين يمارسون هذا العشاء ولا يجوز لنا أن نفسر أقوال الكتاب الصادقة بمثل هذا التفسير العقيم بل أن واجبنا المقدس يعلمنا الخضوع للوحي الالهي خضوعا كاملا والطاعة المخلصة لسلطانه السماوي .

وليس الغرض من العشاء الرباني هو وجوب الخضوع لسلطان الوحي الالهي فقط لان ذلك سبق لنا الكلام عنه مراراً وتكراراً وقد أوضحناه وبرهناه بشواهد عديدة من الكلمة الالهية وهو كاف جداً لاقناع ذهن كل مسيحي تقي ولكن هناك اكثر من ذلك ففي المائدة نرى درساً ثميناً جداً لنفوسنا وهو أن فيها تبادل عواطف المحبة بين قلب المؤمن وقلب المسيح . وهل يستهان بهذا الامتياز العظيم ؟ ألا ينبغي أن نهتم ولو الى درجة بسيطة لنكافيء محبة قلب محب مثل قلب يسوع ؟ وان كان ربنا يسوع المجيد المبارك قد رتب بنفسه تلك الفريضة واعطانا الخبز والخمر في العشاء كتذكار الى جسده المبذول ودمه المسفوك وان كان هو بشخصه قد أمرنا أن نأكل من ذلك الخبز وان نشرب من تلك الكاس للتذكار أفلا ينبغي والحالة هذه أن نقابل هذه العواطف الجميلة بمثلها وان نتمم مسرة ذلك القلب العطوف . حقاً انه لا يوجد مسيحي غيور يتردد في قبول هذا الحق المبارك ويجب أن يكون سرور قلوبنا وبهجة نفوسنا في الاجتماع حول مائدة الهنا المحب وان

تتذكره حسب أمره ووصيته التي أعطاها لنا لنخبر بموته الى أن يجيء. والامر الذي قد يدعونا الى الدهشة والعجب ان نرى الرب يهتم بهذه الدرجة ليجعل ذكراه في قلوب أناس مثلنا ولكن هكذا التنازل والاتضاع العجيب ويالها من صورة محزنة اذا نحن أهملنا ممارسة تلك الذكرى البديعة وذلك العشاء الرباني الذي أطلق عليه الرب اسمه العزيز الغالي .

وليعلم القارىء الكريم ان المقام الآن لا يدعنا أن نتوسع اكثر في شرح دقيق واف عن عشاء الرب بكل تفصيلاته لاننا رأينا أن نكتب عن هذا الموضوع في مكان آخر (*) وغاية قصدنا من هذه الاقوال السالفة أن نبين للقارىء المسيحي الاهمية الكبرى والفائدة العظمى لهذه الذكرى المهمة من وجهتيها البديعتين أولاً لان في ممارستها خضوعاً لسلطان الكتاب المقدس وثانياً لان فيها اظهار عواطف قلوبنا لشخص المسيح نفسه . ونزيد على ذلك ان غايتنا من هذه الاقوال ايضاً أن نؤثر على كل من يطالع هذه السطور ونعلن اليه خطورة الاهمال في ممارسة عشاء الرب حسبما هو مدون في الكتاب واننا نؤكد لكل من يهمل هذه الفريضة المهمة ويقصد تركها بغير مبالاة ان في ذلك أعظم خطر واكبر قصاص ولا شك ان حالة كهذه تدل على خرابه الروحي وبعد قلبه عن الرب وتبرهن على أن الضمير ليس خاضعاً لسلطان كلمة الله وان القلب ليس شاعراً ولا مقدراً عواطف المسيح ومحبته حق قدرها . فلننظر اذاً كيف نقوم بمسؤوليتنا المقدسة بكل أمانة من نحو مائدة الرب ووجوب ممارستها وعدم الاهمال في حفظ الذكرى

(*) انظر نبذة تأملات في عشاء الرب بمكتبة كنيسة الاخوة بشبرا مصر

والاحتفال بها طبقاً لامر الله الروح القدس .

والى هنا يكفينا ماذكرناه بخصوص الفصح في البرية والدروس المهمة التي نجنيها من هذا الرمز الجليل .

والآن لنتأمل قليلا في الفقرات الاخيرة من اصحاحنا وهي لا تقل في الاهمية عن أي جزء آخر من الكتاب . ومنها نرى عدداً وافراً من رجال ونساء وأطفال وهم عابرون برية قحلاء حيث لاطريق سلطاني بل كلها أرض قفرة وصحراء مرملة وهم سائرون بغير مرشد ولا دليل .

فياله من منظر غريب بل ياله من مشهد يسترعى الافكار ويستميل الانظار فهوذا ملايين الشعوب تموج هائمة في ذلك القفر الواسع وهم لا يعرفون الطريق الذي هم فيه سائرون ولكن اعتمادهم الكلي للارتشاد والقيادة هو على الله رأساً كما اعتمدوا عليه في أمر الطعام وما سواه ـ شعب سائح عديم الحول والطول لايستطيعون عمل أي تدبير للغد واذا نزلوا لايعرفون متى يرتحلون واذا ارتحلوا لا يعرفون متى واين ينزلون . فقد كانت حياتهم حياة الاعتماد الكلي على الله يوما بيوم وساعة بساعة وكان عليهم أن يرفعوا عيونهم الى فوق لطلب الارشاد وقد كانت رحلاتهم في أثر عجلات مركبة يهوه الاله العظيم .

ان هذا المشهد المؤثر كان حقاً مشهداً بديعاً فلنطالع مادونه الوحي عنه ولتتشبع نفوسنا من التعاليم السماوية الواردة فيه .

« وفي يوم اقامة المسكن غطت السحابة المسكن خيمة الشهادة . وفي المساء كان على المسكن كمنظر نار الى الصباح هكذا كان دائماً . السحابة تغطيه

ومنظر النار ليلا ومتى ارتفعت السحابة عن الخيمة كان بعد ذلك بنو إسرائيل يرتحلون وفي المكان حيث حلت السحابة هناك كان بنو اسرائيل ينزلون حسب قول الرب كان بنو اسرائيل يرتحلون وحسب قول الرب كانوا ينزلون جميع أيام حلول السحابة على المسكن كانوا ينزلون واذا تمادت السحابة على المسكن أياما كثيرة كان بنو اسرائيل يحرسون حراسة الرب ولا يرتحلون واذا كانت السحابة أياما قليلة على المسكن فحسب قول الرب كانوا ينزلون وحسب قول الرب كانوا يرتحلون واذا كانت السحابة من المساء الى الصباح ثم ارتفعت السحابة في الصباح كانوا يرتحلون أو يوما وليلة ثم ارتفعت السحابة كانوا يرتحلون أو يومين أو شهراً أو سنة متى تمادت السحابة على المسكن حالة عليه كان بنو اسرائيل ينزلون ولا يرتحلون ومتى ارتفعت كانوا يرتحلون حسب قول الرب كانوا ينزلون وحسب قول الرب كانوا يرتحلون وكانوا يحرسون حراسة الرب حسب قول الرب بيد موسى» (عدد٩: ١٥-٢٣)

فما أجمل هذه الصورة البديعة التي أظهر فيها شعب اسرائيل صورة الاعتماد الكلي والخضوع التام للارشاد الالهي ولا يمكن ان نرى مظهراً أجمل من هذا المظهر المتجلي في هذه الفقرات السالفة فلم يكن في تلك البرية الواسعة الاطراف آثار أقدام أو علامات ظاهرة بها يمكن الاهتداء للسير فيها ولذلك كان من العبث الالتجاء الى من سبق لهم العبور قبل ذلك الوقت في تلك البرية ليسترشدوا بهم في الطريق بل كل اعتمادهم للهداية في ذلك السير الطويل كان على الله القدير في كل خطوة يخطونها وكان مركزهم يستدعي انتظار الرب لا سواء انتظاراً دائما وبلا انقطاع . نعم ان هذا الامر صعب جداً وعديم

الاحتمال لدى كل من لا يكون ذهنه خاضعاً وارادته مكسورة ولكنه لذيذ ومحبوب ومبارك للنفس التي تعرف الله وتحبه وتثق به وتفرح فيه

هنا سر هذا اللغز وحل هذه القضية والسؤال الوحيد هو هذا هل نحن نعرف الله ونحبه ونثق فيه . ان كان كذلك فسرور قلوبنا لاشك في الاعتماد الكلي عليه لاسواه وان لم يكن كذلك فلا يمكن احتمال أي تجربة أو السير في أي امتحان. والشخص الغير المتجدد يروم الافتكار في العيشة بالاستقلال عن الله . يريد أن يتوهم انه حر في ذاته . يحب أن يثق في نفسه انه يجوز له أن يعمل مايشاء وأن يذهب الى حيثما يشاء وأن ينطق ويتكلم بما يشاء ويا للاسف ففي ذلك أعظم ضلال وأشر خداع .فالانسان بالطبيعة ليس حراً وانما هو عبد للشيطان وقد مضى على هذه العبودية نحو الستة آلاف سنة منذ باع نفسه رقاً تحت يد السيد الظالم العاتي الذي لم يطلق سراحه كل هذه المدة الطويلة ولا زال الى الآن واضعاً على عنقه نير الاستعباد . نعم أن الشيطان يستعبد الخاطيء الغير المتجدد والغير النادم على خطاياه ويالها من عبودية قاسية في الحقيقة لانه متى وقع أحد بين مخالبه فانه يكبل يديه ورجليه بسلاسل الخطية وقيود الشر التي لاتظهر في صورتها الشنيعة القبيحة الطبيعية لانه يطليها من الخارج بصورة مقبولة حسب فطنته ومهارته وخداعه وحيلته . ان الشيطان يستعبد الانسان بواسطة شهواته وأهوائه وملذاته وهو يرمي القلب بسهام الشهوات ثم يبتديء أن يقدم لهذه الشهوات طعامها من أمور هذه الحياة التي يعرضها وفي هذه الحالة يتصور الانسان باطلا انه حر مطلق الارادة لانه يتمم شهواته كما يشاء ولكنه لو علم الحقيقة لادرك انه في

خداع عظيم وضلال مبين وانه ان كان عاجلاً أو آجلاً سيتحقق ذلك. أما الحرية الحقيقية فهي تلك الحرية التي يحرر بها المسيح شعبه

وليست هناك أية حرية أخرى اسمى من تلك وهو الذي قال «وتعرفون الحق والحق يحرركم» وأيضاً «ان حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً» (يوحنا ٨) هنا الحرية الحقيقية . وهي الحرية التي تجدها الطبيعة الجديدة في العيشة حسب الروح وفي عمل كل ماهو مسر ومرضي في عيني الله . ويجب أن نعلم علم اليقين « ان خدمة الرب هي الحرية الكاملة » ولكن هذه الخدمة في جميع أحوالها وصورها تستلزم الاعتماد الكلي على الاله الحي . هكذا كان الحال مع ذلك الخادم الكامل والشخص الوحيد الفريد ربنا يسوع الذي لم يوجد مثله في كل الارض . فقد كان اتكاله الكلي على الله وكل حركة تحركها وكل عمل عمله وكل كلمة فاه بها — كل مافعل وكل ما لم يفعل — الكل كان ثمرة الاتكال الكلي على الله والخضوع الكامل لارادته تعالى. فكان يمشي اذا أراد منه الاب أن يمشي وكان يقف اذا أراد منه الاب ان يقف وكان يتكلم متى أراد منه الاب ان يتكلم وكان يصمت متى أراد منه الاب أن يصمت كل حركاته وتصرفاته كانت طبقاً لارادة الله بالتمام .

هكذا سلك المسيح في هذا العالم وهكذا نحن كشركاء في طبيعته وفي حياته ولنا روحه ساكن فينا علينا ان نسلك في خطواته ونعيش عيشة الاتكال الكلي على الله من يوم الى آخر . ولنا في ختام اصحاحنا هذا صورة جميلة ومثال بديع لحياة الاتكال هذه اذا نظرنا اليها من وجهة خاصة وهي أن إسرائيل الله أو بالحري المحلة في البرية — ذلك الجمع الغفير الراحل كان متبعا

سير السحابة وكان عليه ان يرفع عينيه الى فوق لطلب الارشاد والقيادة . هذا هو عمل الانسان الحقيقي فقد خلق على هذه الصورة وعلى هذا المثال ليرفع وجهه الى فوق وذلك بخلاف الحيوان الذي خلق لينظر الى أسفل . لذلك لم يعمل اسرائيل أي تدبير للغد ولم يقولوا في أنفسهم « غداً سنرحل الى هذا المكان أو الى ذاك » بل كان اعتمادهم الكلي على سير السحابة أينما سارت وحيثما اتجهت

هكذا كان الحال مع إسرائيل وهكذا يجب أن يكون معنا فاننا عابرون في صحراء قحلاء — برية روحية — لاسبيل لنا فيها بالكلية ولولا ذلك الوعد الثمين والاقوال المعزية التي فاه بها ربنا يسوع المسيح المبارك بقوله « أنا هو الطريق » لما استطعنا أن نسير خطوة واحدة ولا ان نعرف كيف نسير ولا الى أين نسير . ولا شك أن قول الرب هذا يتضمن الارشاد الالهي الكامل المعصوم من الخطأ وما علينا نحن الا ان نسير وراءه ونتبع آثار خطواته كما قال في انجيل يوحنا اصحاح ٨ وعدد ١٢ « انا هو نور العالم من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة » وهذا هو الارشاد الحي وهو ارشاد ليس حسب لوائح أوقوانين مرسومة معلومة بل حسب ارشاد المسيح الحي لنسلك كما سلك ولنفعل كما فعل متشبهين بحياته وتصرفاته في كل شيء . هذه هي الحياة المسيحية والتصرفات المسيحية وهي عبارة عن تثبيت النظر في يسوع لكي ماتنطبع صورة أخلاقه ورسم كمالاته على طبيعتنا الجديدة فتنعكس هذه الصورة وهذا الرسم على حياتنا اليومية وتصرفاتنا العملية

وهذا بلاشك معناه تسليم إرادتنا الخاصة والتنازل عن تدبيراتنا الشخصية والكف عن مشوراتنا الجسدية بالكلية . وعلينا أن نتبع

السحابة لا غير وأن ننتظر الرب لا سواه واذا فعلنا ذلك فاننا لا نستطيع أن نقول « دعنا نذهب هنا أو هناك لنعمل هذا أو ذاك غداً أو في الاسبوع القادم » بل أن جميع حركاتنا يجب أن تكون خاضعه لسلطان تلك الكلمات الالهية التي بالاسف غالباً ماننتخف بها وقلما نذكرها وهي « إذا أراد الرب » .

يا ليتنا نفهم هذه الحقائق الثمينة ونعيش بموجبها ويا ليتنا نتعمق في ادراك معنى الارشاد الالهي وماهيته اذ كم من مرة نتصور حسب بطل أذهاننا ونؤكد لنفوسنا هذا الوهم الباطل وهو ان السحابة سائرة معنا في نفس الاتجاه الذي قد مالت اليه أغراضنا النفسانية . فاننا نريد أن نفعل امراً معيناً أو نسير سيراً خاصاً ثم نجتهد أن نقنع ضمائرنا ان ارادتنا هذه ومشيئتنا هذه انما هي ارادة ومشيئة الله وحسب فكر الله بينما الحقيقة غير ذلك والنتيجة اننا عوضاً عن أن نسترشد بالارشاد الالهي نخدع نفوسنا ونغش ضمائرنا والسبب الوحيد في كل ذلك انما هو عصيان ارادتنا وعدم خضوعها ومن ثم فلا يمكن أن الى سواء السبيل لان السر الحقيقي للحصول على الارشاد الالهي والسير حسب فكر الرب هو أن نتنازل عن ارادتنا الذاتية تنازلا كلياً وان نخضع لمشيئة الرب من كل القلب « يدرب الودعاء في الحق ويعلم الودعاء طرقه » (مزمور ٢٥ : ٩) وايضاً « أرشدك عيني عليك » ولكن لنتأمل في الانذار الوارد في الاعداد التي تلي هذه الاقوال وهي « لا تكونوا كفرس أو بغل بلا فهم . بلجام وزمام زينته يكم لئلا يدنو اليك » (مزمور ٣٢ : ٩) فاذا رفعنا وجوهنا الى فوق لنرى الاتجاه الذي يرمي اليه نظر الرب ليقودنا نحوه وهكذا نسير حسب إرشاده السماوي فان الحال لا يستدعي اذاً الى لجام

ولا الى زمام وهنا موضع ضعفنا والسبب الوحيد لسقوطنا مع كل أسف ذلك اننا لانعيش بالقرب من الرب حتى يمكننا أن نعاين وجهه ونرى اشارات عينيه بل ان ارادتنا لاتزال عاملة فينا ونريد ان نسير في طريقنا الخاصة ومن ثم فانه يتركنا لنحصد الثمار المرة لما زرعناه بأيدينا وهذا نفس ماحدث ليونان فقد قال له الرب ان يذهب الى نينوى ولكنه أراد أن يذهب الى ترشيش وحدث ان الظروف جاءت وفق ارادته إذ وجد سفينة مقلعة الى ترشيش وحسب الظاهر كأن العناية الألهية مصادقة على ارادته الذاتية العاصية. الرب أخبره بالذهاب الى نينوى ولكن مع الاسف وجد نفسه في بطن الحوت نعم وفي قاع البحر حيث إلتسفت رأسه بالاعشاب والحشائش وهناك تعلم يونان مرارة اتباعه لارادته الخصوصية.

لم يتبع ارشاد الله باللطف والرقة فاستحق أن يتعلم في أعماق اليم وتحت ضغط مياهه العظيمة المعنى الحقيقي للجام والزمام.

ولكن إلهنا غني في النعمة وكثير الرحمة وطويل الاناة بهذا المقدار حتى انه لايستنكف من أن يقود أولاده الضعفاء المقصرين ويعلمهم من وقت الى آخر. فهو لا يكل من خدمتنا ولا يدخر جهداً في سهره علينا دائماً لكي يردنا عن رغائبنا الخصوصية وطرقنا الذاتية المملوءة من الاشواك والمخاوف ونسير في طرقه التي هي طرق السرور والهناء والسلام.

فلا يوجد شيء في الدنيا أكثر غبطة وقداسة من حياة الاتكال الدائم على الله والتعلق به من لحظة الى أخرى والانتظار له والسير برأيه في كل شيء ليكون جميع ينابيعنا منه. وهذا هو سر السلام الحقيقي والاستقلال التام

المقدس عن جميع الخلائق . لان النفس التي تقدر أن تقول عن حق بأن «كل ينابيعي فيك» هي التي ترفعت عن كل ثقة بأي مخلوق كان وعن أى أمل انساني أو رجاء أرضي .

ولا نقصد بذلك ان الله لا يستعمل الخلائق لخدمتنا بألوف من الطرق والوسائط أو اننا في غنى عن جميع الناس بل نقصد وجوب عدم الاتكال عليهم لان من يتكل على غير ذراع الرب يخور عزمه وتمتلىء نفسه بالمرارة والنشوفة . لانه يوجد فرق كبير بين استخدام الله للخلائق لتقديم بركاته لنا وبين استنادنا عليهم بدون الله . ففي الحالة الاولى نحن نتبارك وهو يتمجد وأما في الحالة الثانية فنحن نخزى وهو يهان مجده .

جيد جداً أن تتعمق نفوسنا في ادراك هذا الفرق وان نميزه دائماً بكل دقة لاننا كثيراً ما نفتكر اننا متكلون على الله وناظرون اليه ولكننا اذا فحصنا في الحقيقة ونفس الامر وفحصنا قلوبنا وحكمنا على أنفسنا في حضرة الرب نجد مقداراً كبيراً خطيراً من الاتكال على البشر .

وكم من المرات نتكلم عن العيشة بالايمان والاتكال على الله لا سواه وفي الوقت نفسه اذا بحثنا أعماق قلوبنا نرى جانباً كبيراً من الاتكال على الظروف والحوادث والوسائط وغيرها .

فيا أيها القاريء المسيحي دعنا نتأمل في ذلك ونرى حقيقة بأن عيوننا شاخصة الى الله الحي وحده وليس على الانسان الذي في أنفه نسمة . ولننتظر الرب ونصبر له دائما وإذا احترنا في أي شيء فلنعرض الامر عليه رأساً واذا كنا في احتياج الى معرفة الطريق التي يجب أن نسلك فيها فلنتذكر قوله

أنا هو «الطريق» ولنقتف أثر خطواته فيجعل كل شيء أمامنا واضحاً وساطعاً وثابتاً فلا نجد ظلمة ولا حيرة ولا ارتياباً اذا تبعناه لانه قال (ونجب ان نصدقه) «من يتبعني فلا يمشي في الظلمة» فاذا رأينا انفسنا في ظلام فلنعرف باننا لسنا متبعين اياه . لانه لا يمكن البتة لاية ظلمة ان تستقر على الطريق المبارك الذي يقود الله فيه اولئك الذين لم يجعلوا أمامهم الا السير في طرقه .

ولكن ربما يستطيع البعض (رغماً من قراءتهم هذه السطور) ان يقول أو على الاقل لسان حاله يقول «أنا في حيرة من جهة طريقي لاني بالحقيقة لا أعرف أي طريق اسلك وأي الخطوات اخطو» فاذا كانت هذه هي حالة القارىء العزيز فليسمح لنا بأن نسأله هذا السؤال «هل انت متبع يسوع» فاذا كان كذلك فلا تجد حيرة بالمرة وإذا كنت متبعاً السحابة فطريقك سهل وواضح حسب استطاعة عمل قدرته . واما الحيرة والارتياب فهما في معظم الاحوال من ثمار الارادة الذاتية . فنريد أن نفعل الاشياء التي لا يريدنا الله ان نفعلها بالمرة . أو الذهاب الى جهة لا يريد الله ان نذهب اليها فنصلي لأجل الوصول اليها ولكننا لا نجد جواباً . فنصلي ثانياً وثالثاً ولا نجد جواباً أيضاً فما الغرض من كل ذلك ياترى ؟ هل يريد الله ان لا نعمل عملا بالمرة ونقف جامدين أمام معترك هذه الحياة المملوءة من المجاهدات والمناظرات والمشاريع والاعمال وتمر علينا الايام والسنون ونحن كما كنا لم نرتق مثل غيرنا؟ ولكن بدلا من اجهاد عقولنا بهذا المقدار وكد نفوسنا بخصوص ما يجب أن نفعله يجب علينا شيء واحد وهو ان لا نفعل شيئاً بل ننتظر الرب فقط .

هذا هو سر السلام والرقي الهنيء الهادىء .

ولو فرضنا أن أحد بني اسرائيل في البرية عمل عملا بالاستقلال عن يهوه (الله) بأن سار بينما كانت السحابة واقفة أو وقف بينما كانت سائرة فجميعنا يمكننا ان نحكم بكل سهولة عما يحصل لمثل هـذا الشخص المسكين. وهكذا الحال معنا ونحن هنا في برية هـذا العالم. فاذا تحركنا بينما يجب أن نقف أو وقفنا بينما يجب ان نتحرك فاننا نحرم من وجود العناية الالهية معنا « حسب قول الرب كان بنو إسرائيل يرتحلون وحسب قول الرب كانوا ينزلون » . فهم كانوا في انتظار دائم للرب وهـذا هو أحسن مركز مبارك يمكن للانسان ان يشغله . ولكن يجب اختبار هذه البركة عملياً لانها حقيقة واقعية يجب ان نعرفها لا كمجرد نظرية نتكلم عنها من بعيد. وليجعلها الرب من نصيبنا لنختبرها طول مدة غربتنا في هذه الحياة .

الاصحاح العاشر

« وكلم الرب موسى قائلا . اصنع لك بوقين من فضة مسحولين تعملها فيكونان لك لمناداة الجماعة ولارتحال المحلات . فاذا ضربوا بهما يجتمع اليك كل الجماعة الى باب خيمة الاجتماع واذا ضربوا بواحد يجتمع اليك الرؤساء ورؤوس الوف اسرائيل . وإذا ضربتم هتافا ثانية ترتحل المحلات النازلة الى الشرق . واذا ضربتم هتافا ثانية ترتحل المحلات النازلة الى الجنوب هتافا يضربون لرحلاتهم . وأما عندما تجمعون الجماعة فتضربون ولا تهتفون وبنو هرون الكهنة يضربون بالابواق فتكون لكم فريضة

أبدية في أجيالكم . واذا ذهبتم الى جرب في أرضكم على عدو يضربكم تهتفون بالابواق فتذكرون أمام الرب الهكم وتخلصون من أعدائكم وفي يوم فرحكم وفي أعيادكم ورؤوس شهوركم تضربون بالابواق على محرقاتكم وذبائح سلامتكم فتكون لكم تذكاراً أمام الهكم » (عد ١٠ : ١ — ١٠)

قد اقتبسنا هذا النص بتمامه لكي نحرص على لغة الوحي الصادقة المحبوبة لدى السامع وذلك لكي نستحضر أمام ذهن القارىء العزيز التعليم الجميل الذي نتعلمه من « الابواق الفضية » . فقد جاء ذكرها الآن في غاية المناسبة بعد ذكر التعليم الخاص بسير السحابة ولها ارتباط عجيب بكل تاريخ إسرائيل ليس الماضي فقط بل والمستقبل أيضاً .

فصوت البوق كان مألوفا لسمع اذني كل مختون وكان عبارة عن اتصال كل شخص بفكر الله وبقصد الله مهما كان ذلك الشخص بعيداً عن مصدر الصوت لان الله قد اهتم بأن يجعل كل شخص في ذلك المحفل العظيم المتسع يسمع نغمات بوق العهد الفضية مهما كان بعيداً .

كل بوق كان يصنع من قطعة واحدة لكي يقوم بغرض مزدوج أي انه يمكننا ان نقول بان مصدر وأساس العهد مع الله واحد مهما اختلفت الوسائط والنتائج العملية . فكل حركة كان يتحركها الشعب كانت نتيجة صوت البوق . فاذا حصل اجتماع حافل يجتمعه الشعب للاعياد والمسرات او السجود والتسبيح كان بناء على أصوات مخصوصة من أصوات البوق واذا اجتمعت الاسباط واصطفت للحرب كان ذلك بنفخات البوق . والخلاصة سواء كانت اجتماعاتهم دينية أو حربية . آلات طربهم أو أدوات حربهم . الكل

كان ينظم بواسطة البوق الفضي .

وكل حركة سواء كانت تعبيدية أو دينية أو حربية إذا لم تكن نتيجة ذلك الصوت المألوف فهي نتيجة الارادة الانسانية المضطربة العاصية التي لا يوافق عليها يهوه بأي حال من الاحوال . فسير كل جمهور السائحين في البرية كان متوقفاً على صوت البوق كما على حركات السحاب . وعهد الله المألوف لديهم والمعطى لهم بهذه الطريقة الخاصة كان حاكماً لحركات وسكنات الالوف الكثيرة من إسرائيل .

ونزيد على ما ذكر ان المنوطين بضرب الابواق كانوا أولاد هرون وهم الكهنة لان لا أحد يقدر أن يعرف فكر الرب أو يصل اليه الا اذا صار في شركة روحية معه وخدمة كهنوتية له .

وقد كان للعائلة الكهنوتية ذلك الامتياز المقدس وهو احاطتها حول قدس الله ليرقبوا أول حركة للسحاب ويوصلوها الى أقصى نقطة في المحلة . فهم كانوا مسؤولين بان يعطوا صوتاً خاصاً وكل عضو من الجمع المجاهد المحتشد كان مسؤولا على السواء بان يظهر طاعة كاملة وقلبية . وكل حركة يتحركها أي شخص بخلاف كلام الوصية سواء كانت ارتحالا أو نزولا كانت في الواقع تؤدي للضرر ولذا كان الجميع متأهبين لسماع صوت العهد الالهي والسير في نوره بأول لحظة يظهر فيها . فكان السير بدون العهد هو في الواقع سير في الظلام . وكذا الامتناع عن السير بينما السحابة سائرة معناه البقاء في الظلام أيضاً .

هذا أمر بسيط جداً ومحقق عملياً . ولا نجد صعوبة في أدراك قوته

وتطبيقه العملي على بني إسرائيل في البرية . فلنتذكر أن كل هذا كان كمثال لنا بل وكتب لاجل تعليمنا ولذا يلزمنا ان نتنبه اليه بكل خشوع ووقار ونحن مأمورون بأن نجمع ونكنز التعاليم العملية العظيمة التي تتضمنها فريضة البوق الفضي المنفردة في الجمال ولا يوجد أنسب منها في الوقت الحاضر لانها تعلمنا درساً يجب على القاريء المسيحي ان يعيره كل اهتمامه لانه يمثل له باوضح صورة ممكنة بأن شعب الله عليهم ان يعتمدوا كلية على العهد الالهي ويخضعوا خضوعاً تاماً له في كل حركاته وهذه النتيجة سهلة وواضحة بهذا المقدار حتى أن أي طفل يمكنه أن يستنتجها مما تقدم . وكما سبق الكلام بخصوص السحابة هكذا أيضاً يقال بخصوص الابواق الفضية وهو ان الشعب في البرية لم يجسر ان يجتمع لغرض تعبيدي أو ديني الا اذا سمع صوت البوق . ولم يقدر رجال الحرب ان يتقلدوا أسلحتهم أو يتأهبوا للقتال الا اذا طلب منهم بالاشارات التي تنبئهم بالتقدم لمقابلة أعدائهم الغلف . فقد سجدوا وحاربوا وارتحلوا وحلوا لمجرد سماع صوت البوق . فرغبتهم أو عدمها . فكرهم او حكمهم . استحسانهم او رأيهم لم يكن له دخل بأي حال من الاحوال بل كل حركاتهم كانت بناء على عهد الله المعطى لهم بكهنة مقدسه وكانت مجرد ثمر عهد الله .

فما اجمل هذا الامر ! وما اعجبه ! وما انفعه ! بل وما اعمقه عملياً ! ولم كل ذلك ؟ نعم لاننا واثقون بأنه يتضمن درسا لازما يجب ان ندخره لليوم الذي وقعت فيه قرعتنا والعيب الوحيد الموجود في وقتنا الحاضر هو عدم الخضوع للسلطان الالهي ومقاومة الحق في الوقت الذي يتطلب منا طاعة مطلقة

وتسليما كاملا فانه طالما يعلن لنا الحق بوضوح الهي تام أمر غفراننا وقبولنا وحياتنا وبرنا وضمان أبديتنا في المسيح ـ هذا كله لذيذ لسمعنا ومشبع لنفوسنا ولكن في اللحظة التي فيها يعلن لنا الحق أمر سلطان الرب وحقوق ذلك الابن المبارك علينا الذي أعطانا حياته لينجينا من لهيب الجحيم ويدخلنا الى أفراح السماء الابدية في هذه اللحظة تقوم أمامنا الصعوبات وتهجم علينا كل أنواع الشكوك والمماحكات وتتجمع غيوم التشاؤم حول نفوسنا وتظلم أفكارنا وتضعف قوة الحق وينثني شعاره ويتحول جانباً في الوف من الطرق : فلا يكون عندئذ التفات أو انتظار لصوت البوق وحتى اذا صوّت بعاصفة أو بصوت واضح كصوت الله نفسه فما من سائل أو مجيب فنسير بينما يجب ان نقف . ونقف بينما يجب ان نسير : وتكون نتيجة ذلك طبعاً اما عدم التقدم بالمرة أو التقدم في طريق خاطيء يقودنا الى ماهو اردأ من عدم التقدم . ولا يمكن أبداً ان نتقدم في الحياة الروحية الا اذا سلمنا نفوسنا كلياً وجزئياً لكلمة الرب .

ربما نكون ممن خلصوا بالنعمة الالهية الغنية وبفضل دم المخلص ولكن أنستريح مكتفين بكوننا خلصنا بالمسيح ولا نجتهد بقدر ما تمكننا من ذلك قوتنا الضعيفة ومجهوداتنا القاصرة على السير معه والعيشة له ؟

أنقبل الخلاص بعمله الذي عمله لاجلنا ولا نشتاق الى اتصال أعمق واتحاد أرقى واوثق . ونسلم نفوسنا له في كل شيء . ونخضع خضوعاً كاملاً في كل أمر . واذا انعمنا النظر لحظة في ما كان يحدث لشعب اسرائيل في البرية اذا امتنعوا من أن ينتبهوا لصوت البوق نرى النتيجة واضحة كالشمس

في رابعة النهار فعلينا ان نعتبر بها ونأخذها كدرس لنا . ونعد قلوبنا لها . وكما كان عهد الله يحكم ويقرر كل حركة لاسرائيل قديما هكذا عهدالله يجب ان يحكم ويقرر كل شيء في الكنيسة الآن . وكما كانت الابواق الفضية يضربها الكهنة قديماً . هكذا عهد الله يعرف بنقاوة القلب أمامه وعيشة الطاعة والتكريس له الآن

فالمسيحي ليس له حق بأن يتحرك او يعمل بمعزل عن العهد الالهي . بل يقف منتظراً ارشاد الرب ومتى حصل عليه يسير الى الامام . لان الله يستطيع ان يوصل رأيه وفكره الى شعبه المجاهد الآن كما فعل مع شعبه القديم تماماً

نعم لا توجد الآن في الكنيسة أصوات أبواق حسية بل كلمته وروحه . فلا يقودنا أبونا بشيء يقرع على الحواس والمسامع بل بما يفعل ويؤثر على القلب والضمير والذهن . لا بشيء طبيعي بل بما هو روحي يرينا الله ارادته وقصده .

ويجب ان نتأكد تماما بأن الهنا يستطيع بل وفي الواقع يعطي قلوبنا تأكيداً تاماً عما يجب ان نفعله ومالا ينبغي ان نفعله . أو اذا كان يجب ان نسير او لا نسير ولا نستغرب هذا الامر لئلا يتولد عندنا الشك فيه أو ماهو أشر من ذلك وهو انكار هذه الحقيقة التي هي هي مهما تغيرت افكارنا من جهتها .

وكثيراً ما نقع في شك وارتباك بل ويوجد من هم على استعداد لانكار وجود شيء كالتحقق من ارشاد الله وتعيين ارادته في كل حركاتنا وسكناتنا اليومية . وهذا هو محض الغلط والخطأ .

أيعجز الآب الارضي عن ايصال فكره الى ابنه في أدق تصرفاته واخلاقه ؟ وهل يوجد من ينكر هذا ؟ فكم بالحري أبونا السماوي يستطيع ان يوصل فكره الينا في كل طرقنا من يوم الى يوم . ومن ساعة الى ساعة نعم تمكنه ذلك بلاشك . فلا تحرم نفسك ايها القاريء المسيحي من هذا الامتياز المقدس وهو معرفة فكر الآب في كل ظروف حياتك اليومية . فهو لا يمل من سؤالك ولا كثرة الحاحك في الاخذ والعطاء معه . بل يحب ويشتاق الى ذلك اكثر من اشتياق الآب الارضي لسماع صوت ابنه والتحدث معه من وقت الى آخر .

ايدور بخلدنا لحظة ما ان كنيسة الله اقل جدارة واستحقاقا لقيادة الله من الشعب في البرية ؟ هذا غير ممكن ان يكون فلماذا يرتبك المسيحيون في اجراآتهم وتصرفاتهم ؟ ذلك لاحتياجهم الى آذان مختونة ومسامع مدربة على سماع صوت البوق الفضي وارادة خاضعة لاطاعة الصوت .

وربما قائل يقول باننا لا ننتظر بان يكلمنا صوت من السماء ويخبرنا بأن نفعل هذا أو ذاك . او نذهب الى هنا او هناك . ولا ننتظر ان نجد فصلا حرفياً من الكتاب ليرشدنا في أصغر وأدق احوال تاريخنا اليومي او كيف يعرف الانسان ما اذا كان يجب عليه زيارة المدينة الفلانية ويبقى بها كذا من الوقت مثلا ؟ فنجيب على ذلك بأن الاذن المختونة تسمع بكل تأكيد صوت البوق الفضي فنلبث صامتين ساكتين الى ان نسمع الصوت وحالما نسمعه لا نتوانى برهة واحدة وهذا يجعل كل الاعمال واضحة وبسيطة ومحققة وامينة ومؤمنة . وهذا اعظم علاج للشك والارتباك والتردد .

والخوف ويريحنا من متاعب السعي ويوفر علينا الجهد في استشارة هذا او ذاك بخصوص اي امر نفعله او اي مكان نتوجه اليه . وبالتالي ايضاً يعلمنا انه ليس من خصائصنا ان نجتهد في ان نستولي على حركات الآخرين ونملك زمام آرائهم وتصرفاتهم بل لندع لكل واحد اذنه الخاصة وقلبه الخاص ليسلمها الى الله فينال منه رأياً بكل تأكيد حسب قلبه في كل حركاته وتصرفاته من يوم الى يوم . لان الهنا المحسن — اله كل نعمة — يستطيع بأي طريقة كانت ان يعطي وضوحاً كاملا وإرشاداً حقيقياً بخصوص كل شيء . وإذا لم يعطنا الله ذلك فمن يستطيع ان يعطي ؟ ولكن اذا اعطى الله فانه يعطي بغنى ولا يحتاج الانسان بعد تلك العطية الى شيء

وقد سردنا ما فيه الكفاية عن النظام البديع للبوق الفضي ولذا نكتفي الآن بذكر ماتقدم . ولا يغرب عن اذهاننا بأنه ليس خاصاً باسرائيل في البرية فقط ولكنه خاص بتاريخ شعب الله الى النهاية . فكان لهم عيد الهتاف وبوق اليوبيل وضرب الابواق على ذبائحهم التي لانريد التأمل فيها الآن لان كل غرضنا في ما تقدم مساعدة القارىء لاستخراج الآراء والفوائد العظيمة التي تتضمنها الابواق الفضية كما هو غرضنا في فاتحة هذا الفصل راجين بان يطبع الروح القدس ذلك الدرس اللازم على قلوبنا وأذهاننا درس الابواق الفضية

قد وصلنا الآن في تأملاتنا في هذا السفر الثمين الى اللحظة التي فيها تدعى المحلة الى التقدم الى الامام وكل ذلك أيضاً كان مرتّب ويدار بذلك النظام العظيم وهو أمر الرب : كل شخص حسب عشيرته وكل عشيرة حسب

درجتها . الجميع لزموا مراكزهم واما كتبهم المعينة لهم من الله . فاللاويون كانوا في وظائفهم وكل منهم يؤدي عمله المعين له بكل وضوح . وقد استوفيت جميع الاستعدادات اللازمة لتنقية المحلة من كل أنواع النجاسات والادران بوجه عام . بل ماهو أعظم من ذلك وهو علو درجة القداسة الشخصية وعدم انخفاض مقياسها العالي . وتكاثر اثمار التقوى الحية العاملة . وهنا نرى المنارة الذهبية وسرجها السبعة معطية نورها النقي وضياءها المبهج الثمين ونرى ايضاً عمود النار والسحابة وآخر الكل شهادة البوق الفضي .

وبالاختصار لا يعوز الجيش المسافر شيء غير عين ساهرة ويد قوية وقلب محب . قد جهز لكل الطوارىء مايلائمها لكي يكون جميع المحفل مهيأ تمام التهيؤ حسب كمال الله وسموه . فلا يحذف الله شيئاً واحداً يكون له أي فائدة . لانه يعرف كل شيء ويستطيع ان يفعل كل شيء . فلا يخفى شيء عن عينه الساهرة . ولا يصعب شيء على يده الفائقة القدرة والقوة . ولذا يستطيع جميع الذين يقولون حقيقة « الرب راعي » ان يضيفوا بلا شك ولا تردد الى ذلك قولهم « فلا يعوزني شيء » لان النفس التي ترتكز حقيقة وتتكل فعلا على ذراع الله الحي لا تحتاج ولن تحتاج أبداً أو ينقصها شيء من الاشياء النافعة .

ربما يفكر القلب الغبي المسكين في آلاف من الاحتياجات ولكن الله يعرف ماتحتاجه حقيقة ويقدمه لنا جميعه .

والآن وقد وصلنا الى تحرك المحلة نلاحظ أمراً غريباً ايضاً وهو تغيير في النظام الموضوع في فاتحة هذا الفصل فتابوت عهد الله عوضاً عن ان يسير في

قلب المحلة . وفي وسط الجماعة كان يسير في مقدمة كل شيء . أو بكلام آخر عوضاً عن ان يبقى يهوه (الله) محاطا بالجماعة ليُخدم ويكرم منهم تنازل فعلا بنعمته العجيبة الفائقة الحد ليأخذ وظيفة دليل أو طليعة لجيش شعبه .

ومع ذلك اذا تأملنا في العبارة الآتية يتضح لنا اكثر سبب اظهار هذه النعمة بكيفية كهذه « وقال موسى لحوباب بن رعوئيل المدياني حمي موسى اننا داخلون الى المكان الذي قال الرب اعطيكم اياه . اذهب معنا فنحسن اليك لان الرب قد تكلم عن اسرائيل بالاحسان . فقال له لا اذهب بل الى أرضي والى عشيرتي امضي . فقال لا تتركنا بما انك تعرف منازلنا في البرية تكون لنا كعيون »

اذا لم نعرف شيئاً عن حالة قلوبنا واذا كنا نجهل ميلنا ونزعنا الى الاستناد على الخلائق عوضاً عن الاتكال على الله الحي فاننا نستغرب جداً لما حصل من موسى ونرى اننا نميل الى معرفة مايحتاجه موسى من عيون حوباب قائلين أما كان يهوه وحده كافياً ؟ الا يعرف البرية ومنازلها وخفياتها ؟ وهل يضل بهم في الطريق ؟ وما هي وظيفة السحابة والبوق الفضي ؟ اليس هما أفضل من عيون حوباب ؟ لماذا اذن يحتاج موسى الى مساعدة البشر ؟

ربما تظهر هذه العبارات كأنها قاسية ولكن المهم ألم تصب كبد الحقيقة ؟ أيوجد قاريء مسيحي يطالع هذه السطور ولا يقر بأنها حقيقة ظاهرة ؟

فجميعنا نميل ان نتوكأ ونستند على ذراع بشر رغماً عما اصابنا من جراء ذلك من المحن والخزي والفشل في مواقف كثيرة ومع انه قد ثبت لنا مرات لاعداد لها بطلان الثقة في أي مخلوق إلا أننا نعود ونثق في الانسان

الذي في انفه نسمة ومن الجهة الاخرى قد جنينا مراراً وتكراراً ثمار الاعتماد على ذراع الاله الحي والاتكال على كلمة الرب وقد استرنا مراراً ووجوهنا لم تخجل قط وما من مرة قصدنا وجهه الكريم والتجأنا اليه وتركنا أو تخلى عنا ، بل بالعكس كان يتنازل ويفعل معنا ولنا اكثر جداً مما نطلب أو نفتكر ومع ذلك ما أسرع هروبنا من ورائه وما أقل ثقتنا فيه بل ما أكثر جرينا وراء البشر مع انهم آبار مشققة لا تضبط ماء وعكاكيز مكسرة لا تقوم لها قائمة

نعم هذه هي حقيقة حالتنا ولكن تبارك اسم الهنا لان نعمته تفاضلت علينا جداً كما تفاضلت على إسرائيل في الظرف الذي نحن بصدده الآن ومع ان موسى تطلع الى حوبات قائلا له لا تتركنا لانه بما انك تعرف منازلنا في البرية تكون لنا كعيون ولكن الله جل جلاله أراد ان يعلم عبده موسى انه بنفسه مستعد لان يهديهم وفيه الكفاية لهدايتهم وارشادهم « فارتحلوا من جبل الرب مسيرة ثلاثة أيام وتابوت عهد الرب راحل أمامهم مسيرة ثلاثة أيام ليلتمس لهم منزلا » ويالها من نعمة غنية عجيبة اذ عوضاً عن ان يهتموا بايجاد منزل له تعالى أراد ان يلتمس هو لهم مكانا ليستريحوا فيه ويالَه من أمر عجيب !! الاله القدير خالق أطراف الارض يتنازل ليسير وسط شعبه في البرية باحثاً لهم على مكان مناسب يصلح لان يحل فيه شعب عنيد سريع الانفجار كثير العصيان شديد التذمر ولكن هكذا اقتضت مراحم الله طويل الروح كثير النعم عظيم القدرة الجليل في كل شيء الذي تفاضلت نعمته علينا جداً حتى سمت وعلت وتغلبت على عدم ايماننا وضعفنا وسقوطنا وبمحبته

العجيبة الازلية قد أزال من طريقنا كل عائق ومانع من الموانع الكثيرة التي أوجدها عدم ايماننا وبكل تأكيد قد اثبت لموسى ولجميع شعب اسرائيل انه افضل بكثير كهاد ومرشد من عشرة آلاف وزيادة من أمثال حوباب ولا نستطيع ان نجزم ان كان حوباب ذهب مع شعب اسرائيل أم لا اذ الوحي لم يذكر لنا شيئاً عن ذلك وكلما نعلمه من الوحي انه رفض ملتمسهم أولا ويجوز ان يكون قد رفض الذهاب معهم في المرة الثانية أيضاً ولكن الشيء المؤكد ان الرب ذهب معهم وامامهم اذ قيل صراحة « وكانت سحابة الرب عليهم نهاراً في ارتحالهم من المحلة » وياله من ملجأ امين وحصن حصين في البرية المقفرة بل ياله من نبع لا يفرغ ومعين في كل شيء لا ينضب فقد ذهب أمام شعبه ليلتمس لهم منزلا ولما أن وجد لهم مكانا مناسباً لراحتهم أنزلهم على الرحب والسعة ومكث معهم وظللهم بجناحيه ليقيهم من كل شر ويحميهم من كل عدو مفاجىء « وجده في أرض قفر وفي خلاء مستوحش خرب . أحاط به ولاحظه وصانه كحدقة عينه كما يحرك النسر عشه وعلى فراخه يرف ويبسط جناحيه ويأخذها ويحملها على مناكبه. هكذا الرب وحده اقتاده وليس معه اله اجنبي ». (تثنية ٣٢ : ١٠ — ١٢) « بسط سحابا سجفا وناراً لتضيء الليل » مز ١٠٥ : ٣٩ وهكذا جهز الله لبني أسرائيل كل شيء حسب حكمته وصلاحه وقدرته ولم يعوزهم لشيء قط اذ غير معقول ان يكون الرب القدير في وسطهم ويحتاجون لشيء ما « وعند ارتحال التابوت كان موسى يقول قم يارب فلتبدد اعداؤك ويهرب مبغضوك من أمامك وعند حلوله كان يقول ارجع يارب الى ربوات الوف اسرائيل »

الاصحاح الحادي عشر

قد كانت تأملاتنا وتعليقاتنا على الاصحاحات العشرة الاولى من سفر العدد تدور حول عناية الله بشعبه وتنازله لسد جميع اعوازه في البرية والصور الكثيرة التي مرت بنا تمثل لنا باجلى بيان حكمة يهوه العظيم اله اسرائيل وصلاحه وبعد نظره الشاسع ولكن الآن قد وصلنا الى نقطة تحيط بها السحب والظلمات من كل جانب ففي الاجزاء الاولى التي سبقت من هذا السفر لم يكن أمامنا سوى الله وأعماله أما الآن فيقودنا الوحي لان نتأمل في الانسان وطرقه المعوجة الامر المحزن والمخزي اذ الانسان هو هو أينما كان وفي كل زمان فهو في جنة عدن كما هو بعد الطوفان وهو في البرية كما هو في أرض كنعان وهو في عهد المسيحية كما في الالفسنة لم يستطع أن يثبت في شيء بل فشل تماماً في كل شيء وقبل ان يخطو خطوة يتعثر فيسقط وهذا ما نراه ممثلا بصورة بارزة في سفر التكوين ففي الاصحاحين الاولين نرى الله عاملا كالخالق وكل ما أبدعه ونظمه كان متقناً وحسناً وخلق الله الانسان ليتمتع بثمار حكمته وصلاحه وقدرته ولكن في الاصحاح الثالث تبدل كل شيء وتشوه جمال هذا المنظر البديع بسقوط آدم المريع حيث كان أول عمل أتاه ثمرة العصيان والتمرد جلب الخراب والدمار وهكذا الحال بعد الطوفان حينما انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم وانفتحت طاقات السماء وتعاظمت المياه على الارض ومحا الله كل قائم كان على وجه الارض عدا نوح وعائلته الذي برهن بتصرفه بعد

نجاته حينما شرب من الخمر فسكر وتعرّى على عجزه الكامل وعدم استطاعته أن يضبط نفسه ويحكم على ذاته فبالأولى كثيراً لم يكن في مقدوره ان يخضع الارض ويتسلط عليها وهكذا الحال مع إسرائيل الذي لم يمض على خروجه من أرض مصر وخلاصه من نير العبودية وقتاً وجيزاً حتى عبد العجل الذهبي وبمجرد ان تأسس الكهنوت قدم إبنا هرون ناراً غريبة وعقب ان تعين شاول ملكاً على إسرائيل أظهر كل تمرد وعصيان على الهه وسعى لتنفيذ رغباته الشريرة وعمل ارادته العاصية.

واذا رجعنا الى صفحات العهد الجديد نجد هذه الصورة عينها اذ لم يمض على تأسيس الكنيسة المسيحية وتمتعها بثمار المواهب الروحية النفيسة إلا وقتاً قصيراً حتى حدث تذمر وأنين من اليونانيين على العبرانيين ان أراملهم كن يُغفل عنهن في الخدمة اليومية وبالاختصار نجد تاريخ الانسان من أوله الى آخره هنا وهناك وفي كل مكان تاريخ الانهزام والفشل والخراب والدمار ولا يستثنى من هذا الحكم أحد من آدم في جنة عدن الى نهاية الالف سنة .

ويحسن بنا أن نتأمل جيداً في هذه الحقيقة المهمة الخطيرة ونفسح لها مكاناً عميقاً في قلوبنا حتى يتيسر لنا ان نتخلص من أوهام كثيرة وتصورات كاذبة وأفكار غير صحيحة من جهة حقيقة الانسان وخصاله وأحواله . ويجب أن لا يغرب عن أذهاننا وقع ذلك الحكم المخيف الذي أزعج قلب بيلشاصر المغرور ملك بابل حيث قال له الله « وزنت في الموازين فوجدت ناقصاً » هذا الحكم في الواقع ونفس الامر ينطبق تماماً على جميع الجنس البشري وعلى

جميع أولاد وبنات آدم الساقط . هل ترضخ أيها القاريء العزيز لمنطوق هذا الحكم الصريح وتسلم برضى قلب بهذا الحق ؟ حقاً انه سؤال خطير ونشعر بوجوب تقديمه لك وننتظر أن تجيب عليه وانت في حضرة الله الفاحص القلوب والكلي . قل لنا أيها القاريء الكريم هل انت من ضمن عداد أولاد الحكمة ؟ وهل انت على استعداد لان تبرر الله وتحكم على ذاتك ؟ وهل أخذت لنفسك مركز الخاطيء الهالك الاثيم المستحق لعذاب الجحيم ؟ ان كنت قد وصلت الى هذه الحالة فطوباك لان المسيح نصيبك ولك كمن مات ليبطل الخطية بذبيحة نفسه ويرفع عنك حمل خطاياك الكثيرة . الامر يحتاج الى شيء واحد ان تثق فيه وعندئذ يكون شخصه المبارك لك وكل ما له يصير لك فهو حكمتك وبرك وقداستك وفداؤك وجميع الذين يؤمنون بقلوبهم ويعترفون بشفاههم ان يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب ينتقلون من دائرة الأثم والدينونة الى دائرة الحياة الابدية والبر الالهي ويراهم الله في ابنه قديسين وبلا لوم قدامه بل مقبولين في المسيح المقام المنتصر « وكما هو هكذا نحن في هذا العالم » ١ يو ٤ : ١٧ .

والآن نرجو من القاريء أن لا يهدأ له بال ولا يعطي أجفانه نعاساً ولا نفسه راحة حتى يقرر في نور كلمة الله وحضرته تعالى الاجابة على هذا السؤال الخطير الهام ويا ليت يتنازل الله بروحه القدوس ليدرب بغزارة ضمير وقلب القاريء الغير المتجدد ويهديه الى أقدام المخلص .

وبعد ان أتينا على هذه المقدمة المختصرة نتقدم الى موضوعنا المتعلق بالاصحاح الحادي عشر من سفر العدد .

« وكان الشعب كأنهم يشتكون شراً في اذني الرب وسمع الرب فحمي غضبه فاشتعلت فيهم نار الرب وأحرقت في طرف المحلة فصرخ الشعب الى موسى فصلى موسى الى الرب فخمدت النار فدعى اسم ذلك الموضع تبعيره لان نار الرب اشتعلت فيهم. واللفيف الذي في وسطهم اشتهى شهوة فعاد بنو اسرائيل ايضاً وبكوا وقالوا من يطعمنا لحماً قد تذكرنا السمك الذي كنا نأكله في مصر مجاناً والقثاء والبطيخ والكرات والبصل والثوم والآن قد يبست أنفسنا ليس شيء غير ان أعيننا الى هذا المن » وهنا قد انفجرت مخبوءات قلب الانسان المسكين تماماً وظهرت بأجلى وضوح مشتهياته ورغباته فقد اشتهى بنو اسرائيل شهوة وحنت قلوبهم لارض مصر فرجعوا اليها والقوا نظرة الى أثمارها وخيراتها وقدورها. ومن الغريب انهم لم يذكروا شيئاً عن كرباج المسخر ولا عن متاعب صنع اللبن فاسدلوا ستاراً على هذا كله ولم يذكروا سوى خيرات أرض مصر التي كانت تصبو اليها طبيعتهم الفاسدة.

وكم من المرات ظهرنا نحن بهذا المنظر ووقعنا في هذه الحالة المرة التي فيها فقد القلب بهجة وجدة الحياة الروحية وبدأت تضيع لذة مذاق البركات الروحية وضعفت بل تُركت المحبة الاولى وأصبح المسيح غير شاغل للقلب كالنصيب المشبع والذخر الصالح الذي فيه وحده الكفاية واكثر من الكفاية ولم يبق لكلمة الله التأثير الأول والسلطان الاول وأضحت الصلاة مجرد فرض يقضى والقلب مثقل والاحشاء مغلوقة والحاسيات معدومة في هذه الحالة تجول العينان لتجدا مستقراً لهما في العالم ويتبع القلب العينين

ويقود القلب القدمين وعندئذ ننسى ما أصابنا من العالم وقت ان كنا فيه ومنه . ننسى التعب والعبودية والتعاسة والانحطاط كل هذه الثمار المرة التي جلبتها علينا خدمة الشيطان والخطية ونفتكر فقط في ملذات ومسرات هذا العالم الباطل التي تخلصنا على زعمنا الفاسد من تدريبات النضال والجهاد الروحي والمقاومات العنيفة التي يلاقيها شعب الله أثناء مسيره في البرية . هذا كله أمر يؤسف له جداً ويقودنا الى أن نحكم على ذواتنا . وشيء مخيف أن نصل الى حالة فيها تقصر خطواتنا من وراء الرب وترتخي عزائمنا أثناء سفر البرية ونحتقر طعام الرب وما أمر هذه الكلمات التي نطق بها بنو اسرائيل في اذني يهوه رب الجنود « والآن قد يبست أنفسنا ليس شيء غير أن أعيننا الى هذا المن » آه يا إسرائيل أي شيء تحتاج اليه أنفع لك وأهم من هذا المن السماوي ؟ ألا يكفيك أن تأكل لتشبعك ؟ والا تستطيع أن تعيش متمتعاً بما جهزته لك يد الرب الحنون لأعالتك في البرية ؟ والا يحق لنا ان نوجه هذه الاسئلة للقراء الاعزاء الآن ؟ إذ هل نحن مكتفون بالمن السماوي الحقيقي المعطى لنا من الله ؟ وإذا كنا مكتفين فما معنى الاهتمام إذن بمسرات وملاهي هذه الحياة والاستفهام من وقت لآخر عن جواز أوعدم جواز استعمالها والتمتع بها ؟

ألم نسمع أحيانا من أفواه أشخاص لهم منزلة واعتبار كلمات شبيهة بهذه « كيف نشغل يومنا ووقتنا . لانستطيع ان نفتكر دائما أبداً في المسيح وفي المسيح فقط وفى الاشياء الروحية لاغير . إذ لابد من التريض والتنوع » ؟ واليست هذه اللغة شبيهة بما قاله بنو إسرائيل في الاصحاح الحادي عشر .

من سفر العدد ؟ هي بعينها . والمشابهة في التعبير لا بد وان تؤدي الى المشابهة في التصرف وأحيانا كثيرة نبرهن باهتمامنا باشياء كثيرة. بعيدة عن المسيح على انه غير كاف للقلب وكم من المرات نهمل فتح الكتاب المقدس مثلا بينما نقضي الساعات ونحن منهمكون في مطالعة كتب ومصنفات في مواضيع عالمية عاطلة. ألا يدل انشغافنا بمطالعة الجرائداليومية لدرجة أنستنا الكتاب المقدس حتى علاه التراب في مكانه على أننا محتقرون المن السماوي نشتهي ونأكل من كرات مصر وبصلها.

واننا نستلفت نظر الشبان المسيحيين بنوع خاص نحو هذا الموضوع الخطير ونحن نشعر بعظم الخطر المحدق بنا جميعنا وبالاخص المعرض له الشبان في وقتنا الحاضر ــ خطر الوقوع في خطية إسرائيل المدونة في هذا الاصحاح ولا نزاع في ان ملاهي هذا العالم العاطلة كدور التمثيل ومحلات الرقص والغناء وولائم السرور العالمية والكتب والروايات وغيرها لاتؤثر على الشيخ المتقدم في السن تأثيرها على الشباب الذي كثيراً ماينجذب اليها مدفوعا بالرغبة في اختيارها فيبرهن بذلك على انه غير مكتف بالمسيح كنصيب قلبه الكامل . ياللعجب تريد أن تتريض !! ويا للاسف بل ياللجهالة أن نسمع من البعض انهم يريدون أن يتريضوا ولا يعرفون كيف يشغلون يومهم ولا يخجلون عندما يقولون لانستطيع أن نفتكر في الروحيات وفي يسوع كل يومنا ووقتنا دائماً في يسوع وفي أقوال يسوع وفي الشركة مع يسوع غير ممكن أن نقضي الحياة على هـذا النحو ولا بد من التنوع . ويصح لنا أن نسأل أمثال هؤلاء كيف انتم مزمعون أن تقضوا الابدية كلها ؟ ألا يكون

المسيح هو موضوع المشغولية وحده دون سواه كل الاجيال الدهرية المقبلة؟ هل هناك في السماء مجال الرياضة فيما هو خارج عن دائرة المسيح ؟ هل تتوق نفسك هناك لمطالعة المصنفات والكتب العالمية أو للاغاني العاطلة الرديئة وللملاهي الفاسدة الباطلة ؟ وربما يقال ولكن سيختلف حالنا هناك عن حالنا هنا ولا ندري وجه هذا الاختلاف لاننا الآن شركاء الطبيعة الالهية وحاصلون على الروح القدس ولنا المسيح كنصيبنا الصالح وأصبحت السماء لنا ونحن للسماء ولنا حق الاقتراب الى الله في كل وقت . ولكن يقول قائل انه مع التسليم بهذا كله لا ننسى أن فينا طبيعة فاسدة . نعم فينا طبيعة فاسدة ولكن هل يجوز للمؤمن أن يغذي ويشبع هذه الطبيعة الفاسدة بالأمور العاطلة والملاهي الفاسدة . أيليق بالمؤمن أن يؤيد طلبات الجسد الشقي ورغبات الطبيعة الرديئة ويجيبها في كل ماتطلب ؟ كلا يجب على المؤمن بالحري أن ينكرها ويقمع جسده ويستعبده ويحسبه ميتاً وهذه هي الرياضة الروحية بالمعنى الصحيح وعلى هذه الكيفية يجب أن يملأ المؤمن فراغ يومه بطوله ويستحيل أن تنمو الحياة الروحية في المؤمن ان كان عائشاً حسب الجسد ومهتماً برغبات الجسد لان طعام مصر لا يمكن أن تتغذى منه الطبيعة الجديدة فينا والشيء المهم الذي يجب أن نضعه نصب أعيننا هو أي الطبيعتين في المؤمن الجديدة أم العتيقة التي ينبغي أن يهتم بتقدم لوازمها والعناية بتغذيتها ؟ ومن البديهي أن الطبيعة الجديدة الالهية فينا لا يمكن أن تتعزى أو تجد مجالا لها في الجرائد السيارة أو الاغاني العاطلة أو المصنفات والكتب العالمية ولهذا إذا كنا نهتم كثيراً كان أو قليلا بهذه الاشياء لا بد وان تنشف مجاري تعزياتنا وتتعطل

نمونا الروحي

ياليت يمنحنا الهنا نعمة لنفتكر في هذا الموضوع الخطير ونفتكر بجد واهتمام وياليت نسلك جميعنا بالروح حتى يكون المسيح النصيب المشبع وحده لقلوبنا . ولو كان اسرائيل في البرية سار مع الله لما بدرت من شفاههم هذه العبارة « والآن وقد يبست انفسنا ليس شيء غير أن أعيننا الى هذا المن » ذلك المن الذي كان فيه الكفاية والشبع لهم كما فيه الشبع لنا واذا كنا نسير مع الله في برية هذا العالم لابد وان نجد نفوسنا كل اكتفاء بالنصيب الذي يعطيه الله لنا وهذا النصيب ينحصر في شخص المسيح السماوي الذي ما من مرة طلبناه ولم نجده قصدناه ولم يسد كل أعوازنا وهو موضوع سرور وشبع قلب الله الذي يملأ السموات وسماء السموات بمجده تعالى وله تسجد الملائكة وتعبد وتسبح وتخضع بل هو موضوع المشورات الازلية والمقاصد المحتومة وبالاختصار من الازل والى الابد هو الكائن والذي كان والذي يأتي. أفلا يكفي هذا الشخص المبارك لقلوبنا خصوصاً بعد ان تنازل وظهر في الجسد وبدت لعيوننا امجاده الادبية وطرقه العجيبة وجمال كماله وكمال جماله ؟ وهل نحتاج معه لشيء سواه ؟ وهل نحن في حاجة لان نلجأ الى الجرائد السيارة أو المجلات الدورية العالمية لكي تملأ أي فراغ في نفوسنا ؟ أيليق ان نتحول عن المسيح لكي نتمتع بملهى بعيد عنه او في شيء من مسارح هذا العالم لنسلو فيه ؟ ويؤلمنا أن نكتب بهذه اللهجة التي نأسف لها والتي نراها وان كانت شديدة ولكنها ضرورية لازمة والتي تدعونا بأن نوجه بكل صراحة هذا السؤال الى كل قارىء كريم . هل تجد المسيح غير كاف لشبع قلبك ؟ وهل

يوجد أي فراغ في قلبك لا يستطيع المسيح ان يملأه ؟ ان كان حالك كذلك فأنت على شفا جرف هار ونفسك في خطر دائم وخير لك ان تتأمل جيداً في الامر وتدقق النظر في حالتك وتجثو على ركبتيك وتضع وجهك في التراب أمام الله وتحكم على ذاتك بأمانة تامة . اسكب قلبك أمامه تعالى . اخبره بكل شيء واذكر من أين سقطت وتب . اعترف بضلالتك التي جعلتك لا تجد في مسيح الله شبعك وراحة قلبك . جاهد في مخدعك مع الله ولا تسترح حتى تسترد بهجة ولذة الشركة الكاملة مع الله الشركة القلبية معه التي تدور حول ابن محبته .

والآن لنرجع الى موضوعنا ونستلفت نظر قرائنا الى عبارة جاءت في هذا الفصل فيها عظة كبري لنا « واللفيف الذي في وسطهم اشتهى شهوة فعاد بنو اسرائيل أيضاً وبكوا » ولا يوجد خطر يحدق بعمل المسيح وبشعب المسيح نظير اختلاط القديسين بأشخاص ليست لهم مبادىء ثابتة أو بالحرى أشخاص لهم صورة التقوى تلك الصورة الزيفة ومثل هذا الخطر أعظم بكثير من احتكاك القديسين بأعداء صريحين ظاهرين والشيطان يعلم ذلك جيداً ولهذا يسعى بكل جهده ليجعل شعب الله مختلط ويرتبط ويدخل في علاقات مع اشخاص ليست لهم مبادىء اذ هم بين بين أو من الوجه الآخر يُدخل العدو في وسط الجماعة التي اختطت لنفسها خطة الانفصال عن العالم وقصدت ان تتصل على قدر جهدها بالمسيح مُدَّعين كذبةً هم بمثابة لفيف مضر كاللفيف الذي حل في وسط شعب إسرائيل . ونرى في العهد الجديد اشارات كثيرة بهذا المعنى وقد تنبأ عن ذلك ربنا له المجد ومذكور ذلك في الاناجيل الاربعة

وجاء في سفر الاعمال وفي الرسائل مايؤيد وقوع ذلك فعلا ولهـذا نجد في انجيل متى ١٣ مثل الزوان ومثل الخميرة وفي سفر الاعمال جاء ذكر أشخاص دخلوا خلسة في وسط الكنيسة وكان مثلهم مثل اللفيف الوارد ذكره في الاصحاح الحادي عشر من سفر العدد وقد أشار الرسل أنفسهم الى أشخاص أتى بهم العدو فدخلوا خفية وسط القديسين وكان غرضهم أن يفسدوا الشهادة ويردوا نفوس شعب الله عن الحق ان امكن ويشير اليهم الرسول بولس بقوله « الاخوة الكذبة المدخلين خفية الذين دخلوا اختلاساً » غل ٢ : ٤ ويشير اليهم يهوذا بقوله « لانه دخل خلسة أناس قد كتبوا منذ القديم لهذه الدينونة » عدد ٤ ومن هذا كله نتعلم وجوب اليقظة والانتباه من جانب شعب الله الذي ليس في حاجة فقط الى اليقظة بل الى الاتكال التام على الرب أيضاً الذي يستطيع أن يحفظ شعبه من دخول أخوة كذبة في وسطهم ويحررهم من كل إشتباك أو اتصال باشخاص مرائين مشكوك في أمرهم . ولابد « للفيف » أن « يشتهي شهوة » فيصبح شعب الله في خطر محقق من أن يتحولوا عن البساطة التي لهم في المسيح وتسأم نفوسهم المن السماوي وهو طعامهم الشهي الوحيد . فالشيء المهم الذي يحتاج اليه المؤمن هو ان يقف بجانب المسيح دائما أبداً وان يكرس نفسه وحياته للمسيح وعمله . وحيثما توجد جماعة من المؤمنين عائشين وقلوبهم بجملتها مكرسة للمسيح ومنفصلين تماما عن هذا العالم الحاضر .فالخطر عليهم من دخول اخوة كذبة مرائين خلسة في وسطهم أقل من الخطر على غيرهم وان كان الشيطان بلا شك يسعى جهده ليعطل الشهادة في وسط مثل هـذه الجماعة المباركة

بإدخال أشخاص مرائين بينهم وهؤلاء اذا دخلوا لا بد وان تجلب طرقهم الشريرة اهانة على اسم الرب العزيز وقد عرف الشيطان ذلك جيداً ولهذا اجتهد حتى تمكن من ادخال اللفيف وسط جماعة اسرائيل ولم تظهر دفعة واحدة وبسرعة عاجلة نتيجة هذا الاختلاط الرديء ومع ان شعب الله قد خرج من مصر بذراع رفيعة ويد ممدودة وعبر البحر الاحمر ورنم تسبيحة الخلاص والنصرة للرب على شاطيء البحر وكان المنظر بهيجاً عجيباً والدلائل كلها حسنة جداً ومع ذلك وجد اللفيف وظهرت بوادر اللفيف بمجرد ان سنحت الفرصة له وهذا هو المشاهد في كل تاريخ شعب الله واذا رجعنا الى تاريخ النهضات الروحية العظيمة التي حصلت في العالم من جيل الى جيل نلاحظ العوامل المعطلة التي وان كانت في البداية محجوبة عن الانظار نظراً لتيار النعمة الناهضة المتدفق ولكن عادت وانكشفت هذه العوامل وظهرت جلية بمجرد ان ضعف التيار وأتى دور الانحدار .

ولا شك ان هذا أمر خطير يدعو الى السهر الروحي والاهتمام المقدس وينطبق على الافراد كما ينطبق تماما على شعب الله كجماعة ففي بداية ايماننا وأيام نضارتنا الاولى عندما كانت البهجة والغيرة الروحية آخذة حدها بلغ فعل تيار النعمة درجة سهونا فيها عن الحكم على ذواتنا بخصوص بعض بذار ألقتها يد العدو في تربة قلوبنا وكان ينبغي أن نحكم على ذواتنا ونختطفها منها قبل أن يأتي الوقت الذي تتأصل فيه وتثمر ولهذا يجب على جماعات المسيحيين كما يجب على أفراد المسيحيين أن يكونوا على حذر دائما أبداً وأن يراقبوا جميعاً ابواب قلوبهم حتى لا يعطوا مجالا لدخول العدو وما دام القلب مستقيما أمينا فلا بد

وأن تستقيم كل أمورنا وتكون العاقبة خيراً لنا وكل الخير. ولا ننسى ان الهنا أمين ومحب ومتنازل لان يقينا ويحفظنا من الف فخ وفخ. فياليتنا نثق فيه أكثر ونحبه ونحمده اكثر

ولكن لنا فوائد ودروس أخرى كثيرة نتعلمها من هذا الفصل المطروح أمامنا والذي فيه لا نرى فقط سقوط شعب إسرائيل كجماعة بل حتى موسى كليم الله نراه قد تزعزع وعلى وشك السقوط تحت حمل شعوره الثقيل بالمسئولية الملقاة على عاتقه على زعمه « فقال موسى للرب لماذا اسأت الى عبدك ولماذا لم أجد نعمة في عينيك حتى انك وضعت ثقل جميع هذا الشعب عليّ أألعلي حبلت بجميع هذا الشعب أو لعلي ولدته حتى تقول لي احمله في حضنك كما يحمل المربي الرضيع الى الارض التي حلفت لآبائه . من أين لي لحم حتى أعطي جميع هذا الشعب لانهم يبكون عليّ قائلين أعطنا لحماً لنأكل. لا أقدر أنا وحدي ان احمل جميع هذا الشعب لانه ثقيل عليّ . فان كنت تفعل بي هكذا فاقتلني قتلا ان وجدت نعمة في عينيك فلا أرى بليتي » عد ١١ — ١٥.

ولا شك أن هذه التعبيرات غريبة للغاية ولم نقصد من تعليقنا على هذا الفصل ان نتعرض بكرامة خادم أمين عزيز لدى الرب كعبده موسى . حاشا لنا من ذلك ويسوغ ان نضطر لان نعلق على أعمال وأقوال شخص شهد عنه الروح القدس بأنه كان أميناً في كل بيته وقد كان موسى كجميع قديسي العهد القديم من ضمن عداد أرواح الابرار المكملين وكل اشارة وردت بخصوصه في العهد الجديد تزيده كرامة فوق كرامة وتظهره لنا كالاناء الثمين المبارك

ولكن بالرغم من هذا فاننا في حاجة ماسة لان نتأمل في هذا التاريخ الروحي المعروض أمامنا التاريخ الذي دبجه يراع موسى نفسه وان كانت غلطات وسقطات شعب الله في العهد القديم لم يرد لها ذكر في العهد الجديد ولم يعلق عليها نبي ما ولكنها مدونة بكل تدقيق وبكل امانة في العهد القديم ولماذا ؟ لابد وان يكون ذلك لتعليمنا « لان كل ماسبق فكتب كتب لاجل تعليمنا حتى بالصبر والتعزية بما في الكتب يكون لنا رجاء » (رو ١٥ : ٤) والذي نتعلمه من حادثة انفجار موسى المدونة في سفر العدد الاصحاح الحادي عشر ١١ــ١٥ فهو على الاقل أن نتعلم هذا الدرس وهو ان البرية والسير فيها كفيلان باظهار مخبآت قلوبنا بل قلب أحسن من فينا ففي البرية فقط ينكشف لنا مافي قلوبنا وكما أن سفر العدد معتبر لدينا كتاب البرية فمن المنتظر ان نجد فيه كل أنواع الفشل والضعف بأجلى بيان لان روح الله يصف بأمانة كل شيء فهو يصف لنا الرجال كما هم حتى عن موسى يقول تكلم بغضب ولذا قد دونت كلمات الغضب لتعليمنا وانذارنا فموسى كان تحت الآلام مثلنا ومن الجلي أن نرى في الجزء المختص بتاريخ موسى المطروح امامنا ان قلبه يتثقل تحت حمل المسؤوليات الثقيل ولابد أن نقول لاعجب أن قلب موسى يتثقل ولا غرابة في ذلك حقاً لان حمله كان أثقل من ان تحتمله اكتاف بشرية غيران السؤال الذي نجيب به هل حمل كهذا ثقيل على الاكتاف الالهية؟هل حقيقة ما ادعى به موسى انه عليه وحده وقعت أثقال هذا الحمل ؟ ألم يكن الله الحي معه ؟ ألم يكن فيه الكفاية وماذا يهم لو أراد الله أن يستخدمهم رجلا واحداً أو عشرات الالوف فكل قوة وكل حكمة وكل نعمة كانت فيه وحده فهو

ينبوع كل البركات وبحكم الايمان لافرق لدينا من جهة المجرى سواء كان هناك مجرى واحد أو الف مجرى ومجرى .

هذا ماقصدنا ان نقدم به مبدأ ادبياً جميلا لكل خدام المسيح فامثال اولئك في حاجة ان يتذكروا انه حينما يضع الرب المسؤولية على شخص فهو يؤهله لها ويحفظه ليقوم بها وبديهي انه اذا اندفع شخص الى حقل العمل بدون ان يرسل لتأدية خدمة او اجتياز صعوبة او مقاومة خطر فحالة كهذه تختلف كل الاختلاف عن تلك التي نحن بصددها الآن ففي الحالة الثانية لا ننتظر الا الانهزام اما عاجلا او آجلا ولكن عندما يرسل الله شخصاً الى اي عمل لابد وان يزوده بكل مايحتاج اليه من النعمة لتأديته فهو لا يرسل ابداً شخصاً بلا زاد للطريق فكل ماعلينا ان نفعله ان نتكل عليه في كل مانحتاج اليه وهذا المبدأ صحيح في كل الاحوال فلا نفشل ابداً اذا التصقنا بالله الاله الحي ولا يجف مجرانا اذا استقينا من الينبوع الاصلي كان يمكن ان تجف مجارينا بسرعة لولا أن الرب يسوع يقرر لنا هذه الحقيقة ان من يؤمن به كما قال الكتاب تجري من بطنه انهار ماء حي .

هذا درس عظيم الاهمية ونافع لنا في البرية ولا يمكننا السير والتقدم بدونه . ولو كان موسى تعلمه جيداً لما نطق مطلقاً باقوال كهذه « من اين لي لحم حتى اعطي جميع هذا الشعب » بل كان عليه ان يثبت نظره في الرب فقط . وكان عليه ان يعرف انه انما كان كآلة في يدي الله الذي لا تحد قدرته ولا تستقصى ينابيعه . نعم بالتأكيد ان موسى نفسه لا يمكنه ان يقدم لذلك الجمع الغفير ولا مؤونة يوم واحد . ولكن يهوه يستطيع ان يسد أعواز كل

حي . نعم ويسدها الى الابد .

هل نحن نؤمن بذلك ايماناً حقيقياً ؟ الا يظهر علينا أحياناً كأننا في شكوك وريبة من جهة قدرة الله ؟ ألا نشعر أحياناً كأنما قد وضعنا حمل أعواز الجماعة على اكتافنا بدلا من أن نضعه على الرب ؟ ومن ثم فهل عجيب اذا أصابنا من وراء ذلك كل فشل ووهن وخوار عزيمة ؟ حقاً لقد صدق موسى حين قال « لا أقدر أنا وحدي ان أحمل جميع هذا الشعب لانه ثقيل عليّ » نعم فلم يوجد سوى قلب واحد استطاع ان يتحمل أثقال شعب كهذا هو قلب ذلك الاله المبارك الذي حينما رآهم يئنون ويتنهدون وسط مذلة عمل الطين واللبن وبين قمين الطوب في مصر نزل ليخلصهم . والذي بعد ان أنقذهم من يد العدو اتخذ لنفسه مسكناً في وسطهم . نعم هو الذي استطاع ان يحمل أثقالهم وهو وحده لا سواه وقلبه المحب وذراعه الرفيعة كانا وحدهما كافيين لهذه المهمة . ولو كان موسى في ملء قوة هذا الحق الثمين لما فاه بل لما استطاع أن يفوه باقوال كهذه « فان كنت تفعل بي هكذا فاقتلني قتلا ان وجدت نعمة في عينيك فلا أري بليتي »

حقاً ان هذه كانت فترة مظلمة في تاريخ ذلك الخادم الجليل العظيم. وهي تذكرنا على نوع ما بايليا وما حدث له حينما اضطجع ونام تحت الرتمة وطلب من الرب ان يأخذ حياته . ويالة من أمر عجيب ان نرى هذين الرجلين موسى وإيليا ظاهرين معاً فوق جبل التجلي . ان ذلك مما يبرهن جلياً بان أفكار الله ليست كافكارنا ولا طرقه كطرقنا . فقد كان في مقاصد الله وفكره شيء أفضل وأجمل مما طلبه هذان الخادمان الجليلان . تبارك اسمه تعالى.

حقاً إنه يوبخ مخاوفنا بغنى فيض نعمته . وبينما يتطلب قلوبنا الضعيفة موتاً وشقاء نراه هو يعطي حياة وغلبة ومجداً .

ومع كل ذلك فاننا لانستطيع الا ان نحكم بان موسى باستعفائه من مركز محفوف بالمسؤولية العظمى انما في الحقيقة قد استعفى من مركز الكرامة السامية والامتياز المقدس . وهذا واضح جداً من مطالعة الفقرات التالية « فقال الرب لموسى اجمع اليَّ سبعين رجلاً من شيوخ إسرائيل الذين تعلم منهم انهم شيوخ الشعب وعرفاؤه. وأقبل بهم الى خيمة الاجتماع فيقفوا هناك معك . فأنزل أنا واتكلم معك هناك وآخذ من الروح الذي عليك واضع عليهم فيحملون معك ثقل الشعب فلا تحمل انت وحدك»

عدد ١٦ ، ١٧

فماذا نفهم من ذلك ؟ هل منح الرب قوة اضافية لمناسبة دخول هؤلاء السبعين رجلا تحت عبء المسؤولية مع موسى . انهم في الحقيقة لم يأخذوا قوة روحية إلا بمقدار ما توزع عليهم من الروح الذي كان على موسى نعم ان العدد أصبح سبعين رجلا بدلا من رجل واحد ولكن كثرة العدد لم يترتب عليها زيادة في القوة الروحية عن القوة التي كانت للواحد . ومع ان اشتراك هؤلاء السبعين مع موسى قد وفر عليه تعباً ولكنه في الواقع أضاع عليه مجداً فانه لم يعد بعد ذلك الا شريكا مع شركاء آخرين بعد ان كان هو الشخص الفريد الوحيد الذي اليه تتجه الانظار . ورب قائل يقول ان موسى ذلك الخادم المبارك لم يشأ ان يطلب لنفسه مجداً بل بالحري قصد طريق التواضع والاختفاء والعزلة . ومع اننا لانشك في صدق هذا القول ،

ولكننا نقول ان ذلك لا يمس موضوعنا الذي نحن الآن بصدده . فاننا لا ننكر أن موسى كما سنرى فيما يلي كان أحلم رجل على وجه الارض . ولا نقصد أيضاً ان نلمح بأن أي انسان بشري كان في امكانه ان يتصرف أفضل مما تصرف موسى في هذه الظروف . ولكننا في الوقت نفسه يجب أن نأخذ لانفسنا درساً ثميناً عملياً من هذا الفصل المطروح لدى تأملنا . اننا نقر بان أعظم شخص في الوجود غير معصوم من العثرات والسقوط . ويظهر لنا جلياً بان موسى في الاصحاح الحادي عشر هذا من سفر العدد لم يكن في سمو الايمان الهادي الجميل . لانه يظهر أمامنا في هذه الفترة انه قد فقد حتى نفس توازن روحه . ذلك التوازن الذي هو النتيجة اللازمة من تواجد نقطة الارتكاز في الاله الحي . ونحن انما نفهم ذلك ليس فقط من أمر انحنائه تحت عبء مسؤوليته ولكن أيضاً من ثنايا الاعداد التالية « وللشعب تقول تقدسوا للغد فتأكلوا لحماً لانكم قد بكيتم في أذني الرب قائلين من يطعمنا لحماً . انه كان لنا خير في مصر . فيعطيكم الرب لحماً فتأكلون . تأكلون لا يوماً واحداً ولا يومين ولا خمسة أيام ولا عشرة أيام ولا عشرين يوما . بل شهراً من الزمان حتى يخرج من مناخركم ويصير لكم كراهة لانكم رفضتم الرب الذي في وسطكم وبكيتم أمامه قائلين لماذا خرجنا من مصر فقال موسى ست مئة الف ماش هو الشعب الذي أنا في وسطه وانت قد قلت أعطيهم لحماً ليأكلوا شهراً من الزمان . أيذبح لهم غنم وبقر ليكفيهم أم يجمع لهم كل سمك البحر ليكفيهم . فقال الرب لموسى هل تقصر يد الرب الآن تري أيوافيك كلامي أم لا » عدد ١٨ — ٢٣

فمن هذه الاقوال نرى روح عدم الايمان عاملا في موسى . ذلك الروح الذي يقصد ان يحصر سلطان وقدرة قدوس اسرائيل ضمن دائرة ضيقة محدودة . الا يستطيع الاله القدير مالك السموات والارض خالق أطراف الارض ان يعطي لحما لاطعام ستمائة الف ماش . يا للاسف فاننا كثيراً ما نسقط جميعنا سقوطا مشيناً في عثرة هذه الشكوك وعدم الايمان . وذلك لاننا لا ندخل عملياً كما ينبغي في اختبار تلك الحقيقة المهمة . وهي ان معاملتنا وارتباطنا هما مع إله قدير حي لان الايمان يدخل الله في القضية . ولذلك لا يعرف شيئاً عن الصعوبات والعقبات . نعم بل وانه يهزأ بالمستحيلات ويضحك عليها . ففي حكم الايمان نرى الله هو الجواب المتين لكل سؤال والحل الوحيد لكل عقدة لانه يرجع بكل أمر لله نفسه . ومن ثم فليس من المهم في نظر الايمان سواء كان الشعب ستمائة الف رجل أو ستمائة مليون رجل . لانه يعلم جيداً ان الله فيه كل كفاية وان كل ينابيعه في القادر على كل شيء . أما عدم الايمان فيقول « كيف يكون هذا وكيف يتم ذلك ؟ » فهو مملوء بكل سؤال وبكل « كيف » ولكن الايمان فيه جواب واحد مهم لكل سؤال ولكل « كيف » ولو كانت تلك الاعتراضات الافاً متعددة وذلك الجواب هو « الله » .

« فخرج موسى وكلم الشعب بكلام الرب وجمع سبعين رجلا من شيوخ الشعب وأوقفهم حوالي الخيمة فنزل الرب في سحابة وتكلم معه واخذ من الروح الذي عليه وجعل على السبعين رجلا الشيوخ . فلما حلت عليهم الروح تنبأوا ولكنهم لم يزيدوا — عدد ٢٤ و٢٥ »

ان السر الحقيقي لكل خدمة هو القوة الروحية فلا مدخل لذكاء

الانسان ولا لفطنته ولا لاجتهاده بل لقوة روح الله لاغير . هـذا المبدأ كان حقاً في أيام موسى وهو حق الآن أيضاً في أيامنا هـذه « ليس بالقوة ولا بالقدرة بل بروحي يقول رب الجنود — زكريا ٤ : ٦ » وجدير بجميع خدام الرب ان يتذكروا ذلك دائما ولا يعرب عن أذهانهم فانه مما يشجع قلوبهم ويسندها كما وانه يعطي خدمتهم جدة ونضارة دائما . والخدمة التي مصدرها الاتكال الكلي على الروح القدس لا يمكن ان يجف ينبوعها أبداً وكل من يستقي من ينابيع قوته الذاتية لابد ان تعتريه النشوفة واليبوسة في القريب العاجل . اذ لا عبرة مطلقا بمقدرته الشخصية ولا باتساع مداركه ولا بكثرة مطالعته ولا برحبة مخازن معلوماته . فانه اذا لم يكن الروح القدس هو نبع وقوة خدمته فان هذه الخدمة لا بد ان تفقد نضارتها وتعدم تأثيرها عاجلا أو آجلا .

فما أعظم المسؤولية الموضوعة على عاتق كل من يخدم الرب سواء كان في البشارة بالانجيل أو في كنيسة الله . وذلك من جهة وجوب اتكاله الكلي واعتماده دائما وابداً على قوة الروح القدس ليس الا . لان الروح القدس يعرف تماما ماتحتاجه النفوس ويستطيع ان يسد هـذا الاحتياج . ولكنه يريد منا ان نثق فيه وان نستخدمه في معونتنا فلا يجب ان نتكل بعض الاتكال على الذات والبعض الآخر على قوة روح الله . لان ذلك لا يجدينا نفعاً ومتى كان في قلوبنا أي أثر للثقة الذاتية فلا بد ان يصير ذلك ظاهراً فتنكشف حالتنا سريعاً . لذلك يجب ان نستأصل فعلا من أعماق قلوبنا كل أثر يتعلق بالذات اذا شئنا ان نكون أواني للروح القدس .

هذا ولا نخال القاريء الكريم يجهل قصدنا من هذه الاقوال. ان غايتنا منها ليس ان نقلل من أهمية اجتهاد الخادم في الدرس المستمر والمواظبة على مطالعة كلمة الله بغيرة مقدسة وانتباه حار . ولا غايتنا ان نثبط الهمم في درس التجارب والتدريبات والامتحانات والحاربات الروحية وجميع أنواع الصعوبات التي تتقوى منها نفوسنا . حاشا أن يكون هذا غرضنا بل ان اعتقادنا بعكس ذلك. وهو اننا كلما اعتمدنا اعتماداً كلياً على قوة الروح القدس ونحن معترفون بفراغنا وعدم قوتنا كلما كان اجتهادنا أكثر واشتياقنا أعظم الى درس الكتاب والى درس نفوسنا أيضاً . واذا اتخذ أي انسان مجرد الاتكال الصوري على الروح القدس كذريعة للاهمال في درس الكلمة والتأمل فيها بروح الصلاة . فان ادعاء باطلا كهذا هو الغلط الفاحش والضلال المبين « اهتم بهذا . كن فيه لكي يكون تقدمك ظاهراً في كل شيء — ١ تيموثاوس ٤ : ١٥ »

والآن وقد فهمنا ذلك كله فلنتذكر دائما ان الروح القدس هو نبع الخدمة الحي الذي لا ينضب ولا يجف أبداً وهو وحده الذي يستطيع أن يقدم لنا كنوز كلمة الله في ملء نضارتها وكمالها الالهي . وبسلطانه السماوي يطبق حقائق الكلمة على احتياجات النفس حسب ظروفها الحالية . ان الخدمة الحقيقية ليس معناها اعلان حق جديد للسامعين بل فقط شرح الكلمة كما هي وتقديمها لشعب الله كعلاج مناسب لاعوازهم الادبية والروحية هذه هي الخدمة الصحيحة فقد يتكلم شخص مائة مرة في موضوع واحد من الكتاب ولاشخاص معينين. ولكنه في كل مرة يتكلم، نجده يكرز بالمسيح للنفوس كطعام جديد وعلى خدمته نضارة وجدة روحية . ثم بعكس ذلك فقد

نجد شخصاً آخر يقدح زناد فكره ليأتي للسامعين بمواضيع جديدة وبطرق حديثة في شرح قصص ومباحث ومع كل ذلك فلا يوجد في خدمته أي كلمة أو أي حرف عن شخص المسيح ولا أي أثر للقوة الروحية .

هذه الحقائق كلها تنطبق على المبشر كما وأيضاً على المعلم أو الراعي فقد يُدعى شخص للتبشير بالانجيل في جهة واحدة وقد يستمر فيها سنين عديدة وربما أحياناً يشعر بثقل في بعض الاوقات من جهة وجوده وسط جماعة معينة مدة طويلة كهذه وهو يكرز بينهم في ذات المواضيع عينها اسبوعاً بعد آخر وشهراً بعد آخر وسنة بعد أخرى. وربما يشعر بافتقار واضطرار لمواضيع أخرى أو مواعظ جديدة أو تنوع في الخطابة . وربما يشتاق أن ينتقل لأي دائرة أخرى من العمل حيث تكون مواضيعه المألوفة لديه جديدة لآذان السامعين . ولكننا نقول لشخص كهذا انه مما يشجعه كثيراً ان يتذكر ان موضوع الكرازة الوحيد هو شخص المسيح لاغير . وان القوة لتبليغ هذه الكرازة هي قوة الروح القدس ليس الا . وان الشخص الذي تقدم اليه هذه الكرازة هو شخص الخاطيء الهالك المسكين ويجب أن يفهم أيضاً أن شخص المسيح جديد دائما وابداً . وان قوة الروح القدس جديدة كذلك أيضاً حالة نفس كل خاطيء تستدعي الاهتمام والخدمة دائما وابداً

وزيادة عما ذكر يحسن بالمبشر ان يتذكر انه لدى خروجه للتبشير في كل مرة عليه ان يلاحظ ان الذين يبشرهم يجهلون الانجيل حقيقة . ومن ثم يجب عليه ان يبشرهم كأن هذه هي أول مرة فيها سمع الحاضرون مواعظه . وان هذه أول مرة القى هذه المواعظ . لانه يجب ان تتذكر جيداً ان التبشير

بالانجيل حسب المعنى الالهي المقصود منه هو ليس مجرد عقائد تبشيرية ولا هو عبارة عن صور أقوال معينة تقال مراراً وتكراراً بطريقة يمل منها السامعون . حاشا وكلا فان معناه أسمى من ذلك اذ هو في الحقيقة اعلان قلب الله وشخص المسيح وعمله وكل ذلك بقوة الروح القدس. ومن كنز الكتاب المقدس الذي لا يفرغ

ياليت جميع المبشرين يحفظون هذه الامور في ذاكرتهم دائماً ومتى حفظوها لا يهمهم ان كان في جهة واحدة مبشر واحد أو سبعون مبشراً وسواء كان في جهة واحدة شخص واحد لمدة خمسين سنة أو شخص واحد متجول في خمسين جهة في ظرف سنة واحدة . لان المسألة ليست متعلقة بالخدمة بين جماعات جديدة أو في جهات جديدة بل متعلقة بقوة الروح القدس لاعلان شخص المسيح للنفوس . ولذلك نرى في قضية موسى كما هي مدونة في اصحاحنا هذا ان الرب لم يعط للسبعين قوة اكثر مما كان لموسى. بل ان الروح الذي كان على موسى قد توزع على السبعين شيخاً . فالله يستطيع ان يعمل بواسطة رجل واحد كما يعمل بواسطة سبعين رجلا وان كان هو لا يعمل فان السبعين رجلا ليسوا في نظره اكثر من رجل واحد . لذلك يهمنا جداً ان نجعل الله دائما غرض نفوسنا الوحيد فان هذا هو السر الحقيقي لقوة الخدمة وجدتها ونضارتها سواء كان الخادم مبشراً أو معلماً أو أي شخص آخر . ومتى استطاع أي شخص أن يقول « ان كل ينابيعي هي في الله » فلا ينشغل بعد ذلك لا من جهة دائرة الخدمة ولا من جهة كفاءته للقيام بهذه الخدمة. ولكن متى كانت ينابيعه في غير الله فمن السهل جداً ان نفهم ان ذلك هو سبب أنينه وتذمره

من العمل ومن المسؤولية الملقاة عليه في دائرة ذلك العمل. وربما تتذكر ما قرأناه عن موسى في الاصحاحات الاولى من سفر الخروج كيف ان الرب لما دعاه للذهاب الى مصر أبى ان ينزل وحده ببساطة الاتكال على الله ولكنه لما رافق هارون أظهر الاستعداد الكلي للذهاب وهذا هو الحال مع جميعنا فاننا نريد أموراً ملموسة أموراً تراها عيوننا البشرية وتلمسها أيدينا البشرية ولذا فاننا نستصعب السير بالايمان كاننا نرى من لا يرى والنتيجة ان نفس المساند التي نتوكأ عليها قد تكون غالباً عكاكيز مكسرة تخترق أيدينا وكل من راجع تاريخ هارون يجد انه انما كان مصدر أحزان لا تنقطع واوجاع مستمرة لقلب موسى. هذا هو هارون الذي اغتبط موسى بمرافقته وهكذا نحن فان كل الذين نتوهم بغباوة قلوبنا انهم شركاء لنا في العمل لا يمكن ان نستغنى عنهم قد ينقلبون غالباً الى عكس انتظارنا والى خيبة آمالنا بخلاف ما كنا نتوقعه على خط مستقيم. ياليتنا جميعاً نتعلم الاتكال على الاله الحي بقلب صادق ويقين شديد وثقة لا تتزعزع

والان ينبغي ان نختم هذا الفصل ولكننا قبل ذلك نريد ان نتأمل لحظة في تلك الروح العالية والاخلاق الجميلة التي قابل بها موسى تلك الظروف الجديدة التي أوجد نفسه فيها فان الانحناء تحت عبء المسؤولية والخدمة شيء. ولكن التصرف بالنعمة الالهية والتواضع الحقيقي نحو من يشاركوننا في حمل عبء تلك المسؤولية وتلك الخدمات شيء آخر. والامران يختلفان أحدهما عن الاخر اختلافاً كلياً. ونحن كثيراً ما نرى هذا الاختلاف واضحاً جداً في ظروف عديدة ففي هذا الفصل المطروح امامنا نرى موسى يظهر منتهى الوداعة التي

قد امتاز بها امتيازاً خاصاً « وبقي رجلان في المحلة اسم الواحد الداد واسم الاخر ميداد فحل عليهما الروح وكانا من المكتوبين لكنهما لم يخرجا الى الخيمة فتنبأا في المحلة فركض غلام واخبر موسى وقال الداد وميداد يتنبآن في المحلة . فاجاب يشوع بن نون خادم موسى من حداثته وقال ياسيدي موسى اردعهما . فقال له موسي هل تغار انت لي ياليت كل شعب الرب كانوا أنبياء اذا جعل الرب روحه عليهم عد ٢٦ — ٢٩ »

حقاً ان هذا المظهر في غاية الجمال والكمال فان موسى كان بعيداً جداً عن تلك الروح التي لا تليق روح الحسد والغيرة التي من شأنها ان لا تسمح لاي شخص آخر بالتكلم سوى شخصه . ولقد كان مستعداً بنعمة الله ان يفرح ويسر لأي مظهر كان من مظاهر القوة الروحية الحقيقية . لا فرق عنده في أي مكان ظهرت تلك القوة ولا في أي الاشخاص . وقد عرف موسى جيداً ان التنبؤ الحقيقي لا يمكن أن يكون الا بقوة روح الله متى حلت تلك القوة على أي شخص كان. فمن هو موسى حتى يخمد أو يعيق تلك القوة ؟

ياليت هذه الروح العالية التي كانت لموسى تكون لكثيرين منا وياليتنا جميعاً نربي هذه الروح في نفوسنا وياليت الرب يعطينا نعمة لنفرح ونسر من قلوب ملؤها الاخلاص وعدم الرياء حينما نسمع ان جميع شعب الرب يشهدون لاسمه ويخدمون شخصه حتى ولو لم نرهم بعيوننا ومهما اختلفنا في طرق خدماتنا أو مقياس مواهبنا . لانه في الحقيقة لا يوجد أدنى وأحط من تلك الروح الذميمة . روح الغيرة والحسد التي لا تسمح لصاحبها أن ينشغل بأي شيء سوى المشغولية بالذات وخدمة الذات . ولكننا يجب أن نفهم تماماً

انه متى كان روح المسيح عاملاً في القلب فهناك توجد المقدرة للخروج عن دائرة المشغولية بالذات الى متسع دائرة العمل في حقل سيدنا المبارك وفي مشاطرة خدامه المحبوبين في الخدمة والجهاد . وهناك يكون سرور قلوبنا محصوراً في أمر واحد وهو اتمام العمل وانجاز خدمة الرب لا غير . لا فرق عندنا ان كان العامل هذا أو الخادم ذاك . وكل شخص قد امتلأ قلبه بالمسيح لا سواه يستطيع ان يقول نعم ويقول بلا تردد ولا امهال « ما دام الغرض من الخدمة هو ان يتم عمل الرب وأن يتمجد شخص المسيح وأن تخلص نفوس الخطاة وأن يعتني بقطيع الرب وبطعامهم وخدمتهم ـ ما دام هذا كله هو غرض الخدمة وموضوعها فلا يهمني مطلقاً ان كان الخادم هذا أم ذاك »

هذه هي الروح الحقيقية التي يجب أن نربيها في نفوسنا وهي بلا شك تمتاز كل الامتياز عن تلك الروح المنحطة . روح المشغولية بالذات والانانية المحصورة ضمن دائرة ضيقة لا سرور لها الا بما يمجد الذات وبما يجعل لكلمة « أنا ونفسي » المكان الاول . يا ليت الرب يخلصنا من هذه العوائق جميعها ويساعدنا لكي نربي في نفوسنا صفات تلك الروح التي ظهرت في موسى حين قال « هل تغار أنت لي . يا ليت كل شعب الرب كانوا أنبياء اذا جعل الرب روحه عليهم »

أما الفقرات الاخيرة من اصحاحنا هذا فترينا شعب الله وهم يتمتعون بشهوة قلوبهم . ويا له من تمتع باطل وشهوة رديئة جلبت عليهم شقاوة وموتاً وهلاكاً . « أعطاهم سؤلهم وأرسل هزالاً في نفوسهم ـ مزمور ١٠٦ : ١٥ » نعم فقد نالوا ما تمنوا وتحصلوا على ما تاقت اليه نفوسهم ولكنهم وجدوا فيه

موتهم وهلاكهم طلبوا لحماً ولكن مع اللحم جاءت الدينونة وحل عليهم قضاء الرب . هذا امر خطير جداً ويا ليتنا ننتبه للانذار المقدم الينا في هذه الدروس الثمينة. ان قلوبنا المسكينة مملوءة برغائب باطلة وشهوات هي مكرهة الرب ولا يمكن ان تجد هذه الرغائب والشهوات طعامها في المن السماوي لان طعامها وشبعها في أشياء أخرى خلاف ذلك المن . قد يسمح الله لنا بها ولكن ماهي نتيجة الحصول عليها ياترى . ان النتيجة واضحة وهي الهزال والجدب والتأديبات المرة . يارب احفظ قلوبنا ثابتة في شخصك وحدك كل حين . كن أنت لنا النصيب الصالح الذي تكتفي به نفوسنا وتقنع به قلوبنا بينما نحن عابرون هذا القفر والى ان نعاين وجهك في المجد

الاصحاح الثانى عشر

إن هذا الفصل الموجز الذي وصلنا اليه الآن من سفر العدد يتجلى لنا من وجهتين ممتازتين احداهما تختلف عن الاخرى . الاولى من الوجهة الرمزية أو التاريخية . والثانية من الوجهة الادبية أو العملية .

فارتباط موسى بتلك « الامرأة الكوشية » يرمز الى ذلك السر الجليل العظيم . سر اتحاد الكنيسة بالمسيح رأسها . وقد مر علينا درس هذا الموضوع أثناء تأملاتنا في سفر الخروج ولكننا نقرأ عنه هنا في نور خاص كأمر قد أوجب تذمر هرون ومريم ومن هذا نتعلم ان مظاهر النعمة الالهية دائما توجب مقاومة اولئك الذين يدّعون القرابة الطبيعية والامتيازات الجسدية

ونحن نعرف من تعاليم العهد الجديد ان امتداد النعمة للامم كان سبباً في اضرام نار الكراهة العظمى في قلوب اليهود فلم يقبلوا ذلك ولا استطاعوا أن يؤمنوا به ولا أرادوا أن يسمعوا شيئاً عنه . وفي الاصحاح الحادي عشر من رسالة رومية نرى اشارة بديعة جداً عن ذلك حيث يقول الرسول مخاطباً الامم « لانه كما كنتم انتم ايضاً مرة لاتطيعون الله ولكن الآن رحمتم بعصيان هؤلاء هكذا هؤلاء (اليهود) ايضاً الآن لم يطيعوا لكي يرحموا هم أيضاً برحمتكم (بالرحمة التي رحمتم بها) عد ٣٠ و٣١ » انظر الاصل اليوناني

هذه هي الحقيقة المهمة المرموز اليها في تاريخ موسى فقد قدم نفسه أولا لاسرائيل اخوته حسب الجسد . ولكنهم بعدم ايمان رفضوه . وقد نبذوه من بينهم ولم يقبلوه في وسطهم . ولكن هذا الرفض كان في مقاصد الله المطلق السلطان والتصرف ليعطي فرصة لرحمة تلك الامرأة الكوشية الاجنبية لاننا نعلم ان الاقتران بتلك الزوجة الاممية انما حصل في الوقت الذي كان فيه موسى مرفوضاً من اسرائيل وذلك الاقتران رمز عجيب لسر اتحاد المسيح بالكنيسة . ولكننا نرى في هذا الفصل ان مريم وهرون قد تذمرا على موسى بسبب هذا الزواج . وقد غضب الرب عليهما بسبب هذا التذمر حتى ان مريم صارت برصاء ونجسة واصبحت في حالة سيئة تستوجب الرحمة . وتلك الرحمة انما جاءت اليها بواسطة شفاعة نفس الشخص الذي هي قد تذمرت عليه .

ومن هنا نرى كمال وجمال الرمز في أتم صورة وابدع مثال . فاليهود لم يؤمنوا بذلك الحق المجيد الخاص برحمة الله للامم ولذلك حل عليهم غضب الرب وقضاؤه الصارم . ولكنهم سيعودون في المستقبل ويدخلون بمجرد الرحمة

فقط كما دخل الامم أيضاً . ولا شك ان ذلك مما يذل ويخفض كبرياء وعظمة أولئك الذين أرادوا الافتخار بالمواعيد والامتيازات الجسدية ولكن هكذا شاءت حكمة الله في تدابيره الفائقة الوصف ومقاصده العالية عن الفحص . بل ان نفس هذا الامر قد جعل الرسول الموحى اليه بالروح أن ينطق بتلك التسبحة المجيدة العجيبة قائلاً «يالعمق غنى الله وحكمته وعلمه . ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء . لان من عرف فكر الرب أو من صار له مشيراً أو من سبق فاعطاه فيكافأ لان منه وبه وله كل الاشياء له المجد الى الابد آمين » (رومية ١١ : ٣٣ - ٣٦)

الى هنا نكتفي بما قلناه عما يشتمل عليه هذا الاصحاح من الوجهة الرمزية. والآن لنتأمل في الوجهة الثانية وهي الادبية والعملية « وتكلمت مريم وهرون على موسى بسبب المرأة الكوشية التى اتخذها لانه كان قد اتخذ امرأة كوشية . فقالا هل كلم الرب موسى وحده . ألم يكلمنا نحن أيضاً . فسمع الرب . وأما الرجل موسى فكان حليما جداً اكثر من جميع الناس الذين على وجه الارض. فقال الرب حالا لموسى وهرون ومريم اخرجوا انتم الثلاثة الى خيمة الاجتماع فخرجوا هم الثلاثة . فنزل الرب في عمود سحاب ووقف في باب الخيمة ودعا هارون ومريم فخرجا كلاهما . فقال اسمعا كلامي . ان كان منكم نبي للرب فبالرؤيا استعلن له في الحلم اكلمه. اما عبدي موسى فليس هكذا بل هو أمين في كل بيتي . فماً الى فم وعياناً اتكلم معه . لا بالالغاز . وشبه الرب يعاين فلماذا لا تخشيان ان تتكلما على عبدي موسى . فحمي غضب الرب عليهما ومضى . فلما ارتفعت السحابة عن الخيمة اذا مريم برصاء كالثلج

فالتفت هرون الى مريم واذا هي برصاء » (عدد ١ـ١٠)

من هذه الحادثة نتعلم أن التكلم على خدام الرب أمر خطير جداً وشر عظيم لكل من يقع فيه ولا بد ان الرب يتداخل بنفسه لعقاب مرتكبه عاجلا كان أم آجلا . ففي قضية مريم هذه نري القضاء قد حل عليها بغتة وبصورة مرعبة خطيرة . وذلك لانه كان من الخطأ الفاحش بل من التمرد الواضح ان تتكلم مريم وهرون على ذلك الشخص الممتاز الذي منحه الرب اعتباراً خاصاً وسلمه وكالة ألهية. بل وأكثر من ذلك فانه حتى في نفس الامر الذي تذمرا عليه بسببه كان قد تصرف حسب مشورات الله ومقاصده الازلية . لانه في اقترانه بزوجة أممية ظهر جمال الرمز الذي يشير بأجلى وضوح الى سر اتحاد المسيح بالكنيسة ذلك السر المجيد الذي كان مكتوماً في افكار الله الازلية

ويجب أن نفهم أيضاً انه حتى ولو كان التكلم على أحقر وأصغر خادم فان ذلك من أكثر النقائص وأشنع الغلطات لان أمر الخادم هو مع الرب رأساً فاذا اخطأ أو زل أو قصر في أي عمل فان الرب نفسه هو الذي يتولى محاكمته . والواجب على اخوته الخدام رفقائه في ظرف كهذا ان ينتبهوا الى انفسهم كيف يتصرفون بكل فطنة وحكمة لمعالجة قضية أخيهم والنظر فيها بروح الوداعة لئلا يوجدوا في ذات المركز الذى وجدت فيه مريم فيجلبون على انفسهم شراً كبيراً وضرراً عظيما

ومن المحزن جداً بل مما يدمي الفؤاد ان نسمع عن تصرفات مشينة يستبيحها الكثيرون في الطعن بالتكلم والكتابة على خدام المسيح . نعم قد

يعطي بعض الخدام فرصة لمطاعن كهذه وذلك لوجود لوم في سيرتهم إذ ربما ارتكبوا خطأ ما أو أظهروا روحاً أو خلقاً بخلاف روح وخلق المسيح. ولكننا على كل حال نقول صراحة ونعترف جهاراً ان التكلم بالشر على خدام الرب الاعزاء هو خطيئة شنيعة جداً والواجب علينا أن نشعر بماهية وخطورة هذه الكلمات التي وبخ الرب بها مريم وهرون قائلا « لماذا لا تخشيان ان تتكلما على عبدي » .

ياليت الرب يعطينا نعمة لنتحفظ من هذا الشر العظيم ولننتبه دائما لئلا نقع في هذه الرذيلة المكروهة لدى الرب جداً . وهي التكلم على خدامه المحبوبين لدى قلبه . ويا ليتنا بدلاً من أن ننشغل بانتقاد العيوب والنقائص التي في اخوتنا ننشغل بفضائلهم وحسناتهم . لانه لا يمكن أن يخلو فرد واحد من أفراد المؤمنين من فضيلة اذا نظرنا اليه نظرة الاخلاص والحق . لننشغل بالمحاسن فقط ولنعكف على ذلك دائما ولنجتهد في انماء وتقوية هذه الفضيلة في نفوسنا بكل الوسائل الممكنة . ثم من الوجه الآخر اذا فرض اننا لم نستطع أن نجد في أخينا وشريكنا في الخدمة شيئاً من الفضائل والمحاسن لننشغل بها . اذا فرض أن عيوننا لم تكتشف الا النقائص والعيوب . اذا فرض اننا لم ننجح في التقاط الشرارة الزاهية الحية من وسط الرماد ، والجوهرة الثمينة من وسط سقط المتاع . إذا فرض اننا لم نبصر في أخينا الأثمار الطيبة والمرغوبة فكيف نتصرف في ظرف كهذا . ان العلاج المناسب لذلك هو اما أن نمد أيدي الرقة واللطافة على ستار الصمت والسكوت فنسدلها حول أخينا المحبوب ثم نصاحه سراً . وأما أن نتكلم عنه فقط أمام عرش النعمة .

وهكذا أيضاً إذا حدث اننا جلسنا مع أشخاص ووجدناهم يتكلمون سوءاً على خدام الرب . فان لم يمكننا ان نغير مجرى الحديث فلنقم ولنترك المكان : وبذلك نكون قد قمنا بالشهادة ضد هذا الامر المكروه للمسيح . لنحترس من ان نجلس في أي مجلس حيث يكون هناك أي مغتاب نمام ونصغي لما يقول . لأنه يجب أن نفهم تماما انه انما يعمل عمل ابليس وهو بذلك يجلب ضرراً جسيماً على ثلاثة أشخاص. أولا على نفسه ثم على سامعه ثم على الشخص الذي هو موضوع انتقاداته المرة القاسية .

وكل من تأمل في كيفية التصرف الذي تصرفه موسى في هذه الحادثة المطروحة أمامنا يرى مظهراً بديعاً جداً من مظاهر الحلم والوداعة المتناهية : ولقد برهن على حلمه الواسع ليس فقط في حادثة الداد وميداد . بل وأيضاً في التجربة الاشد وقعاً على النفس . وهي تذمر مريم وهرون عليه . ففي حادثة الداد وميداد نراه عوضاً عن أن ينفعل بالغيرة والحسد ضد أشخاص تعينوا لمشاركته في مجده ومسؤوليته نراه قد ابتهج لذلك وتمنى لو أن جميع شعب الرب ذاقوا هذا الاختبار الالهي وتمتعوا بذلك الامتياز المقدس . ثم في حادثة مريم وهرون عوضاً عن أن يظهر أي شعور من الغيظ والغضب نحو أخيه واخته نراه مستعداً لاول وهلة أن يأخذ مركز الشفاعة لاجلهما والتوسط لدى الرب بشأنهما « فقال هرون لموسى اسألك ياسيدى لاتجعل علينا الخطية التي حمقنا واخطأنا بها فلا تكن كالميت الذي يكون عند خروجه من رحم امه قد أكل نصف لحمه . فصرخ موسى الى الرب قائلا اللهم اشفها » (عد ١١ — ١٣) .

ففي هـذه الحادثة نرى موسى يتمثل بسيده ويتنسم من روح الرب يسوع . فيصلي لاجل الذين تكلموا عليه شراً وتقولوا عليه سوءاً .وفي ذلك كان انتصاراً وغلبة لموسى. نعم انتصار الرجل الوديع بل انتصار النعمة . ولا شك ان كل من يعرف مركزه الحقيقي في نظر الله وفي حضرته تعالى يستطيع ان يرتفع فوق كل مايقال عنه من أقوال الشر أو كلمات السوء.فلا ينزعج لسماعها ولا يضطرب لحدوثها . ولكنه يتألم فقط من حالة الذين يمارسون هذه الرذائل ويرثي لهم ويشفق عليهم ويستطيع أن يسامحهم ويغفر لهم . نعم ان شخصاً كهذا لا يمكن أن يكون حاد الخلق ولا متشبثاً ولا مشغولا بنفسه . بل تراه مترفعاً فوق هذه الصفات عالما انه لا يمكن لاي انسان أن يخفضه عن مقياس مايستحقه من الكرامة . ولذلك فاذا تكلم أحد عليه بسوء فبكل وداعة وحلم يحني رأسه عابراً عن هذا السوء مسلماً نفسه وأمره ليدي ذاك الذي يقضي بعدل والذي لابد أن يجازي كل واحد كما تكون أعماله .

هكذا تكون العظمة الحقيقية وهكذا يكون الترفع والمجد . ويا ليتنا نفهم هذه الحقائق في اسمى معانيها ومن ثم لا يمكن أن تهيج عواطفنا بنار الغيظ والغضب إذا فرض ان أحداً تراءى له ان يحقر أشخاصنا أو يزدري بنا أو باعمالنا . بل بالحري نستطيع أن نرفع قلوبنا بالصلاة الحارة لله من أجله فنستمطر بركة الرب عليه وعلى نفوسنا نحن أيضاً .

اما الفقرات القلائل الباقية من هذا الاصحاح فتؤيد ماسبق أن أشرنا اليه أولا عن الوجهة الرمزية . أو بالحري عن مقاصد الله الازلية من نحو إسرائيل شعبه « فقال الرب لموسى ولو بصق أبوها بصقاً في وجهها . أما

كانت تخجل سبعة أيام : تحجز سبعة أيام خارج المحلة وبعد ذلك ترجع : فحجزت مريم خارج المحلة سبعة أيام ولم يرتحل الشعب حتى أرجعت مريم . وبعد ذلك ارتحل الشعب من حضيروت ونزلوا في برية فاران » (عد ١٤ — ١٦) فيمكننا اعتبار حجز مريم خارج المحلة رمزاً لحالة أمة اسرائيل التي رفضت بسبب غيظها وحنقها من جهة أفكار الله نحو رحمة الامم . ولكن متى تمت « السبعة أيام » سيرد إسرائيل على أساس الرحمة الالهية التي سيعلنها الرب لهم بواسطة شفاعة المسيح لاجلهم .

الاصحاح الثالث عشر

« ثم كلم الرب موسى قائلا ارسل رجالا ليتجسسوا أرض كنعان التي أنا معطيها لبني اسرائيل . رجلا واحداً لكل سبط من آبائه ترسلون . كل واحد رئيس فيهم . فارسلهم موسى من برية فاران حسب قول الرب . كلهم رجال هم رؤساء بني إسرائيل » (عدد ١ — ٣) .

لكيما نفهم معنى هذه الاقوال تماما يجب أن نتأملها من وجهة ارتباطها بعبارة واردة في سفر التثنية . حيث نجد موسى أثناء كلامه عن حوادث تاريخ إسرائيل العجيب في البرية يذكّر الشعب بهذه الظروف الخطيرة المهمة الآتية « ثم ارتحلنا من حوريب وسلكنا كل ذلك القفر العظيم المخوف الذي رأيتم في طريق جبل الاموريين كما أمرنا الرب إلهنا . وجئنا الى قادش برنيع . فقلت لكم قد جئتم الى جبل الاموريين الذي أعطانا الرب الهنا . انظر

قد جعل الرب الهك الارض أمامك . اصعد تملك كما كلمك الرب اله آبائك لا تخف ولا ترتعب . فتقدمتم اليّ جميعكم وقلتم دعنا نرسل رجالا قدامنا ليتجسسوا لنا الارض ويردوا الينا خبراً عن الطريق التي نصعد فيها والمدن التي نأتي اليها » (تثنية ١ : ١٩ – ٢٢)

ففي هذه الاعداد نري ان منبع فكرة ارسال الجواسيس المنوه عنهم في سفر العدد ١٣ : ٢ انما كان الشعب نفسه : وواضح جداً ان الرب لم يأمر بارسال أولئك الجواسيس الا بمناسبة انحطاط حالتهم الادبية فلو كانوا سائرين ببساطة الايمان لكانوا عملوا باقوال موسى المشجعة الواردة في عدد ٢١ « انظر قد جعل الرب إلهك الارض أمامك . اصعد تملك كما كلمك الرب اله آبائك لا تخف ولا ترتعب » وكل من تأمل في هذه الاقوال السامية لا يجد أثراً ولا ذكراً لكلمة « جواسيس » بل ولا حرفا واحداً عنهم . لانه ماذا يحتاجه الايمان من الجواسيس متى كانت له كلمة الله الحي وحضور شخصه المبارك بمواعيده الصادقة . وان كان يهوه قد اعطى شعبه أرضاً فبالضرورة تكون هذه الارض مما يستحق العطية . وألم يعطهم الرب تلك الارض ؟ نعم بالتأكيد انه اعطاها لهم . وليس كذلك فقط بل انه اعطاهم ايضاً بياناً كافياً عن أوصافها وطبيعتها كما ترى من الأعداد البديعة الآتية « لان الرب الهك آت بك الى أرض جيدة أرض انهار من عيون وغمار تنبع في البقاع والجبال . أرض حنطة وشعير وكرم وتين ورمان . أرض زيتون زيت وعسل . أرض ليس بالمسكنة تأكل فيها خبزاً ولا يعوزك فيها شيء . أرض حجارتها من حديد ومن جبالها تحفر نحاساً » (تثنية ٨ : ٧ – ٩)

أفما كانت شهادة كهذه كافية لاقناع قلوب الشعب ؟ أما كان واجباً عليهم ان يكتفوا بشهادة الله نفسه عن تلك الارض؟ألم يتجسس لهم الارض هو بشخصه ؟ ألم يخبرهم بكل شيء عنها ؟ وألم يكن في ما اخبرهم به كفاية كل خبر ؟ لانه ماذا كانت الحاجة بعد لارسال رجال يتجسسون الارض ؟ ألم يعرف الله كل شيء عنها ؟ هل كانت هناك أي بقعة « من دان الى بئر سبع » لم يعرفها الرب جيد المعرفة ؟ ألم يختر الرب هذه الارض لنسل ابراهيم خليله . وقد قسمها لهم حسب مشورات نفسه الصالحة ؟ ألم يعرف الرب كل شيء عن الصعوبات التي ستقف في طريقهم ؟ وألم يكن في سلطانه ان يذللها أمامهم ويرفعهم فوقها؟ فلماذا اذاً تقدموا جميعاً وقالوا دعنا نرسل رجالاقدامنا ليتجسسوا لنا الارض ويردوا الينا خبراً ؟

آه ايها القارىء العزيز . حقاً ان هذه الامور لم تحدث جزافاً بل أن فيها لنا نحن دروساً ثمينة لأنها تفحص اعماق قلوبنا وتكشف مخبآتنا وتعلن لنا حقيقة حالتنا بالتمام : ولا يليق بنا أن نجلس بغير مبالاة ولا اكتراث نتسلى بانتقاد تصرفات شعب اسرائيل في البرية ونلومهم على غلطاتهم العديدة وسقطاتهم ونقائضهم : بل يجب أن نتخذ هذه الامور كمثال لتعليمنا وانذارنا ونعتبرها كمنائر شيدتها لنا ايدي المحبة الصادقة لتحذيرنا من الشعاب الخطرة والاوحال المرملة والصخور الوعرة التي تقف في سبيلنا وتهدد سلامتنا هذه هي الطريقة الوحيدة التي يجب ان نطالع بها كل صفحة من تاريخ اسرائيل اذا أردنا حقيقة ان نجني الفوائد الروحية التي قصد الرب ان نستوعبها من كتابة تاريخ كهذا

ولكن رب معترض يقول «ألم يأمر الرب موسى صريحاً ان يرسل الجواسيس ؟ وان كان كذلك فكيف نلوم شعب اسرائيل لأنهم ارسلوا جواسيساً ؟» ورداً على هذا السؤال نقول ان الرب حقيقة أمر موسى بارسال الجواسيس كما جاء في سفر العدد اصحاح ١٣ ولكننا يجب ان لا ننسى من الوجه الآخر أن هذا الامر انما كان نتيجة لازمة لحالة شعب اسرائيل. حالة الانحاط الادبي التي كانوا فيها. كما هو واضح من سفر التثنية الاصحاح الاول ولا يمكننا ان نفهم ما جاء في سفر العدد ما لم ندرسه في نور الاقوال الواردة في سفر التثنية واذا تأملنا فيما جاء بالعدد الثاني والعشرين من الاصحاح الاول من سفر التثنية نرى بكل وضوح ان فكرة ارسال الجواسيس انما كان منبعها قلوب شعب اسرائيل. ثم لما رأي الرب ان حالتهم الادبية منحطة بهذه الصورة أمر موسى بما يوافق شهوة قلوبهم تماماً. واذا رجع القارىء للصفحات الاولى من سفر صموئيل الاول لوجد حادثة مثل هذه في أمر اقامة ملك لاسرائيل. فان الرب أمر صموئيل ان يسمع لصوت الشعب ويقيم لهم ملكا (انظر صموئيل الاول ٨ : ٢٢) فهل معني ذلك ان الرب كان مصادقاً على اقامة ملك لاسرائيل ؟ بكل تأكيد لم يكن مصادقاً. بل بالعكس قد أخبرهم بكل صراحة ان عملا كهذا كان معناه رفضهم الرب كملك عليهم فلماذا اذاً امر الرب صموئيل ان يقيم لهم ملكا ؟ والجواب ان الرب أمر بذلك طبقاً لحالة اسرائيل ووفقاً لميل قلوبهم وشهوتهم لانهم كانوا قد ملوا من عيشة الاتكال الكلي على ذراع الرب الغير المنظور، وتاقت نفوسهم للاعتماد على ذراع بشري منظور. ارادوا ان يكونوا كباقي الامم الذين

حولهم وان يكون لهم ملك يخرج أمامهم ويحارب حروبهم فلما رأى الرب أن هذه هي شهوة قلوبهم أعطاها لهم. ولكنهم سرعان ما خاب فألهم وحصدوا مرارة ما زرعته أيديهم فقد برهنت الظروف على عدم نفع ملكهم بالمرة. وكان عليهم ان يتعلموا ان تركهم الاله الحي واتكالهم على عكاز مكسور اختاروه ليتوكأوا عليه انما كان وبالا عظيما ومراراً وعلقماً

هكذا الحال في أمر الجواسيس فاننا نرى نفس النتيجة . واذا طالع أي شخص روحي الموضوع بأكمله وتأمله بجميع اطرافه فلا يمكن أن يتطرق الى ذهنه أي شك في أن مشروع ارسال الجواسيس انما كان ثمرة عدم ايمان شعب اسرائيل ليس الا . لان القلب المخلص المتكل على الله ببساطة الثقة لم يكن ليفكر مطلقا في أمر كهذا . لانه ما هو الغرض ياترى من ارسال الجواسيس ؟ لنفرض اننا في مركز بني اسرائيل ولنحكم في الامر . هل يليق أن نرسل اناساً ضعفاء بشراً امواتاً ليتجسسوا ارضا سبق فوهبها لنا الرب كما وانه وصفها لنا وصفا كاملا شاملا ؟ حاشا ان يتطرق لقلوبنا فكر سيء كهذا . بل بالحري أن لسان حالنا يجب ان تكون هذه لهجته « كفي بالرب ان الارض عطية من لدنه تعالى . وما دامت هكذا فلا بد أن تكون أرضا جيدة . ان كلمته الصادقة كافية جداً لاقناع قلوبنا. لا حاجة بنا الى جواسيس اننا لا نتطلب أي شهادة من أي بشر زائل ليؤيد لنا صدق أقوال الاله الحي . فقد أعطانا الارض وهو الذي كلمنا عنها ووصفها لنا . هذا كله كاف لاقناعنا»

ولكن يا للاسف فان شعب اسرائيل لم يكونوا في حالة روحية

يستطيعون معها ان ينطقوا بلغة مثل هذه . فقد أرادوا أن يرسلوا جواسيس ورأوا حسب ظنهم ان ارسال الجواسيس أمر لازم وضروري . وقد تاقت قلوبهم لهذا الامر وتمنوه من اعماق نفوسهم . فعلم يهوه بذلك فاصدر أمراً يناسب حالة الشعب الواطية ويوافق رغائب قلوبهم وشهوات نفوسهم

هذا ويحسن بالقاريء العزيز ان يتأمل هذا الموضوع ملياً في نور الوحي الالهي . ولكيما تتجلى له الحقيقة الناصعة يجب ان يقارن ما ورد بالاصحاح الاول من سفر التثنية مع ما ورد بالاصحاح الثالث عشر هذا من سفر العدد . وربما لدى وقوع نظره لاول وهلة على ما ورد بالاعداد الاولى من الاصحاح الثالث عشر من سفر العدد المطروح لدى تأملنا الآن يجد صعوبة يشكل عليه حلها وذلك من جهة الحكم على المصدر الاصلي والينبوع الحقيقي لفكرة ارسال الجواسيس . حيث يجد ان ارسالهم انما كان بناء على أمر صريح من الرب لموسى . ولكننا يجب ان لا يغرب عن اذهاننا مطلقا ان أمر الرب بعمل أي شيء لا يبرهن قط بان الشعب محق في طلب هذا الشيء بأي وجه من الوجوه فاعطاء الناموس في جبل سيناء وارسال الجواسيس لارض كنعان واقامة ملك لشعب اسرائيل في عهد صموئيل كل هذه براهين قاطعة تؤيد صدق نظريتنا . لاشك ان الرب قد تداخل وحوّل هذه الامور كلها لمجد ذاته ولخير وبركة الانسان . ولكن الواقع ونفس الامر أن الناموس لم يكن ليعبر عن قلب الله . ولا يمكن ان ننظر اليه كصورة حقيقية لعواطفه تعالى . واقامة ملك حسب شهوة الشعب لم يكن منهم الا اعترافاً برفضهم لشخصه المبارك . وهكذا أيضاً في أمر ارسال

الجواسيس ليتجسسوا أرض الموعد فقد برهن تماما على ان قلب اسرائيل لم يكن مكتفيا كل الاكتفاء بيهوه ولا قانعاً بشخصه . ولقد كان المشروع كله ثمرة ضعفهم وعدم ايمانهم ولو ان الرب تداخل فيه بسبب انحطاط حالتهم أدبياً ولكنه بلطفه البديع وطيبته الغير المحدودة وحكمته العالية قد حوله لاعلان طرقه تعالى ولاظهار مجده وكلما تتبعنا تاريخ اسرائيل كلما تجلت هذه الامور أمامنا بكل وضوح

« فارسلهم موسى (أي الجواسيس) ليتجسسوا أرض كنعان . وقال لهم اصعدوا من هناك الي الجنوب واطلعوا الى الجبل : وانظروا الارض ما هي والشعب الساكن فيها . أقوي هو أم ضعيف؟قليل أم كثير ؟وكيف هي الارض التي هو ساكن فيها . أجيدة ام رديئة ؟ وما هي المدن التى هو ساكن فيها . أمخيمات ام حصون ؟ وكيف هى الارض . أسمينة ام هزيلة ؟ أفيها شجر ام لا ؟ وتشددوا فخذوا من ثمر الارض . وأما الايام فكانت أيام باكورات العنب . فصعدوا وتجسسوا الارض من برية صين الي رحوب في مدخل حماة . . . . واتوا الى وادى أشكول وقطعوا من هناك زرجونة بعنقود واحد من العنب . وحملوه بالدقرانة بين اثنين مع شيء من الرمان والتين . فدعي ذلك الموضع وادي اشكول بسبب العنقود الذى قطعه بنو اسرائيل من هناك . ثم رجعوا من تجسس الارض بعد اربعين يوما.فساروا حتي اتوا الى موسى وهرون وكل جماعة بني اسرائيل . الى برية فاران الى قادش وردوا اليهما خبراً والى كل الجماعة.واروهم ثمر الارض واخبروه وقالوا قد ذهبنا الى الارض التي أرسلتنا اليها وحقاً انها تفيض لبناً وعسلا ـ وهذا

ثمرها (ص ١٣ : ١٧ - ٢٧).

وفي هذه الفقرات نري اعظم تأييد لاقوال الرب وشهادته الصادقة عن تلك الارض شهادة اثني عشر رجلا بان الارض تفيض لبناً وعسلا وشهادة حواسهم ونظرهم عن نوع الارض واثمارها وبركاتها : وليس ذلك فقط. بل انه قد أشيع بين كل الجماعة ان اثني عشر رجلا ذهبوا فعلا للارض ودخلوها وصرفوا اربعين يوما في الذهاب والاياب وشربوا من مياه الارض ومن ينابيعها واكلوا من اثمارها. وماذا كان ينتظر من الشعب حسب حكم الايمان امام شهادات صريحة كهذه ؟ كان المنتظر ان يكون جواب الايمان منهم . ان اليد التي قادت اثني عشر رجلا واوصلتهم الى الارض لا تقصر عن ان تقود كل الجماعة أيضا في ذات الطريق عينها .

ولكن يا للاسف فان الشعب لم يكن سالكا بالايمان. بل كان مستعبداً لسلطان الشكوك والريبة وعدم الايمان . وعلى عيونهم برقع الغشاوة القاتم المظلم وحتي نفس الجواسيس — أولئك الرجال الذين ذهبوا ليرجعوا للشعب باقوال التطمين وكلمات التشجيع . هؤلاء انفسهم ما عدا أثنين فقط منهم سقطوا جميعاً تحت سطوة روح عدم الايمان واهانة الرب. وبالاختصار فان المشروع كله قد فشل فشلا كاملا . وأول خطوة فيه كشفت عن حقيقة حالة قلوب الشعب - حالة عدم الايمان الذي ظهر فيهم باجلى مظاهره وامتلك ناصية قلوبهم . ومع ان شهادة الجواسيس واقرارهم لم يدعا للشكوك مجالا إذ كانت اقوالهم واضحة جداً « قد ذهبنا الي الارض التي ارسلتنا اليها وحقاً انها تفيض لبناً وعسلا وهذا ثمرها » ومع ذلك فان عدم الايمان كان مالكا

على عواطف الجماعة كلها . ومن شهادة الجواسيس يتضح لنا صدق اقوال الرب . وانه لم يقصر في أي شيء من جهتهم . وان الارض التي سمعوا قبلا عن اوصافها من فم الرب هي نفسها التي شاهدها الجواسيس . كما سمعوا هكذا رأوا وشهدوا . ولكن لنسمع ما قاله أولئك الجواسيس بعد تلك الاقوال السابقة « غير ان الشعب الساكن في الارض معتز والمدن حصينة عظيمة جداً . وأيضاً قد رأينا بني عناق هناك » (عد ٢٨)

ومن هذه الاقوال نتعلم انه متى كان الانسان عاملا ومتى كان عدم الايمان متسلطا على القلب فهناك دائما نجد كلمة « غير ان » ولا بد ان نسمعها من وقت لآخر . فهوذا الجواسيس عديمو الايمان يقولون انهم رأوا صعوبات امامهم رأوا مدنا عظيمة . رأوا اسواراً منيعة . رأوا جبابرة طوال القامة . كل هذه الاشياء رأوها . ولكنهم للاسف لم يروا يهوه ولم يبصروه فقد رأوا الاشياء التي ترى بدلا من ان يروا بالايمان ذلك الذي لا يُرى . لان عيونهم لم تتجه نحو ذلك الاله الغير المنظور . نعم ان المدن كانت عظيمة ولكن الله كان اعظم . والاسوار كانت عالية ولكن الله كان اعلى . والجبابرة كانوا شداداً ولكن الله كان أشد واقوى

هذا هو حساب الايمان دائما فهو ينظر الله أولا . ثم يسير من الله الى ان يصل للصعوبات . اما عدم الايمان فيعكس ذلك . فانه ينظر أولا للصعوبات ثم يسير من الصعوبات حتى يصل لله . الايمان يبتديء بالله . وعدم الايمان يبتديء بالصعوبات . هذا هو الفرق المهم بين الايمان وعدم الايمان . وليس الغرض من الصعوبات ان نهرب منها خائفين . ولا ان نقتحمها طائشين غير

متبصرين . لانه لا الهروب ولا الاقتحام هما من الايمان . ويوجد بعض الناس ممن يحبون الراحة تراهم يعيشون في الحياة بغير جهاد ولا كفاح . يأكلون خبز الكسل وينامون على فراش الترف والبذخ . ان حياة كهذه ليست من الايمان بالكلية . لان الايمان يواجه الشدائد ويصطدم بالمصاعب ويحيا بالجهاد ولا ينمو الا في جو الكد والعمل . وهو لا يجهل العواقب ولا يعمل بلا غرض ولا يقتحم بلا تبصر . ولكنه يُدخل الله الحي في الامر يتطلع اليه ويتكل عليه ويستمد منه العون والمدد . وهنا سر قوة الايمان سر النصرة والغلبة . وهو يملأ القلب بالاعتقاد الراسخ الذي لا تزعزعه الشكوك والاوهام . اعتقاد الثقة واليقين . انه مهما كانت الاسوار عالية ومرتفعة فهي لا تعلو على الله القدير . ومهما كانت المدن منيعة ومحصنة فهي ليست كذلك امام الله تعالى ومهما كان الجبابرة اقوياء واشداء فأنهم لا يقفون امام قوة الله وشدته وجبروته وبالاختصار فان الايمان هو الشيء الوحيد الذي يعطي الله مركزه الحقيقي . وما دام كذلك فهو يستطيع ايضاً ان يرفع النفس فوق تأثيرات جميع الظروف المحيطة مهما تنوعت واختلفت . ولقد ظهر هذا الايمان الثمين في كالب حينما قال « اننا نصعد ونمتلكها لاننا قادرون عليها » هذه هي الفاظ الايمان الحي . واقواله العذبة النقية . ذلك الايمان الذي يمجد الله ولا يعبأ بالظروف .

ولكن يا للاسف فان معظم الجواسيس لم يمتازوا شيئاً عن باقي الشعب الذي ارسلهم . بل كانوا جميعاً في مستوى عدم الايمان والشكوك . اما كالب فقد وقف بمعزل عن أولئك العشرة الذين قاوموه وعارضوا اقواله « واما الرجال الذين صعدوا معه فقالوا لا نقدر ان نصعد الى الشعب » ومن هنا نرى

ان لغة عدم الايمان قاومت لغة الايمان على خط مستقيم . لان الايمان حين نظر للرب قال « اننا قادرون عليها » أما عدم الايمان اذ نظر للصعوبات قال « لا نقدر أن نصعد » هكذا كان الحال مع اسرائيل وهكذا هو الحال معنا الآن وفي كل زمان . عيون الايمان دائما مملوءة بالرب . ولذلك لا يمكن أن ترى التجارب والمصاعب . أما عيون عدم الايمان فمغطاة بالظروف . ولذلك لا يمكنها أن ترى الله . الايمان يستحضر الله فيصير الظلام نوراً والصعب سهلا . أما عدم الايمان فيبعد الله خارجاً فيصير كل شيء مظلما وصعبا

« فاشاعوا مذمة الارض التي تجسسوها في بني اسرائيل . قائلين الارض التي مررنا بها لنتجسسها هي ارض تأكل سكانها . وجميع الشعب الذي رأيناه فيها أناس طوال القامة . وقد رأينا هناك الجبابرة بني عناق من الجبابرة . فكنا في اعيننا كالجراد . وهكذا كنا في اعينهم » (عد ٣٢ و٣٣) وكل من تأمل في هذه الاقوال لا يجد كلمة واحدة عن الله . فهو خارج بالكلية عن موضوع كلامهم . ولو كانوا تفكروا فيه وقارنوه بأولئك الجبابرة . لما كان هناك ثمة فرق مطلقا ان كانوا هم انفسهم جراداً أو كانوا بشراً . ولكنهم بعدم ايمانهم هذا المخجل المخزي قد اهانوا الله اسرائيل في الحقيقة وانزلوه الى مستوى جرادة .

ومن المهم جداً أن نلاحظ انه متى كان عدم الايمان عاملا فانه دائما يُعرف بهذه العلامة الوحيدة وهي انه يخرج الله من القضية بالكلية . فلا يوجد له ذكر ولا يخطر عنه فكر . وهذه القاعدة صحيحة في كل العصور والاجيال صادقة في كل زمان وفي جميع الظروف والاحوال . قاعدة عامة بلا استثناء

ولا شواذ . فقد يتداخل عدم الايمان في الشؤون العالمية . فيبحث فيها بمباحثه العقلية ويستنتج منها استنتاجات منطقية . ولكن أساس هذه المباحث ومحور تلك الاستنتاجات انما نكران وجود الله وعدم الايمان به : وكل حججه وبراهينه إنما قوتها مستمدة من ينبوع واحد ومن مصدر واحد وهو اخراج الله عن دائرة مباحثه وعدم ذكر اسمه قطعياً في أحاديثه . ولكن متى دخل الله ومتى عمل الايمان فهنالك ترى كل مباحث عدم الايمان واستنتاجاته قد صارت رماداً عند قدميك وترابا تحت نعليك . ففي هذا المشهد المعروض أمامنا . ماهو جواب الايمان ياترى على كل هذه الاعتراضات التي قدمها أولئك الرجال العشرة العديمو الايمان ؟ أن جوابه البسيط المقنع الذي لا يقبل جدالا ولا سؤالا هو « الله » .

فيا أيها القارىء العزيز هل تعرف شيئاً عن قوة وقيمة هذا الجواب المبارك ؟ هل تعرف الله ؟ هل يملأ الله كل دائرة رغائب نفسك ومطالب قلبك ؟ هل هو الجواب الوحيد لكل تساؤلاتك ؟ هل هو الحل الوحيد لكل معضلاتك وصعوباتك ؟ هل تعرف ماهية السير عملياً مع الله الحي يوما فيوما ؟ هل اختبرت لذة الهدوء والسلام الناشئين من الاتكال الكلي على الله في وسط تغييرات وظروف هذه الحياة الفانية الزائلة ؟ إن لم تكن هكذا فها أنا أتوسل اليك أن لاتستمر على هذه الحالة التي أنت فيها الآن ساعة واحدة . هوذا الطريق مفتوح أمامك . وهوذا الله قد أعلن نفسه في وجه يسوع المسيح كعون وسند وملجأ لكل نفس محتاجة . انظر اليه الآن ، الآن . «اطلبه مادام يوجد» «ادعه وهو قريب» «كل من يدعو باسم الرب

يخلص » « وكل من يؤمن به لن يخزي » ولكن ان كنت تعرف الله بالنعمة كمخلصك وكأبيك فاجتهد أن تمجده في كل تصرفاتك وأعمالك . اتكل عليه في كل شيء بثقة البنين وبساطة الاطفال . دعه أن يكون نوراً لعينيك في جميع الظروف والاحوال وبالرغم من كل المصاعب والضيقات فان نفسك ستتمتع بالسلام التام .

الاصحاح الرابع عشر

« فرفعت كل الجماعة صوتها وصرخت وبكى الشعب تلك الليلة » هل تستغرب منظر الشعب وهو يبكي هكذا ؟ وماذا كان ينتظر من شعب ليس أمام عيونهم سوى جبابرة أقوياء وأسوار عالية ومدن عظيمة محصنة ؟ ماذا كان ينتظر سوى الدموع والصراخ من جماعة نظروا أنفسهم كالجراد أمام مصاعب عظيمة كهذه لا يمكنهم الانتصار عليها وليس بهم أي ثقة في القوة الالهية التي تستطيع أن تحملهم فوق هذه المصاعب ؟ أن الجماعة قد أصبحت في حالة سيئة تحت سلطان عدم الايمان . وقد خيمت عليهم غيوم الشكوك الملبدة المظلمة وصار الله محتجباً خارجاً عن دائرة أفكارهم . ولم يكن هنالك أي شعاع واحد من النور ليبدد الظلام الكثيف الذي تلبد حولهم وأحاطوا به نفوسهم . وقد انشغلوا بالذات وبالصعوبات بدلا من أن ينشغلوا بالله وبقدرته ومعونته . فماذا كان ينتظر من جماعة هذه حالتهم سوى أن يرفعوا صوت البكاء والعويل ؟

ويا له من فرق هائل بين حالتهم هنا وحالتهم في خروج ١٥ . ففي سفر الخروج كانت عيونهم شاخصة ليهوه لاسواه . ولذلك استطاعوا أن يرنموا ترنيمة الظفر والغلبة « ترشد برأفتك الشعب الذي فديته تهديه بقوتك إلى مسكن قدسك . يسمع الشعوب فيرتعدون : تأخذ الرعدة سكان فلسطين » هذه كانت ترنيمتهم في سفر الخروج . ولكنهم في سفر العدد هم أنفسهم الذين ارتعدوا وخافوا وهم أنفسهم الذين أخذتهم الرجفة والرعدة . «حينئذ يندهش أمراء أدوم أقوياء مواب تأخذهم الرجفة يذوب جميع سكان كنعان تقع عليهم الهيبة والرعب » وبالاختصار فان هذه الصورة الواردة في سفر الخروج ١٥ هي عكس الصورة الواردة في سفر العدد ١٤ على خط مستقيم . فالرعدة والرجفة والهيبة قد أخذت إسرائيل بدلا من أن تأخذ أعداءهم ولماذا ذلك يا ترى ؟ لان الله الذي تجلى لعيونهم وملأ نواظرهم في سفر الخروج ١٥ أصبح بعيداً ومحتجباً ومتروكا في سفر العدد ١٤ . هذا هو كل الفرق . في الحالة الاولى كان الايمان سيداً ومتسلطا . وفي الحالة الثانية كان عدم الايمان سيداً ومتملكا « بعظمة ذراعك يصمتون كالحجر حتى يعبر شعبك يارب حتى يعبر الشعب الذي اقتنيته . تجيء بهم وتغرسهم في جبل ميراثك . المكان الذي صنعته يارب لسكنك . المقدس الذي هيأته يداك يارب . الرب يملك الى الدهر والابد »

فكيف نقارن أقوال الغلبة والنصرة الواردة في هذه الاعداد مع بكاء وصراخ عدم الايمان الوارد في سفر العدد . اننا لانسمع شيئاً في سفر الخروج عن بني عناق ولا عن أسوار عالية ولا عن جراد . لا يوجد شيء مثل ذلك

مطلقاً بل الكل عن يهوه وعن يمينه وعن ذراعه الرفيعة وعن قوته وعن ميراثه وعن مسكنه وعن أعماله العظيمة لاجل شعبه المفدي وإذا ما ذكر شيء عن سكان كنعان فانما يأتي ذكرهم مقترنا بهذه الاوصاف «يرتعدون ويندهشون تأخذهم الرجفة والرهبة . يذوبون . تقع عليهم الهيبة والرعبة» .

ولكننا من الجهة الاخرى متى أتينا إلى سفر العدد ١٤ نجد كل شيء بالعكس نجد بني عناق ظاهرين ومرتفعين . نجد منظر الاسوار المنيعة والمدن الحصينة والقلاع المشيدة قد غطى عيون الشعب ولا نسمع منهم كلمة واحدة عن المخلص القدير بل نرى صورة محزنة جداً . الصعوبات من الجانب الواحد والجراد من الجانب الآخر وأمام منظر كهذا يشعر الانسان بعوامل الاستغراب والاندهاش فيتساءل « هل يمكن أن تصل الحالة الى هذه الدرجة من الانحطاط والانخذال حتى ان الشعب الهاتف المنتصر عند بحر سوف عند البحر الاحمر يصبح باكياً نائحا في قادش ؟ »

يا للاسف . هكذا حدث وهكذا وصلت بهم الحالة الى هذا المركز المنحط وهنا نتعلم درساً ثميناً لنفوسنا وكلما مررنا على تاريخ حوادث البرية أثناء تأملاتنا في هذه الاسفار العجيبة يجب أن نتذكر دائما تلك الاقوال الواردة في كورنثوس الاولى ١٠ : ١١ « فهذه الامور جميعها أصابتهم مثالا وكتبت لانذارنا نحن الذين انتهت الينا أواخر الدهور » وألسنا نحن أيضاً كشعب إسرائيل ميالين للنظر للصعوبات التي حولنا بدلا من أن ننظر لالهنا المبارك الذي تعهد بان يجعلنا منتصرين فوق كل الشدائد والضيقات ويحضرنا لملكوته الابدي غير عاثرين ؟ ولماذا ننحني مراراً وتخور عزائمنا ؟ ولماذا نحزن ونكتئب

ونبكي . ولماذا تسمع بيننا أصوات القلق والضجر وعدم الرضاء بدلا من أغاني الحمد والشكر والترنيم ؟

ان السبب الوحيد لذلك واضح جداً وهو أننا كثيراً مانسمح للظروف أن تحول بيننا وبين الله فتحجب طلعته البهية عن أبصارنا وتنشغل بها بدلا من أن يكون هو وجهة انظارنا وغرضاً كاملا لقلوبنا .

ثم لنسأل القاريء المسيحى العزيز ماهو السبب ياترى في تقصيرنا عن حفظ مركزنا كشهود سماويين وعن ان تثبت أقدامنا في ميراثنا الروحي السماوي الذي اشتراه لنا المسيح والذي دخله هو قبلنا كسابق لنا ؟ ماهو جوابنا على هذه الاسئلة ؟ ان الجواب عبارة واحدة لاغير وهي « عدم الايمان »

وإذا راجعنا صفحات رسالة العبرانيين نجد صوت الوحي يؤيد هذه الحقيقة الخطيرة عن شعب إسرائيل في الاصحاح الثالث إذ يقول « انهم لم يقدروا أن يدخلوا (كنعان) لعدم الايمان » وهكذا هو الحال معنا نحن فاننا كثيراً ما نقصر في التمتع بميراثنا السماوي . نقصر في امتلاك نصيبنا الحقيقي من الامتيازات الروحية . نقصر في السلوك يومياً كاناس سماويين ليس لهم مركز ولا اسم ولا نصيب في الارض . كاناس ليس لهم شيء في هذا العالم سوى العبور فيه كغرباء سائحين مقتفين آثار خطوات ذلك الذي سلك فيه قبلنا ومضى الى السموات حيث جلس عن يمين عرش العظمة وما هو سبب تقصيرنا هذا كله ياتري ؟ ان السبب الوحيد هو عدم الايمان ولان ايماننا ليس هكذا عاملا وقويا وفعالا ولذلك فالامور المنظورة لها سلطان على قلوبنا اكثر

من الامور الغير المنظورة . آه. ياليت الروح القدس يقوى إيماننا وينشط نفوسنا ويقودنا للامام ويرفع أنظارنا الى فوق للامور السماوية حتي لا نكون ممن يتكلمون عن الحياة السماوية بمجرد كلام بل بالحري نحيا تلك الحياة لمدح ذاك الذى دعانا اليها بنعمته الفائقة الغير المحدودة.

« وتذمر على موسى وعلى هرون جميع بني إسرائيل وقال لهما كل الجماعة ليتنا متنا في أرض مصر أو ليتنا متنا في هذا القفر ولماذا أتى بنا الرب الى هذه الارض لنسقط بالسيف . تصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة اليس خيراً لنا أن نرجع الى مصر فقال بعضهم نقيم رئيساً ونرجع الى مصر » (عد ٢ـ٤)

يوجد في تاريخ اسرائيل في البرية صورتان محزنتان من صور عدم الايمان الاولى في حوريب والثانية في قادش ففي حوريب صنعوا عجلا وقالوا « هذه هي آلهتك يااسرائيل التى أخرجتك من أرض مصر » وفي قادش أرادوا أن يقيموا لهم رئيساً ليرجعهم الي مصر .في الاولى نرى خرافة عدم الايمان وفي الثانية نرى استقلال عدم الايمان ويجب أن لا نستغرب مطلقاً إذا رأينا أولئك الذين ظنوا ان عجلا أخرجهم من أرض مصر يطلبون رئيساً ليرجعهم ثانياً اليها . وقد تخبطت عقولهم السخيفة الضعيفة في ظلمات هذه الشرور العظيمة كما تتخبط الكرة من مكان لمكان وفي الحقيقة لا يوجد ينبوع يروي ظمأ النفس روحياً سوى ينبوع الايمان الذي ينبع من الله الحي وفي هاتين الصورتين اللتين ظهر فيهما شعب اسرائيل لم يكن الله موضوع انظارهم ولا ينبوع ايمانهم بالكلية بل كانت مشغوليتهم منحصرة اما في عجل ليعبدوه أو في رئيس ليقيموه اما موت في البرية أو رجوع الى

مصر أما كالب فقد ترفّع بسمو ايمانه عن هذه المشاغل الباطلة فلا الموت في البرية ولا الرجوع الى مصر كان له أى أثر في أفكاره ولا أي قيمة في اعتباره بل كان له ايمان راسخ وطيد بالدخول الى ارض الموعد تحت حمى ترس يهوه المنيع.

« ويشوع بن نون وكالب بن يفنه من الذين تجسسوا الارض مزقا ثيابهما وكلما كل جماعة بني اسرائيل قائلين . الارض التي مررنا فيها لنتجسسها الارض جيدة جداً جداً . ان سُر بنا الرب يدخلنا الى هذه الارض ويعطينا إياها أرضاً تفيض لبناً وعسلاً . انما لا تتمردوا على الرب ولا تخافوا من شعب الارض لانهم خبزنا . قد زال عنهم ظلهم والرب معنا لا تخافوهم . ولكن قال كل الجماعة أن يرجما بالحجارة (عد ٦ــ ١٠)

وماذا فعل يا ترى هذان الشاهدان الامينان حتي يستحقا عليه الرجم ؟ هل تكلما كذباً أو جدّفا تجديفاً أو ارتكبا شراً ؟ كلا . لا شيء من مثل ذلك ولكنهما شهدا للحق بلا خوف ولا وجل فقد أرسلا ليتجسسا الارض وليأتيا عنها بالاخبار الصادقة وهذا قد فعلاه فما كان جزاؤهما على ذلك الا « ان كل الجماعة قالت أن يرجما بالحجارة » وهذا هو الحال في كل جيل وفي كل زمان . فالشعب لم يحب الحق في تلك الايام أكثر من أيامنا هذه لان الحق غير محبوب في كل جيل وفي كل زمان . فهو طريد لا مكان له في هذا العالم ولا في القلب البشري . الكذب مقبول ومحبوب دائماً والضلال رائج وناجح بكل صوره وأشكاله أما الحق فليس كذلك . وقد كان على يشوع وكالب أن يصادفا في جيلهما ما يصادفه ويعانيه كل شاهد حقيقي في

كل جيل وما يجب ان يتوقعه كل الشهود الامناء الا وهو مقاومة وكراهة جميع الشعب رفقائهم . فقد كان هناك ستمائة الف صوت ضد رجلين لم يفعلا شيئاً سوى انهما تكلما بالحق واتكلا على الله هذه هي جريمتهما في نظر الشعب وكما كان قديما هكذا الحال الآن وسيبقى الحال على هذا المنوال حتى تأتي تلك الاوقات السعيدة حينما « تمتلىء الارض من معرفة الرب كما تغطي المياه البحر » .

ولكن ما اعظم الموقف الذي يجب ان يقفه كل واحد منا كما وقفه يشوع وكالب موقف الشهادة الكاملة الصريحة لحق الله تعالى شهادة بلا مساومة ولا مداهنة بل ما أعظم اقتناء الحق المتعلق بامتيازات القديسين ونصيبهم الحقيقي وميراثهم السماوي لان القلب البشري دائما ميال لافساد الحق وتبديده والتسليم فيه وخفض مقياسه عن القانون المطلوب ولذلك فاننا نحتاج بالضرورة الى قوة الهية يتأيد بها الحق في قلوبنا وبها يستطيع كل واحد منا في دائرة شهادته مهما كانت ضيقة ان يقول « اننا نتكلم بما نعلم ونشهد بما رأينا » ويجب ان نلاحظ ان كالب ويشوع لم يدخلا الارض فقط ولكنهما ايضاً كانا مع الله وعرفا قصده عنها ونظرا اليها كلها نظرة الايمان وعلما انها ملك لهم حسب مقاصد الله وافكاره وانها تستحق الامتلاك كعطية مقدمة لهم من لدن الرب وانه يجب امتلاكها فعلا بقوة الله. والخلاصة انهما كانا رجلين ممتلئين من الايمان والشجاعة والقوة الروحية.

نعم ويالهما من رجلين مباركين قد كانا عائشين في نور الحضرة الالهية بينما كانت كل الجماعة مغطاة بسحب عدم الايمان الكثيفة المظلمة . وما أعظم

الفرق بين هاتين الحالتين حالة يشوع وكالب وحالة الجماعة بل اننا نستطيع أن نقول أن العيشة في نور حضرة الله هي سر كل فرق وكل تمييز حتى بين شعب الله انفسهم فقد تجد اشخاصاً عديدين لا يخامرك الشك بأنهم اولاد لله حقيقة ومع ذلك لا يصلون ابداً الى ذروة سمو الاعلان الالهي من جهة مقامهم ومركزهم كقديسي الله — تراهم مملوئين بالشكوك والمخاوف دائما محاطين بالغيوم الملبدة المظلمة من كل وجه واقفين الى الجانب الاسود المظلم من كل شيء ناظرين الى انفسهم أو الى ظروفهم أو الى مصاعبهم غير فرحين ولا مبتهجين غير قادرين على الظهور بمظهر الثقة المفرحة والشجاعة المسيحية التي تليق بالمسيحي الحقيقي والتي تؤول لمجد الله .

حقاً ان صورة كهذه لما توجب الاسف ولا يليق ان يظهر بها اولاد الله ويجب أن نتأكد انها انما تدل دلالة واضحة على انه لا بد ان يكون هنالك نقص كبير وتقصير فاحش وخطأ متأصل في النفس . ان المسيحي الحقيقي يجب أن يكون دائما في سلام عميق وفرح روحي مستعداً لتمجيد الله وحمد اسمه وتعظيم شخصه مهما كانت الظروف ومهما قام أمامه من المشقات . ان افراحه ليست من شخصه ولا من ينابيعه الذاتية ولا من المناظر والمشاهد التي يمر بها وفيها ولكنها تنبع من الاله الحي ولا يستطيع أي مؤثر أرضي أن يقرب منها أو يعيق سير جريانها لانها فوق كل مؤثر وكل عائق وهو يستطيع أن يقول « ان الهي هو ينبوع كل افراحي » وهذا هو امتياز أضعف واحد من أولاد الله . امتياز لذيذ وجميل ومبارك ولكننا نقول مع كل أسف انه في هذا جميعنا نعثر ونرتخي بل ان هذا هو موضوع فشلنا ونقصنا وتقصيرنا

واننا كثيراً ما نحرم انفسنا من التمتع بهذا الامتياز المجيد والسبب في ذلك ناشيء من تحويل انظارنا بعيداً عن الرب وبدلا من أن نشخص اليه فاننا نشخص الى ذواتنا أو الى ظروفنا وأحزاننا ومصاعبنا فينشأ عن ذلك كل أنين وتذمر وعدم رضى ومتى رفعنا عيوننا لا نبصر الا وكل شيء حولنا مظلم. هذه ليست المسيحية الحقة بالمعنى الحقيقي ولكنها من مظاهر عدم الايمان المظلم المائت المهين لله الذي يملأ القلب غماً وهماً. «لان الله لم يعطنا روح الفشل بل روح القوة والمحبة والنصح».

هذه هي لغة كالب الروحي بالعمل والحق لغة شخص قلبه شاعر بخطورة وثقل المصاعب والمشقات والاهوال المحيطة به، ولكنه غير هياب منها ولا وجل. لان روح الله يملأ نفس المؤمن الحقيقي بشجاعة مقدسة وجراءة روحية ويسمو به أدبياً فوق الجو الملبد بالغيوم حوله ويرفع النفس الى ضياء أشعة الشمس اللامعة وصفاء ذلك الاقليم الهادىء حيث لا تهيج عاصفة ولا تقوم زوبعة.

«ثم ظهر مجد الرب في خيمة الاجتماع لكل بني اسرائيل وقال الرب لموسى حتى متى يهينني هذا الشعب وحتى متى لا يصدقونني بجميع الآيات التي عملت في وسطهم. انى أضربهم بالوباء وابيدهم. وأصيرك شعباً أكبر وأعظم منهم» (عدد ١٠ ـ ١٢)

ما أخطر هذا الظرف الذي حدث في تاريخ موسى. انه ظرف عصيب في الحقيقة لانه كان سبباً في امتحان ترفع موسى وفيه كان ممكناً للطبيعة ان تعتبره فرصة ذهبية مقدمة لها لاغتنامها واقتناصها. واذا بحثنا

التاريخ لا نجد فرصة كهذه لا قبل موسى ولا بعده . فرصة فتح فيها باب مثل هذا لانسان بشري . ولو كان شخص غير موسى محب لذاته عدو لغيره لـكان قلبه قد تحدث قائلا « هـذا هو وقتك الثمين وهوذا أمامك فرصة لتكون فيها رئيساً ومؤسساً لامة كبيرة وعظيمة . فرصة قدمت لك من يهوه نفسه . فرصة لم تطلبها انت من ذاتك ولا سعيت اليها . فرصة منحك اياها الاله الحي ومن الجهالة العظمى اذا انت رفضتها »

ولـكن موسى لم يكن شخصاً محباً لذاته أيها القارىء العزيز لانه كان قد تشرب من روح المسيح وتعمق في ذلك جداً حتى ان الاهتمام بالذات لم يكن له أقل مشغولية في ذهنه ولا للطمع الشرير أو الجشع النفساني أثر في قلبه أو أفكاره ولا للمطامع الشخصية أو الرغائب الجسدية مكان في نفسه. ولـكنه كان منحصراً بمجد الله وخير شعبه لا غير ولـكيما يصل الى هـذا الغرض وينال تلك الامنية كان مستعداً بنعمة الله ان يضحي شخصه وصوالحه الذاتية على مذبح هذه التضحية المجيدة :

اصغ الى جوابه البديع العجيب فانه بدلا من ان يهرع مسرعا لاقتناص تلك المنحة الثمينة المقدمة اليه في قول الرب « أصيرك شعبا أكبر وأعظم منهم » بدلا من ان ينشنف متلهفاً لاغتنام الفرصة الذهبية السانحة اليه ليضع فيها اساساً لشهرته الذاتية ويشيد فيها بناء لسعادته الشخصية . بدلا من أن ينشغل بهذه الامور كلها نراه يضع نفسه ومصالحه جانباً ويجيب بتلك النبرات السامية التي تنم عن شرف الترفع والخلو من الاغراض الذاتية قائلا « فيسمع المصريون الذين اصعدت بقوتك هذا الشعب من وسطهم ويقولون

لسكان هذه الارض الذين قد سمعوا انك يارب وسط هـذا الشعب الذين أنت يارب قد ظهرت لهم عينا لعين وسحابتك واقفة عليهم وانت سائر أمامهم بعمود سحاب نهاراً وبعمود نار ليلا . فان قتلت هذا الشعب كرجل واحد يتكلم الشعوب الذين سمعوا بخبرك قائلين لان الرب لم يقدر أن يدخل هذا الشعب الى الارض التي حلف لهم قتلهم في القفر — عد ١٣ — ١٦ »

وهنا نرى موسى في أسمى وأرفع مركز ادبي ونراه مشغولا بمجد الرب مشغولية كبرى لا يستطيع معها أن يحتمل مجرد أي فكر بشأن تلوث ثوب بهاء ذلك المجد في نظر الامم الغلف . وماذا ياترى لو فرض أن موسى صار رئيساً كبيراً ومؤسساً عظيما ؟ ماذا لو ان الملايين العديدة بعد جيل موسى كانت تتطلع اليه كرأسهم المجيد وسلفهم المعظم . ماذا كانت قيمة كل هذه الاعتبارات في نظر موسى ياترى ان كان ثمنها هو تضحية ذرة واحدة من المجد الالهى ؟ ان كان في سبيل مجده الشخصي وعظمته الذاتية أى اهانة لمجد الرب وعظمته ما هي قيمة كل هذه الامجاد وماذا كان لسان حاله ازاء أوهام كهذه ؟ لاشك انه عمل حساباً لذلك فقرر ان يضرب بكل تلك الامجاد الذاتية عرض الحائط من أن يهان مجد الرب وليمح اسم موسى الى الابد من أن يمحى أي شعاع بسيط من مجد اسم الرب وكما دافع موسى كثيراً عن مجد الرب حينما عمل بنو اسرائيل العجل هكذا كان مستعداً أن يكرر هذا الدفاع حينما طلب بنو اسرائيل رئيساً لهم ليرجعهم الى مصر وفي كلتا الحالتين كان قلبه ملتهباً بالغيرة على مجد الرب لا غير سواء كان في حالة ضلال الشعب عديم الايمان وراء خرافة العجل أو في حالة استقلالهم عن الرب برئيس أرضي

يتملك عليهم. نعم ولاشك فان مجد الرب يجب ان يصان وان يحفظ مهما كانت النفقة في سبيل ذلك ومهما كانت النتيجة من وراء ذلك . وقد شعر موسى بهذه الحقيقة الخطيرة وهى انه إن لم يكن أساس أى عمل مثبتاً تماما على قاعدة حفظ مجد اله اسرائيل وكرامة اسمه فبشر ذلك العمل بالفشل والخيبة وعدم النجاح . أما فكرة صيرورته عظيما على نفقة الرب وحسابه فقد كانت صعبة الاحتمال كثقل لا يطاق لدى قلب رجل الله المبارك موسى. ولذلك لم يستطع احتمال اهانة اسم الله بين الامم ذلك الاسم المحبوب لدي قلبه جداً ولا احتمال أي اشاعة بين أولئك الغلف بان « الرب لم يقدر »

ثم لنلاحظ شيئاً آخر امتاز به قلب موسى الخالي من محبة الذات والمجرد عن الشخصيات وهو انه كان مشغولا أيضاً بشعب الرب وبخدمتهم ومحبتهم وبالاهتمام بهم - نعم أن مجد يهوه كان له المقام الاعلى في نظر موسى بلاشك ولكنه أيضاً كان مشغولا بخير وبركة الشعب — مجد الرب أولا ثم خير الشعب ثانياً . ولذلك نسمعه يقول للرب « فالآن لتعظم قدرة سيدي كما تكلمت قائلا الرب طويل الروح كثير الاحسان يغفر الذنب والسيئة لكنه لا يبرىء بل يجعل ذنب الآباء على الابناء الى الجيل الثالث والرابع . اصفح عن ذنب هذا الشعب كعظمة نعمتك وكما غفرت لهذا الشعب من مصر الى ههنا — عد ١٧ — ١٩ » .

ما أبدع هذه الاقوال الجميلة - نعم والجميلة جداً سواء كانت في ترتيبها أم في لهجتها أم في الروح الذي قدمت به فان جميعها في غاية اللطافة وفي منتهى الجمال وأول وأهم ركن في هذه الاقوال يستدعي التفاتنا هو الغيرة

المتقدة في قلب موسى من جهة مجد الرب ذلك المجد الذي يجب ان يصان من كل وجه ومن جميع الجهات وعلى نفس هـذا الاساس أساس صيانة مجد الرب والمحاماة عن كرامة اسمه يضع موسى البناء الذي يقصد ان يبنيه وهو طلب الصفح والغفران للشعب . ان هذين الامرين مرتبطان معاً ارتباطاً مباركاً وبديعاً جداً في هذه الشفاعة التي قدمها موسى فلنتأملهما أولاً في عدد ١٧ حيث يقول « لتعظم قدرة سيدي » ولأي غرض يا ترى ؟ هل للدينونة والهلاك ؟ كلا . بل يقول في عدد ١٨ « الرب طويل الروح » ويا لها من مناسبة بديعة وفكر سام جميل ـ قدرة الرب تتعظم في كثرة رحمته وصفحه وغفرانه . ما أثمن هذه الاقوال وما اسماها فوق كل تعبير . ان موسى لاشك كان قريباً جداً من اعماق افكار الرب وقلبه حينما نطق بعبارات سامية وبديعة كهذه . وما اعظم الفرق بينه في صورة كهذه وبين ايليا فوق جبل حوريب حينما وقف امام الرب ليشفع ليس لاجل اسرائيل بل ضدهم ولا نخال القاريء العزيز يعضل عليه التمييز بين هذين الرجلين الجليلين ليحكم ايهما كان اقرب الى فكر المسيح وروحه فان الفرق واضح جداً لكل لبيب . « اصفح عن ذنب هذا الشعب كعظمة نعمتك » وما كان الذ وقع هذه الكلمات على سمع يهوه الذي يسر ويفرح بالصفح والغفران « فقال الرب صفحت حسب قولك » ثم نزيد على ذلك قوله « ولكن حي أنا فتملأ كل الارض من مجد الرب »

وهنا نستدعي التفات القاريء الكريم ليتأمل مليا في هاتين العبارتين الثمينتين ويرى اقترانهما البديع وارتباطهما ارتباطا لازما لا يمكن فصمه « قد صفحت » ثم « كل الارض تملأ من مجد الرب » حقيقتان مهمتان وحلقتان

متصلتان لا يمكن ان يؤثر على اتصالهما أي شيء في الوجود مهما كانت قوته. الصفح والغفران ينالهما الانسان ومجد الرب وجلاله يضيئان على كل المسكونة وتمتلئ بهما الارض. فلا قوة أرضية ولا جحيم ولا بشر ولا شياطين تستطيع ان تؤثر على ارتباط هذين الحقين الثمينين ولا أن تشين من جمالهما أو تخل من نظامهما الالهي البديع ولا بد أن يفرح بنو اسرائيل في المستقبل ويبتهجون في كثرة مراحم وغفرانات الههم العديدة كما وان الارض كلها ستمتلئ من لمعان ضياء مجده تعالى أيضاً.

ثم لنلاحظ امراً آخر مهماً بعد هذه الاقوال السالفة وهو التأديب والحكم وكما سمعنا عن النعمة هكذا نسمع عن التأديب والقضاء وهذا الامر يجب ان لا ننساه مطلقاً كما ويجب ان لا نخلط بين هذين الامرين فانك اذا تصفحت جميع اسفار الكتاب المقدس ترى الفرق ظاهراً جداً بين النعمة وبين التأديب — بين مظاهر الغفران والصفح وبين سياسة الرب مع شعبه وتأديبه اياهم وربما لا يوجد جزء في كل الكتاب يوضح هذا الفرق وضوحاً جلياً أكثر من هذا الفصل الوارد في سفر العدد المطروح لدى تأملنا. فالنعمة تسامح وتصفح والنعمة تملأ الارض من اشعة المجد الألهي المباركة ولكن تأمل في هول حركة عجلات قضاء الرب وتأديباته كما هي واضحة في الكلمات المؤثرة الشديدة الآتية. « ان جميع الرجال الذين رأوا مجدي وآياتي التي عملتها في مصر وفي البرية وجربوني الآن عشر مرات ولم يسمعوا لقولي لن يروا الارض التي حلفت لآبائهم وجميع الذين اهانوني لا يرونها وأما عبدي كالب فمن أجل انه كانت معه روح أخرى وقد اتبعني تماماً أدخله الى الارض التي

ذهب اليها وزرعه ورثها . واذ العمالقة والكنعانيون ساكنون في الوادي .
فانصرفوا غداً وارتحلوا الى القفر في طريق بحر سوف ـ عد٢٢ـ٢٥»

هذا أمر خطير جداً فبدلاً من أن يثق الشعب بالرب وبدلاً من أن يدخلوا أرض الموعد بشجاعة واقدام بالاتكال على ذراعه الرفيعة أهانوه بعدم ايمانهم واحتقروا الارض الجيدة واضطر الرب أن يرجعهم ثانيا ليتيههم في تلك البرية العظيمة المقفرة القحلاء . « وكلم الرب موسى وهرون قائلا حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة عليّ قد سمعت تذمر بني اسرائيل الذي يتذمرونه عليّ . قل لهم حي انا يقول الرب لأفعلن بكم كما تكلمتم في اذني . في هذا القفر تسقط جثثكم جميع المعدودين منكم حسب عددكم من ابن عشرين سنة فصاعداً الذين تذمروا عليّ . لن تدخلوا الارض التي رفعت يدي لاسكننكم فيها ماعدا كالب ابن يفنة ويشوع بن نون . واما اطفالكم الذين قلتم يكونون غنيمة فاني سأدخلهم فيعرفون الارض التي احتقرتموها . فجثثكم انتم تسقط في هذا القفر وبنوكم يكونون رعاة في القفر أربعين سنة ويحملون فجوركم حتى تفنى جثثكم في القفر كعدد الايام التي تجسستم فيها الارض اربعين يوما للسنة يوم تحملون ذنوبكم أربعين سنة فتعرفون ابتعادي . انا الرب قد تكلمت لأفعلن هذا بكل هذه الجماعة الشريرة المتفقة عليّ . في هذا القفر يفنون وفيه يموتون ـ عد٢٦ ـ ٣٥» .

هكذا يكون ثمر عدم الايمان وهكذا تكون معاملات الله التأديبية مع شعب اهانوه بكثرة تذمراتهم وقساوة قلوبهم .

ومن المهم جداً ان نلاحظ هذا : أن عدم الايمان هو السبب الوحيد الذي

أعاق اسرائيل عن دخولهم أرض كنعان كما رأينا من هذه الاقوال السابقة المطروحة امامنا . واذا رجعنا الى الاصحاح الثالث من رسالة العبرانيين نرى الوحي يوضح لنا هذه القضية بكل جلاء لا يدع للشك مجالا حيث يقول في عدد ١٩ « فنرى انهم لم يقدروا أن يدخلوا لعدم الايمان » ورب قائل يقول، لا . أن سبب عدم دخول اسرائيل الى كنعان هو لان الوقت المناسب لذلك لم يكن قد حان بعد ولان ذنب الاموريين لم يكن قد كمل بعد ولكننا نقول للقاريء العزيز أن ذلك لم يكن في الواقع هو السبب الذي لاجله رفض شعب اسرائيل أن يعبروا الاردن لانهم لم يعرفوا شيئاً ولا افتكروا شيئاً عن ذنب الاموريين وعما اذا كان ناقصاً أو كاملا في ذلك الحين . أما السبب الحقيقي فقد اوضحه الكتاب ايضاحاً كاملا حيث قال « انهم لم يقدروا أن يدخلوا » وما هو السبب يا ترى ؟ ليس لاجل ذنب الاموريين ولا لان الوقت لدخولهم الارض لم يكن قد حان بعد . كلا بل فقط « لعدم ايمانهم » لانه كان يجب عليهم أن يدخلوا الارض . وكانوا تحت مسؤولية من الرب وأمر صريح بان يدخلوا ولذلك أدبهم الرب لعدم طاعتهم وعدم ايمانهم إن الطريق كانت سهلة امامهم وحكم الايمان حسبما نطق به كالب رجل الايمان كان حكما ظاهراً وواضحاً لا يحتاج للشك ولا يدع مجالا للظنون « اننا نصعد ونمتلكها لاننا قادرون عليها » وان كان الله الذي اعطاهم الارض هو مصدر قدرتهم للدخول الى الارض وامتلاكها فلا شك انهم كانوا قادرين أن يصعدوا في ذلك الوقت كما في أي وقت آخر لان الله مصدر القوة والقدرة واحد لا يتغير ولا يتبدل :

يا ليتنا نتأمل هذه الدروس ونتعمق في فهمها جيداً ونميز أقوال الوحي من أقوال البشر اذ يوجد بعض من الناس يغالون كل شيء بمشورات الله ومقاصده واحكامه وسياسة معاملاته وتأديباته والازمنة والاوقات التي جعلها تحت سلطانه بدون ان يذكروا شيئاً عن تقصير الانسان وتراهم يذهبون بأقوالهم هذه الى حد بعيد لا يبقي معه لمسئولية الانسان أي أهمية فيجب الاحتراس من أن يجول بخاطرنا اعتقاد كهذا ويجب أن نتذكر دائما أن مسئولية الانسان متعلقة بالمعلنات فقط ولا دخل لها في أسرار الله أو مقاصده الازلية . المسئولية شيء ومشورات الله شيء آخر وان كان الله قد دبر في فكره أمراً أو رسم في مشوراته قصداً فان ذلك لا يبرر عصيان الانسان وعدم طاعته وتقصيره في المسئولية الموضوعة عليه . ففي مثال اسرائيل هذا كانت المسئولية موضوعة عليهم أن يصعدوا ويملكوا الارض ولكنهم لم يطيعوا فقاصصهم الرب على عدم طاعتهم وسقطت جثثهم في القفر لانه لم يكن عندهم ايمان لدخول الارض

ألا يوجد لنا درس ثمين في هذه التعاليم والحقائق المباركة ؟ لا شك أن لنا فيها أعظم درس وأثمن اختبار فكم من مرة نقصر كمسيحيين في حفظ مركزنا عملياً كشهود سماويين ومع اننا خلصنا من الدينونة بواسطة دم الخروف وخلصنا من هذا العالم الحاضر بواسطة موت المسيح غير اننا لا نريد أن نعبر الاردن الروحي بالايمان لكي نمتلك ميراثنا السماوي ونتمتع بامتيازاتنا المقدسة كما ينبغي . إن البعض يفهمون عن الاردن انه رمز للموت الطبيعي وانه نهاية حياتنا الجسدية في هذا العالم . هذا الشرح صحيح من وجه ولكننا

اذا طبقناه على حادثة بني اسرائيل نرى انهم بعد أن عبروا الاردن أخيراً اشتبكوا بالحرب مع اعدائهم الذين كانوا في ما وراء الاردن فكيف نوفق بين المعنى الحرفي والروحي في هذا الرمز ؟ إن القاريء العزيز يفهم جيداً اننا بعد دخولنا السماء لا نجد حرباً هناك لنشتبك فيها مع أي أعداء وان أرواح الذين رقدوا في الايمان في المسيح ليست الآن في حرب ما ولا في أي جهاد أو مصارعة بأي شكل أو بأية صورة كانت ولكنها في راحة كاملة منتظرة ومتوقعة طلوع صباح القيامة وهي ليست منتظرة في جهاد وانما في راحة وسلام .

ومن هنا نفهم انه يوجد في الاردن معنى أسمى وأكثر مما يفهمه البعض من انه يرمز لنهاية حياة الانسان في هذا العالم أو بمعنى آخر الموت الجسدي الطبيعي. والذي نعتقده نحن في الاردن انه كما يرمز دم الخروف لموت المسيح من بعض الوجوه وكما يرمز البحر الاحمر لموت المسيح كذلك من وجه آخر هكذا ايضاً الاردن فانه يرمز لموت المسيح من وجهة عظمى. فدم الخروف كان سبباً لنجاة اسرائيل من دينونة الله التي وقعت على مصر ثم مياه البحر الاحمر كانت سبباً لنجاتهم من مصر نفسها ومن كل سلطانها ولكنهم بعد ذلك وجدوا أمامهم الاردن أيضاً وكان عليهم ان يعبروه لكي يطئوا أرض الموعد بيطون أقدامهم ويوطدون مركزهم فيها رغماً عن مقاومة كل عدو ولأجل كل وطأة قدم تطئها أقدامهم كان عليهم أن يحاربوا ويصارعوا لكي يمتلكوا الارض فعلا ويطردوا أعداءهم الساكنين فيها .

وما معنى هذه الاقوال ؟ هل معناها انه يجب علينا ان نحارب ونصارع

لاجل الدخول الى السماء ؟ هل المعنى انه متى رقد في الرب أحد المؤمنين وذهبت روحه لتكون مع المسيح في الفردوس فهل يصادف أمامه هناك حرباً أو جهاداً ؟ والجواب على كل ذلك واضح وهو بالتأكيد . « لا » اذن ماذا نتعلم من عبور الاردن وحروب كنعان ؟ إن ما نتعلمه هو ان يسوع قد مات وانطلق من هذا العالم وهو لم يمت فقط لاجل خطايانا ولكنه قطع أيضاً كل رابطة تربطنا مع هذا العالم فاصبحنا أمواتاً عن العالم وعن الخطية والناموس واصبحت علاقتنا مع هذا العالم في نظر الله وفي حكم الايمان كشخص ميت مطروح على الارض لا حراك فيه . ومطلوب منا أن نحسب أنفسنا أمواتاً عن العالم كله ولكن احياء لله بيسوع المسيح ربنا وحياتنا التي نحياها انما نحياها بقوة الحياة الجديدة التي نلناها بارتباطنا بالمسيح المقام من الاموات . اننا اناس سماويون نخص السماء ولكيما نحفظ مركزنا طبقاً لمقامنا علينا ان نحارب ضد الارواح الشريرة في السماويات في نفس الدائرة التي تخصنا والتي للآن لم يطردوا منها . اما اذا اكتفينا بان « نسلك بحسب البشر » كأناس متعلقين بالعالم وتابعين له فلا نعبر الاردن . اذا اكتفينا بان نعيش « كسكان فوق الارض » وان كنا لا نضع مركزنا الحقيقي ونصيبنا السماوي نصب عيوننا دائما فلا يمكن ان نعرف شيئاً عن المصارعة الواردة في افسس ٦ :١٢ لاننا انما نفهم معناها الحقيقي باعتبار انها موضوع الرمز المشار اليه في حروب اسرائيل في كنعان اذا كان جل غرضنا ان نعيش كأناس سماويين الآن هنا على الارض لاننا بعد ان ندخل السماء لا يكون امامنا حرب هناك ولكننا ان قصدنا ان نعيش كأناس اموات عن العالم ولكن احياء في ذلك

الذي نزل في غمار ولجج مياه الاردن القارصة الشديدة لاجلنا إذن فلا بد من الحرب والنضال . ويجب ان نعلم علم اليقين أن الشيطان لا يترك حجراً من الاحجار إلا ويضعه في سبيلنا ليعرقل خطواتنا في السير بقوة حياتنا السماوية ومن ثم تشتبك الحرب بيننا وبينه وليس ذلك فقط بل انه يجهد ليجعلنا نسير كأناس لهم مركز وصفة في العالم كأناس مستوطنين فيه لندافع عن حقوقنا ونحتفظ بمراكزنا ونحامي عن شرفنا وأن نكذّب بسيرنا عملياً ذلك الحق المسيحي والاساس المهم وهو اننا قد متنا وقمنا مع المسيح وفيه

وإذا رجع القاريء لحظة للاصحاح السادس من رسالة أفسس يجد شرحا وافياً عن هذا الموضوع اللذيذ مقدما لنا بروح الوحي الالهي في الاعداد التالية «أخيراً يا اخوتي تقووا في الرب وفي شدة قوته ألبسوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد ابليس . فان مصارعتنا ليست مع دم ولحم (كما كانت مصارعة بنى اسرائيل في كنعان) بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية في السماويات . من أجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تقاوموا في اليوم الشرير وبعد ان تتمموا كل شيء أن تثبتوا — عدد ١٠-١٣»

وفي هذا الفصل نجد ايضاحاً كافياً للمصارعة المسيحية الحقة ولا يشير الرسول هنا الى شهوات الجسد ولا الى جاذبية العالم مع انه من واجب كل مسيحي أن يحترس ويسهر ضد هذين العدوين ولكن يتكلم عن « مكايد ابليس » لا عن شوكته وسيادته اذ هذه قد زالت وكسرت الى الابد ولكن عن حيله ومكايده وفخاخه التي ينصبها للمؤمنين ليحرمهم من لذة التمتع بمركزهم

وميراثهم السماوي .

وبكل أسف نقول اننا كثيراً مانقصر ونفشل في هذا الجهاد الروحي وبعبارة أخرى قلما نهتم ان ندرك ذاك الذي من أجله أدركنا وكثيرون منا يكفيهم معرفة انهم قد خلصوا من الدينونة واحتموا بدم الحمل وهؤلاء بعيدون عن التعمق عملياً في معرفة المعاني الروحية السامية المستفادة من رمز البحر الاحمر ونهر الاردن الجميلين ولابد وانهم عائشون كباقي الناس الامر الذي وبخ الرسول بولس المؤمنين في كورنثوس من أجله فالبعض منا يعيش ويتصرف كأنه من العالم ومنسوب اليه مع أن كلمة الله تعلمنا ومعموديتنا تخبرنا اننا متنا للعالم كما ان يسوع مات للعالم واننا أقمنا أيضاً معه بايمان عمل الله الذي أقامه من الاموات كو ٢ : ٢ ياليت الروح القدس يقود نفوسنا لادراك حقيقة هذه الاشياء المهمة وياليته يضع أمامنا ثمار كنعان السماوية النفيسة التي أصبحت لنا ومن حقنا في المسيح ويؤيدنا بالقوة قوة الروح القدس في الانسان الباطن حتى نجتاز نهر الاردن بكل شجاعة وتطأ أقدامنا كنعان السماوية. ويسوءنا أن نقول اننا عائشون دون المستوى المبارك الذي أوصلتنا اليه النعمة ومحرومون من التمتع كمسيحيين بامتيازاتنا الكثيرة المباركة وكثيراً مانسمح للاشياء التي ترى ان تؤثر علينا وتحرمنا لذة التمتع بالاشياء التي لاترى آه . ما أعظم حاجتنا للايمان الوطيد الذي يجعلنا نمتلك فعلا ونتمتع تماما بجميع البركات التي منحها الله لنا في المسيح

والآن نرجع الى موضوعنا ونعود لسرد تتمة التاريخ المطروح أمامنا «اما الرجال الذين أرسلهم موسى ليتجسسوا الارض ورجعوا وسجسوا عليه كل

الجماعة باشاعة المذمة على الارض فمات الرجال الذين أشاعوا المذمة الرديئة على الارض بالوبأ أمام الرب . واما يشوع بن نون وكالب بن يفنة من أولئك الرجال الذين ذهبوا ليتجسسوا الارض فعاشا » اعداد ٣٦ — ٣٨

ومن الغريب انه في وسط هذه الجماعة العظيمة البالغ عددها ستمائة الف رجل خلاف النساء والأولاد وجد اثنان فقط لهما ايمان الله الحي ونحن بالطبع لا نقصد ان نتكلم عن موسى بل عن الجماعة فقط فهذه الجماعة ساد على افرادها جميعاً خلا اثنين فقط وهما يشوع وكالب روح عدم الايمان فلم يثقوا في الله القادر ان يأتي بهم الى أرض كنعان وأكثر من ذلك اعتقدوا ان الله أتى بهم الى البرية ليميتهم فيها وبكل تأكيد حصدت هذه الجماعة حسبما زرعت شراً وبيلا مقابل عدم ايمانها فالرجال العشرة الذين اشاعوا المذمة الرديئة على الارض ماتوا بالوبأ والالوف الكثيرة التي سمعت لهم وقبلت شهادتهم الزور أرجعهم الرب الى البرية ليجولوا فيها اربعين سنة في نهايتها يموتون وفي القفر يسقطون ولكن يشوع وكالب سارا على مبدأ الايمان الحي في الله الحي ذلك الايمان الذي يملأ النفس ثقة وشجاعة ونستطيع ان نقول عن هذين البطلين انهما حصدا نتيجة ايمانهما ومن المؤكد ان الله يتنازل دائماً ليكرم الايمان الذي زرعه في النفس فالايمان عطية منه ولا بد وان يكرم الرب عطيته اذ يظهرها للملأ فاستطاع يشوع وكالب بقوة ايمانهما ان يثبتا في وسط تيار عدم الايمان الجارف وتمسكا بملء الثقة في الله رغماً عن كل الصعوبات ولهذا عظم الله ايمانهما في النهاية اذ بينما جثث اخوتهم قد سقطت جميعها في القفر وطرحت في القبر كان يشوع وكالب يصعدان بأقدامهما فوق

جبال ووديان أرض كنعان البهية فالجماعة تذمرت وقالت قد أتى بنا الله الى البرية لنموت فيها وفعلاً تم فيها هذا القول فلاقت حتفها وطرحت جثثها في البرية واما يشوع وكالب فقررا ان الله يستطيع ان يأتي بهم الى الارض وفعلاً تم لهما هذا القول

وهذا المبدأ على جانب عظيم من الاهمية « فحسب ايمانك يكون لك» ويجب علينا ان نضع هذا الحق نصب عيوننا دائماً « بدون ايمان لا يمكن ارضاء الله » فالله يود ان نثق فيه وهو دائماً يكرم الذين يضعون ثقتهم فيه وبالعكس عدم الايمان يغيظه ويهينه ويجلب على النفس ظلاما وموتاً وتطرق الشك الى القلب في الله الحي المنزه عن الكذب والاعتراض على الله وكلمته كل هذه خطايا مخيفة جدا ولا ننسى ان ابليس هو الذي يملي على الانسان الاعتراضات والاسئلة التي مبناها الشك وعدم الايمان واذا استطاع ابليس ان يزعزع ثقة النفس في الله ابتهج وعد هذا نصراً مبيناً. ولكن النفس الواضعة ثقتها في الله وبكل بساطة مسلمة كل أمورها اليه تعالى ليس في طاقة ابليس ان يمسها بسوء او يقهرها ابداً وجميع سهام الشرير الملتهبة لا تستطيع ان تخترق درع الايمان المتحصن به المسيحي . وما أثمن حياة يصرفها المؤمن في الثقة بالله ثقة الاطفال البادية للعيان في كل ادوار طفولتهم تلك الثقة التي تولد في القلب سروراً وفرحاً وتملأ الفم تبسما وشكراً تلك الثقة التي تبدد كل سحب الحياة وغيومها وتستمد من شعاع ضياء وجه ابينا المبارك نوراً ولمعانا يضيء لنا كل الطريق. ومن الوجهة الاخرى عدم الايمان يملأ القلب بكل انواع الشكوك والهواجس ويتركنا بلا معين فلا نجد امامنا سوى ذواتنا «وما اضعفنا» فيظلم

طريقنا في وجوهنا ونشعر بعظم تعاستنا وشقاوتنا. وقد كان قلب كالب ممتلئاً بالثقة المبهجة بينما ملأ التذمر والانين قلوب اخوته وهذا ما لا بد منه فاذا اردنا ان نكون سعداء علينا ان نفكر ونهتم في ما لله ومتعلقاته واذا اردنا ان نكون تعساء ما علينا الا ان تنشغل بالذات ومتعلقاتها. وبهذه المناسبة نلقي نظرة سطحية على الاصحاح الاول من انجيل لوقا حيث نرى زكريا صامتاً لا يقدر ان يتكلم بسبب عدم ايمانه وبالعكس نرى الايمان عاملاً في مريم واليصابات فملأ قلبيهما فرحاً وفيهما ترنماً وهنا نجد الفرق ظاهرا محسوساً فقد كان في استطاعة زكريا ان يشارك هاتين السيدتين التقيتين المطوبتين في تسبيحهما ولولا ان عدم ايمانه قد ختم على شفتيه فبقي صامتاً ويالها من صورة مؤثرة فيها عظة وعبرة لمن يعتبر . ياليتنا نتعلم ان نثق في الهنا اكثر وبأكثر بساطة بل ياليت يبتعد عن ذهننا كل الشك والتردد وياليت يتم فينا ما قيل عن إبراهيم « تقوى . بالايمان معطياً مجداً لله » وبالاخص في وسط جيل معوج وملتو تمثلت فيه مبادىء الكفر وعدم الايمان

والفصل الاخير من هذا الاصحاح يعلمنا درساً آخر مقدساً نافعاً فلنتجه اليه قلوبنا بكل غيرة واهتمام « ولما تكلم موسى بهذا الكلام الى جميع بني اسرائيل بكى الشعب جداً ثم بكروا صباحاً وصعدوا الى رأس الجبل قائلين هوذا نحن نصعد الى الموضع الذي قال الرب عنه فاننا قد اخطأنا فقال موسى لماذا تتجاوزون قول الرب فهذا لا ينجح لا تصعدوا لان الرب ليس في وسطكم لئلا تنهزموا أمام اعدائكم لان العمالقة والكنعانيين هناك قدامكم . تسقطون بالسيف انكم قد ارتددتم عن الرب فالرب لا يكون معكم . لكنهم تجبروا

وصعدوا الى رأس الجبل وأما تابوت عهد الرب وموسى فلم يبرحا من وسط المحلة فنزل العمالقة والكنعانيون الساكنون في ذلك الجبل وضربوهم وكسروهم الى حرمة »

فما أكثر تناقض القلب البشري إعندما دعاهم الرب ليصعدوا حالا وبقوة الايمان يمتلكون الارض ارتاعوا واحجموا وأبوا . سقطوا وفشلوا . بكوا وناحوا في الوقت الذي كان يجب عليهم أن يصعدوا ويغزوا ومع ان كالب الشاهد الامين أكد لهم قائلا ان الرب يدخلنا الى هذه الارض ويعطينا إياها ويثبتنا في جبل ميراثه وانه قادر ان يفعل ذلك كله ومع ذلك ذهبت كل تأكيداته ومساعيه أدراج الرياح فلم يشاءوا ان يصعدوا وذلك لانه لم تكن لهم ثقة في الله والآن تبدل الحال عوضاً عن أن يحنوا رؤوسهم ويخضعوا الحكم الله الذي أمرهم ان لا يصعدوا تجبروا وصعدوا الى رأس الجبل وهم واثقون كل الثقة في ذواتهم

ولكن من العبث ان يتحركوا والرب ليس في وسطهم اذ بدونه لا يستطيعون ان يفعلوا شيئا وقد كانت لهم الفرصة ان يصعدوا والرب معهم ولكنهم خافوا من العمالقة والآن ارادوا ان يواجهوا هؤلاء العمالقة والرب ليس في وسطهم « هوذا نحن نصعد الى الموضع الذي قال الرب عنه » ومن السهل ان يقول الاسرائيلي هذا القول ولكن شتان بين القول والعمل لان الاسرائيلي في ذاته وبدون ان يكون الله معه لا يستطيع ان يقف أمام العماليقي . ومن الغريب ان بني اسرائيل لما رفضوا ان يعملوا عمل الايمان ووقعوا تحت طائلة غضب الله الذي أهين بسبب عدم ايمانهم أشار عليهم

موسى أن لا يصعدوا وأبدى لهم نفس الصعوبات التى سبق ان أبدوها له وقال لهم « لان العمالقة والكنعانيين هنالك قدامكم » .

وفي هذا تعليم نافع لنا فبنو اسرائيل بسبب عدم ايمانهم تركهم الله ولهذا أصبح النزاع قاصراً على إسرائيل والكنعانيين بينما الايمان يجعل القضية متعلقة بالله والكنعانيين وهذا ما حدا بيشوع وكالب لان يقولا بملء الثقة « ان سر بنا الرب يدخلنا الى هذه الارض ويعطينا اياها أرضاً تفيض لبناً وعسلا وايضاً لا تتمردوا على الرب ولا تخافوا من شعب الارض لانهم خبزنا قد زال عنهم ظلهم والرب معنا لا تخافوهم » .

وهنا سر القوة فحضور الرب وسط شعبه يضمن النصرة على كل عدو ولكن ان كان الله ليس معهم فهم كالماء المنسكب على الارض وقد قال الجواسيس العشرة عديمو الايمان عن انفسهم انهم كانوا كالجراد في أعين الجبابرة بني عناق ولهذا نجد موسى رجل الله يخاطبهم بلغتهم وكأنه يقول لهم ان الجراد ليس من ند الجبابرة فلا معنى لمصارعة الجراد مع الجبابرة وان كان حقاً من الجهة الواحدة « انه حسب إيمانك يكون لك » فمن الجهة الاخرى الحق وكل الحق ان حسب عدم إيمانك يكون لك .

ولكن اغتر الشعب وظن انه شيء مع انه لاشيء وما أتعسنا اذا كنا نظن اننا نستطيع ان نسير بقوتنا لاننا لانحصد سوى الهزيمة والفشل . العار والخزي . الاحتقار الناتج عن تمزيقنا شر تمزيق وهذا كله لا بدمنه . وقد تركوا الله في عدم ايمانهم ولهذا تركهم الله لغرورهم وطيشهم . رفضوا ان يسيروا مع الله بالايمان فالله رفض ان يسير معهم في عدم ايمانهم « وأما

تابوت عهد الرب وموسى فلم يبرحا من وسط المحلة ». فهم صعدوا بدون الله ولذا انهزموا أمام أعدائهم .

وهذه نتيجة لا بد منها إذ من العبث أن نظن في أنفسنا أو ان ننسب لانفسنا القوة أو أن ندّعي ادعاءات كثيرة عالية وكل هذا محض غرور باطل ولا يغني فتيلا لان الله اذا تخلى عنا فنحن كالبخار الذي يظهر قليلا في الصباح ثم يضمحل ولكن لا نستطيع ان نتعلم هذا الدرس عن طريق الاختبار العملي الا بعد ان نصل لمعرفة اعماق نفوسنا وخفايا قلوبنا فيتضح لدينا جلياً عدم نفعنا وضعفنا التام . وحقاً في البرية بمناظرها المختلفة وتدريباتها المتنوعة نجد مجالا واسعاً لهذه النتيجة العملية ففيها نتعلم ما هو الجسد وفيها تظهر الطبيعة الفاسدة بكل مظاهرها المختلفة فأحيانا يظهر جبن الطبيعة وارتياعها الكامل الناتج عن عدم الايمان وفي أحيان أخرى تظهر الثقة الذاتية الكاذبة مجسمة في أشنع صور هذه الطبيعة العتيقة ففي قادش لم تسمع الجماعة لصوت الرب ولم تصعد كما أمرت وفي حرمة صممت على الصعود رغم النهي الذي صدر وهكذا نجد الكاتب والقارىء من يوم لآخر متناقضات غريبة تبدو من طبيعته الشريرة . وقبل ان ننتقل من حرمة يحسن بنا أيها القارىء المسيحي العزيز ان نتعلم درساً نافعاً لنا ومهماً للغاية وهو انه من الصعب جداً علينا أن نخضع ونصبر ونقبل بشكر ما تقتضيه سقطاتنا من التأديبات وهذا ما نراه في إسرائيل حيث قضى الله عليه بحق ان يرجع الى البرية ويجول فيها أربعين سنة لانهم اظهروا عدم الايمان ورفضوا أن يصعدوا لامتلاك الارض كما أمرهم الرب ولكن اسرائيل لم يرضخ لهذا الحكم

ورفض ولم يضع عنقه تحت هذا النير اللازم والضروري له .

وهذا هو الحال معنا بالتمام فاحياناً نخطيء ونضل والنتيجة يجيزنا الرب في ظروف مؤلمة مرة وعوضاً عن أن نتواضع تحت يد الله القوية ونسير معه بانسحاق الروح وانكسار القلب ونحكم على ذواتنا تتضايق في أحشائنا ونظهر العصيان والتمرد ونصارع مع الظروف ونجتهد بارادتنا الذاتية أن نهرب من هذه الظروف عوضاً عن أن نقبلها بشكر كنتيجة لازمة عادلة لتصرفنا وخطايانا .

وقد يحصل أحيانا اننا نتنحى بسبب ضعف فينا وتقصير من أي نوع كان عن تلبية الدعوة الى الخدمة الروحية التي يعينها لنا الله ونرفض أن نسير في الطريق الروحي الذي يرسمه أمامنا وبذلك نسبب لانفسنا خسارة روحية ويضطر الله بسبب أحجامنا أن يأخذ بعضاً مما أعطانا فننزل درجة وربما درجتين عن المستوى الروحي الذي كنا نشغله وحينئذ نحاول ان ندفع أنفسنا لنشغل المركز الاول الذي كان لنا ونجتهد ان نتظاهر بالقوة وان نتمتع بكمال الامتياز الذي كان لنا عوضاً عن أن نتواضع تحت يد الله القوية ونتصرف بكل وداعة وانسحاق روح والنتيجة المحتمة من وراء هذا الادعاء الفارغ انما هي الهزيمة المخزية والتشويش المضر .

كل هذه الملاحظات تستدعي اهتماماً شديداً من جانبنا وتأملا دقيقاً عميقاً اذ من المهم جداً أن ندرب أنفسنا ليكون لنا الروح المنكسر والقلب القنوع بأي مركز يوجدنا فيه الله ولو كان مركزاً ضعيفاً حقيراً ولا ننسى ان الله يقاوم المستكبرين وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة وان الروح المنتفخة

لا بد عاجلا أو آجلا أن تنخفض وكل ادعاء فارغ بالقوة لا بد وان ينكشف. واذا أعوز شعب اسرائيل الايمان الذي به يمتلكون أرض الموعد فليس أمامهم سوى الرجوع والجولان في أرض البرية بكل تواضع وانكسار

وتبارك اسم الله لاننا نجده بجانبنا ومعنا في أثناء رحلاتنا في البرية وان كان من المستحيل أن يرافقنا في طريق كبريائنا وادعاءاتنا الذى نختطه لانفسنا فقد رفض يهوه مرافقة الاسرائيليين الى جبل الاموريين ولكنه كان على استعداد تام له المجد لان يرجع معهم ويرافقهم بنعمته التي ليس لاناتها حد في أثناء رحلاتهم في البرية واذا كان اسرائيل لم يرغب الدخول الى كنعان مع يهوه فهو له المجد رغب أن يرجع الى البرية مع إسرائيل . ولا يوجد لمعان يفوق جمال هذه النعمة التي تجلت بأجلى بيان في هذه المعاملة اذ لو عاملهم الله حسب استحقاقهم لتركهم على الاقل يجولون في البرية وحدهم ولكن تبارك اسمه العظيم الى الابد لانه لا يعاملنا حسب خطايانا ولا يجازينا حسب آثامنا وأفكاره ليست أفكارنا وطرقه ليست طرقنا . وبالرغم عما اظهره الشعب من عدم الايمان ونكران الجميل والتذمر والانين ، وبالرغم أيضاً عن أن رجوع الشعب الى القفر كان ثمرة تصرفهم وجزاء تمردهم ومع ذلك نجد يهوه بنعمة عجيبة وتنازل غريب ومحبة فائقة متنازلا ليرافق شعبه ويقوده مدة اربعين سنة طويلة موحشة في البرية . ففي البرية اذاً لا تنكشف حقيقة الانسان فقط ولكن تظهر صفات الله أيضاً وتظهر ماهية الايمان كذلك إذ تحتم على يشوع وكالب ان يرجعا مع كل الجماعة اخوتهم غير المؤمنين وان يبقيا مدة اربعين سنة بعيدين عن ميراثهما رغما عن انهما كانا مهيئين

بالنعمة لدخول الارض التي تفيض لبنا وعسلا وحسب الظاهر في هذا شيء من القساوة وربما تعترض الطبيعة الانسانية على ذلك وتحتج قائلة ليس من العدل أن يؤخذ هذان الرجلان التقيان المؤمنان بجريرة باقي الشعب الذي أظهر عدم الايمان وان يحرما من التمتع بميراثهما مدة أربعين سنة ولكن في الايمان ما يكفي للانتظار . والانتظار بصبر وشكر . وفضلا عن ذلك غير معقول أن يشوع وكالب يتذمران من مسيرهما في البرية وهما يريان يهوه الاله العظيم متنازلا لان يشاركهما في هذا المسير فهما كانا على استعداد تام لان ينتظرا الوقت المعين من قبل الله والايمان لا يتفق مع العجلة أبداً ومن أخص مستلزماته عدم التسرع . وايمان عبديه حفظته نعمة السيد التي فيها كفايتهما

الاصحاح الخامس عشر

عندما نقارن ما جاء في الاصحاح الرابع عشر من هذا السفر بالاقوال الافتتاحية الواردة في الاصحاح الخامس عشر نجد العجب العجاب ففي الاصحاح الرابع عشر بلغ اليأس والقنوط درجة فيها اضطر موسى لان يقول للشعب « لا تصعدوا لان الرب ليس في وسطكم لئلا تنهزموا أمام أعدائكم » وكذلك قال لهم الرب « حي أنا يقول الرب لافعلن بكم كما تكلمتم في أذني في هذا القفر لتسقط جثثكم ...... لن تدخلوا الارض التي رفعت يدي لاسكننكم فيها ...... فجثثكم أنتم تسقط في هذا القفر » .

هذا ما نراه في الاصحاح الرابع عشر ونسرعان ما نبتدىء في الاصحاح

الخامس عشر وكأنه لم يحصل شيء وكأن الحالة هادئة مبهجة نيرة مطمئنة للغاية حيث نقرأ « وكلم الرب موسى قائلا كلم بني اسرائيل وقل لهم متى جئتم الى أرض مسكنكم التي أنا أعطيكم » وهذه الآية من أهم الآيات الواردة في هذا السفر العجيب وفيها والحق يقال ميزة خاصة ظاهرة في هذا السفر بل وفي مجموع كتاب الله العزيز ويا له من درس عميق ملموس نتعلمه من قراءة تلك الآية القائلة « لن تدخلوا الارض » ولكن ما أبطأنا في تلقي هذا الدرس الذي يعلمنا عدم نفع الانسان بالمرة « كل جسد كعشب » ومن الجهة الاخرى عندما نقرأ هذه الكلمات الحلوة « متى جئتم الى أرض مسكنكم التي أنا أعطيكم » نجد فيها درساً آخر ونقرأ فيها عظة بالغة بأن الخلاص حقاً هو للرب فمن جهة نتعلم سقوط الانسان ومن الجهة الاخرى أمانة الله. من الوجهة الانسانية لا مفر من الحكم « لن تدخلوا الارض » ولكن اذا نظرنا الى الوجهة الالهية تنعكس أمامنا المسألة تماماً فيقول « لا بد وان تدخلوا الارض » وهذا ما نراه واضحاً جلياً في الفصل المطروح أمامنا بل في جميع فصول الكتاب المقدس من أوله الى آخره فالانسان يسقط ويفشل ولكن الله يبقى أميناً . والانسان قد اضاع كل شيء ولكن الله يحول كل شيء للخير « غير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله » وهل نحن في حاجة لان نتتبع أسفار الوحي لنبرهن ونثبت هذه الحقيقة الراهنة ؟ وهل نحن في حاجة لان نرجع بالقاريء الى تاريخ آدم في الجنة ؟ أو نشير الى تاريخ نوح بعد الطوفان ؟ أو الى تاريخ اسرائيل في البرية ؟ أو اسرائيل في أرض الموعد؟ أو اسرائيل تحت الناموس ؟ أو اسرائيل تحت نظام الطقوس والفرائض؟ وهل

من داع للتوسع في حقيقة سقوط الانسان وفشله الكامل كنبي وكاهن وملك وسقوط الكنيسة الاسمية كآنية مسؤولة على الارض ؟ الم يسقط الانسان دائمًا وفي كل شيء ؟ بكل اسف وبكل تأكيد . نعم .

وهذه الحالة المظلمة المخجلة وان كانت تمثل لنا وجهاً واحداً من الصورة ولكن تبارك اسم الله يوجد وجه آخر منير ومشجع وان ذكرت عبارة «لن تدخلوا الارض» فهناك القول الجميل «لا بد وان تدخلوها» ولماذا ؟ ذلك لان المسيح قد ظهر على المسرح وفيه يقوم مجد الله وخير الانسان الابدي فقصدُ الله ان يجعل «المسيح رأسا فوق كل شيء» ولا يوجد شيء سقط فيه الانسان الاول الا وحوّله الانسان الثاني الى الخير وكل الخير وقد اقيم كل شيء في المسيح على مبدأ جديد فهو رأس الخليقة الجديدة الوارث لجميع المواعيد المتعلقة بالارض التي اعطيت لابراهيم واسحق ويعقوب والوارث ايضاً لجميع المواعيد المتعلقة بالملك التي اعطيت لداود اذ الرئاسة ستكون على كتفه وسيكلل بالمجد فهو النبي والكاهن والملك وبالاختصار المسيح قد استرد كل ما فقده آدم واتى باشياء كثيرة جداً لم ينلها آدم . لهذا عند ما نتطلع الى آدم الاول واعماله في اي وقت ومن اي وجه لا نرى سوى هذا الحكم العادل «لن» فلن تبقى في الجنة ولن تحتفظ بالسلطان ولن ترث المواعيد ولن تدخل الارض ولن تصل الى العرش ولن تدخل الملكوت .

ولكن من الجهة الاخرى حيثما نظرنا وكيفما تطلعنا الى آدم الاخير واعماله نجد الامر بالعكس على خط مستقيم (فلن) لا محل لها ابداً وقد حذفت تماماً في المسيح يسوع «لانه مهما كانت مواعيد الله فهو فيه النعم وفيه

الآمين لمجد الله بواسطتنا» وما دام المسيح يتداخل في أي أمر.فكلمة «لا» لا وجود لها اصالة اذ فيه كل النعم والكل قد تثبت ورسخ.ولذلك قد وضع الله ختمه عليه ختم الروح القدس الذي به قد ختم جميع المؤمنين «لان ابن الله يسوع المسيح الذي كرز به بينكم بواسطتنا انا وسلوانس وتيموثاوس لم يكن نعم ولا بل قد كان فيه نعم لان مهما كانت مواعيد الله فهو فيه النعم وفيه الامين لمجد الله بواسطتنا ولكن الذي يثبتنا معكم في المسيح وقد مسحنا هو الله الذي ختمنا أيضاً وأعطى عربون الروح في قلوبنا» (٢ كو ١ : ١٩ — ٢٢).

ومن هذا يتضح ان الاعداد الاولى من الاصحاح الخامس عشر من سفر العدد يجب أن تقرأ في نور مجموع كتاب الله العزيز وهي تتفق تماماً مع تاريخ معاملات الله مع الانسان في هذا العالم فاسرائيل قد أضاع كل حقه في الارض وأقل ما كان يستحقه هو الموت وطرح جثثه في القفر ومع ذلك نرى نعمة الله الغنية الواسعة تخاطب شعب اسرائيل قائلة لهم «متى دخلتم الى الارض وتعلمتم عما يجب اتباعه وعمله هناك» ولا يوجد شيء يعزي ويثبت قلب المؤمن اكثر من ذلك فالله يسمو ويتعالى فوق مستوى خطية الانسان وسقوطه ويستحيل ان تسقط كلمة من مواعيده أو يتعطل نفاذ أي وعد منها وهل كان من الممكن أن تصرف نسل ابراهيم في البرية يعيق مقاصد الله الصالحة أو يؤخر المواعيد الاكيدة والغير معلقة على شرط التي أعطيت الى الآباء ؟ يستحيل ذلك ولهذا اذا رفض الشعب الذي خرج من مصر الدخول الى ارض كنعان فهو يستطيع ان يقيم من حجارة البرية الكثيرة نسلا يتم فيه وعد الله.

وفي هذا الايضاح الكافي للعدد الاول من اصحاحنا وفيه نرى جمالا وقوة وبالاخص لانه جاء عقب المظهر المخزي الوارد في الاصحاح الرابع عشر الذي فيه قد غابت شمس اسرائيل في وسط السحب المظلمة العابسة بينما في العدد الاول من اصحاحنا كأن الشمس قد اشرقت ببهائها ونورها لتعلن وتثبت ذلك الحق الجليل القائل « لان هبات الله ودعوته هي بلا ندامة » فالله لن يندم عما وعد به ولن يرجع فيما أعطى ولذلك حتى وان تذمر وتمرد جيل عاص غير مؤمن عشرة آلاف مرة أكثر مما تذمر فمواعيد الله لا بد وان تتم بالرغم عن ذلك كله وفي هذا راحة المؤمن في كل الاوقات بل بالحرى في هذا الحق مرساة للنفس مؤتمنة وثابتة في وسط جميع مشاريع الانسان وأعماله المتزعزعة وان كان كل شيء في يد الانسان يتمزق شر تمزيق ولكن الله في المسيح يبقى كما هو ومهما كانت الظروف مهيأة وحسنة وتبشر بنجاح وتوفيق وانما مجرد دخول الانسان فيها كان لضياع الحال وسوء الاحوال ولكن الله قد اقام المسيح من الاموات وجميع الذين يؤمنون به قد نقلهم الي دائرة حياة جديدة وادخلهم في شركة معه ومع ابنه واتحدهم بالرأس المقام الممجد وفيه يثبتون الى الابد وهذه الشركة المباركة العجيبة لا تنحل ابداً فالكل اصبح ثابتاً وآمناً لدرجة لا تستطيع معها اية قوة في الارض وفي الجحيم ان تمسه بأذى.

وهنا اسألك ايها القاريء هل تفهم تطبيق هذا كله على نفسك؟ وهل اكتشفت في نور محضر الله انك مفلس حقاً وانك فشلت وعجزت في كل شيء وانه لا حجة لك تحتج بها ولا عذر لديك تقدمه؟ وهل تأتى لك ان تختبر شخصياً معنى هاتين العبارتين اللتين كنا نتأمل فيهما أعني بهما «ان تدخلوا

الارض » « ومتى دخلتم الارض » ؟ وهل أدركت قوة هـذه الكلمات « انت أهلكت نفسك ولكن علي عونك » ؟ وبالاختصار هل أتيت للرب يسوع كخاطيء هالك أثيم ووجدت فيه الفداء وغفران الخطايا والسلام ؟

والآن أرجوك ياعزيزي أن تقف قليلا وتتأمل ملياً في هـذه الامور الخطيرة واعلم انى لا أستطيع ان اغض الطرف عن هذه الحقيقة الهامة وهي أن واجبي لا يقتصر على كتابة « مذكرات على سفر العدد » بل يشمل أيضاً الاهتمام بنفسك اذ علىّ مسؤولية خطيرة نحوك ولذلك تجدني من وقت لآخر مضطراً ان اترك الصحيفة التي تكون موضوع التأمل برهة لألتجيء الى قلبك وضميرك ولأتوسل اليك راجياً منك اذا لم تكن تجددت للآن ان تدع هذا الشرح جانباً وتوجه قلبك الى مسألة حالتك الحاضرة ومصيرك الابدي فهي مسألة عظمى وخطيرة تتضاءل بجانبها كل المسائل الاخرى . وما هي أهمية جميع المشروعات والاعمال التي لها بداية ونهاية اذا قيست بالابدية وخلاص نفسك الخالدة . حقاً انها كغبار الميزان تحسب إذ ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه . فلو كانت لك ثروة روتشيلد ملك المال . وبلغت أسمى درجات الشهرة الادبية والمطامع السياسية وتحلى اسمك بكل القاب الشرف التي يمكن لكل جامعات العالم أن تمنحها وتزين جبينك بالتيجان وصدرك بنياشين الانتصارات العديدة فماذا تستفيد من كل هـذا وأنت لامحالة ستتركه وتجتاز من مضيق الزمن الحاضر الى أوقيانوس الابدية الذي لايحد . أين أصحاب الثروة الملوكية وذوو الشهرة الادبية ؟ أين الذين سادوا وتسلطوا في المجالس النيابية بما لهم من المقدرة

العقلية . أولئك الذين كان آلاف الناس يتهافتون لسماع كلماتهم ؟ بل أين الذين نالوا أرفع اسم في الاعمال الحربية والبحرية ؟ ألم يصبحوا جميعهم في الابدية ؟ والسؤال المريع من جهتهم هو « أين نفوسهم ؟ » .

أيها القاريء المحبوب اننا نطلب اليك باشد العبارات تأثيراً على النفس ألاّ تتحول عن هـذا الموضوع قبل أن تصل الى نتيجة صحيحة مرضية . ونناشدك بمحبة الله العظمى — وبصليب المسيح وآلامه — وبقوة شهادة الله الروح القـدس ـ وبهول الابدية التي لانهاية لهـا ـ وبقيمة النفس الخالدة التي لايعبر عنهـا ـ وبكل أفراح السماء ـ وبكل أهوال جهنم ـ بهـذه السبعة الامور الخطيرة نحثك ونحرضك على الاتيان الى يسوع في هـذه اللحظة . لاتتأخر ـ ولا تقدم حججاً واعذاراً . لاتشغل عقلك . بل تعال الآن كما أنت بجميع خطاياك وبكل تعاستك وبحياتك التي صرفتها في الجهالة وبتاريخك الاسود من ازدراء بالمراحم وسوء استعمال الفوائد الى اهمال الفرص ـ تعال للرب يسوع صاحب القلب المحب فتجده فاتحاً ذراعيه مستعداً أن يقبلك مشيراً إلي تلك الجروح التي تشهد عن حقيقة موته الكفارى على الصليب مخبراً إياك أن تضع ثقتك فيه وتلقي اعتمادك عليه مؤكداً لك انك لن تخيب ولن تخزي . ياليت روح الله يوصل هذه الاقوال إلى قلبك في هذه الدقيقة فلا يهدأ روعك ولا يستريح بالك حتى ترجع للرب يسوع وتتصالح مع الله وتختم بروح الموعد القدوس .

ولنعد الآن الى التأمل في الاصحاح الموضوع أمامنا فلا نجد شيئاً أبهى وأجمل من الصور الواردة فيه . فالنذور ، والتقدمات .

والقرابين . والمحرقات . والخمر . هـذه كلها كانت تقدم على أساس النعمة الغنية التي سطع نورها الباهر في العدد الاول من هذا الاصحاح الذي يرينا عينة حلوة ورمزاً جميلا لصورة اسرائيل المباركة التي سيكون عليها في المستقبل ويذكرنا بالرؤى والاعلانات العجيبة الواردة في الجزء الختامي من سفر حزقيال النبي .

أما عدم الايمان والتذمر والعصيان والتمرد هذه كلها طرحت في بحر النسيان والله يرجع الى مشوراته ومقاصد نعمته . ومن خلالها يتطلع الى ذلك الوقت الذي فيه سيقدم شعبه المختار تقدمة بالبر ويوفون نذورهم واذ ذاك ستفيض قلوبهم بأفراح الملكوت الى الابد « عد٣ ـ ١٣٠ »

غير انه توجد نقطة بديعة جداً في هذا الاصحاح . وهي المركز الذي يشغله « الغريب » هذا ما يجب الالتفات اليه بصفة خاصة « واذا نزل عندكم غريب أو كان أحد في وسطكم في أجيالكم وعمل وقود رائحة سرور للرب فكما تفعلون كذلك يفعل . أيتها الجماعة لكم وللغريب النازل عندكم فريضة واحدة فريضة دهرية في اجيالكم مثلكم يكون مثل الغريب امام الرب شريعة واحدة وحكم واحد يكون لكم وللغريب النازل عندكم» يا له من مركز سام قد حصل عليه الغريب . ويا له من درس كان الاجدر بإسرائيل أن يتعلمه . بل يا لها من شهادة ثابتة على ممر الاجيال قد نطق بها موسى الذي يفتخر به اسرائيل . فالغريب اصبح في مركز متساو مع مركز إسرائيل « مثلكم يكون مثل الغريب » وليس ذلك فقط « بل أمام الرب ايضاً » : نقرأ في سفر الخروج ص ١٢ : ٤٨ « واذا

نزل عندك نزيل وصنع فصحاً للرب فليختتن منه كل ذكر ثم يتقدم ليصنعه » بينما لا نجد ذكراً ولا اشارة للختان في هذا الاصحاح مطلقاً؟ هلا يوجد معنى لذلك ؟ بلا شك أن في عدم ذكر الختان هنا أو الاشارة اليه معنى عميقاً جداً . فاسرائيل كان قد خسر كل شيء وذلك الجيل الشرير والملتوي كان يجب ان يقطع ولكن مقاصد الله الابدية مقاصد النعمة والرحمة يجب ان تثبت ومواعيده كلها تتم واسرائيل لا بد ان يخلص ولا بد ان يمتلكوا الارض ومن ثم يقدمون تقدمات طاهرة ويوفون نذورهم ويتذوقون أفراح الملكوت . ولكن على أي أساس ؟ اليس على أساس الرحمة الالهية؟ نعم وعلى نفس الاساس الذي سيكون عليه « الغريب » « مثلكم يكون مثل الغريب أمام الرب » هل يأنف الاسرائيلي من هذه الحالة ولا يرضى بها؟ دعه يدرس أولا الاصحاحين الثالث عشر والرابع عشر من سفر العدد وبعد ان يتأمل في هذا الدرس النافع الذي يعالج كبرياء قلبه دعه يتأمل ملياً في الاصحاح الخامس عشر ونحن على يقين تام انه لا يجسر اذ ذاك ان يطرد « الغريب » من ذلك المستوى الذي وصل اليه لانه (أي اليهودى) يكون مهيئاً للاعتراف بانه مدين للرحمة وحدها شاهداً بأن نفس الرحمة التي أدركته تستطيع ادراك الغريب ايضاً لا بل ويفرح ايضاً بمرافقة الغريب ليستقيا مياهاً معا من ينابيع الخلاص التي اوجدتها نعمة الرب « اله يعقوب »

الا يذكرنا هذا الفصل بذلك التعليم التاريخي العميق المعلن في رسالة رومية ص ٩ و١٠ و١١ وخصوصا في الجزء الختامي النفيس « لان هبات الله

ودعوته هي بلا ندامة فانه كما كنتم أنتم « أي الغرباء » مرة لاتطيعون الله ولكن الآن رحمتم بعصيان هؤلاء هكذا هؤلاء ايضاً الآن لم يطيعوا لكي يرحموا هم أيضاً برحمتكم (أي ان الرحمة ادركت الامم لكي يرحم هؤلاء أيضاً أو ليدخل اسرائيل على أساس رحمة الله « كالغريب » انظر الاصل اليوناني) لان الله اغلق على الجميع معاً في العصيان لكي يرحم الجميع « يهودي أو اممي اسرائيل والغريب على السواء » ياللعمق غنى الله وحكمته وعلمه ما ابعد احكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء ـ لان من عرف فكر الرب أو من صار له مشيراً أو من سبق فاعطاه فيكافأ . لان منه وبه وله كل الاشياء له المجد الى الأبد امين « رومية ١١ : ٢٩ ـ ٣٦ » .

من عدد ٢٢ الى عدد ٣١ من الاصحاح الموضوع أمامنا نجد بعض الوصايا المتعلقة بالخطأ سهواً ـ وبالخطأ عمداً . والفرق بين الاثنين كبير ومهم فالاول قد أعد الله من مجرد صلاحه ورحمته طريقاً جميلا للتكفير عنه وهذا الفصل يرمز الى موت المسيح من وجهة العظيمين « المحرقة . وذبيحة الخطية » أي الوجه المختص بالله . والوجه المختص بنا . كما ان لنا في هذا الفصل ايضاً سمو وجمال حياة وخدمة المسيح الكاملة المنعشة كانسان في هذا العالم مرموزاً اليها بلحم التقدمة المغذي وسكيبها المنعش ـ ففي المحرقة نرى الكفارة العجيبة التي أكملت على مقياس كمال بر المسيح وطهارته أمام الله وبمقدار سرور ولذة الآب به ـ وفي ذبيحة الخطية نرى ان تلك الكفارة العجيبة أكملت على مقياس أعواز الخاطىء المسكين وبمقدار شناعة الخطية في نظر الله وكراهته تعالى لها . والتقدمتان معاً تمثلان موت المسيح الكفاري من كل وجه ـ أما

لحم التقدمة ففيه نرى حياة المسيح الكاملة وندرك حقيقة طبيعته الانسانية التي اظهرها في سلوكه وتصرفاته وخدماته على الارض . كما ان السكيب يشير الى تسليمه ذاته لله تسليما كاملا .

لسنا نريد الآن ان نتوسع في درس التعاليم السامية والعجيبة التي يمكن ان نستخلصها من التقدمات المتنوعة المشار اليها في هذا الفصل وعلى القاريء العزيز ان يرجع الى « مذكراتنا عن سفر اللاويين » ويكفي الاشارة هنا بكل اختصار الى الغرض الاساسي من كل تقدمة اذ أن الافاضة في الشرح بالتفصيل يعتبر تكراراً لما سبق الكتابة عنه .

غير اننا نؤكد بأن عدالة الله لاتسكت على خطايا السهو * بل تطالب باجراء الحكم والقضاء عليها . أما نحن فكثيرا ما نظن إن لم نكن نجاهر بأن مثل هذه الخطايا يجب التجاوز عنها لانها لاتستحق الاهتمام . مع ان الله لاينظر اليها كذلك ولا يليق بنا ان نحط من قداسته تعالى الى مستوى افكارنا البشرية . فان كانت نعمة الله قد اعدت طريقا للصفح عن خطايا السهو الا ان قداسته تطالب بالحكم على تلك الخطايا والاعتراف بها . وكل قلب مخلص لابد ان يبارك الله ويشكره على ذلك . لان ماذا يكون مصيرنا لو لم تتناسب وسائط النعمة مع مطاليب القداسة الالهية ؟ وما كان يمكن ان تتناسب هذه كلها لو لم تسمُ وترتقِ فوق افكارنا البشرية الضعيفة ومع كل فاننا بكل حزن وأسف نجد الكثيرين من المعترفين بالمسيحية ينتحلون اعذارا لخطايا السهو ويجدون مبررا لعدم الامانة وللاغلاط الكثيرة التي يقعون

(*) كلمة سهواً في الانجليزية بمعنى جهالة Ignorance

فيها بحجة ارتكابها سهواً (أو بجهالة)ولكن ماهي قيمة هذه الاعتذارات. ولماذا نسهو ونتصرف بجهالة في أي واجب من الواجبات أو مطلب من مطالب المسيح ؟.

لنفرض اننا سئلنا بأن نعطي حسابا عن أي عمل من الاعمال فاعتذرنا بجهالتنا . فهل يفيدنا ذلك . وهل تشفع فينا مثل هذه الحجج الواهية أم هل ترفع عنا شيئا من المسؤولية التي علينا وهل يسمح الله لنا ان نراوغ ونتملص من اعطاء الحساب بهذا الاسلوب الجسدي ؟ حاشا ايها القاريء بل يجب ان نتيقن ان ذلك لا ينفعنا قط . ولماذا نكون جهالا « نقع في السهو » هل اظهرنا كل همة ونشاط وهل كانت لنا النوايا والمقاصد الصالحة في كل شيء وهل اجتهدنا حقيقة بكل ما في وسعنا حتي تتمم كل ماعلينا من الواجبات ؟لا يجب ان ننسى ابدا ان عدل الله وقداسته يطلبان منا كل ذلك والا قصرت خطواتنا واكتفينا بأي مستوى مهما كان احط من ذلك المستوى الكامل .

اما إذا سئلنا عن أى شيء يتعلق بأمورنا الزمنية . عن صيتنا ومركزنا عن اموالنا واملاكنا . عن اميالنا ورغائبنا لما تأخرنا لحظة بل لبذلنا كل الجهد في ايضاح كل مايتعلق بنا ايضاحا كافيا ولما اعتذرنا مطلقا بجهالتنا وسهونا لا بل في اي سؤال يوجه الينا من هذا القبيل نهتم جدا بأن نلم بكل مشتملاته الظاهرة والغامضة حتى نعطي عنه جوابا صائبا ورأيا سديداً .

اليس الامر كذلك ايها القاريء العزيز . فلماذا نعتذر بجهالتنا في الامور المتعلقة بواجباتنا المسيحية ؟ الا يبرهن ذلك على اننا في نفس الوقت الذي نظهر فيه نشاطا واجتهادا وغيرة وعزما في الامور المتعلقة بنا « اي بالذات »

نظهر عدم المبالاة والتقاعد والبلادة والتردد في الامور المتعلقة بالمسيح ؟ نعم وبكل أسف هي الحقيقة المخجلة. فياليت ادراكنا وشعورنا بهذه الحقيقة يقودنا لان نضع وجوهنا في التراب . ويا ليت الروح القدس يولد فينا نشاطا وغيرة وحرارة في الامور المتعلقة بربنا يسوع المسيح وبخدمته . ويا ليت « الذات » وكل مشتهياتها تموت وتختفي عملياً . ويا ليت المسيح يتعظم ويحيا بكل مشتهياته فينا كل يوم . ويا ليتنا على الاقل نعترف قلبياً بان مسئوليتنا المقدسة أن نبحث باجتهاد وتعمق وراء كل الواجبات التي عليها يقوم مجد ربنا ومخلصنا يسوع المسيح . ولو صادفنا الفشل في أى شيء لايجب ان يكون ذلك ناشئاً عن الاهمال وعدم المبالاة . فلنحذر من أن نبرهن باقوالنا أو أفكارنا أو أعمالنا على اننا قصرنا في الاهتمام بأي شيء خاص به « أي بالمسيح » - ليحمنا الرب برحمته من حياة الاهمال والتراخي في واجباتنا المسيحية . ولنعتبر ان أهم الامور المتعلقة بنا عديمة القيمة بازاء رغائب المسيح وامانيه فينا التي يجب أن نعطيها المركز الرئيسي والاعتبار الاول .

لقد توسعنا كثيراً في الكلام عن خطايا السهو « والجهالة » وذلك لشعورنا بالمسئولية التي علينا من نحو الحق الالهي ومن نحو نفس القارىء العزيز . ونحن نشعر بأهمية هذا الموضوع الخطير لاننا مراراً كثيرة نعتذر بالسهو والجهالة في الوقت الذي كان يجب ان نعترف فيه « بالتقصير وعدم الاهتمام » ياله من أمر محزن لانه ان كان الهنا من مجرد رحمته وصلاحه الغير المحدود قد اعد طريقاً لمحو خطايا السهو والتكفير عنها فلا يليق بنا ان نتسلح في كل سقطاتنا مهما كان نوعها بحجة السهو والجهالة إذ لدينا من وسائط النعمة

ما كان يكفي لحفظنا منها .

وما كنا لنتوسع في نقطة كهذه لولا اقتناعنا الشديد الذي يتزايد كل يوم بأننا وصلنا الى ظرف خطير من تاريخنا كمسيحيين . اذ لا يجب ان نكون فريسة للتذمر والانين والشكوى بسبب جهالاتنا بل من امتيازنا أن نمتلىء بالثقة المفرحة وان نتمتع بسلام الله الكامل الذي يفوق كل عقل الذي يحفظ قلوبنا وافكارنا في المسيح يسوع « لان الله لم يعطنا روح الفشل بل روح القوة والمحبة والنصح» (٢ تي ١ : ٧) .

ومن المستحيل ان نغض الطرف عن هذه الحقيقة المفزعة وهي ان العيشة المسيحية بمقتضى الحق الالهي وبتأثير كلمة الله قد انحطت وفقدت قوتها والاهمال يتزايد يوما بعد يوم واسبوعا بعد آخر وسنة بعد أخرى . ونحن على يقين تام بانه قد دنا الوقت الذي سيقبل الناس فيه أي شيء وكل شيء ماعدا الحق الالهي . فيليق بنا اذن أن نلتفت الى هذه الحقيقة وهي ان نعطي لكلمة الله مكانها الذي تستحقه في القلب . وان الضمير والحواس يجب أن تخضع في كل شيء لسلطان الحق الالهي . ولا ننسى ان الضمير الحي الحساس هو أثمن كنز يمكن ان نقتنيه دائماً . ذلك هو الضمير الذي ينقاد حقا لكل ماتمليه عليه كلمة الله ويحني الرأس خضوعا وبلا تردد لكل ارشاداتها الجلية . ومتى كان الضمير في هذه الحالة المباركة فهناك تكون القوة التي تقوم اخلاق الانسان وتنظم خطواته . ويمكن ان نشبه الضمير بمنظم الساعة (أي مفتاح الساعة) فاذا اختل سير عقاربها وكان للمنظم القوة على ادارة العقارب فبكل سهولة يمكن ضبطها . ولكن اذا فقد المنظم

اصبحت الساعة بلا نفع . وهكذا الحال مع الضمير طالما كان خاضعا لسلطان الكلمة وتأثيرها كما يستعملها الروح القدس كانت له القوة المنظمة لحياة الانسان وحركاته . ولكنه اذا تكاسل وتقسى واخيراً فسد فلم يظهر خضوعا صحيحا للمكتوب «هكذا قال الرب» فهذا لا رجاء فيه ويصير في الحالة التي يشير اليها هذا الاصحاح وهي · — « واما النفس التي تفعل بيد رفيعة من الوطنيين او الغرباء فهي تزدري بالرب فتقطع تلك النفس من بين شعبها لأنها احتقرت كلام الرب ونقضت وصيته . قطعا تقطع تلك النفس ذنبها عليها » (عد ٣٠ و٣١) .

هـذه ليست خطية السهو او الجهل ولكنها خطية ارتكبت عمداً وبمحض الارادة وليس لها سوى دينونة الله الرهيبة « لان التمرد كخطية العرافة والعناد كالوثن والترافيم » (١صم ١٥ : ٢٣) هـذه كلمات خطيرة وخصوصاً في الوقت الحاضر الذي جمحت فيه ارادة الانسان الساقطة بقوة فوق العادة . ومن الغريب ان يهتم الكثيرون بتقوية ارادتهم الذاتية والمحافظة عليها مع ان كلمة الله تعلمنا بعكس ذلك تماماً فان العنصرين الرئيسيين لكمال الانسان (أو الرجولة الكاملة) هما هذان : — الاتكال — والطاعة — فبنسبة ابتعاد الانسان عنهما يكون مقدار ابتعاده عن روح الانسانية وصفاتها واذا التفتنا الى ذلك الانسان الكامل — الانسان يسوع المسيح — لوجدنا هاتين الصفتين العظيمتين ظاهرتين فيه تماماً . ذلك الشخص المبارك الذي لم يخل لحظة عن حالة الاتكال الكامل والطاعة التامة . ولايضاح هذه الحقيقة ينبغي الرجوع الى تاريخ حياته المباركة المعلنة في الانجيل . خذ مثلا حادثة

« تجربة المسيح » تجد فيها نموذجا جميلا لتلك الحياة الطاهرة. فجوابه الوحيد الغير المتغير هو « مكتوب » لا جدال ولا مناظرة ولا ذلك لانه كان يحيا بكلمة الله فانتصر على الشيطان بثباته في مركز الانسانية الصحيحة والرجولة الكاملة «بالاتكال والطاعة» واذ استطاع أن يتكل على الله ويطيعه تماماً فما الذي قدر الشيطان ان يعمله معه في هذه الحالة ؟ لا شيء مطلقاً . هذا هو مثلنا الاعلى « المسيح ترك لنا مثالا » فيليق بنا أن نحيا باستمرار حياة الاتكال والطاعة. هذا هو السلوك بالروح . هذا هو طريق المسيحي المفرح والمأمون . يجب أن يتلاشى عدم الاتكال « أو الاستقلال عن الله » وعدم الطاعة لانهما ليسا من المسيحية أو الرجولة الصحيحة . وقد ظهر هذان الامران في الانسان الاول كما ظهر عكسهما في الانسان الثاني . فآدم في الجنة طلب الاستقلال عن الله ولم يكتف بأن يكون انساناً في روح الانسانية الصحيحة والمركز اللائق بها فاظهر عدم الطاعة والخضوع — وهنا تجد سر سقوط الانسانية من مركزها الاصلي .

تتبع تاريخها كيف شئت . قبل الطوفان أو بعده . قبل الناموس أو بعده . بين الامم الوثنيين . بين اليهود والغرباء . بين المسيحيين بالاسم وغيرهم ــ حللها كما شئت تجدها مركبة من هذين العنصرين « عدم الاتكال . وعدم الطاعة » واذا امكنك ان تستمر متتبعاً تاريخ الانسان المحزن الى نهاية العالم ففي أي صورة تراه في ذلك الجيل الاخير ؟ وكيف تكون صفاته واخلاقه المحزنة التي يظهر بها ؟

«سيعيش كل انسان كانه ملك متصرف لا يخضع لاي قانون أو ناموس»

ليعطنا الرب نعمة حتى نمعن النظر في هذه الحقائق وليمنحنا أيضاً روح الطاعة الصحيحة لانه هكذا قال الرب «والى هذا انظر الى المسكين والمنسحق الروح والمرتعد من كلامي» ياليت هذه الكلمات تتعمق في نفوسنا وقلوبنا وليكن لهجنا المستمر يا رب احفظ عبدك من خطايا السهو (*) ولا تجعل لها سلطاناً

بقى علينا في ختام هذا الفصل أن نتأمل في حادثة «كاسر السبت» وفي وصية «العصابة الاسمانجونية»

«ولما كان بنو اسرائيل في البرية وجدوا رجلا يحطب حطباً في يوم السبت. فقدمه الذين وجدوه يحطب حطباً الى موسى وهرون وكل الجماعة. فوضعوه في المحرس لانه لم يعلن ماذا يفعل به. فقال الرب لموسى قتلا يقتل

(*) نرجو ان يتذكر الشاب المسيحي بصفة خاصة بأن السياج الحقيقي لحفظه من خطايا السهو هو درس كلمة الله وان السياج الحقيقي لحفظه من الخطايا العمدية هو الخضوع التام لكلمة الله. نحتاج جميعاً بأن نضع ذلك نصب عيوننا وبالاخص اخواننا الشبان لانه يوجد ميل خاص في الشبان المسيحيين يحملهم على الجري في تيار العصر الحاضر الجارف وهم في خطر من أن يتشبعوا بروحه ـ لان الميل الى الاستقلال الفكري . والارادة الذاتية العنيدة . والتهيج «عدم ضبط النفس» وعدم اطاعة الوالدين . والعناد والطيش . والتهور . والثقة الذاتية . والانتفاخ . والادعاء . والعجرفة . واعتبار الشبان انفسهم احكم من شيوخهم. كل هذه الاشياء مكروهة جداً في نظر الله وتنافي الروح المسيحية. ونحن بكل محبة وبغيرة مقدسة نتوسل الى اخوتنا الشبان بأن يسهروا ضد هذه الاشياء، وان يتسربلوا بالتواضع في القلب والفكر والضمير وليذكروا بان «الله يقاوم المستكبرين وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة» . ام

الرجل . يرجمه بحجارة كل الجماعة خارج المحلة . فأخرجه كل الجماعة الى خارج المحلة ورجموه بحجارة فمات كما أمر الرب موسى » (عد ٣٢ - ٣٦).

هذه كانت بلا شك خطية عمدية لانها تعد ظاهر على أسهل الوصايا وأكثرها وضوحاً وهي عينة ظاهرة للخطايا العمدية التي لا يمكن الاعتذار عنها بحجة السهو أو الجهل — لان السهو لا يمكن أن يكون في وصية الهية ملموسة.

ولكن ربما يسأل سائل لماذا وضعوا كاسر السبت في المحرس ؟ — ذلك لأنه وان كانت الوصية واضحة وصريحة الا انه لم يسبق كسرها . ولم يعلن القصاص الذي تستحقه لان سهوه لم يكن يتوقع من الانسان حماقة وغباوة لدرجة حرمان نفسه من راحة السبت ولذا لم يعين لها قبلا القصاص الذي تستحقه. لا شك ان الله يعلم نهاية كل شيء من البداءة ولكنه في هذا الموضوع ترك اعلان القصاص حتى يحتاج الامر اليه .

وبالاسف قد احتاج الامر اليه فعلا . فالانسان ليس أهلا لاي هبة وقلبه ليس أهلا للتمتع براحة الله . واشعاله ناراً في السبت لا يعتبر كسراً للوصية فقط بل برهاناً على تحويل أفكار معطي الشريعة من جهة السبت — لان اشعال النار في يوم الراحة كان رمزاً مناسباً للدينونة . اذ أن النار يشار بها دائماً الى الدينونة — وبما أن هذا العمل كان كسراً لراحة السبت فلم يبق لكاسر السبت سوى احتمال القصاص والدينونة « لان الذي يزرعه الانسان اياه يحصد » .

« وكلم الرب موسى قائلا . كلم بني اسرائيل وقل لهم أن يصنعوا لهم

اهداباً في اذيال ثيابهم في اجيالهم ويجعلوا على هدب الذيل عصابة من اسمانجوني. فتكون لكم هدباً فترونها وتذكرون كل وصايا الرب وتعملونها ولا تطوفون وراء قلوبكم واعينكم . . . لكي تذكروا وتعملوا كل وصاياي وتكونوا مقدسين لالهكم . أنا الرب الهكم الذي أخرجكم من أرض مصر ليكون لكم الهاً . أنا الرب الهكم .عد ٣٧-٤١ » .

قصد الرب اله اسرائيل أن يذكر شعبه على استمرار العمل بوصاياه المقدسة ولذا سن لهم قانون « العصابة الاسمانجونية » الجميل الذي كان كمذكر سماوي ملازم لهم على اهداب أذيال ثيابهم حتى ترسخ كلمة الله في تصورات أفكارهم وقلوبهم . وكلما نظر الاسرائيلي الى العصابة الاسمانجونية يتذكر يهوه العظيم ويقدم الطاعة له والتسليم الكامل لكل شرائعه .

فالعصابة الاسمانجونية كانت أعظم منبه ومذكر في ذلك الحين ولكننا اذا رجعنا الى انجيل متى ص ٢٣ : ٥ نجد كيف ان الانسان أساء استعمال هذه الوصية الالهية « وكل أعمالهم يعملونها لكي تنظرهم الناس . فيعرضون عصائبهم ويعظمون اهداب ثيابهم » فالوصية التي أعطيت لهم كمرشد يذكرهم بيهوه حتى يخضعوا بكل تواضع لكلمته الثمينة حولوها واستخدموها لتعظيم ذواتهم واظهار كبريائهم الدينية . فعوضاً عن أن يفكروا في الله وفي كلمته فكروا في ذواتهم وفي المركز الممتاز الذي نالوه بين الآخرين « وكل أعمالهم يعملونها لكي تنظرهم الناس » لا ذكر ولا فكر لهم عن الله ـ وقد ضاع الغرض الجوهري الذي لأجله أعطاهم الله هذه الوصية بينما حافظوا على صورتها الخارجية فقط واستخدموها لاغراضهم الشخصية .

الا نجد ما يشبه ذلك حولنا وبيننا ؟؟ لنفكر ملياً ولندقق في التفكير بجد وباخلاص . ولنحذر من أن نحول التذكار السماوي الى شرف دنيوي ونفخر باطل . فلا نستخدم كل ما يجب أن يقودنا الى الطاعة بكل تواضع في سبيل تعظيم ذواتنا .

الاصحاح السادس عشر

اذا استثنينا الجملة القصيرة الخاصة بالرجل الذي كسر وصية السبت نجد الاصحاح الخامس عشر من هذا السفر خارجاً عن موضوع تاريخ حياة بني اسرائيل في البرية اذ فيه يتطلع الوحي الى مستقبل اسرائيل المجيد عند ما يمتلك أرض كنعان ويقدم ذبائح البر وأغاني الحمد لإله خلاصهم وذلك بالرغم عن خطئهم ومجونهم . تذمرهم وعصيانهم . وفيه قد رأينا يهوه يغض الطرف ويتعالى فوق عدم ايمان اسرائيل وعدم طاعته. كبريائه وتمرده الواضح بصورة جلية في الاصحاح الثالث عشر والرابع عشر. ويتطلع الي الوقت السعيد الذي فيه يتمم وينفذ مقاصده الازلية ويفي بوعده لابراهيم واسحق ويعقوب .

ولكن في الاصحاح السادس عشر يعود الوحي لسرد تاريخ البرية. ذلك التاريخ المحزن والمخجل من الوجهة الانسانية ولكننا نجد من الوجهة الالهية مبهجاً منيراً مباركا حيث تتمثل فيه أناة الله التي لاقرار لها ونعمته الغير المحدودة وهذان هما الدرسان الواجب تعلمهما في البرية . ففيهما نعرف

حقيقة الانسان ونعرف ايضاً صفات الله والامران متلازمان ويقفان جنباً الى جنب في صفحات سفر العدد فبينما نجد في الاصحاح الرابع عشر وصفاً مسهباً عن الانسان وطرقه نجد في الاصحاح الخامس عشر بياناً وافياً عجيباً عن الله وطرقه، والآن في الاصحاح السادس عشر موضوع تأملنا يعود الوحي الى الانسان وطرقه أيضاً . وياليت نحصد ثماراً عميقة راسخة من وراء تأملنا في هذا الدرس من وجهيه .

« واخذ قورح بن يصهار بن قهات بن لاوي وداثان وابيرام ابنا الياب وأون بن فالت بنو رأوبين يقاومون موسى مع اناس من بني اسرائيل مئتين وخمسين رؤساء الجماعة مدعوين للاجتماع ذوي اسم فاجتمعوا على موسى وهرون وقالوا لهما كفاكما . إن كل الجماعة بأسرها مقدسة وفي وسطها الرب فما بالكما ترتفعان على جماعة الرب » (عد ١-٣) .

نرى هنا بياناً وافيا لما يسميه الروح القدس في رسالة يهوذا « مشاجرة قورح » وهذا التمرد نسب الى قورح لانه كان القائد الديني المنظم لهذه المشاجرة اذ على ما يظهر كان له تأثير خاص مكنه من جمع عدد غفير من رؤساء اسرائيل حوله « رؤساء الجماعة مدعوين للاجتماع ذوي اسم » وبالاختصار كان هذا العصيان جدياً وفي غاية الخطورة ولهذا يحسن بنا أن نتأمل بتدقيق في الباعث على هذا التمرد وفي الاوجه الادبية المختلفة الخاصة به .

ومما لا نزاع فيه أن ادق واخطر ساعة في تاريخ أي جماعة لهي الساعة التي فيها ينتشر روح التمرد وعدم الرضى وتفكك عرى المحبة، بين اعضائها

لانه ان لم تعالج مثل هذه الحالة بالعلاج السريع اللازم لابد وان تؤدي الى نتائج مريعة ومفجعة.وتوجد في كل جماعة المادة كامنة في وسطها ويكفي أن يظهر زعيم يتولى استعمال هذه المادة ويلهب نيران تلك الفتنة النائمة وكم من مئات والوف على استعداد تام لان يلتفوا حول راية العصيان بمجرد أن ترفع ولم تكن لهم الجراءة التي تمكنهم من رفعها والشيطان لا يستخدم ايا كان لمثل هذا الغرض اذ الامر يحتاج لرجل نشيط حاذق ذكي الفؤاد سديد الرأي له مزايا أدبية وتأثير عظيم على أذهان اخوانه وارادة حديدية تمكنه من تنفيذ مشروعه . ولا شك أن الشيطان يلقن الاشخاص الذين يستخدمهم في تنفيذ مآربه الشيطانية ويدربهم للوصول الى هذه الدرجة.وعلى أي حال الواقع والتاريخ يؤيدان هذه الحقيقة حيث أن القواد العظام لكل ثورة وعصيان كانوا على جانب عظيم من توقد الذهن قادرين على أن يخضعوا لإرادتهم ويتسلطوا ويسوسوا الجماهير العديدة التي لا رأي لها والتي هي بمثابة محيط واسع الاطراف ولكنه يتأثر من أقل عاصفة تهب عليه. وهؤلاء الرجال يعلمون حق العلم كيف يهيجون الرأي العام وعندما يصلون لهذه الخطوة يحولون تيار هذا الشعور الى حيث يلتفون وأهم وسيلة يستخدمونها لهذه الغاية هي التعرض لحرية الشعب وحقوقه واذا استطاعوا أن يقنعوا الشعب بان حريته قد ديست وحقوقه قد اعتدي عليها فعندئذ سرعان ما يلتف حولهم كثيرون ممن لا هدو لهم وينتج من اجتماعهم ضرر بليغ وهكذا كان الحال مع قورح وزملائه فقد اجتهدوا أن يظهروا موسى وهرون بمظهر المتسلطين والمرتفعين على اخوتهم المعتدين على حقوقهم وامتيازاتهم

كافراد من الجماعة المقدسة التي يستوي فيها الكل ولكل منهم نفس الحقوق التي للآخر والتي تتيح لكل منهم حرية العمل كالآخر «وقالوا لهما كفاكما» هذه هي التهمة التي توجهت الى « احلم انسان على وجه الارض » ولكن ما الذي اختص موسى به نفسه حتى يقال له « كفاك » حقاً ان مجرد نظرة سطحية الى تاريخ ذلك الخادم الامين العزيز كافية جداً لاقناع من ليس بقلبه غرض ومرض ببراءة موسى من هذه التهمة لانه فضلا عن كونه لم يسع وراء العظمة والمركز فقد اجتهد أن يتنحى وقت ان عرضت عليه الخدمة وشعر بثقلها بعد ان وضعت عليه ومن ثم فالذي يتهم موسى برغبة في الارتفاع انما يبرهن على جهله التام بحقيقة ذلك الخادم الامين المبارك ولا شك أن الذي استطاع أن يقول ليشوع « هل تغار انت لي ياليت كل شعب الرب كانوا أنبياء اذا جعل الرب روحه عليهم » ليس هو الرجل الذي يتصدى بغية الظهور والتسلط ولكن من الوجهة الاخرى اذا كان الله يدعو انسانا للرئاسة واذا كان يؤهله للعمل ويملأ الآنية ويهيئها لخدمة خاصة أو يعين انساناً ما ليشغل مركزاً خاصاً فما الفائدة من محاولة التعرض لموهبة الهية وتعيين الهي . وبالحقيقة لايوجد شيء سخيف نظير هذا التعرض « لا يقدر انسان أن يأخذ شيئاً ان لم يكن قد اعطي من السماء » .

ولهذا فمن العبث أن يتظاهر انسان بما ليس فيه وان يدّعي بموهبة ليست عنده لان مثل هذا كله لا بد وان ينكشف في النهاية ويظهر فراغه ويتضح المستوى الحقيقي الذي هو فيه ان عاجلا أو آجلا ولا يثبت الا ما هو من الله .

وقد كانت مشاجرة قورح ورفاقه في الواقع مع الله وليست مع موسى وهرون لان الله دعاهما ليشغلا مركزاً معيناً و يتمما عملا خاصاً وويل لهما ان رفضاه . فلم يقصدا ان يتخذا هذا المركز او يتمما هـذا العمل ولـكن الله هو الذي عينهما وفي هـذا ما يكفي لفض النزاع بالنسبة للجميع عدا أولئك المتمردين المشغولين بذواتهم والمهتمين بصوالحهم الذين ظنوا ان في استطاعتهم أن يحطوا من قدر خادمي الله الامينين لـكي يرتفعوا ويتعظموا وهـذا هو الطريق الذي يسلـكه دائما كل من يحرك شغباً أو فتنة غرضه منهـا في الواقع ان يجعل نفسه شيئاً . فهو يرفع صوته عالياً ويدافع حسب الظاهر بكل قواه عن حقوق وامتيازات شعب الله ولـكنه في الحقيقة يريد ان يرفع نفسه الى مركز غير أهل له ويتمتع بامتيازات لا حق له فيها.

وفي الواقع المسألة في غاية البساطة . هل الله دعا انساناً ما ليشغل مركزاً خاصاً أو يتمم عملا معيناً ؟ ان كان كذلك ليعلم كل انسان ماهو المركز الذي اعطي له ليشغله ويعرف الخدمة التي تعينت عليه فيتممها ومن الغباوة التامة ان يجتهد الواحد ان يشغل مركز الآخر او يعمل عمل الآخر . وقد كانت لنا فرصة للتأمل بكل وضوح في هذا الحق الثمين عند تعليقنا على الاصحاح الثالث والاصحاح الرابع من هذا السفر وهذا المبدأ يجب احترامه فقورح له عمل خاص كما ان موسى له دائرة عمل معينة . فلماذا اذاً يحسد احدهما الآخر ؟ واذا كنا نعترض على خادم المسيح الذي اعطي موهبة من فوق عند القيام بها وأعلم المسئولية الملقاة عليه والناجمة عن هذه الموهبة فبالاولى يحق لنا ان نعترض على الشمس والقمر والنجوم عندما يضيء كل منها على قدره

ضمن الدائرة التي وضعت له فهذه الاجرام السماوية تؤدي الوظائف التي رسمتها يد الخالق العظيم وما دام خادم المسيح الامين يسير على هذا المنوال فمن الزور والبهتان أن يقال له « كفاك » .

وهذا المبدأ مهم للغاية ويجب احترامه في وسط كل جماعة كبيرة أو صغيرة وفي كل الظروف التي يدعو فيها الله المسيحيين ليعملوا معاً فمن الخطأ أن تتصور أن جميع أعضاء جسد المسيح قد دعوا ليشغلوا مركزاً فائقاً أو ان كل عضو له الحق ان يختار موضعه في الجسد اذ ان هذا مجرد تعيين الهي فقط وهذا ماتتعلمه بوضوح تام من رسالة كورنثوس الاولى الاصحاح الثاني عشر « فان الجسد ايضاً ليس عضواً واحداً بل أعضاء كثيرة . ان قالت الرجل لاني لست يداً لست من الجسد أفلم تكن لذلك من الجسد . وان قالت الاذن لاني لست عيناً لست من الجسد أفلم تكن لذلك من الجسد لو كان كل الجسد عينا فأين السمع . لو كان الكل سمعاً فأين الشم . وأما الآن فقد وضع الله الاعضاء كل واحد منها في الجسد كما أراد » (عد ١٤ — ١٨) .

وهنا نبع الخدمة الحقيقية الوحيد لكنيسة الله جسد المسيح « وضع الله الأعضاء » وليست المسألة تعييناً من الواحد للآخر وأكثر من ذلك ليست المسألة تعييناً من انسان لنفسه ولكنه تعيين الهي والا فلا . نعم والا كان الامر اغتصاباً لحقوق الله .

واذا تأملنا في الموضوع ووضعنا أمامنا نور الاصحاح الثاني عشر من كورنثوس الاولى المحتوي على ذلك التشبيه العجيب نجد لامعنى لقول الرجل مثلا لليد أو الاذن للعين « كفاك » ومجرد خاطر كهذا في منتهى

السخافة . ومن المسلم به ان هذه الاعضاء لها مكانة خاصة في الجسد. ولكن لماذا ذلك ؟ لان الله وضع كل واحد منها في الجسد كما أراد . وما الذي تؤديه هذه الاعضاء الشاغلة لمركز ممتاز في الجسد؟ لابد وانها تؤدي الوظيفة التي عينها لها الله . ولأي غاية ؟ لنفع الجسد كله . ولا يوجد عضو صغير مهما كان غير ظاهر لا ينتفع انتفاعاً أكيداً من الاعضاء الظاهرة القائمة بتأدية وظائفها خير قيام.ومن الجهة الاخرى العضو الظاهر مدين للعضو الغير الظاهر الذي يؤدي وظيفته كما يجب. وبمجرد ان تفقد العين نور البصيرة يشعر ويتألم كل عضو في الجسد ومجرد حصول عطل أو وقوع ضرر لأصغر عضو في الجسد يؤثر ويؤلم أهم عضو في الجسد ويتلخص من ذلك أن المهم ليس العمل الكثير أو القليل بل القيام بأداء العمل الموضوع علينا وملء المكان المعين لنا ولا يتم بنيان الجسد كله ونموه الا بقيام كل عضو بالعمل المفروض عليه تبعاً لقياس كل جزء واذا لم نلاحظ هذا الحق الثمين وننفذه عملياً يتعطل عمل البنيان فضلا عن عدم النمو ويحزن الروح القدس وينطفيء ويهان اسم الله وكأننا بذلك ننكر سيادة المسيح وحقوقه. ومفروض على كل مسيحي ان يسير عمليا بحسب هذ المبدأ الالهي ويشهد ضد كل من ينكر هذا الحق عمليا ولا يجوز ان تتخذ الحالة السيئة التي وصلت اليها الكنيسة الاسمية مسوغا لهجر كلمة الله أو تأييد ما يناقضها اذ المسيحي مسئول وملزم دائما لان يخضع ويطيع وحي الله المكتوب ولا يجوز له بأي حال من الاحوال أن يحتج بالظروف ويتخذ منها مبرراً لارتكاب الخطأ أو لاهمال حق الله الصريح .

ولسنا في حاجة لان نتوسع في هذا الموضوع بل تكفي الاشارة التي ابديناها بمناسبة الجزء الاول من هذا الاصحاح ولهذا نستأنف بحثنا في باقيه وهو بلا شك من أهم اوراق تاريخ اسرائيل في البرية وقد تعلم قورح ورفقاؤه على وجه السرعة عاقبة حركتهم وعصيانهم وظهرت لهم غباوتهم وخطيتهم فقد اخطأوا جداً بتعرضهم لعبيد الله الحي الحقيقيين وقيامهم ضدهم .

أما موسى الذي تجمهروا عليه فعند ما سمع كلماتهم المفسدة والمضللة «سقط على وجهه » وهـذه أحسن طريقة لمقابلة العصاة. وسبق أن رأينا خادم الله المحبوب موسى على وجهه مرة في الوقت الذى كان يجب عليه أن يكون واقفاً على قدميه « خروج ١٤ » أما الآن فاحسن واضمن ما يمكن عمله هو أن يسقط على وجهه اذ لا فائدة من مناقشة شعب ثائر وأفضل شيء تركهم بين يدي الله لانه هو وحده صاحب القضية ونزاعهم في الواقع معه وإذا كان الله يضع انساناً ما في مركز خاص ويعطيه عملا خاصاً وينازعه اخوته بمجرد قيامه باداء العمل المعطى له أو بملء الفراغ الذي وجد فيه فهذه المنازعة هي في الواقع مع الله الذي يعرف كيف يحسمها ولا بد وان يفعل ذلك حسب افكاره وطرقه. واذا تأكد ووثق خادم الرب بهذا يتمتع بالهدوء الكامل والمقدس ويرتفع وينتصر رغما من قيام الحسود والمشاغب. وغير ممكن لمن يشغلون مركزاً عالياً في الخدمة أو لمن يستخدمهم الله بطريقة سامية ظاهرة أن يستمروا في عملهم بدون أن يهاجموا من وقت لآخر ويتعرض لهم اشخاص متطرفون غير راضين بما هم فيه لا يحتملون بان يروا واحداً أفضل من انفسهم ولكن خير ما نقابل به مثل هؤلاء الاشخاص أن نتوارى ونحسب انفسنا

لا شيء ونسقط على وجوهنا الى أن تمر هذه العاصفة.

« فلما سمع موسى سقط على وجهه ثم كلم قورح وجميع قومه قائلاً غداً يعلن الرب (ولم يقل يعلن موسى) مَن هو له ومَن المقدس حتى يقربه اليه فالذي يختاره يقربه اليه. افعلوا هذا. خذوا لكم مجامر. قورح وكل جماعته واجعلوا فيها ناراً وضعوا عليها بخوراً أمام الرب غداً فالرجل الذي يختاره الرب هو المقدس. كفاكم يابني لاوي » عد ٤ — ٧ وهنا نجد موسى يضع المسألة في يد الله ليعطي لحقوق يهوه المقدسة المكان اللائق بها فيقول « يعلن الرب » « ويختار الرب » فلا يوجد حرف واحد منسوب لموسى أو لهارون والموضوع كله يتوقف على اختيار الرب وتعيين الرب وبذلك اتى بالعصاة المئتين والخمسين وجهاً لوجه أمام الله الحي وقد دعوا للحضور أمامه تعالى ومجامرهم في ايديهم لكي يتم فحص الموضوع من كل وجوهه وتصدر هذه المحكمة العليا حكمها غير القابل للطعن ولا نقض فيه ولا ابرام ولم يكن من المتيسر لموسى وهرون أن يصدرا حكماً في الموضوع وذلك لانهما طرف فيه ولا معنى لان يكونا خصما وحكما في آن واحد ولهذا فضّل موسى أن يعرض المسألة على الله الحاضر في وسط شعبه. ويدعو جميع الخصوم لحضرته المقدسة حيث يتم الفصل في الموضوع ويصدر الحكم من هناك وهذه هي الحكمة بمعناها الصحيح والتواضع الحقيقي ويحسن دائماً عند ما نجد اشخاصا راغبين في الوصول الى مكانة خاصة ان نتركهم وشأنهم ليشبعوا شهوة قلوبهم بحصولهم عليها لانه من المؤكد لا بد وان يكون هذا المركز الذي سعوا اليه بغباوة سببا في انهزامهم الشنيع وارتباكهم الفاضح

وضياع كرامتهم وربما نرى أحيانا اشخاصا يحسدون آخرين على خدمة اعطيت لهم ويشتهون أن يشغلوا مركز غيرهم فاذا تيسر لهم ذلك عادوا في النهاية بالفشل والخجل وخزي الوجوه لان الرب لا بد وان يقف لمثل هؤلاء بالمرصاد ويربكهم ولهذا يحسن باولئك الذين يهاجمون أحيانا ويُعتدى عليهم من الحاسدين الماكرين أن يتركوا الامر للرب ويسقطوا على وجوههم امامه ويلتمسوا منه أن يتداخل في الامر ويعمل مايحسن في عينيه. وانه لأمر محزن أن يحصل مثل هذا في وسط شعب الله ولكن ذلك لم يمنع من حصوله وقد حصل فعلا ويحصل مراراً وتكراراً ونحن واثقون أن خير علاج لمثل هذه الحالة هو أن يُترك الشخص الراغب في الشهرة والرفعة المشغول بحب الظهور حتى يجري شوطه كاملا وعندئذ لا بد وان يقف منهزماً شر هزيمة ومعنى هذا في الواقع ان تترك مثل هذا الشخص في يدي الله الذي يستطيع ان يتصرف معه كما يجب

« وقال موسى لقورح . اسمعوا يا بني لاوي أقليل عليكم ان اله اسرائيل أفرزكم من جماعة اسرائيل ليقربكم اليه لكي تعملوا خدمة مسكن الرب وتقفوا قدام الجماعة لخدمتها . فقربك وجميع اخوتك بني لاوي معك وتطلبون ايضاً كهنوتاً . اذن أنت وكل جماعتك متفقون على الرب . وأما هرون فما هو حتى تتذمروا عليه » عد ٨ — ١١ .

هذه العبارة تكشف لنا الستار عن أصل تلك المؤامرة الهائلة اذ ترينا الرجل الذي ابتدعها والغرض الذي كان يرمي اليه . فهنا موسى يخاطب قورح متهماً اياه بأنه طامع في الكهنوت . وعلى القاريء أن يلاحظ هذا

الامر جيداً ويفهمه تماما بحسب تعليم الكتاب . عليه أن يعرف ما هو قورح ـ وماذا كان عمله ـ وماذا كانت تطمح اليه نفسه . يعرف كل هذه الامور اذا أراد أن يفهم قوة ومعنى التعبير الوارد في رسالة يهوذا «مشاجرة قورح» .

ولنسأل ماذا كان قورح ؟ كان لاوياً وبذا كان له الحق بأن يخدم أو يعلم . « يعلمون يعقوب احكامك وإسرائيل ناموسك » « اله اسرائيل أفرزكم من جماعة إسرائيل ليقربكم اليه لكي تعملوا خدمة مسكن الرب وتقفوا قدام الجماعة لخدمتها » هذا هو قورح وتلك هي دائرة عمله . والى أي شيء كان يطمح ؟ الى الكهنوت . « تطلبون أيضاً كهنوتا » ولا يظهر لمن ينظر نظرة سطحية ان قورح كان يسعى للحصول على شيء لنفسه بل يظنه يدافع عن حقوق الجماعة كلها ولكن موسى أظهر بروح الله حقيقة الرجل ورفع القناع عنه وبيّن ان وراء ادعائه بالغيرة على حقوق الجماعة والمحاماة عن مطالبهم كان يضمر ذلك الميل الشديد الى أخذ الكهنوت لنفسه. وما أجدرنا أن نلاحظ ذلك إذ كثيراً ما نشاهد ان الذين يصيحون ويرفعون أصواتهم بالمناضلة عن حرية وحقوق وامتيازات شعب الله هم في الحقيقة طالبون رفعتهم الخصوصية ومنفعتهم الشخصية وإذ لا يكتفون بعملهم الخاص يطلبون مركزاً فوق مركزهم وإن خفي أمرهم الى حين فلابد ان الله يظهره يوما ما ان عاجلا أو آجلا لان « به توزن الاعمال » .

ولا يوجد شيء أردأ من طلب الانسان مقاماً لنفسه لانه من المؤكد لا يجني سوى الخيبة والفشل. وأحري بنا أن يملأ كل واحد منا مركزه

المعين له ويقوم بعمله المفروض عليه وكلما قام به بتواضع وهدوء وعدم ادعاء كلما كان أفضل . ولكن قورح لم يكن قد تعلم هذا المبدأ البسيط الصحيح كذلك لم يقنع بمركزه وخدمته المعينين له من الله بل تطاول الى شيء لم يكن له بالكلية وجعل غرضه الاسمى ان يصير كاهناً فكانت خطيته خطية التمرد على كاهن الله العظيم وهذا هو المقصود « بمشاجرة قورح ».

ويهمنا ان ندرك هذه الحقيقة المتضمنة في تاريخ قورح فأنها ليست مفهومة تماماً لدى الكثيرين ولذلك نجد البعض في هذه الايام يتهمون أولئك الذين يمارسون مواهبهم التي تسلمت لهم من الرب رأس الكنيسة بأنهم ارتكبوا خطية قورح ولكن التأمل قليلا في نور الكتاب المقدس يكفي تماماً لإظهار بطلان هذه التهم وافتقارها الى أساس صحيح . خذ مثلا حالة شخص وهبه المسيح بكيفية واضحة ان يكون مبشراً فهل نحسبه واقعاً في خطية قورح اذا ذهب ليكرز بالانجيل عملا بالموهبة الالهية وطاعة للامر الالهي الصادر اليه ؟ وهل ينبغي له ان يكرز أولا ؟ ـ أليست الموهبة الالهية ـ أو الدعوة الالهية كافية لتأهيله للقيام بهذه الخدمة ؟ وهل اذا بشر بالانجيل يعد متمرداً عاصياً ؟ ـ وما يقال عن المبشر ينطبق على الراعي أو المعلم . فاذا أعطى المسيح انسانا موهبة ألا تكفي تلك الموهبة ان تصيره خادماً أم يحتاج معها الى شيء آخر . الا يتضح لمن كان خالياً من الغرض والميل ـ ولكل من يريد ان يكون متعلما من الكتاب ان نوال الانسان موهبة ما من الله يكفي لان يجعله خادما دون أي شيء آخر مهما كان ؟ ومن الجهة الاخرى ألا يظهر ايضا بأنه مهما كان الانسان على جانب عظيم من المقدرة الشخصية

والكفاءة العلمية ولم يعط موهبة الهية لا يحسب خادما لله وليس هناك أدنى شك في صحة هذه القضايا البديهية الواضحة .

لا يخفى ان كلامنا هنا هو عن المواهب المختصة بالخدمة في الكنيسة ولا شك ان لكل عضو في جسد المسيح خدمة يؤديها وعملا يقوم به وهذا أمر مفهوم لكل مسيحي متعلم . زد على ذلك انه من الواضح الجلي ان بنيان الجسد يقوم ليس فقط ببعض مواهب خصوصية مشهورة بل بعمل جميع الاعضاء كل بحسب وظيفته ومركزه الخاص كما نقرأ في الرسالة الى أهل أفسس « بل صادقين في المحبة ننمو في كل شيء الى ذاك الذي هو الرأس المسيح . الذي منه كل الجسد مركباً معاً ومقترنا بمؤازرة كل مفصل حسب عمل على قياس كل جزء يحصل نمو الجسد لبنيانه في المحبة » (اف ٤ :١٥و١٦)

كل هذا واضح جداً من كلمة الله ولكن المواهب الخصوصية كموهبة المبشر أو الراعي أو النبي او المعلم ينبغي قبولها من المسيح وحده والحصول عليها يجعل صاحبها مبشراً بالانجيل دون ان يحتاج لشيء آخر معها ومن الجهة الاخرى لا يمكن لاي تهذيب أو تعليم ولا لجميع السلطات البشرية التي تحت الشمس مهما كانت ان تصير شخصا ما مبشراً أو راعيا أو معلما مالم يكن حاصلا على هبة مجانية من رأس الكنيسة .

قد تكلمنا كثيرا عن الخدمة في كنيسة الله ونعتقد ان ماذكرناه يكفي لأن يبرهن للقارىء بانه من الخطأ الفاحش والغلط المبين ان نرى أناساً يمارسون مواهبهم الممنوحة لهم من رأس الكنيسة المظيم فنتهمهم بخطية قورح مع ان الواقع هو ان امتناعهم عن ممارستها يعد خطية . على انه هنالك

بونا شاسعاً وفرقاً جوهرياً بين الخدمة والكهنوت فلم يكن قورح يطمع في ان يصير خادماً لانه كان كذلك وانما طلب أن يصير كاهناً وهذا لم يتسن له اذ كان الكهنوت مخصصاً ومقدساً لهرون وعائلته . واذا قام أي شخص آخر وحاول أن يشاركه في هذا العمل بان قدم ذبيحة أوقام بأي وظيفة كهنوتية عدّ مختلساً ومغتصباً . وما هرون الا رمزاً لكاهننا العظيم الذي اجتاز السموات يسوع ابن الله ذاك الذي دائرة خدمته هي السماء « فانه لو كان على الارض لما كان كاهنا » عب٨ : ٤ « ان ربنا قد طلع من سبط يهوذا الذي لم يتكلم عنه موسى شيئاً من جهة الكهنوت » ولا يوجد الآن مايقال عنه كاهن على الارض الا بالمعنى الذي نفهمه من تسمية جميع المؤمنين كهنة كما نقرأ في رسالة بطرس الاولى ٢ : ٩ « وأما انتم فجنس مختار وكهنوت ملوكي » فكل مسيحي هو كاهن بهذا المعنى وأصغر قديس في كنيسة الله يتساوى مع أعظم الرسل في هذا الكهنوت لان المسألة ليست مسألة اقتدار أو قوة روحية بل مسألة مقام فجميع المؤمنين كهنة ومطالبون بتقديم ذبائح روحية « فلنقدم به في كل حين لله ذبيحة التسبيح أي ثمر شفاه معترفة باسمه . ولكن لا تنسوا فعل الخير والتوزيع لانه بذبائح مثل هذه يسر الله » عب ١٣ : ١٥ و١٦ .

هذا هو الكهنوت المسيحي وليلاحظ القارىء بان التطلع الى أي نوع آخر من الكهنوت ـ والادعاء بأية وظيفة كهنوتية اخرى ـ واقامة فرقة كهنوتية مخصوصة ـ طائفة قسوسية ـ جماعة ينوبون عن رفقائهم ـ او يؤدون خدمة كهنوتية بالنيابة عنهم لدى الله ـ كل هذا يحسب خطية قورح من حيث المبدأ وكلامنا هنا عن المبدأ لا عن الاشخاص .

ولا يمكن ان يكون القاريء على درجة من البساطة بحيث لا يدرك هذا الموضوع الخطير الذي نستطيع ان نقول عنه بحق انه على جانب عظيم من الاهمية سيما في وقتنا الحاضر ولذا وجب عليه ان يفحصه جيداً في نور الاسفار المقدسة دون سواها لان التقليد لا يفيده شيئا وتاريخ الكنيسة لا يجديه نفعا فلابد له من الالتجاء الى كلمة الله وحدها . ولنسأل الآن «من هم الذين يصح اتهامهم بخطية قورح ؟ هل هم الذين يمارسون مواهبهم التي منحها لهم رأس الكنيسة أم الذين يتخذون وظيفة وعملا كهنوتيا لا يختص الا بالمسيح وحده ؟ » وياله من سؤال مهم جداً وخطير للغاية وياليتنا نتأمل فيه مليا في الحضرة الالهية ونطلب نعمة لنكون امناء لذاك الذي هو ليس فقط مخلصنا المنعم بل ربنا ومليكنا أيضا .

يصف لنا الجزء الباقي من اصحاحنا هذا الدينونة المريعة التي اجراها الله على قورح وجماعته وكيف ان الرب اخمد بسرعة تلك الفتنة التي اثارها هؤلاء القوم العصاة وفصل في المسألة فصلا تاما واذا كان مجرد ذكرها مريعا ومخيفا لدرجة لا يعبر عنها فما بالك بهول وقوع تلك الحادثة نفسها وهل هناك منظر أشد رعبا من ان تفتح الارض فاها وتبتلع أولئك الزعماء الثلاثة الذين أوقدوا نيران تلك الفتنة ثم تخرج نار من عند الرب وتأكل المئتين والخمسين الذين قربوا البخور .

« فقال موسى بهذا تعلمون ان الرب قد ارسلني لأعمل كل هذه الاعمال وانها ليست من نفسي . إن مات هؤلاء كموت كل انسان واصابتهم مصيبة كل انسان فليس الرب قد أرسلني . ولكن ان ابتدع الرب بدعة وفتحت

الارض فاها وابتلعتهم وكل مالهم فهبطوا احياء الى الهاوية تعلمون أن هؤلاء القوم قد ازدروا بالرب » عد ٢٨ — ٣٠ .

إن موسى بهذا القول يجعل القضية قائمة بين الرب والمتمردين ويستطيع أن يلتجيء الى الله ويترك كل شيء في يديه وهذا هو السر الصحيح للقوة الادبية. والانسان الذي لا يسعى في طلب شيء لنفسه ـ ولا غرض ولا قصد له سوى مجد الله ـ يستطيع ان ينتظر النتيجة ويتوقع النهاية بثقة واطمئنان وانما لا يتأتى له ذلك الا اذا كان بسيط العين مستقيم القلب طاهر الغاية نقي القصد أما التظاهر أو الادعاء فلا يفيد شيئاً ولا يلبث ان ينكشف عند ما يجرى الله قضاءه اذ لم يعد له وجود عند ما فتحت الارض فاها وابتلعت المتمردين ونار الرب اكلت كل ما حولها . صحيح ان الانسان قد يتشامخ ويفتخر ويتكلم بكبرياء وعظمة عند ما يكون كل شيء في هدوء وسكون ولكن مجرد ظهور الله على المسرح بقضاء رهيب يغير منظر الاشياء بسرعة . « فلما فرغ من التكلم بكل هذا الكلام انشقت الارض التي تحتهم . وفتحت الارض فاها وابتلعتهم وبيوتهم وكل من كان لقورح مع كل الاموال . فنزلوا هم وكل ما كان لهم احياء الى الهاوية وانطبقت عليهم الارض فبادوا من بين الجماعة . وكل اسرائيل الذين حولهم هربوا من صوتهم . لانهم قالوا لعل الارض تبتلعنا . » حقاً « مخيف هو الوقوع في يدي الله الحي » لانه « اله مهوب جداً في جميع مؤامرة القديسين . ومخوف عند جميع الذين حوله » « الهنا نار آكلة » فما كان احسنه لقورح لو ظل قانعا بخدمته اللاوية التي كانت من اسمى رتبة وأعلى درجة فكان عمله هو أن يحمل بعضا من اثمن اواني المقدس

ولكنه وأسفاه طمع في الكهنوت فهبط الى الهاوية . ولم يقف الامر عند هذا الحد بل ما كادت الارض تنطبق على هؤلاء المتمردين حتى « خرجت نار من عند الرب واكلت المئتين والخمسين رجلا الذين قربوا البخور »

يا له من مشهد في غاية الرعب والهول — مشهد مذل ومخضع للنفس تمثل فيه اجراء القضاء الالهي على الكبرياء البشرية والادعاء الانساني فعبثا يرفع الانسان نفسه على الله لانه يقاوم المتكبرين ولكن يعطي نعمة للمتواضعين. ويا لها من غباوة أن دود الارض يرتفع على الله القدير فلا يلاقي سوى الهلاك والدمار . مسكين انت ايها الانسان فانك أجهل وأغبى من الفراش الذى يحوم حول اللهيب الذي يحرقه ويقتله .

آه ليتنا نسلك بتواضع مع الهنا ونرضى بارادته ونكتفي بان نشغل مركزنا المعين لنا منه مهما بدا حقيراً ونؤدي العمل المطلوب منا وان كان صغيراً فهناك العظمة الحقيقية والسعادة الصحيحة فإذا كلفنا الله مثلاً ان نكنس شارعاً فلنكنسه ما دام تحت نظره ولمدح اسمه فان النقطة العظمى والجوهرية هي أن نقوم بالعمل الذى يعطينا أن نعمله ونشغل نفس الوظيفة التي يعينها لنا ولوكان قد تعلم هذا قورح وجماعته لما اصابهم ما اصابهم مما أدى الى صراخهم وعويلهم الذي فتت اكباد اخوتهم والقى الرعب في قلوبهم . ولكنهم أرادوا الارتفاع والعظمة فهبطوا الى الهاوية وهكذا نجد دائماً ان الكبرياء والسقوط متلازمان لا ينفصلان في سياسة الله الادبية وهذا المبدأ صحيح في كل الازمنة مهما اختلف المقياس فعلينا ان نتذكره ولنستفد من مطالعتنا اصحاح ١٦ من سفر العدد ذلك الشعور العميق بقيمة الروح المتواضع

والمنسحق سيما وانا عائشون في زمن يتهافت فيه الانسان الى الرفعة ويركض فيه الى التقدم وشعاره حب الارتقاء المستمر وطلب الرفعة المتواصلة . ولا ننسى ذلك القانون الالهي أن « الذي يرفع نفسه يتضع » أما الطريق الوحيد الى الارتفاع فهو الاتضاع فان « الذي يتبوأ الآن ارفع مقام في السماء هو ذاك الذي رضي طوعاً واختياراً » أن يأخذ ادنى مقام على الارض انظر (في ٢ : ١١) .

هنا قدوتنا ومثالنا كمسيحيين وهنا أيضاً المصل الالهي ضد سموم كبرياء ومطامع أهل هذا العالم فليس أشد حزناً من أن نرى روح الاقتحام والضوضاء والاندفاع والاعتداد بالذات والتفاخر في الذين يدّعون انهم تابعو ذاك الذي كان وديعاً ومتواضع القلب : وفي ذلك تناقض صريح لروح وسنن المسيحية ونتيجة لازمة لحالة نفس غير منسحقة وروح غير منكسرة . ومن يقيس نفسه حقيقة في محضر الله لا يمكن مطلقاً أن يوجد فيه روح الفخر والادعاء والاعتداد بالذات .

وان أعظم علاج للكبرياء والثقة بالذات هو كثرة الانفراد مع الله . فليتنا نعرف حقيقة ذلك جيداً وليحفظنا الهنا الصالح في التواضع الحقيقي في كل طرقنا حتى نصغر لآخر درجة في أعين ذواتنا ولا نكون متكلين الا عليه وحده

ان الفقرة الاخيرة من اصحاحنا توضح لنا بكيفية مؤثرة جداً شر القلب البشري العنيد الذى لا يقبل الاصلاح فكنا نرجو ان بني اسرائيل بعد ان شاهدوا مناظر الدينونة الهائلة التي اجراها الله أمامهم يتعلمون

دروساً عظيمة مؤثرة لا ينسونها طول أيام حياتهم . فبعد ان رأوا الارض تفتح فاها — وسمعوا صراخ العصاة المتمردين الذى يصم الآذان . وعويلهم الذي يفتت الاكباد ويذيب القلوب وهم يهبطون الى الهاوية — ونظروا نار الرب تخرج وتأكل في لحظة مائتين وخمسين رئيسا من الجماعة — وشاهدوا علامات القضاء الالهي هذه التي تجلت فيها القدرة والعظمة الالهية — كنا ننتظر ان الشعب يسير من الآن فصاعداً بوداعة وتواضع فلا نسمع في خيامهم فيما بعد عبارات التذمر والعصيان ولكن واأسفاه وواحسرتاه فان الانسان لا يتعلم بالرغم عن هذا كله ويصح عليه القول « كل الرأس مريض وكل القلب سقيم من أسفل القدم الى الرأس ليس فيه صحة » ومرضه غير قابل للشفاء وهذا الحق مقرر في كل فصل بل في كل صحيفة من كتاب الله فها بنو اسرائيل لم يمض عليهم سنة ولا شهر ولا اسبوع من مشاهدتهم تلك الدينونة العظيمة حتى عادوا يتذمرون في اليوم التالي « فتذمر كل جماعة بنى اسرائيل في الغد على موسى وهرون قائلين انما قد قتلتما شعب الرب . ولما اجتمعت الجماعة على موسى وهرون انصرفا الى خيمة الاجتماع واذا هي قد غطتها السحابة وتراءى مجد الرب . فجاء موسى وهرون الى قدام خيمة الاجتماع . فكلم الرب موسى قائلا . اطلعا من وسط هذه الجماعة فاني افنيهم بلحظة » عدد ٤١ — ٤٥ . ومن العجيب ان المتذمرين هذه المرة لم يكونوا عدداً قليلا من الشعب بل الجماعة كلها . وهنا سنحت فرصة أخرى لموسى . فها الرب يهدد كل الجماعة مرة ثانية ويتوعدهم بالفناء العاجل وكأنه لم يبق لهم بريق من الامل بعد في الوجود

إذ أن صبر الله قد نفذ وطول أناته بلغ أقصاه وسيف القضاء مزمع أن يقع عليهم ليبيدهم ولم يوجد لهم رجاء بالخلاص الا في ذلك الكهنوت الذي احتقره أولئك العصاة المتمردون وازدروا به كما ان الشخصين اللذين اتهموهما بقتل كل جماعة الرب كانا آلات معينة من الله لخلاص نفوس الشعب ونجاتهم من يد القضاء .

« نخرا على وجهيهما . ثم قال موسى لهرون خذ المجمرة واجعل فيها ناراً من على المذبح وضع بخوراً واذهب بها مسرعاً الى الجماعة وكفر عنهم لان السخط قد خرج من قبل الرب . قد ابتدأ الوباء . فأخذ هرون كما قال موسى وركض الى وسط الجماعة واذا الوباء قد ابتدأ في الشعب فوضع البخور وكفر عن الشعب ووقف بين الموتى والاحياء فامتنع الوباء عدد ٤٦ — ٤٨

فظاهر من هذه الاقوال انه لا شيء سوى الكهنوت ــ الذي احتقر بهذه الدرجة ــ استطاع ان يفيد شعباً متمرداً صلب الرقبة كهذا واننا نشاهد في هــذه الفقرة الاخيرة منظراً جميلا مباركا لا يمكن لنا التعبير عنه اذ نرى هرون كاهن الله العلي واقفاً بين الموتى والاحياء ومن مجمرته يصعد البخور الى الله وما أجمله رمزاً الى من هو أعظم من هرون ذاك الذي بعد ان صنع بنفسه كفارة تامة عن خطايا شعبه أصبح أمام الله دائمــاً بكل روائحه العطرة التي تنبعث من شخصه وعمله . والكهنوت وحــده هو الذي أتى بالشعب وسار به في البرية وهو من معدات نعمة الله الغنية لفائدة وخير الشعب الذي هو مدين لشفاعة الكهنوت بعدم فنائه وحفظه من النتائج العادلة لتذمراته وعصيانه ولو كان الرب عاملهم بمقتضى عدله فقط لما كان

نصيبهم الا الفناء في لحظة كما قال لموسى « اتركني فأفنيهم في لحظة »

هذه هي لغة العدل وتلك هي لهجته الشديدة وليس لنا أن نتوقع من العدل الا الهلاك المستعجل أما النعمة الالهية ـ النعمة التي تملك بالبر — فعملها المجيد الممتاز هو الحفظ الكامل الى المنتهى.ولو كان الله تصرف مع الشعب بحسب مباديء عدله ليس الا لما كان أعلن اسمه تماماً . ذلك لان اسمه تعالى يتضمن من الصفات الكاملة ما هو أكثر كثيراً من صفة العدل اذ يتضمن المحبة والرحمة والصلاح والاحسان وطول الاناةوالشفقة والرأفة وهـذه الصفات الالهية السامية الجليلة ما كان يظهر منها شيء لو افنى الله الشعب في لحظة بحسب عدله وبذلك ما كان أعلن اسمه ولا تمجد بين الشعوب « من أجل اسمي ابطيء غضبي ومن أجل فخري أمسك عنك حتى لا أقطعك . . . . من أجل نفسي من أجل اسمي افعل . وكرامتي لا أعطيها لآخر . اش ٤٨ : ٩ و١١ »

فما أحسنه لنا أن يعمل الله لاجلنا وفينا لمجد اسمه . بل ما أعجب أن يظهر مجده بتمامه — ويظهر فقط — في ذلك القصد العظيم الذي كان في قلبه والذي أعلن به ذاته « انه اله عادل ومخلص »

وياله من لقب ثمين واسم جليل يحتاج اليه الخاطيء الهالك المسكين اذ يجد فيه كل المحتاج اليه في هـذا الزمن الحاضر وفي الابدية نعم يجد فيه سداً لاعوازه كهالك أثيم مستحق للعذاب الابدي وكفاية له وسط تجارب وأحزان البرية وأخيراً يقوده الى ذلك المكان السماوي المبارك البهي حيث لا يتسرب الى هناك الحزن ولا الخطية

الاصحاحان ١٧ و ١٨

يدور هذان الاصحاحان على محور خاص ويشتملان على مبحث معين يتمثل لنا فيه أصل الكهنوت ومسئولياته ومزاياه . فالكهنوت هو تعيين الهي « لا يأخذ أحد هذه الوظيفة بنفسه بل المدعو من الله كما هرون أيضاً عب ٥ : ٤ » وهذا واضح بصورة جلية بارزة تستلفت الانظار في اصحاح ١٧

وكلم الرب موسى قائلا كلم بني اسرائيل وخذ منهم عصا عصا لكل بيت أب من جميع رؤسائهم حسب بيوت آبائهم اثنتي عشرة عصا واسم كل واحد تكتبه على عصاه واسم هرون تكتبه على عصا لاوي لان لرأس بيت آبائهم عصا واحدة وضعها في خيمة الاجتماع أمام الشهادة حيث اجتمع بكم فالرجل الذي أختاره تفرخ عصاه فاسكن عني تذمرات بني اسرائيل التي يتذمرونها عليكما فكلم موسى بني اسرائيل فاعطاه جميع رؤسائهم عصا عصا لكل رئيس حسب بيوت آبائهم اثنتي عشرة عصا . وعصا هرون بين عصيهم عدد ١ ــ ٦ »

ما أعجب الحكمة التي تتجلى في هذا النظام وتسطع في ثناياه ــ حكمة منقطعة النظير فريدة في بابها فقد أخذ الامر بتمامه من يدي الانسان ووضع في المكان اللائق به هناك في يدي الله الحي فلم تكن المسألة أن ينتخب الانسان نفسه أو رفيقه أو من يتودد اليه بصلة الصداقة بل ان ينتخب الله

الانسان الذي يقع عليه محض اختياره. وقصارى القول تولى الله الموضوع ليبتّ فيه بكيفية حاسمة قاطعة حتى تتلاشى التذمرات نهائياً وتكمّ الافواه فلا يستطيع شخص مرة أخرى أن يصم كاهن الله العظيم بتلك الوصمة ويتهمه بانه يأخذ على عاتقه اكثر من اللازم ولا غرو اذا عجزت الارادة البشرية وضاق ذرعها عن ان تقوم بعمل ما أزاء هذا الامر الخطير. فالاثنتا عشر عصا ـ كلها متجانسة ومتشابهة ـ وضعت أمام الرب ثم عاد الانسان أدراجه وترك الله للعمل وعندئذ لم يبق مجال للانسان لان الامر أصبح في غنى عن التدبير البشري وهناك في هدوء القدس وسكونه ، بعيداً بمراحل عن تصورات الانسان وأفكاره فصل الله بقرار الهي في مسألة الكهنوت العظمى وبذا اصبح من المحال وضعها على بساط البحث والنظر مرة أخرى

« فوضع موسى العصي امام الرب في خيمة الشهادة وفي الغد دخل موسى الى خيمة الشهادة واذا عصا هرون لبيت لاوي قد افرخت . اخرجت فروخاً وأزهرت زهراً وأنضجت لوزاً »

هذا تشبيه بليغ ورمز بديع لذاك الذي « تعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الاموات « رو ١ : ٤ » فالاثنتا عشر عصا كانت كلها جامدة لا حياة فيها غير ان الله الحي ظهر على المسرح ودخل في الحادثة وبتلك القوة الخاصة به وحده نفث حياة في عصا هرون وأظهرها للرائين حاملة أثمار القيامة العطرة

ترى من ذا الذي يناقض هذا ويكذبه ؟ العقلي (الذي يعتقد بكفاية

العقل بدون الوحي) قد يهزأ به وقد يتبجح والسخرية ملء شدقيه مدلياً بألف سؤال غير ان الايمان يشخص الى العصا المثمرة فيرى فيها تشبيهاً لطيفاً للخليقة الجديدة التي فيها الكل من الله.وقد يجادل الكفر على قاعدة انه من المستحيل ان عصا يابسة تفرخ ثم تزهر ثم تثمر في خلال ليلة واحدة ولكن لِمَ يظهر ذلك انه مستحيل متعذر الكافر ـ العقلي ـ الملحد ؟ لانه ابعد الله عنه وصار بمعزل منه وعليه فلا يغيبَنَّ عن اذهاننا ان الكفر يوصد الباب في وجه الله ويستوثق من رتاجه ثم يقف بعيداً عنه أما أفكاره فسائرة على قدم وساق . ويصل الى نتائجه في ظلمة الليل ولا يوجد بصيص من النور الحقيقي في كل الدائرة التي يعمل فيها فهو يحجب منبع النور الوحيد ويلبس النفس رداءً كثيفا من الظلام الدامس ويتركها تتخبط في قتامه .

وهنا يحسن بالقارىء أن يتريث ويتأمل بامعان وروية في هذه الحقيقة الخطيرة بل يجدر به ان ينظر مليا ويفكر جديا في مظهر الكفر ـ الالحاد ـ مذهب العقليين فهو يبتديء ويستمر وينتهي باقامة حجاب كثيف بينه وبين الله وقد يلقي ببصره الى السر الخفي في عصا هرون التي افرخت وازهرت واثمرت ثم يقول بلهجة الملحد وبنغمة مجردة من الحياء والادب « كيف ؟ » وهذه أعظم حجة لدى الكافر فهو يستطيع ان يقدم الف سؤال غير انه ليس في مقدوره ان يفصل في واحد منها وهو خير استاذ يلقي عليك دروس الشك والريب ولكنه لا يمكنه ان يعطيك قطرة واحدة من الايمان واليقين وهو يقودك الى الحدس والتخمين في كل أمر غير انه لا يقدم لك شيئاً لتصدقه

وتؤمن به .

هكذا الكفر أيها القاريء الحبيب وهو من الشيطان الذي كان ولا يزال وسيبقى أعظم مؤسس للاسئلة وأقوى مقيم لها وفي أي مكان تقتفي أثره تجده دائما أبداً ناهضاً بتقديمها وهو يملأ القلب بجميع ضروب الشك واساليبه « اذا » « وكيف » وبذا يغرق النفس في بحار الظلام . واذا ما فاز بالادلاء بسؤال واحد منها فقد ربح غرضه ونال مبتغاه ولكنه يظل خائر القوى واهن العزيمة أمام تلك النفس التي تعتقد ان الله موجود وانه قد تكلم وهنا الجواب السديد والرد السامي الذي يواجه به الايمان جميع أسئلة الملحد بل هو الحل الالهي لكل مشكلات الكافر فالايمان يستحضر أمامه الله بينما الكفر يرفضه ويواريه عنه والايمان يفتكر مع الله أما الكفر فيفتكر بدونه .

على هذا نقول للقاريء المسيحي وخصوصا لك ايها الشاب المسيحي ان لا تفتح احضانك للاسئلة ولا ترحب بها عندما يكون الله قد تكلم لانك ان فعلت لا بد ان يطأك الشيطان باخمصه ويدوسك بقدميه في الحال واعلم ان برج خلاصك وحصن نجاتك منه هو في تلك الكلمة الحية المنيعة « مكتوب » اما محاولتك بان تناظره على أساس التجارب والشعور والمشاهدات فلا تجدي نفعا ولا تعود بفائدة فصمم اذاً على ان تضع اساسك على هذا — ان الله موجود وانه قد تكلم فالشيطان لا يقوم له وزن ولا يقدر مطلقا ان يتلاعب بهذه الحجة الراهنة القيمة لانها لا تغلبه فقط بل توقعه في الارتباك والحيرة وتلزمه ان يولي الادبار على الاثر واما ماعداها فمن الميسور له ان

يهشمه ويكسره ويضرب به عرض الحائط .

ونرى هذا ممثلا بوضوح وجلاء في تجربة ربنا فقد اقترب اليه العدو بطريقته المعهودة وطرح عليه السؤال « ان كنت انت ابن الله » ولكن كيف جاوبه الرب ؟ هل قال له « أعلم انني ابن الله وقد شهد لي من السماوات وهي مفتوحة ومن الروح المعزي المنسكب واني أشعر وأصدق بل على يقين انني ابن الله » كلا فان ذلك لم يكن الاسلوب الذي تبعه في الرد على المجرب. اذاً بماذا أجاب ؟ « مكتوب » وعلى هذا المنوال كانت أجابة الانسان المتوكل المطيع (يسوع) في تجاربه الثلاث وعلى هذا النمط يجب ان تكون اجابة كل شخص يريد النصرة على المجرب .

وهكذا اذا سأل سائل بالاشارة الى عصا هرون المفرخة « كيف يصير هذا ؟ انه مخالف لنواميس الطبيعة وكيف ينقض الله قوانين الفلسفة الطبيعية الثابتة » فيكون الرد البسيط الجليل الذي يقدمه الايمان هو ان الله يعمل مايريد وان الذي كوّن الوجود من العدم يستطيع ان يجعل عصا تفرخ وتزهر وتثمر في الحال . وعليه اذا جعلت الله في الموضوع يصبح كل أمر بسيطاً وسهلا واذا اخرجته بعيداً يصير كل شيء في إختلاط

أما المحاولة في تقييد ـ نقول بكل خشوع واحترام ـ الخالق العظيم الذي أنشأ هذا الكون الواسع الارجاء بالنواميس الطبيعية أو بقوانين الفلسفة الطبيعية فأمر لا يقلّ عن التجديف الكفري بل يعتبر في الغالب أسوأ من انكار وجوده تعالى ومن الصعب أن يحكم المرء أيهما أردأ الملحد الذي لا يعتقد بوجود الله أم العقلي الذي يجاهر ويصر على ان الله لا يقدر

أن يعمل كما يريد وحسبما يرغب .

لهـذا نشعر بالاهمية العظمى في وجوب معرفة الاصول الحقيقية لجميع النظريات الخلابة الشائعة في الوقت الحاضر فالعقل الانساني دائبٌ ومُجِدٌ في انشاء الانظمة واستنتاج النتائج وهو مشتغل في التفكير بكيفية تمنع فعلا شهادة الكتاب المقدس وتحجب الله عن خليقته فيتحتم والحالة هـذه تحذير شباننا من ذلك ويجب تعليمهم البون الواسع بين حقائق العلم ونتائج العلماء فالحقيقة هي بذاتها أينما وجدت سواء أكان ذلك في علم طبقات الارض أو علم الفلك أو أي فرع من فروع العلم أما أفكار الانسان ونتائجه وأنظمته فشيء آخر يختلف اختلافا بيناً فالكتاب المقـدس لا يمس حقائق العلم ولكن أفكار العلماء هي التي لاتفتأ في نضال مستمر وصراع دائم مع الكتاب المقـدس ـ واأسفاه على أمثال هؤلاء الرجال وواحسرتاه عليهم ـ وعندما تسير الأمور على هـذه الوتيرة علينا أن نشهر والصراحة ديدننا بشاعة هـذه الافكار ولنهتف مع الرسول « ليكن الله صادقاً وكل انسان كاذبا » .

واننا لنود بكل سرور ان نعلق على هـذا الامر ونطيل التأمل في هـذا الصدد ولو كان في ذلك خروج عن جوهر الموضوع الاصلي لاننا نشعر شعوراً قويا بأهميته وجدارته . ولكننا نكتفي الآن بتحريض القارىء العزيز على ان يجعل للكتاب المقدس المركز الاعلى في القلب والعقل وعلينا أن نخرّ خشعاً وننحني خضوعاً لا لسلطان القول « هكذا تقول الكنيسة ـ هكذا يقول الآباء ـ هكذا يقول علماء اللاهوت» بل لهـذا السلطان

« هكذا قال الرب » « مكتوب » وهذا ما نجد فيه خلاصنا الوحيد من تيار الكفر الجارف الذي يهدد باكتساح أساس الفكر والشعور الديني في طول وعرض العالم المسيحي ولا نجاة لأحد الا لاولئك الذين تعلمهم كلمة الرب وتسوسهم - اكثر الله من أمثالهم

تتقدم الآن خطوة في الاصحاح

« فأخرج موسى جميع العصي من أمام الرب الى جميع بني اسرائيل فنظروا واخذ كل واحد عصاه وقال الرب لموسى رد عصا هرون الى أمام الشهادة لاجل الحفظ علامة لبني التمرد فتكف تذمراتهم عني لكي لا يموتوا ففعل موسى كما أمره الرب . كذلك فعل » اعداد ٩ — ١١

هكذا كان الفصل الالهي والقرار النهائي فى ذلك الموضوع الخطير ومنه يتبين ان الكهنوت مؤسس على نعمة الله الغنية النفيسة التي توجد حياة من الموت وفي هذا أصل الكهنوت. ومحال ان يجني الانسان أية فائدة اذا أخذ عصا من الاحدى عشرة عصا الجافة الميتة وجعلها سمة واشارة للوظيفة الكهنوتية بل ليس في طاقة القوة البشرية كلها الكائنة تحت الشمس ان تنفث حياة في عصا يابسة ميتة أو تصيرها مجرى بركة للنفوس ولذلك لا غرابة اذا لم ينبثق برعم ولم تنبت زهرة في الاحدى عشرة عصا على الاطلاق - ولكن حيثما تجلت تلك الحقائق الثمينة والبراهين المقنعة الدالة على القوة والحياة المنعشة .. وحيثما بدت آثار الحياة الالهية والبركة الربانية وحيثما ظهرت الاثمار الطيبة أثمار النعمة الفعالة فهناك وهناك فقط أصل الخدمة الكهنوتية التي تستطيع أن تحمل خلال البرية لا شعباً محتاجاً فحسب بل شعباً متذمراً

صخاباً هائجاً متمرداً

والآن نرى أنفسنا مسوقين بطبيعة الحال لان نتساءل « وماذا كان الحال مع عصا موسى . ألم تكن بين الاثنتي عشرة عصا ؟ » أما السبب لذلك فواضح وجميل اذ ان عصا موسى كانت رمزاً للقوة والسلطان ولكن عصا هرون كانت اشارة لطيفة ناطقة عن تلك النعمة التي تحيي رفات الميت وتدعو الاشياء غير الموجودة كأنها موجودة ولا يخفى ان القوة او السلطان وحده لايستطيع ان يقود الشعب في البرية فالقوة تقدر ان تسحق العاصي المتمرد والسلطان قد يضرب الخاطيء الاثيم أما الرحمة والنعمة فهما وحدهما اللذان ينفعان جمَّاً غفيراً ويساعدان شعباً كبيراً من الاطفال والنساء والرجال المعوزين البائسين المذنبين . فالنعمة التي تيسر لها ان تخرج لوزا من العصا اليابسة يمكنها أن تسير باسرائيل في البرية . وفي عصا هرون المفرخة فقط يستطيع يهوه ان يقول « فتكف تذمراتهم عني لكي لايموتوا » فلا ننسى اذاً ان عصا السلطان والجبروت تستطيع ان تلاشي المتذمرين . واما عصا النعمة فتقدر ان تبدد التذمرات والانين .

وقد يتمتع القاريء باللذة والفائدة برجوعه الى ذلك الجزء الوارد في استهلال الاصحاح التاسع من العبرانيين بالاشارة الى عصا هرون اذ يقول الرسول في سياق كلامه عن تابوت العهد « فيه المن وعصاهرون التي افرخت ولوحا العهد » وهذا كان في البرية فالعصا والمن هما المؤونة التي قدمتها النعمة الالهية اثناء تجوال اسرائيل وابَّان حاجتهم في القفر ولكن عند مانرجع الى ملوك الاول الاصحاح الثامن والعدد التاسع نقرأ « لم يكن في التابوت

الا لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى هناك في حوريب حين عاهد الرب بني اسرائيل عند خروجهم من أرض مصر » وذلك لان رحلات البرية كانت قد مضت وانتهت واصبح المجد الذي تكلل به عهد سليمان يرسل اشعته المتألقة على الارض ولذا لا ذكر للعصا المفرخة ولقسط المن بل لم يبق شيء الا شريعة الله التي كانت أساس حكمه العادل وسط شعبه

على اننا نجد في هذا تفسيراً وافياً وبيانا شافياً ليس فقط لإظهار الدقة الالهية التي لمجموع الكتاب المقدس بل أيضاً لايضاح الميزة الخاصة والغرض المعين من سفر العدد فعصا هرون كانت في التابوت أثناء رحلات البرية وما أبدع هذه الحقيقة وأغلاها وحري بالقارىء ان يسعى لاحراز مغزاها العميق ويبذل جهده في الوصول الى معرفة كنهها المبارك العجيب بل جدير به أن يتأمل بامعان في الفرق بين عصا موسى وعصا هرون فلقد رأينا الاولى تفعل فعلها المعهود في أيام أخرى وفي حوادث عديدة ولقد شاهدنا أرض الفراعنة ترتعد فرائصها هلعاً ويذوب قلبها خوفا وجزعا تحت ضرباتها الثقيلة المفزعة بل تلبية لتلك العصا الممدودة عليها قد توالت الاوبئة على ذلك المسرح وأمطر عليه وابل من المحن والكوارث واجابة لها أيضاً قد انشق ماء البحر الى شطرين. وقصارى القول كانت عصا موسى عصا القوة . عصا الجبروت ومع ذلك لم تفلح في أن تسكن تذمرات بني اسرائيل ولم تنجح في المسير بهم في القفر لان هذا لا تقدر عليه الا النعمة. ولنا رمز هذه النعمة الخالصة - النعمة المجانية السامية - في تفريخ عصا هرون.

ولا يوجد شيء أقوى تأثيراً وأشد ابداعاً من هذا فلقد كانت تلك

العصا اليابسة الميتة رمزاً صحيحاً لحالة اسرائيل بل هي تشبه بلا مراء حالة جميعنا حسب الطبيعة اذ كانت بلا ثمر ولا حياة ولا قوة وقد يمكن القول « أي خير يرجي نتاجه منها » بل لم يكن من المنتظر وجود شيء لولا ان تداخلت تلك النعمة واظهرت قوتها المنعشة وهكذا كان الحال مع اسرائيل في البرية وهذا بعينه ما هو جار معنا الآن . ترى كيف كان يتسنى قيادة شعب كهذا يومياً وكيف كان يُسند ويعال في ضعفه وعوزه وكيف كان يحتمل في غباوته وخطيته ؟ الجواب بيّن ظاهر في عصا هرون المفرخة. واذا كانت العصا اليابسة الميتة رمزاً لحالة الطبيعة العقيمة القاحلة فالبراعم والاثمار والازهار شهود عدل لاظهار النعمة الحية المحيية وفيها خير بيان لقوة الله التي عليها وضع أساس الخدمة الكهنوتية تلك وحدها التي تستطيع أن تحمل الشعب في البرية ولنعلم ان في النعمة وحدها تتوفر جميع حاجيات هذا الشعب الجم الغفير المحارب اذ القوة لا تكفي والجبروت لا ينفع أما الكهنوت فيستطيع ان يسد كل عوز ويملأ كل فراغ وهذا الكهنوت قد بني على أساس تلك النعمة الفعالة التي يسهل عليها ان تخرج ثمراً من عصا يابسة .

هكذا كان الامر بازاء الكهنوت في الزمن الغابر وهذا هو عين الحال مع الخدمة في الوقت الحاضر . فكل خدمة في كنيسة الله هي ثمر النعمة الالهية — عطية المسيح رأس الكنيسة وليس هناك مصدر آخر للخدمة مهما كانت بل كلها (من الرسل الى آخر المواهب) تنحدر رأساً من المسيح ونرى اصل المبدأ العظيم لهذه الخدمة مجسما في كلمات الرسول بولس للغلاطيين إذ يقول عن نفسه انه « رسول لا من الناس ولا بانسان بل بيسوع المسيح والله

الآب الذي أقامه من الأموات » غلاطية ص ١ عد ١

لهذا فليكن معلوما ان هذا المصدر السامي الذي منه تنبع كل خدمة فهي ليست من انسان أو بواسطة انسان في أي حالة أو صورة اذ قد يأخذ الانسان العصي اليابسة وقد يكيفها بازياء مختلفة حسب ارادته ورغبته وقد يقيمها ويعيّنها ويدعوها بألقاب رسمية ويكيل لها ما شاء من الاسماء الطنانة والرنانة ولكن ما المنفعة منها وهي ليست سوى عصي يابسة ميتة وبحق نقول « الا يوجد فيها عنقود واحد من الثمر ؟ أليس بها ثمت زهرة واحدة ؟ بل أليس هناك برعم واحد ؟ » اذ انه لو تأتى وجود برعم بمفرده لكفى ذلك دليلا على وجود شيء الهي أما اذا لم يوجد فمن العبث وجود خدمة حية في كنيسة الله اذ أن عطية المسيح وحدها هي التي تجعل الانسان خادماً أما اذا حاول شخص بغيرها ان يقيم نفسه أو يقيمه الغير لان يكون خادماً فيكون هذا بلا شك ضرباً من الادعاءات الباطلة والاوهام التي لاطائل تحتها

اذاً هل ادرك القاريء تماماً هذا المبدأ العظيم ؟ هل اصبح واضحاً ساطعاً لنفسه كما تظهر اشعة الشمس في رابعة النهار ؟ هل يرى فيه تعقداً أو التباساً ؟ اذا كان الامر هكذا فنرجوه ان لا يألو جهداً في ان يجرد عقله من سائر الافكار المتسلطة عليه والتي سبقت فاخذت مقراً في ذهنه ـ مهما كان مصدرها ومنشؤها وعليه ان يعلو على الغيوم المتلبدة وان يرقى فوق ضباب الدين التقليدي النقلي وحري به ان يطالع في حضرة الله من العهد الجديد ماجاء في الاصحاحين الثاني عشر والرابع عشر من كورنثوس الاولى

وأيضا ماورد في أفسس الاصحاح الرابع عد ٧ ـ ١٢ وهناك يرى اللثام قد أميط اذ ينكشف امامه موضوع الخدمة بكلياته وجزئياته فيفهم ان الخدمة الحقيقية سواء كانت رسلا او انبياء او معلمين او رعاة او مبشرين هي من الله وكلها تفيض من المسيح رأس الكنيسة العظيم ولا يعتبر الشخص خادما مالم يحصل على موهبة حقيقية صحيحة منه. وكل عضو في الجسد له عمل يؤديه. ويحصل بنيان الجسد بقيام كل الاعضاء ـ ظاهرها وخفيها الجميل منها وغير الجميل ـ بأداء الاعمال الخاصة الموضوعة عليها وقصارى القول ان الخدمة بأسرها ليست من الانسان بل من الله وتكون بواسطة الله لا بواسطة الانسان ولا يوجد في الكتاب المقدس اثر او ظل لخدمة يعينها البشر بل الكل من الله.

ويجدر بنا ان لانخلط عطايا الخدمة ومواهبها بالمنصب او الوظيفة المحلية اذ نجد الرسل او نوابهم يختارون الشيوخ ويعينون الشمامسة ولكن هذا كان امراً آخر بخلاف مواهب الخدمة قد يكون لاولئك الشيوخ والشمامسة الموهبة ممتازة في الجسد وقد يستعملونها ولكن الرسول ماعيّنهم لاستعمال هذه الموهبة بل لاتمام الوظيفة فان الموهبة الروحية هي من رأس الكنيسة (يسوع) وهي مستقلة عن المنصب المحلي وغير مقيدة به.

وانا نرى من ألزم اللزوميات ان نميز بين الموهبة وبين الوظيفة المحلية اذ قد اختلط الأمران في الكنيسة المسيحية عامة ونتج عن ذلك ان الخدمة لم تُفهم وبذا لم يدرك أعضاء المسيح موضعهم ولم يفقهوا عملهم وأصبح في حكم المقرر اعتبار التعيين البشري أو السلطان الانساني في أي صورة كانت من

الامور الجوهرية لممارسة الخدمة في الكنيسة ولكن الواقع يثبت انه لا يوجد أمر كهذا في الكتاب المقدس واذا كان هناك شيء من هذا القبيل فما أسهل ابرازه واننا نسأل القاريء ان يقلب صفحات العهد الجديد من أوله لآخره ويذكر لنا سطراً واحداً فيه يتبين ان للدعوة البشرية أو الانتخاب البشري أو السلطان الانساني مساساً بممارسة الخدمة في أكمل مداها واننا نؤكد ونجزم بأنه لاشيء * من ذلك — فليتبارك الله اذ ان الخدمة في كنيسته « لا من الناس ولا بانسان بل بيسوع المسيح والله الأب الذي أقامه من الاموات » . « وضع الله الاعضاء كل واحد منها في الجسد كما أراد » (كورنثوس الاولى ص ١٢ عد ١٨)

« ولكن لكل واحد منا اعطيت النعمة حسب قياس هبة المسيح . لذلك يقول اذ صعد الى العلاء سبي سبياً واعطى الناس عطايا . . . . وهو اعطى البعض ان يكونوا رسلاً والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين لاجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح الى ان ننتهي جميعنا الى وحدانية الايمان ومعرفة ابن الله . الى انسان كامل

* نرى ان حتى أمر تعيين الشمامسة الوارد في أعمال ص ٦ كان عملاً رسولياً « فانتخبوا أيها الاخوة سبعة رجال منكم مشهوداً لهم ومملوءين من الروح القدس وحكمة فنقيمهم على هذه الحاجة » فانه اذا كان الامر دائراً حول أحوال الاخوة فقد سمح لهم ان يختاروا الرجال ولكن كان التعيين الهياً ولا ننسى ان هذا كان فيما يختص بعمل الشمامسة الذين عينوا ليديروا أشغال ومصالح الكنيسة الزمنية أما عمل المبشرين والرعاة والمعلمين فلا يتوقف مطلقاً على الاختيار الانساني والسلطان البشري بل يرتكز على عطية المسيح أفسس ص ٤ عدد ١١ .

الى قياس قامة ملء المسيح » أفسس ص ٤ عدد ٧ — ١٤.

وهنا نجد ان جميع درجات الخدمة من الرسل الى المبشرين والمعلمين ترتكز على أساس واحد وكلها من رأس الكنيسة واذاما وهبت لاشخاص تجعلهم في الحال مسؤولين للرأس في السماء وللاعضاء في الارض وأما اذا جال بخاطر شخص يعطيه الله عطية أن ينتظر السلطان البشري فيكون ذلك منه بمثابة اهانة عظمى للجلالة الالهية كما لو كان هرون قد ذهب وبيده عصاه المفرخة متوقعاً ان يعينه رفقاؤه للكهنوت - غير ان هرون عرف ما هو أفضل من ذلك فقد دعي من الله وكان في هذا ما يكفيه وهكذا الآن كل الذين لهم موهبة الهية هم مدعوون من الله للخدمة وليسوا في حاجة بعد الا لان يلاحظوها ويتدربوا عليها ويجتهدوا في انماء موهبتهم.

وهل نحن بعد ذلك في حاجة لان نقرر انه من العبث أن يقيم البعض أنفسهم خداماً مالم يكونوا حائزين على الموهبة ؟ فقد يظن انسان بأن عنده موهبة وانه مدعو للخدمة ولا يكون هذا غير خداع باطل وغرور كاذب من عقله واذا حاول انسان ما الذهاب الى العمل مرتكناً على قوة وهمه الكاذب فعمله هذا رديء ممقوت - ان لم يكن أردأ من شخص يذهب للخدمة معتمداً على القوة بغير الجائزة التي يمنحها له رفقاؤه وان الخلاصة التي نرمي اليها ونسعى في تأييدها هي ان الخدمة - في مصدرها وقوتها ومسئوليتها كلها من الله ولا نتصور بعد ذلك أن شخصاً طبع على ان يتعلم من الكتاب المقدس يضع هذا القول موضع البحث والاخذ والرد - على ان كل خادم مهما كانت موهبته يستطيع أن يقول في خدمته « الله قد وضعني في الخدمة»

ولكن شخصاً يستعمل هذا التعبير وينطق بهذه اللغة دون أن يكون حائزاً على الموهبة هو على أقل حساب أردأ من التافه العديم الاهمية ويقدر شعب الله أن يخبر بسهولة أين توجد الموهبة الروحية الحقيقية إذ لا بد أن تكون مصحوبة بالقوة أما اذا ادعى الناس بالموهبة والقوة بدون وجودهما فلا بد أن تظهر جهالتهم جهاراً للجميع في القريب العاجل وسيقف كل المدعين عند حدهم في مستواهم الحقيقي ان عاجلا أو آجلا

يكفي اذاً ماذكر عن الخدمة والكهنوت ـ فمصدر كليهما الهي والاساس الحقيقي لهما موجود في العصا المفرخة اذ يستطيع هو ان يقول « الله قد وضعني في الخدمة » واذا اعترضه معترض وطلب منه اقامة الحجة فيمكنه أن يشير الى العصا المثمرة كذلك في طاقة الرسول بولس أن يقول « الله قد وضعني في الخدمة » واذا ما قاومه مقاوم وطلب منه الادلاء بالبرهان ففي وسعه ان يشير الى آلاف الاختام الحية الموضوعة على عمله وهكذا يجب أن يكون المبدأ دائماً أبداً مهما كان قياس الخدمة ودرجتها ويجدر ان لا تكون الخدمة بالكلام واللسان فقط بل بالعمل والحق فالله لا يقدّر القول بل القوة

وقبل ان نتحول عن هذا الموضوع نرى من الضروري أن يتقرر في ذهن القاريء أهمية التمييز بين الخدمة والكهنوت فخطية قورح هي انه لم يكتف بأن يكون خادماً ولم يقنع بذلك بل قصد ان يكون كاهناً وخطية العالم المسيحي هي من هذا القبيل إذ بدلا من أن يترك الخدمة لترتكز على أساسها الخاص الوارد بالعهد الجديد وعوضاً عن ان يطلق لها الامر لتظهر مزاياها وصفاتها ولتقوم بأعمالها الخصوصية نرى انها قد عُظمت وفُخمت

وتحولت الى كهنوت والى فئة كهنوتية تمتاز أفرادها عن اخوتهم بطراز ملابسهم وببعض القاب مع انه لا أساس مطلقاً لهذه الاشياء في العهد الجديد بل طبقاً للتعاليم الواضحة الصريحة التي جاءت في كتاب الله المبارك يتضح ان كل المؤمنين كهنة فنقرأ في رسالة بطرس « وأما انتم (ليس فقط الرسل بل كل المؤمنين) فجنس مختار وكهنوت ملوكي » بطرس الاولى ص ٢ عدد ٩ وكذلك نقرأ في سفر الرؤيا « الذي أحبنا وقد غسلنا من خطايانا بدمه وجعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه » ص ١ عدد ٥ و٦ . والحاقا للحق المعلن في الاعداد الآتية الذكر نجد الرسول بولس وهو مساق بالروح القدس يحث المؤمنين العبرانيين على ان يتقدموا ويدخلوا بثقة الى الاقداس (عب ١٠ عدد ١٩ — ٢٢) ثم يستطرد المقال « فلنقدم به (أي بالمسيح) في كل حين لله ذبيحة التسبيح أي ثمر شفاه معترفة باسمه ولكن لا تنسوا فعل الخير والتوزيع لانه بذبائح مثل هذه يسر الله » (عب ص ١٣ عدد ١٥ و١٦) .

وما كان أعجب هذا الامر لدى قديسي اليهود أولئك الذين تهذبوا وتعلموا وسط المحافل والنظامات الموسوية اذ كيف يحضون للدخول الى مكان كان يدنو منه أعظم موظف اسرائيلي لحظة واحدة مرة فقط في السنة ومن ثم يدعون لتقديم ذبائح ولاجراء أعمال الكهنوت الخاصة ــ أمور كلها تدعو الى الدهشة والغرابة . ولكن هذا هو عين الواقع اذا كنا نتعلم من الكتاب المقدس وليس من وصايا وشرائع وتقاليد البشر. ولا بد ان نفهم ان كل المسيحيين كهنة لكنهم ليسوا جميعاً رسلا وانبياء ومعلمين ورعاة

ومبشرين وان أضعف عضو في الكنيسة هو كاهن نظير بطرس وبولس ويعقوب ويوحنا ولا نقصد بهذا القول السعة أو القوة الروحية ولكننا نقصد المركز الذي يشغله الكل بازاء دم المسيح ولا يوجد في العهد الجديد طبقة ممتازة من البشر أو فئة خاصة قد أصبح أفرادها في مركز أعلى أومكان أقرب من اخوتهم اذ ان هذا ينافي المسيحية منافاة تامة بل يناقض كل سنن ووصايا كلمة الله ويعارض التعاليم الخصوصية التي فاه بها ربنا ومعلمنا المبارك

ويجب ان لا يتصور انسان بأن هذه الامور غير هامة ولا تأثير لها فان لها تأثيراً في أساسات المسيحية عينها وما علينا الا أن نتطلع ونجيل النظر حوالينا لنبصر النتائج العملية الناجمة عن خلط الخدمة بالكهنوت ثم نتحقق أن الساعة قادمة على الفور عندما تأخذ هذه النتائج شكلا مريعاً وتجلب من قبل الله الحي أثقل دينونة وأمرّها . واننا حتى الآن لم نشاهد الرمز الكامل الذي تشير اليه « مشاجرة قورح » ولكنها ستظهر حالا ولذلك نحذّر جدياً القارىء المسيحي كي يحترس ويعلم كيف ساغ له ان يصادق على هذه الغلطة الخطيرة التي من شأنها خلط أمرين واضحين كالخدمة والكهنوت واننا نحرضه على أن يضع هذا الموضوع برمته في ضوء الكتاب المقدس ثم نريد منه أن يخضع لسلطان كلمة الله وان يرفض كل شيء لم يرد ذكره بها مهما كان . فقد يرى نظاماً يجله الزمن ويحترمه أو ترتيباً أنيقاً أو طقساً دينياً أيدته التقاليد وحاز استحسان آلاف من أفاضل الرجال وأماثلهم ومع ذلك فلا يستحق أن يحفل به.واذا لم يكن للامر أساس في الكتاب المقدس فهو

خطأ وشر وفخ ينصبه الشيطان لايقاع نفوسنا في شراكه وليضلنا عن البساطة التي في المسيح ولنفرض اننا تعلمنا أن هناك في كنيسة الله فئة كهنوتية وطبقة بشرية أقدس وأرفع وأقرب لله من سائر الاخوة — المسيحيين الاعتياديين فماذا يكون هذا غير اليهودية أحييت وضمت الى طقوس مسيحية ؟ وماذا يتأتى عن ذلك غير حرمان شعب الله من مزاياهم الخصوصية وإبعادهم عن الله تعالى ووضعهم تحت النير والعبودية .

ولا نريد الآن الافاضة في هذا الموضوع أكثر من ذلك اذ نعتقد اننا قد ذكرنا ما فيه الكفاية لارشاد القارىء المتأمل على أن يقتفي الامر بنفسه وكل ما نقوله ونشدد عليه ان نتبع الحقيقة فقط في نور الكتاب المقدس وليعزم بنعمة الله على أن يطرح جانباً كل شيء لا يستند على أساس الكلمة المكتوبة ذلك الاساس الوطيد المقدس وبهذا يسلم من الوقوع في أي خطأ ويصل الى نتيجة صحيحة في اهم وانفع موضوع .

وان ختام الاصحاح السابع عشر يقدم لنا مثلا فائقاً يظهر كيف ان العقل البشري لا يثبت على حال بل يصل به الغلو والتناهي فينتقل من طرف الى الطرف الآخر اذ « كلم بنو اسرائيل موسى قائلين اننا فنينا وهلكنا . قد هلكنا جميعاً . كل من اقترب الى مسكن الرب يموت . اما فنينا تماماً » ص ١٧ عدد ١٢ و ١٣ ففي الاصحاح السابق نرى جراءة وغطرسة في حضور جلال يهوه بينما كان يجب الخضوع الكامل والاتضاع العميق وهنا امام النعمة الالهية وازاء معداتها نلاحظ خوفاً جدياً صحيحاً وهذا هو الحال دائماً ابداً فالطبيعة وحدها لا تفهم القداسة

ولا النعمة اذ لا تكاد ترن في آذاننا تلك النبرات « كل الجماعة مقدسة » حتى نسمع على الاثر « اننا فنينا وهلكنا . قد هلكنا جميعاً » وان العقل البشري ليتخطى الحدود بينما يلزمه التقاعد والنكوص على الاعقاب ويشك حيثما يجب ان يثق

ومع كل هذا فمن طيبة الله وامانته انه يكشف لنا بصورة كاملة جميلة المسؤوليات المقدسة والامتيازات الثمينة التي للكهنوت وما اجزل هذه النعمة ! ! بل من مثل المنان الذي يحول غلطات شعبه الى فرصة فيها يقدم لنا ما يثقفنا ويدربنا على طرقه . ومن مميزاته — تبارك اسمه — ان يخرج من الشر خيراً ومن الآكل اكلا ومن الجافي حلاوة وهكذا كانت « مشاجرة قورح » فرصة لاعلان ذلك التعليم الغزير المنسجم الذي نراه في عصا هرون وان السطور الختامية في اصحاح ١٧ تؤدي بنا الى تقرير مفصل متقن عن الاعمال التي قام بها كهنوت هرون وسنتقدم الآن لسرده آملين ان نوجه التفات القارىء اليه

« وقال الرب لهرون انت وبنوك وبيت ابيك معك تحملون ذنب المقدس وانت وبنوك معك تحملون ذنب كهنوتكم وايضاً اخوتك سبط لاوي سبط ابيك قربهم معك فيقترنوا بك ويوازروك وانت وبنوك قدام خيمة الشهادة فيحفظون حراستك وحراسة الخيمة كلها ولكن الى امتعة القدس والى المذبح لا يقتربون لئلا يموتوا . هم وانتم جميعاً . يقترنون بك ويحفظون حراسة خيمة الاجتماع مع كل خدمة الخيمة والاجنبي لا يقترب اليكم بل تحفظون انتم حراسة القدس وحراسة المذبح لكي لا يكون ايضاً

سخط على بني اسرائيل . هأنذا قد أخذت اخوتكم اللاويين من بين بني اسرائيل عطية لكم معطين للرب ليخدموا خدمة خيمة الاجتماع واما أنت وبنوك معك فتحفظون كهنوتكم مع ما للمذبح وما هو داخل الحجاب وتخدمون خدمة . عطية أعطيت كهنوتكم والاجنبي الذي يقترب يقتل » اصحاح ١٨ عد ١ — ٧ .

هنا الرد الالهي على سؤال بني اسرائيل « أما فنينا تماماً ؟ » اذ يقول اله كل نعمة ورحمة « لا » ولماذا ؟ لان « هرون وبنيه يحفظون حراسة القدس وحراسة المذبح لكي لا يكون أيضاً سخط على بني اسرائيل » وبهذا يعلم الشعب ان نجاتهم هي في ذلك الكهنوت الذي احتقروه وشنوا الغارة عليه .

ولكن مما يجب أن يسترعي أنظارنا بنوع خاص هو أن بني هرون وبيت أبيه قد صارت لهم شركة تامة معه في امتيازاته العالية المقدسة وفي المسئوليات التي وضعت على عاتقه وقد أعطي اللاويون لهرون كعطية ليخدموا خدمة خيمة الاجتماع فأصبح عليهم أن يخدموا تحت قيادته هو رأس البيت الكهنوتي وهذا يعلمنا درساً بليغاً نافعاً يحتاج اليه المسيحيون كثيراً في الوقت الحاضر ويعوزنا كلنا أن نضع نصب أذهاننا أنه يجب أن تسير الخدمة خاضعة لسلطان وارشاد كهنوتي لكي تكون جلية صريحة مقبولة «وأيضاً اخوتك سبط لاوي سبط أبيك قربهم معك فيقترنوا بك ويوازروك» وهذا القول يظهر ما فيه من امتياز خاص وصفة ممتازة على سائر الخدمة اللاوية لجميع العاملين كانوا متحدين برئيس الكهنة العظيم وخاضعين له والكل تحت مباشرته وادارته .

تحت ارشاده وقيادته وهكذا يجب ان يكون جميع خدام الله ويلتزم ان نمارس كل الخدمات المسيحية بالاشتراك معه وبالخضوع لسلطانه وبغير ذلك يذهب العمل هباء منثوراً . واذا لم يكن المسيح كل غرض القلب ولم ننل قيادته وسلطانه تماماً فيصير العمل بلا جدوى ويذهب جزافاً مهما كانت المراحل التي تقطع منه عظيمة ومهما كان المجهود المبذول فيه شائقاً كبيراً .

على اننا من الجهة الاخرى نعلم ان اصغر خدمة وأقل عمل نؤديه بمرأى من المسيح وبالاشارة المباشرة منه له قيمة في نظر الله ولا بد أن ينال الجزاء الذي يستحقه وهذا بلا شك يملأ قلب الخادم الامين حزماً وعزماً ويهبه بلسماً شافياً ولنعلم انه كما وضع على اللاويين ان يخدموا تحت هارون هكذا وضع على المسيحيين ان يخدموا تحت المسيح وكنا مسئولون له وما ابدع وابهى أن نسير بالشركة والمحبة مع اعزائنا العاملين معنا وان يخضع الواحد للآخر في خوف الرب دون أن يطرأ على بالنا أن نولد روح الاستقلال المملوءة عجرفة وعجباً أو نسعى في تعضيد تلك العاطفة النفسية التي تعمل على اخماد جذوة التعاون القلبي الشيق المبهج الذي يتوجنا في كل عمل حسن نعمله مع اخوتنا ولقد كان اللاويون « مقترنين بهرون » في عملهم وبهذا اقترن بعضهم ببعض واشتغلوا معاً وكان اذا تحول لاوي عن أخيه يعتبر هذا بمثابة تحوله عن هرون وتركه اياه . وقد نتصور أن لاوياً تملكه الغضب لامر ما في تصرفات اخوته ثم قال لنفسه « لا استطيع السير مع اخوتي ولا بد لي من السير منفرداً وفي وسعي ان اخدم الله واعمل تحت هرون ولكنني سأبقى بمعزل من اخوتي لاني أراه من المتعذر عليّ أن أوافقهم على طريقة العمل » قد نتصور ذلك ولكننا

سرعان ما ندرك بسهولة خطأ هذا الاستدلال الفاسد لانه اذا اتبع لاوي هذه الخطة ونهج هذا المنهج فلا مندوحة من أن يضرب التشويش اطنابه وينشر الخلل الويته ولذلك لا غرابة اذا دعي الجميع للعمل معاً مهما تنوعت اعمالهم

أجل ليكن معلوماً دائماً أبداً أن عملهم كان متنوعاً زد على ذلك أن الدعوة تتطلب بان يشتغل كل فرد تحت هرون فكانت هنالك مسئوليةفردية مع وجود أعظم عمل تعاوني منظم ولا نزاع في اننا نود أن نقوي رابطة الاتحاد في العمل بكل وسيلة في طرقناولكن يجب ان لا يقوض هذا أركان الخدمات الشخصية بحفر الخنادق فيها ويلزم ان لا يتعرض أو يتداخل في علاقة العامل الفردى المباشرة لالهه ولا ننسَ أن بكنيسة الله مسرحاً عظيما متسعاً معداً لخدام الرب والمجال هناك فسيح رحب لكل أنواع العاملين ويجب أن لا نحاول تخفيض الكل الى مستوى عقيم ميت أو أن نقيد مجهودات خدام المسيح المختلفة بحصرها في دائرة أعمال عتيقة واهيةمن مبتدعاتنا ونسيج أيدينا اذ أن هذا غير لائق قطعياً بل علينا كلنا أن نتقلد من العزيمة سيفاً مرهفاً ونسعى بكل جد ونشاط للوصول الى أعظم اتحادقلبي خالص مع وجود أكبر تنوع ممكن من العمل فكلاالامرين ينمي احدهما الآخر وهذا يذكرنا اننا مدعوون للعمل معاً تحت المسيح .

وهنا نجد السر العظيم — معا تحت المسيح — فليتنا تتذكر ذلك ولا يبرح من أذهاننا لانه يجعلنا نقدر الخطة التي يتبعها الآخرون ولو كانت مغايرة لخطتنا فضلا عن انه يحفظنا من أن نسبح في عالم الخيال والغرور بدائرة عملنا بمقدار ما نرى ان جميعنا افراداً واجمالا لسنا الا عاملين معا في الحقل الواحد المتسع

ولا يتحقق الغرض الوحيد أمام قلب السيد الا باتباع كل عامل طريقته الخاصة وهو يفيض بشراً وسروراً بالشركة مع الجميع .

وهناك ميل وبيل مستقر في بعض الاذهان يرمي الى بخس كل خطة للعمل خلاف خطتها ومن هذا يجب الاحتراس ويلزم الحذر اذ أين نجد ذلك التنوع العجيب الجميل الذي يميز عمل الرب وعماله في العالم اذا كان على الجميع ان يتبعوا خطة واحدة ؟ على أن المسألة ليست فقط عن خطة العمل ولكنها تدور حول الاسلوب الخاص لكل عامل فقد نجد عاملين ممتازين بمحبتهما القوية ورغبتهما الشديدة في خلاص النفوس يعلمان بنوع خاص حقيقة واحدة ومع كل قد يكون هناك اعظم ما يمكن من التباين في الطريقة التى يتبعها كل منهما للوصول الى الغرض الواحد ويجب أن نكون على استعداد لذلك بل نتوقعه . وهذا ينطبق على كل فروع الخدمة المسيحية وانه لحري بنا أن نرتاب في الاساس الذي يشغله أي اجتماع مسيحي اذا لم يكن هناك متسع لكل فرع ولكل اسلوب من الخدمة المسيحية ولكل طريق من العمل يمكن أن يتقدم به شخص على مسئوليته امام الرأس العظيم للبيت الكهنوتى. ويتحتم علينا ان لا نعمل شيئاً لا يمكننا عمله بأسم المسيح وبازاء الشركة معه اما كل ما يعمل في الشركة معه فهو بلا شك يعمل بالشركة مع أولئك الذين يسيرون معه.

يكفى هذا عن الحالة الخصوصية التي ذكر بها اللاويون في اصحاحنا بالاشارة الى هرون وأولاده الذين سنحول اليهم دفة تأملاتنا ونفتكر في المعدات الغالية الثمينة التي أعدت لهم من طيبة الله وأمانته كما اننا سنبحث في

الاعمال الهامة المسلمة لهم في مركزهم الكهنوتى .

« وقال الرب لهرون وها أنذا قد أعطيتك حراسة رفائعي مع جميع أقداس بني اسرائيل لك أعطيتها حق المسحة ولبنيك فريضة دهرية . هذا يكون لك من قدس الاقداس من النار كل قرابينهم مع كل تقدماتهم وكل ذبائح خطاياهم وكل ذبائح آثامهم التي يردونها لى . قدس أقداس هي لك ولبنيك . في قدس الاقداس تأكلها . كل ذكر يأكلها . قدساً تكون لك » عدد ٨ - ١٠ .

هاك نوع من شعب الله ينظر اليه في صورة أخرى فهم يمثلون هنا لا كعاملين بل كعابدين ويظهرون لا كلاويين بل ككهنة : ان كل المؤمنين - في العهد الجديد - كل شعب الله كهنة . وطبقاً لما جاء في تعليم العهد الجديد لا نجد كاهناً على الارض الا بالمعنى الذى يطلق به على كل المؤمنين بانهم كهنة . أما تعيين فئة كهنوتية خاصة وطبقة معينة من الناس مفروزة ككهنة . فأمر ليس فقط غير معروف في المسيحية بل ينافي حتما روحها ومبادئها ولقد سبق أن اشرنا الى هذا الموضوع واقتبسنا من الكتاب الفقرات العديدة والعبارات الكثيرة المؤيدة له ثم ان لنا رئيس كهنة قد اجتاز السماوات فانه لو كان على الارض لما كان كاهنا (قارن بين عبرانيين ص ٤ عدد ١٤ و ص ٨ عدد ٤) أيضا « ربنا قد طلع من سبط يهوذا الذي لم يتكلم عنه موسى شيئاً من جهة الكهنوت » عب ٧ عدد ٢٤ وعليه يكون من النكران للحق المعلن في الكتاب اذا نحن قررنا وجود كاهن على الارض ليقدم ذبائح بل هذا يلغي الغاء نهائياً تلك الحقيقة المجيدة التى ترتكز عليها

المسيحية الا وهي الفداء الكامل اذ انه لو كانت هناك حاجة الآن لتقديم ذبائح عن الخطية لاتضح تأكيداً ان الفداء غير تام على أن الكتاب يعلن في مئات المرات انه كامل ولذلك لا تعوزنا بعد تقدمة عن الخطية « أما المسيح وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة فبالمسكن الاعظم والاكمل غير المصنوع بيد أي الذي ليس من هذه الخليقة وليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه دخل مرة واحدة الى الاقداس فوجد فداء ابدياً » عب ص ٩ عدد ١١ و١٢ وكذلك نقرأ في اصحاح ١٠ « بقربان واحد قدأكمل الى الابد المقدسين » ايضاً « لن اذكر خطاياهم وتعدياتهم فيما بعد وانما حيث تكون مغفرة لهذه لا يكون بعد قربان عن الخطية » .

وهذا يفصل في الموضوع العظيم المتعلق بالكهنوت وذبيحة الخطية ولا يمكن بعد ذلك أن يكون المسيحيون أكثر تثبتاً ورسوخاً فيه على أنه مستقر في أساس المسيحية الحقة ويحتاج الى الالتفات العميق الجدي من كل الذين يرغبون ان يسيروا في نور لامع من الخلاص الكامل ويشغلوا المركز المسيحي الحقيقي .

هناك تيار جارف وميل شديد متجه نحو اليهودية بل توجد مساع قوية، الغرض منها إلصاق الطقوس اليهودية العتيقة بالمسيحية ، وهذا ليس بالمستحدث ولكن العدو يبدو الآن مشغولا مشغولية خاصة وقد نلاحظ في طول وعرض العالم المسيحي ان هناك اتجاهاً كليا وانعطافاً عظيما للتقليد. وليس هناك أمر يظهر فيه هذا بأكثر جلاء ووضوح يستلفتان النظر مثل انشاء نظام كهنوتي خاص في كنيسة الله واننا نعتقد انه بجملته مضاد للمسيحية

وفيه رفض بات لكهنوت كل المؤمنين لأنه اذا تعينت طبقة من الناس لتحل في مركز له من القرابة والقداسة ميزة خاصة فأين يقف جمهور المؤمنين كلهم ؟

هذا هو سؤالنا وفيه يرتسم بكل دقة واتقان ما ينطوي عليه هذا الموضوع من الاهمية الكبرى والخطورة العظمى ولا يظنن القاريء اننا نجاهد ونناضل لتأييد نظرية خاصة لطائفة معينة أو شيعة معروفة من المسيحيين اذ ان هذا لا يخطر لنا ببال ولكن لاننا مقتنعون ان أساسات المسيحية عينها تدخل في موضوع الكهنوت لذلك نعمل مهماز الحث والتحريض لتُعرف قيمته وجدارته لدي جميع الذين يلوذون بنا ويحتكون بدائرتنا واننا نعتقد انه بمقدار ما يصبح المسيحيون فاهمين الاساس الالهي للفداء التام راسخين فيه بهذا المقدار عينه يصير من المقرر انهم يتجنبون أكثر فأكثر نظام التقليد واليهودية — نظام كهنة في كنيسة الله . أما حيث تجد النفوس غير مدركة لهذا الحق غير متثبتة فيه غير روحية وحيث ترى الاستباحة والشهوة ومحبة العالم فهناك تشاهد هوى في الافئدة يسوقها الى كهنوت يعيّنه البشر وليس من الصعب علينا أن نسبر غور السبب في هذا الامر لانه اذا كان شخص في حالة لا يليق له معها ان يقترب أمام الله فعندئذ يرى أن يتخلص من ذلك باستخدام آخر ليقترب لاجله . ولا جدال في أن شخصاً لا يعرف أن خطاياه قد غفرت ولم ينل ضميراً مطهراً تطهيراً تاماً ولا تزال نفسه في الظلام والشك، أقول أنه لا يوجد انسان كهذا يُعتبر في حالة تصلح للاقتراب لله القدوس ولكي نأتي بثقة وجرأة الى قدس الاقداس يجب أن نعرف

ما عمله دم المسيح لأجلنا وانا قد أصبحنا كهنة لله وصرنا بموت المسيح الكفاري قريبين منه تعالى ومن المحال لأي طبقة من البشر ان تحول بيننا وبينه « أحبنا وقد غسلنا من خطايانا بدمه وجعلنا ملوكا وكهنة لله أبيه» رؤيا ١ «وأما أنتم فجنس مختار كهنوت ملوكي أمة مقدسة شعب اقتناء لكي تخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة الى نوره العجيب » ١ بط ٢ : ٩ ثم « كونوا انتم ايضاً مبنيين كحجارة حية بيتاً روحياً كهنوتا مقدسا لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح» ١ بط ٢: ٥ «فلنقدم به في كل حين لله ذبيحة التسبيح أي ثمر شفاه معترفة باسمه ولكن لا تنسوا فعل الخير والتوزيع لأنه بذبائح مثل هذه يسر الله » عب ١٣ عدد ١٥ و ١٦

وهنا يتضح لنا نوعا الذبائح الروحية — تقديم الحمد لله وفعل الخير للناس — الذبائح لنا شرف الامتياز بان نقدمها ككهنة وهذه أمور يقوى على ادراكها النشء من المسيحيين وأقلهم دراية وخبرة وعلماً اذ من في كل عائلة الله — في كل البيت الكهنوتي الذي لرئيس كهنتنا الالهي — لا يستطيع أن يقدم بقلبه الحمد لله ومن لا يقدر ان يعمل بيديه الخير لرفيقه ؟ هذه هي العبادة والخدمة الكهنوتية ـ العبادة والخدمة العامة الموضوعة على عاتق جميع المسيحيين الحقيقيين لا نزاع في أن درجة القوة الروحية قد تختلف ولكن من المقرر ان أفراد شعب الله كهنة الواحد نظير الآخر.

وفي الاصحاح الثامن عشر من سفر العدد نجد بيانا وافيا عن الذخائر والمعدات التي صارت لهرون وبنيه وفيها نرى مثالا للنصيب الروحي للكهنوت المسيحي ومن المحقق اننا لا نكاد نقرأ ماسجل في هذا القرار الا

ويتبادر لأذهاننا عظم نصيبنا الملوكي « كل تقدماتهم وكل ذبائح خطاياهم وكل ذبائح آثامهم التي يردونها لي. قدس أقداس هي لك ولبنيك . في قدس الاقداس تأكلها . كل ذكر يأكلها قدساً تكون لك ».

وان الامر ليحتاج الي مقياس عظيم من السعة الروحية للوصول الى أعماق هذه الفقرة العجيبة وفهم كنهها اذ أن آكل ذبيحة الخطية أو ذبيحة الاثم هو عن طريقة الاستعارة يجعل خطية الغير له ويحسب اثم الآخر لنفسه وهذا عمل مقدس جداً ولا يستطيع كل انسان ان يتحد ذاته بالروح مع خطية أخيه ولا حاجة بنا أن نقول أن اجراء هذا عملياً عن طريق الكفارة هو بعيد عن كل بحث اذ وجد واحد فقط قدر على انجازه ـ تبارك اسمه الى الابد ـ فانه قد أكمله الى التمام

ولكن يوجد أمر كهذا وهو جعل خطية أخي لي والاتيان بها بالروح أمام الله كما لو كانت خطيتي الشخصية وهذا يشار اليه بأولاد هرون وهم يأكلون ذبيحة الخطية في قدس الاقداس ولقد كان البنون فقط المنوطين بالقيام بذلك « كل ذكر يأكلها » * وقد كان هذا العمل أعظم شيء في الخدمة الكهنوتية « في قدس الاقداس يأكلها » ويعوزنا أن نكون على اتصال تام بالمسيح ليتسنى لنا فهم المعنى الروحي الذي يشف عنه هذا الامر وكذا التطبيق العملي عليه وهو بلا شك تدريب عجيب مبارك وتمرين

* الذكر يمثل كمبدأ عام الفكر الالهي والأنثى تمثل الرأى البشري . الذكر يظهر الامر بالصورة التي يعطيها الله والانثى تبرزه كما يعتبره الانسان وحسبما يعرضه ويبديه .

جميل مقدس لا يمكن التمتع به الا في حضرة الله مباشرة وان القلب ليشهد بأن معلوماتنا عنه قليلة جداً وليست بازائه الا قطرة من محيط اذ اننا اعتدنا عند ما يقترف أخ ذنباً أو حينما يأتي جريرة أن ننزع للجلوس على عرش القضاء لادانته ثم نأخذ مركز منتقد قاس صارم شديد الوطاة وننظر الى خطيته كانها شيء لادخل لنا به ولا عمل لنا بازائه وهذا فشل مريع في أداء أعمالنا الكهنوتية بل هو امتناع عن أكل ذبيحة الخطية في قدس الاقداس ولا ننسَ أن من أعظم الاثمار النفيسة التي تنتجها النعمة ان يكون الانسان قادراً على ان يتحد ذاته مع أخ مخطيء بمعنى ان يجعل خطية أخيه كانها خطيته ثم يحملها بالروح امام الله وهذا عمل عظيم جداً في الخدمة الكهنوتية ويحتاج لمقياس واسع من روح وفكر المسيح ولا يصل الى اعماقه الا الروحيون فقط ـ واأسفاه ما أقل الروحيين الحقيقيين بيننا ! ! « أيها الاخوة ان انسبق انسان فاخذ في زلة ما فاصلحوا انتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة ناظراً الى نفسك لئلا تجرب أنت ايضاً. احملوا بعضكم اثقال بعض وهكذا تمموا ناموس المسيح » غلاطية ٦ عدد ١ و٢ ليت الرب يمنحك نعمة لتؤدي هذه «الخدمة» المباركة . حقا ما أكثر تباينها وما أشد مغايرتها لطبيعتنا حقا انها تنهر قسوتنا وتزجر غلاظتنا وتوبخ انانيتنا . ليتنا نصل الى مثال المسيح فيها كما في سائر الاشياء .

ولكن هنالك نوع آخر من الامتياز الكهنوتي غير انه لا يوازي ما كنا بصدده « وهذه لك . . الرفيعة من عطاياهم مع كل ترديدات بني اسرائيل . لك أعطيتها ولبنيك وبناتك معك فريضة دهرية كل طاهر في

بيتك يأكل منها » ص ١٨ : ١١

ما كان لبنات هرون أن يأكلن من ذبيحة الخطية أو ذبيحة الاثم فلقد أعطين حسب طاقتهن . لأنه كانت هناك عدة أعمال لا يقدرن على القيام باعبائها - وامتيازات بعيدة عن دائرتهن - ومسئوليات ينوء جميعهن تحت حملها . ولا جدال انه أيسر لنا أن نشترك مع آخر في تقديم ذبيحة الشكر . من أن نحسب خطيته كأنها خطيتنا اذ ان هذا يستلزم سعة من القوة الكهنوتية التي تنطبق على « بني » هرون لا على « بناته » ويجب أن نتوقع وجود مثل هذه الدرجات من السعة المختلفة بين اعضاء البيت الكهنوتي . وكلنا ليتبارك اسم الله — في مستوى واحد ولنا لقب واحد ونتمتع بشركة واحدة غير أن السعة تختلف وبينما يتحتم علينا أن نصوب مطمحنا الى اقصى قياس في الخدمة الكهنوتية والى أبعد مرمى في السعة الكهنوتية يجب أن نعلم انه لا فائدة في أن نطالب بما ليس لنا

وهناك شيء آخر نتعلمه بوضوح من عدد ١١ وهو انه يجب أن نكون « طاهرين » حتى يتسنى لنا أن نتمتع بأية ميزة كهنوتية ونأكل من أي طعام كهنوتي - مطهرين بالدم الثمين دم يسوع المرشوش على ضمائرنا وطاهرين باستخدام الروح القدس للكلمة وتطبيقها على عاداتنا ومجتمعاتنا وطرقنا ومتى كنا طاهرين تصبح لنا كل البركات والمعدات المجهزة لنا في نعمة الله الغنية - مهما كانت سعتنا . وما أحسن الاصغاء الى الاقوال الآتية « كل دسم الزيت وكل دسم المسطار والحنطة أبكارهن التي يعطونها للرب لك اعطيتها . ابكار كل ما في أرضهم التي يقدمونها للرب لك تكون . كل طاهر في بيتك

يأكلها » ص ١٨ : ١٢ و ١٣ *

ومن اليقين ان نرى لنا في هذا نصيباً ملوكياً مجيداً معداً للذين قد أصبحوا كهنة لله اذ قد صار لهم أبكار كل ما تنتجه أرض الرب وأحسنها جودة وهناك « خمر تفرح قلب الانسان لألماع وجهه أكثر من الزيت وخبز يسند قلب الانسان » مزمور ١٠٤ عدد ١٥

وما أجمل التشبيه الذي لنا في هذا بالاشارة الى نصيبنا في المسيح اذ أنه كما كان الزيتون والعنب والحنطة تعصر وتسحق لاطعام كهنة الله ولتجعل كأس مسراتهم ريا فتمتلئ قلوبهم بهجة وفرحاً . كذلك نرى المرموز اليه في كل هذا قد دخل بالنعمة المتناهية في معصرة الموت وأصبح مسحوقاً مرضوضاً كي يهيء بموته حياة وقوة وسروراً لبيته وهو « يسوع » حبة الحنطة الغالية التي سقطت في الارض وماتت لنحيا نحن وكذلك ايمتلئ كأس الخلاص من عصارة الكرمة الحية — كأس الخلاص الذي نشرب منه الآن والى الابد في حضرة الله

ماذا يبقى بعد هذا ؟ وهل يعوزنا غير درجة فائقة من السعة الروحية لنتمتع بكمال وجمال نصيبنا في المخلص المصلوب المقام الممجد ؟ أي نعم نستطيع أن نقول « لنا الكل وكفى » اذ ان الله قد وهبنا كل ما يمكن اعطاؤه

---

* ليتأمل القارئ في التأثير الادبي الذي ينشأ عن أخذ هذه الفقرة حرفياً وتطبيقها على طائفة كهنوتية معينة في كنيسة الله ثم اخذها رمزياً وروحياً وأنت ترى تشبيهاً بديعاً عن الطعام الروحي المهيأ لجميع اعضاء العائلة الملوكية — الطعام الذي هو يسوع بكماله وغناه

ومنحنا أجمل شيء لديه فقد جاد علينا بنصيبه ودعانا للجلوس معه في شركة مقدسة سعيدة لنأكل من العجل المسمن وقد جعل آذاننا تسمع وخول لقلوبنا ان تفهم ولو يسيرا ما يدور حول هذه الكلمات العجيبة « لنأكل ونفرح ».

ألا نجد الامر غريبا فريداً عند ما يجول بمخيلتنا ان لا شيء يشبع قلب الله وفكره غير أن يجمع شعبه حواليه ويطعمهم بذاك الذي هو سبب سروره ولذته « وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح » يوحنا الاولى ص ١ ماذا ننتظر ان تعمله لنا محبة الله بعد كل هذا ؟ ثم لمن إتجهت ؟ للأموات في الذنوب والخطايا — للغرباء . للاعداء . للمردة الاثمة. للاثم الكلاب : لاناس بعيدين عنه . بلا رجاء . بلا اله في العالم — لنا نحن الذين لو عوملنا حسب استحقاقنا لكنا الآن تتلظى بالسعير الابدي في جهنم . حقا ما أعجب النعمة . ما أعمق الرحمة الالهية بل يالها من ذبيحة كفارة غالية ربانية استطاعت ان تأتي بأناس هالكين مذنبين خطاة مصيرهم جهنم الى فيض من البركات المجيدة التي لا ينطق بها بل أخرجتنا كجمرة من الأتون الابدي وجعلتنا كهنة لله وكذلك خلعت عنا « الثياب الملوثة » ثم طهرتنا وسترت عرينا وتوجتنا في حضرته ولمجده . ليتنا نشدو بمدحه . ليت قلوبنا وحياتنا تفيض بحمده : ليتنا نتعلم كيف نتمتع بمركزنا ونصيبنا الكهنوتي وكيف نلبس تاجنا جيداً . لنتأكد أن أحسن شيء نؤديه هو حمد الله وأرقى عمل نقوم به هو أن نقدم بالمسيح ثمر شفاه معترفة باسمه وهذا سيكون شغلنا الشاغل وعملنا الدائم في الابدية.

البهية المباركة التي نحن سائرون اليها على جناح السرعة حيث نكون هناك قريباً وحيث نستوطن مع ذاك الذي أحبنا وبذل نفسه لاجلنا — مخلصنا المبارك الله — وهناك نبقى معه الى أبد الابدين

ثم نجد في الاعداد ١٤ — ١٩ تعليما عن « بكر الانسان وبكر البهيمة» وفيها نلاحظ أن الانسان قد وضع في مستوى البهيمة النجسة وكلاهما لا بد لهما من الفداء وكما كانت البهيمة النجسة غير مقبولة أمام الله كذلك الانسان ما لم يفتد بالدم أما الحيوان الطاهر فلم يفدَ لانه كان لائقاً لان يستعمله الله لان يقدم كطعام لسائر البيت الكهنوتي بمن فيه من البنين والبنات وفي هذا نرى مثال يسوع الذي فيه استطاع الله أن يجد بهجته التامة — ومسرة قلبه الكاملة — والغرض الوحيد في العالم الواسع الاطراف الغرض الذي فيه تنسم راحته ورضاه . ومن العجيب ان الله قد منح يسوع هذا لنا نحن بيته الكهنوتي ليكون طعامنا ونورنا وسرورنا — الكل لنا من الآن والى الابد

لا أملُ من يسوع فهو قوتي لا سواه
شخصه يشبع قلبي دمه فيه الحياة

ويلاحظ القارىء في هذا الاصحاح . في غيره أن استهلال كل موضوع جديد يبتديء بهذه الكلمات « وكلم الرب موسى » أو« هرون»

اذا أراد القارىء زيادة ايضاح عن الموضوع الوارد في سفر العدد ص ١٨ عد ١٤—١٩ فعليه بالرجوع الى شرح الخروج ص ١٣ اذ نرغب ان نتجنب بقدر الامكان تكرار ما سبق ذكره في المجلدات السابقة

ثم نتعلم من الاعداد ٢٠ — ٣٢ أن الكهنة واللاويين — عابدي الله وعماله لم يكن لهم نصيب ولا قسم بين شعب اسرائيل ولكنهم كانوا باتصال تام مع الله مكتفين به،واليه يلجأون لسد حاجتهم وعوزهم وما أجمل هذا المركز المبارك.اذ لا يوجد أبدع من الصورة المرسومة هنا فلقد كان شعب اسرائيل يحضرون عطاياهم ويضعونها عند أقدام يهوه وهو بنعمته غير المحدودة يأمر العاملين معه بان يأخذوا تلك العطايا الثمينة — ثمر تكريس شعبه— ليأكلوا منها بقلوب شاكرة في حضرته المباركة وهكذا تدور دورة البركة فالله يقدم لشعبه كل حاجياته وللشعب امتياز بأن يقتسم الاثمار الغنية التي عطرها عليه من فيض كرمه وخيره مع الكهنة واللاويين ـ ولهؤلاء فرصة سانحة لان يذوقوا لذة السرور العجيب النادر باعطاء الله من الغنى الذي سال عليهم كالمدرار من لدنه تعالى .

هذه أمور الهية سماوية وهي تشبيه بديع لما نتوقعه الآن في كنيسة الله وكما سبقت الاشارة نجد أن شعب الله يظهر في هذا السفر في ثلاث صور:محاربين وعاملين وعابدين . وفي كل هذه الحالات نجدهم في مركز الاتكال التام على الله الحي وهكذا نحن في حربنا ،في عملنا ،في عبادتنا متصلون بالله مكتفون به وما أغلى هذه الحقيقة «كل ينابيعنا فيه» . فماذا يعوزنا أكثر من ذلك ، هل نحول نظرنا الى الانسان أو الى هذا العالم لنستمد منه النجاة والغوث ؟ الله يمنعنا بتاتاً من ذلك فعلينا بالاحرى أن يكون غرضنا الوحيد السامي أن نبرهن في كل تاريخنا . في كل ناحية من أخلاقنا . في كل عمل من أعمالنا أن الله فيه الكفاية لقلوبنا .

وانه لما يوجب الحزن ويستدعي الاسى ان نرى شعب الله وخدام المسيح ينظرون الى العالم نظرة تنم عن طلب الاعانة والمساعدة ويفزعون عند ما يطرأ على أذهانهم منعها والآن لنرجع الى كنيسة الله في أيام الرسول بولس ولنتصور جيداً أنها معتمدة على الحكومة الرومانية في اعالة أساقفتها ومعلميها ومبشريها ولكن لا أيها القاريء العزيز فان الكنيسة لم تنظر الا الى رأسها الالهي المجيد (يسوع) في السماء والى الروح القدس على الارض لطلب جميع أعوازها والآن لماذا يكون الحال مخالفاً لذلك والعالم هو بعينه لم يتغير ولم يتبدل والكنيسة ليست من العالم ويجب ان لا تنظر الى ذهبه وفضته ولا بد أن الله يعتني بشعبه وخدامه ويأخذ بناصرهم اذا هم وثقوا فيه وحده فعلينا اذاً ان نتكل على العطية الالهية فانها أفضل جداً من العطية الارضية (عطية الحكومة) والذهن الروحي يجد أن الفرق شاسع بينهما لدرجة انه لا يجوز فيهما المقارنة

ليت قديسي العلي وخدام المسيح في كل مكان يطبقون قلوبهم بكل اخلاص على هذه الاشياء وليتنا نجد نعمة لنصرح علانية بطريقة عملية لعالم كافر بلا اله ولا مسيح ان الله الحي فيه الكفاية من كل وجه ليس فقط اثناء العبور في مضيق الزمان الحاضر بل في محيط الابدية اللانهائي . ليمنحنا الله ذلك من أجل يسوع

الاصحاح التاسع عشر

ينبثق امامنا الآن فصل من أهم الفصول الواردة في سفر العدد واضعا نصب أذهاننا فريضة تشف عن فوائد عميقة وتنطوي على تعاليم ثمينة — هي فريضة « البقرة الحمراء » . وان الطالب المفكر الذي يدرس الكتاب المقدس يجد نفسه بحكم الطبيعة وبناموس الفطرة ميالا للتساؤل عن السبب الذي لاجله جاء هذا الرمز في سفر العدد وليس في اللاويين . ذلك السفر الذي وان كنا نرى خلال السبعة الاصحاحات الاولى منه تقريراً مفصلا متقناً عن الذبيحة غير اننا لا نشاهد مطلقاً أقل تلميح عن البقرة الحمراء لماذا هذا ؟ أي تعاليم نجنيها من وراء هذا الامر المتعلق بذكر هذه الفريضة الفائقة في سفر العدد دون سواه ؟ نعتقد أن في هذا برهاناً آخر ناصعاً ومثالا ساطعاً على الصفة الخاصة التي تميز سفر العدد ، فالبقرة الحمراء هي رمز هام للبرية وقد اعدها الله كدواء ناجع للادناس والارجاس التي تلوث أثناء العبور وهي كناية عن موت المسيح كمطهرٍ للخطية وكالمصدر الفريد الذي فيه نجد سد عوزنا اثناء المسير في عالم شرير فاسد وفي طريق الوصول الى راحتنا الابدية في الاعالي.وهي تشبيه ينم عن كثير من الفوائد ويميط اللثام عن حق جليل نحن في مسيس الحاجة اليه . ليت الروح القدس الذي دوّن هذا يتنازل بملء النعمة ليشرحه لنا ويطبقه على نفوسنا

« وكلم الرب موسى وهرون قائلا . هذه فريضة الشريعة التي أمر بها

الرب قائلا كلم بني اسرائيل أن يأخذوا اليك بقرة حمراء صحيحة لا عيب فيها ولم يعل عليها نير » (عد١ و٢)

عند ما نجيل النظر بعين الايمان الى الرب يسوع لا نراه فقط الشخص الفريد الصحيح الطهارة في ذاته المقدسة بل نبصر فيه أيضاً الواحد الاحد الذي ما حمل نير الخطية. على أن الروح القدس هو دائما أبداً الحارس الغيور على شخص المسيح ويرى لذته وسروره في أن يظهره للنفوس في مجده الذي لا يحدو غناه الذي لا يستقصى لذلك لا مشاحة اذا شاهدنا هذه الحراسة اليقظة ملموسة في كل رمز وكل اشارة موضوعة لاظهار يسوع . ونتعلم مما جاء عن البقرة الحمراء أن مخلصنا المبارك لم يكن فقط في طبيعته الناسوتية طاهراً ذاتياً بل كان ايضاً بازاء مولده ونسبته طاهراً نقياً من كل شائبة للاثم ومن كل أثر لها ولم يعل أي نير للخطية على عاتقه المقدس أما قوله « نيري » متى ١١ : ٢٩ فقد كان هذا نير الخضوع الوطيد والتسليم الكامل لارادة الآب في جميع الامور وهذا كان النير الوحيد الذي حمله ولم يخلعه لحظة أو طرفة عين أثناء مسيره المقدس الكامل — من المزود حيث كان هناك طفلا مضجعاً لا حول له ولا قوة الى الصليب حيث قدم نفسه ذبيحة وضحية

وليكن مفهوماً بوضوح أن يسوع لم يحمل أي نير للخطية وقد سار الى الصليب ليكفر عن ذنوبنا وآثامنا وليضع أساساً لتطهيرنا تطهيراً تاماً من كل أثم ولكنه فعل ذلك دون أن يحمل نير الخطية في أي وقت من حياته المباركة . فكان « بلاخطية » ولهذا حسب أهلا لان يؤدي عمل الكفارة العظيم المجيد واذا طرأ على بالنا أن نتصوره حاملا نير الخطية في حياته يكون هذا

بمثابة افكارنا عنه إنه غير لائق للتكفير عنها في مماته «لاعيب فيها ولم يعل عليها نير» والحاجة ماسة لان نزن كلمتي «فيها» و «عليها» ونعرف قوتهما على حد سواء اذ ان الروح القدس قد استخدمها لاظهار كمال ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الذي لم يكن بلا خطية في باطنه فقط بل في ظاهره أيضاً ولم يكن في أي حال عرضة لمطاليب الخطية والموت سواء أكان في شخصه أو في نسبته . غير انه — تبارك اسمه الى الابد — دخل في حقيقة ظروفنا وأحوالنا ولكنه كان بدون خطية ولم يعل نيرها عليه « واذ اتقد أوار محبته نحونا واشترك في العواطف معنا نراه يعرف ضعف طبيعتنا ويعلم وهن هيكلنا وليس ذلك فقط بل يدري ماتعنيه التجارب بما فيها من غضاضة الصاب ومرارة الحنظل لانه قد جاز فيها قبلنا واختبرها مثلنا ولكنه وقف طاهراً قدوساً خالياً من كل عيب لما ان اندلعت ألسنة النيران الشيطانية عليه وقاومها حتى الدم » *

«فتعطونها لالعازار الكاهن فتخرج الى خارج المحلة وتذبح قدامه» عدد ٣

وان القارىء المفكر الذي يطالع الكتاب لا يهمل أي تعبير مهما ظهر بسيطا طفيفاً بل لا يبرح ذهنه ان الكتاب المبسوط بين يديه هو من الله ولذلك يراه كاملا في مجموعه تاماً في أجزائه وكل كلمة صغيرة فيه تتمخض عن معنى جسيم بل كل نقطة وكل منظر وكل ظرف على صغره يحتوي على تعليم روحي للنفس ولا جدال ان الكفرة والعقليين لا يقدرون على فهم هذه الحقيقة الراجحة ولذلك عندما يقتربون الى الكتاب الالهي يسطون عليه

* جاء هذا في الاصل منظوماً فنقلناه نثراً .

بمعول التدمير ويشاهدون ثلمات حسب فكرهم حيث لا يبصر الطالب الروحي غير جواهر متألقة ودرر مشرقة . أولئك لا تنفتح عيونهم الا على متناقضات ومباينات حيث لا يرى التلميذ الورع - غير المغرور بذاته المتعلم تحت ارشاد الروح القدس - غير تناسب الهي ومجد أدبي .

هـذا ماتتوقعه ويجمل ان نتذكره في هذه الايام ولنعلم ان « الله يعلن ذاته ويظهر نفسه » سواء أكان في الكتاب أو في العناية واذا انتظرناه لابد أن يزيل كل غموض وابهام ويجعل الامر جلياً ولكن كما انه في العناية على حد قول أحدهم « لامفر من ان الكفر الاعمى يتخبط في الخطأ والغلط وينظر الى طريق العناية دون أن يحصد فائدة » كذلك حاله مع الكتاب المقدس اذ لابد من أن يتورط في الزلل والشطط وعبثاً يتفرس في سطوره على انه قد كان في طاقة هذا القائل الورع ان يستأنف التعبير الى ماهو أبعد مدى من ذلك لانه بلا شك ان الكفر لايفعل هـذا فقط بازاء طرق الله وكلمته بل يحولها الى فرصة هجوم تجديفي عليه جل جلاله - على طبيعته وصفاته كما على الاعلان الذي سر ان يمنحه لنا . بل ان الكافر ليعبث بسراج الوحي فيهشمه ويحطمه شر تحطيم ثم يطفيء نوره السماوي ويدخلنا في دائرة الظلام الادبي العميق التي تحيط بعقله الضال

ولقد أفضت بنا تأملاتنا في العدد الثالث من اصحاحنا الى سلسلة الافكار الآنفة ونحن شديدو الرغبة أن تترقى فينا ملكة درس الكتاب المقدس درسا عميقا متقنا باحتراس واهتمام لان لهذا أهمية عظمى. واذا قلنا أو فكرنا ان هنالك شيئاً ولو جملة أو تعبيراً واحداً - من أول الكتاب

الموحى به الى آخره ـ غير جدير بتأملاتنا المملوءة بالصلاة . فنكون بذلك قد دللنا على ان الله الروح القدس قد رأى لازماً عنده ان يكتب لنا مالا نعتبره نحن أهلا للمطالعة ومستحقاً للدرس . «كل الكتاب هو موحى به من الله» ٢ تي ص ٣ عدد ١٦ . هذا يستلزم احترامنا ويستوجب اكرامنا «كل ماسبق فكتب كتب لاجل تعليمنا» رومية ١٥ :٤ هذا يستحث منفعتنا الشخصية ولنلاحظ ان أول عدد اقتبسناه هنا يدل على ان الكتاب هو من الله والثاني يبرهن على انه لنا وكلاهما معاً يربطاننا بالله بذلك الرباط الالهي ـ رباط الكتاب المقدس الذي يسعى الشيطان بكل ما في وسعه في أيامنا هذه ليقطعه وهذا يفعله بأعوان لهم قيمة أدبية معروفة . مشهورين بقوة الذكاء النادر والنباهة المفرطة وان الشيطان لايقع اختياره على رجل غر أو على انسان لاخلاق له ليقوم بهجومه الجرئ الخاص على الكتاب المقدس . لا . لانه يعلم حق العلم ان الاول لايجيد الكلام والثاني لايصغي اليه أحد ولكنه ينتخب بكل حذق ودهاء شخصاً محبوبا كريماً شهيراً حكيما ـ لالوم في آدابه ـ طالباً مجداً . استاذاً متبحراً . عالما مفكراً . وبهذا يذرى الرماد في عيون البسطاء الاميين المندفعين

واننا نرجوك أيها القاريء العزيز أن تذكر انه اذا استطعنا ان نشعرك بما لكتابك المقدس من القيمة التي لا ينطق بها واذا تمكنا من ان تنقش هذا بحروف بارزة في نفسك. اذا قدرنا ان نحذرك من صخور الالحاد الخطرة وننبهك من رمال الكفر التي تتحرك تحت موطيء قدميك وتهبط بمجرد السير عليها اذا كان في وسعنا ان نقويك ونثبتك في الاعتقاد بازلية عنده

ما نتأمل بصفحة مقدسة من الكتاب تشرب من ينبوع ماء سلسبيل كل قطرة منه قد جرت اليه من حضن الله نفسه . اذا وصلنا الى هذه النتائج كلها أو بعضها فلا نأسف لخروجنا عن أصحاحنا ـ والآن لنعد اليه .

« فتعطونها لالعازار الكاهن فتخرج الى خارج المحلة وتذبح قدامه » نرى هنا في الكاهن والذبيحة رمزاً مشتركا لشخص المسيح فلقد كان الذبيحة والكاهن ولكنه لم يباشر أعماله الكهنوتية الا بعد ان تمم عمله كذبيحة وهذا يوضح التعبير الوارد في آخر العدد الثالث « وتذبح قدامه » وموت المسيح قد كان على الارض ولذلك لا يمكن اعتبار هذا عمل الكهنوت اذ ليست الارض مجال خدمته الكهنوتية بل السماء ونلاحظ ان الرسول في رسالته الى العبرانيين يذكر كخلاصة بحث متقن بديع ان « لنا رئيس كهنة مثل هذا قد جلس في يمين عرش العظمة في السماوات خادما للاقداس والمسكن الحقيقي الذي نصبه الرب لا انسان . لان كل رئيس كهنة يقام لكي يقدم قرابين وذبائح . فمن ثم يلزم ان يكون لهذا أيضاً شيء يقدمه فانه لو كان على الارض لما كان كاهنا اذ يوجد الكهنة الذين يقدمون قرابين حسب الناموس » عب ٨ : ١ ـ ٤ « وأما المسيح وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة فبالمسكن الاعظم والاكمل غير المصنوع بيد أي الذي ليس من هذه الخليقة وليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه دخل مرة واحدة الى الاقداس فوجد فداء أبديا » « لان المسيح لم يدخل الى أقداس مصنوعة بيد أشباه الحقيقية بل الى السماء عينها ليظهر الآن أمام وجه الله لاجلنا » عب ص ٩ : ١١ و ١٢ و ٢٤ . « واما هذا فبعد ما قدم عن الخطايا ذبيحة واحدة جلس الى الابد عن يمين

الله » عب ١٠ عدد ١٢

واذا قابلنا هـذه الاعداد مع ما جاء في سفر العدد ص ١٩ عدد ٣ نتعلم ان موت المسيح لا يمثل عمل الكهنوت الاعتيادي الخاص وان السماء لا الارض هي مجال خدمته الكهنوتية. وليست هذه الحقائق جديدة اذ قد ذكرها غيرنا مراراً وتكراراً ولكنه يهمنا ان نلاحظ كل امر من شأنه اظهار الكمال الالهي وبيان الإحكام التام الذي يشمل الكتاب المقدس. ومن السار جداً ان نرى الحق الذي كان مخبوءاً في طيات فرائض وطقوس العهد القديم ساطعا جليا في صفحات العهد الجديد وان قاريء الكلمة النجيب ليرحب باستكشاف هذه الامور. على انه لاشك ان الحقيقة هي بعينها اينما وجدت غير انه لما يكون منسدلا عليها ستار الخفاء الالهي في العهد القديم ثم يسطع عليها نور النهار اللامع في العهد الجديد عندئذ لا تتقرر فقط بل نرى أيضاً وحدة الكتاب المقدس ماثلة وطيدة الاركان

وحري بنا ان لا نمرّ على المكان الذي تم فيه موت الذبيحة دون ان نعطيه ما هو خليق به من الاعتبار « فتخرج الى خارج المحلة » وكما سبق فقلنا الكاهن والذبيحة يحققان ذات الامر ويمثلان رمزاً مشتركا للمسيح ولكنه جاء أيضاً « وتذبح قدامه » وذلك لان موت المسيح لا يمكن تمثيله بعمل الكهنوت . ما أعجب هذه الدقة وما أبدع هذا الاتقان ! ! غير انه لا غرابة في الامر اذ هل نتوقع غير ذلك من كتاب كل سطر فيه هو من الله نفسه ؟ ولو قيل « ويذبحها » لكان حينئذ ماورد في سفر العدد ص ١٩ منافياً للرسالة الى العبرانيين . ولكن حاشا فاتحاد الكتاب واتفاقه يضيئان بين سائر أجزائه

المشرقة ليتنا ننال نعمة لندركها ونقدرها حق قدرها

ومن ثم يسوع قد تألم خارج الباب « لذلك يسوع أيضاً لكي يقدس الشعب بدم نفسه تألم خارج الباب » عب ١٣ : ١٢ فقد أخذ المكان الخارجي وها صوته من هناك يرن في آذاننا فهل نصيخ له ؟ هل نفهمه ؟ ألا نقدر جدياً المكان الذي مات فيه يسوع ؟ هل نبقى مكتفين بحصد فوائد موت المسيح دون ان نطلب الشركة معه في رفضه ؟ يحمينا الله من ذلك ! « فلنخرج إذاً اليه خارج المحلة حاملين عاره » عب ١٣ : ١٣ * ولنا في هذه الكلمات قوة فائقة إذ هي جديرة أن تثير كياننا الادبي لنطلب تحقيقاً شخصياً مستكملا مع المخلص المرفوض . أنراه يموت خارجا بينما نجني منافع موته ثم نبقى في الداخل ؟ أننشد بيتا ومكانا وإسما ونصيبا في العالم الذي كان فيه ربنا وسيدنا منبوذاً مرفوضا ؟ أينبغي السير مع عالم لم يحتمل ذلك الشخص المبارك (يسوع) الذي نحن مدينون له بسعادتنا الحاضرة وهنائنا الابدي ؟ أنطمح نحو الشرف والمركز ونروم الغنى والجاه حيث لم يجد سيدنا غير مزود وصليب وقبر مستعار ؟ ليت لهج قلوبنا يكون « حاشا ان يخطر هذا الفكر ببالنا » وليت لغة حياتنا تصدح « محال ان يستقر هذا الامر بأذهاننا » وليتنا نعطي بنعمة الله جوابا قلبيا مطابقا لدعوة الروح القدس إيانا « لنخرج » .

وعند النظر الى موت المسيح علينا أيها القاريء العزيز ان لا ننسى ان فيه أمرين . موته كذبيحة وموته كشهيد — ذبيحة للاثم وشهيد للبر —

* تشير كلمة « المحلة » الى اليهودية غير ان فيها تطبيقاً أدبياً سديداً لكل دين ينشئه البشر ويدار بروح ومباديء العالم الحاضر

ذبيحة تحت يد الله وشهيد تحت يد الناموس وقد تألم لأجل الخطية كي لا نتألم نحن أبداً - ليتبارك اسمه الى الابد - أما آلامه كشهيد وأوجاعه لاجل البر تحت يد الانسان فهذا قد نعرفه ونلاقيه «لانه قدوهب لكم لاجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط بل أيضاً ان تتألموا لاجله» فيلبي ص ١ عد ٢٩ وانها لعطية حقيقية ان يسمح لنا بالتألم مع المسيح فهل نقدّر هذا؟

وعند التأمل في موت المسيح كما هو مرموز اليه في فريضة البقرة الحمراء لا نرى فقط ابعاد الخطية إبعاداً تاماً بل نشاهد أيضا دينونة هذا العالم الحاضر الشرير «الذي بذل نفسه لاجل خطايانا لينقذنا من العالم الحاضر الشرير حسب ارادة الله وأبينا» غلاطية ص ١ عد ٤ وهنا نرى الله واضعا الامرين جنبا لجنب وبالتأكيد لا يمكن لنا فصلهما اذ نجد دينونة الخطية بأصلها وفرعها ودينونة هذا العالم فالامر الاول يهب راحة تامة للضمير المدرب والثاني يخلص القلب من غرور العالم وينجيه من شراكه وتأثيراته ونفوذه في جميع صوره . ذلك يطهر الضمير من كل معنى للخطية وهذا يقطع حلقة الاتصال بين القلب والعالم

والآن يعوز القارىء أن يفهم الصلة بين هذين الامرين ثم يحتاج أن يجوزفيها عمليا إذ قد يمكن اهمال هذه الرابطة العظمى حتى عند التمسك بحقائق انجيلية كثيرة والجهاد في سبيل تأييدها . ويمكننا ان نثبت بلا تردد انه حيث تهمل هذه الرابطة فهناك يتحتم وجود عيب خطير في أخلاق المسيحي وكثيراً ما يقابلنا أناس غيورون وضعت نفوسهم تحت قوة الروح القدس المبكتة الموقظة ولكنهم لم يدركوا بعد — لراحة ضمائرهم — القيمة الكاملة التي

لموت المسيح الكفاري في ابعاد جميع آثامهم ابعاداً تاماعنهم الى الابدوا حضارهم بالقرب من الله بدون أية وصمة على النفس أو وخز في الضمير فاذا كانت هذه حالة القاريء العملية فعليه ان يلاحظ أول جزء من العدد الذي سبق ان اقتبسناه « بذل نفسه لاجل خطايانا »وهذا حق مبارك للنفس المتعبة المرتبكة فهو يضع حداً نهائيا للسؤال المتعلق بالخطية لانه اذا كان حقا ان المسيح بذل نفسه لاجل خطاياي فهل يبقى علي الا ان أغني وأطرب بهذه الحقيقة الثمينة التي تنبيء بان كل آثامي قد زالت ؟ وأما ذاك (يسوع) الذي أخذ موضعي ووقف حاملا كل ذنوبي موصوما بجميع خطاياي ثم تالم عوضا عني هذا نراه الآن عن يمين الله مكللا بالمجد والكرامة . ولنا في هذا ما يكفينا . ولا جدال أن خطاياي كلها قد غاصت في بحر النسيان الى الابد والا اذا كان الامر غير ذلك فلا يمكن أن يبقى يسوع حيث هو الآن . وإن لي في تاج المجد الذي يكلل جبين ربنا المبارك برهانا ساطعاً وحجة بينة على أن خطاياي قد تكفر عنها تماما ولذا أصبح لي سلام كامل شامل بمقدار ما يمكن لعمل المسيح أن يجريه .

ولكن لا ننسى أن العمل نفسه الذي أبعد عنا خطايانا الى الابد قد نجانا من هذا العالم الحاضر الشرير اذ الامران متلازمان فالمسيح لم ينقذنا فقط من نتائج آثامنا بل من قوة الخطية ايضاً ومن مطاليب وتأثيرات « العالم » وهذا سيبدو واضحاً في استطراد أصحاحنا .

« ويأخذ العازار الكاهن من دمها بأصبعه وينضح من دمها الى جهة وجه خيمة الاجتماع سبع مرات » هنا الاساس الوطيد الثابت للتطهير

الحقيقي ونرى في الرمز الموضوع أمامنا ان الامر ليس الا كما يخبرنا عنه الرسول « يقدس الى طهارة الجسد » عب ٩ ١٣ ويجدر بنا أن نخترق بانظارنا حجب الرمز انرى المرموز اليه وكذلك تمتد أبصارنا من الظل لنصل الى لب الحقيقة وان في نضح دم البقرة الحمراء سبع مرات الى جهة وجه خيمة الاجتماع لرمزاً بديعاً لما للدم المسيح من التمثيل الكامل أمام الله كالاساس الوحيد الذي فيه يلتقي الله مع ضمير الانسان أما العدد « سبع » فهو كما سبق أن رأينا مراراً يكنى به عن الكمال ونشاهد في الرمز الماثل أمامنا كمال موت المسيح ككفارة للخطية مقدماً لله حائزاً قبوله ورضاه والكل يستند على هذا الاساس الالهي فالدم قد سفك وتقدم لله القدوس كفارة كاملة عن الخطية وبمجرد قبول هذا الحق بايمان يرفع عن الضمير كل أثر للمذنوبية ويبدد عنه كل خوف من العقاب والدينونة ولا يبقى أمام الله غير عمل المسيح الكفاري الكامل اذ ان الخطية قد دينت وآثامنا أبعدت عنا وكل ذنوبنا قد محاها دم المسيح الثمين وأصبح الايمان بهذا يؤدي للتمتع براحة الضمير راحة تامة

وليلاحظ القاريء هنا انه لم يرد خلال كل هذا الاصحاح الفريد المفيد ذكر لنضح الدم مرة أخرى وذلك ليكون مطابقاً لما جاء في العبرانيين اصحاح ٩ و ١٠ وهو مثال آخر للاتحاد الالهي الذي يشمل الكتاب المقدس . ولما كانت ذبيحة المسيح كاملة كمالا الهياً لذلك لا حاجة لتكرارها وعملها الهي أبدي « وأما المسيح وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة فبالمسكن الاعظم والاكمل غير المصنوع بيد أي الذي ليس من هذه الخليقة وليس بدم

تيوس وعجول بل بدم نفسه دخل مرة واحدة الى الاقداس فوجد فداء أبدياً لانه ان كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على المنجسين يقدس الى طهارة الجسد . فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزلي قدم نفسه لله بلا عيب يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي » عب ص ٩ عدد ١١ — ١٤ . لاحظ قوة هاتين الكلمتين « مرة » و « أبدياً » انظر كيف يبينان كمال ذبيحة المسيح وتظهران عملها الالهي ولتعلم أن الدم قد سفك مرة والى الابد والتفكير في تكرار هذا العمل العظيم معناه نكران قيمته الدائمة التي فيها لنا كل الكفاية وانزاله الى مستوى دم العجول والتيوس

زد على ذلك انه « كان يلزم أن أمثلة الاشياء التي في السماوات تطهر بهذه وأما السماويات عينها فبذبائح أفضل من هذه لان المسيح لم يدخل الى أقداس مصنوعة بيد أشباه الحقيقية بل الى السماء عينها ليظهر الآن أمام وجه الله لاجلنا ولا ليقدم نفسه مرارا كثيرة كما يدخل رئيس الكهنة الى الاقداس كل سنة بدم آخر . فاذ ذاك كان يجب ان يتألم مراراً كثيرة منذ تأسيس العالم ولكنه الآن قد اظهر مرة عند انقضاء الدهور ليبطل الخطية بذبيحة نفسه » عب ص ٩ عدد ٢٣ — ٢٦ . لهذا أبطلت الخطية ولا يعقل ان تبطل ثم تبقى في ذات الوقت على ضمير المؤمن . هذا واضح جلي . ولا بد من التسليم بان خطايا المؤمن قد محيت وصار ضميره مطهراً تطهيراً تاماً . والا فالامر يستلزم موت المسيح مرة أخرى وهذا ليس فقط لا حاجة اليه بل أيضاً لا موضع له اذ يستأنف الرسول القول « وكما وضع للناس أن يموتوا مرة

ثم بعد ذلك الدينونة هكذا المسيح ايضا بعد ما قدم مرة لكي يحمل خطايا كثيرين سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه » عب ص ٩ عدد ٢٧ و ٢٨

ما أعجب هذه الدقة المتناهية التي يراعيها الروح القدس في بحث هذا الموضوع بأكمله فهو يفسر باسهاب ويشرح باستيفاء ويؤيد بكل قوته ذلك المبدأ العظيم المتعلق بكمال الذبيحة ويعمل كل ذلك بكيفية من شأنها أن تقنع النفس وتحرر الضمير من الاحمال الثقيلة التي ينوء تحتها . ما أعظم نعمة الله فانه لم يتمم لنا عمل الكفارة الابدية فقط ولكنه بكل حرص وتأن بحث ونقب وبرهن كل ما يتعلق بهذا الموضوع حتى انه لم يترك ثغرة تفتح بابا للاعتراض او يصوب منها سهام النقد والآن لنسمع الاسباب الاخرى القوية التي يدلي بها . ليت الروح القدس يطبقها على قلب الراغب في هذا الامر ..

« لان الناموس اذ له ظل الخيرات العتيدة لا نفس صورة الاشياء لا يقدر ابداً بنفس الذبائح كل سنة التي يقدمونها على الدوام أن يكمل الذين يتقدمون. والا فما زالت تقدم من أجل أن الخادمين وهم مطهرون مرة لا يكون لهم ايضاً ضمير خطايا لكن فيها كل سنة ذكر خطايا لانه لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايا » عب ١٠ عدد ١ – ٤ . واما ما كان متعذراً على دم العجول فقد عمله دم يسوع عملا ابدياً وهنا كل الفرق فالدماء الغزيرة التي سالت حول مذابح اسرائيل وملايين الذبائح التي تقدمت حسب الطقوس والفرائض الموسوية كل هذا لم يستطع أن يمحو من ضمير

المؤمن وصمة واحدة ولم يحول لا له يكره الخطية بأن يرحب بالخاطيء الاثيم « لانه لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايا » . « لذلك عند دخوله الى العالم يقول ذبيحة وقرباناً لم ترد ولكن هيأت لي جسداً بمحرقات وذبائح للخطية لم تسر ثم قلت ها نذا أجيء (في درج الكتاب مكتوب عنى) لأفعل مشيئتك يا الله . . . . . فبهذه المشيئة نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة » عب ١٠ عدد ٤ — ١٠ . لاحظ الفرق فالله لم يجد سروراً في الذبائح الدائمة المتكررة التي كانت تمارس تحت الناموس اذ انها لم تف أبداً بما كان ينوي في قلبه المحب ان يعمله لاجل شعبه — ذلك العمل الذي كان يقصد به تحرير شعبه من الخطية التي أثقلت كاهله ليحضره اليه في سلام الضمير التام وحرية القلب الكاملة . ويسوع قد تمم هذا الامر بذبيحة نفسه وعمل مشيئة الله ولا يعود — تبارك اسمه — لتكرار هذا العمل مرة أخرى . على اننا قد لا نصدق أن العمل قد أنجز ونأبى أن نسلم نفوسنا لتأثيره ونفوذه ونرفض الدخول في الراحة التي يمنحها والتمتع بحرية الروح القدسة التي يرى من المناسب اعطاءها . قد نرفض كل ذلك . ولكن العمل يظل كما هو ببهائه الدائم وتأثيره المستمر وكذلك تبقى ابحاث الروح المتعلقة بهذا الامر كما هي في وضوحها الرائع وقوتها الفائقة ولا تقوى آراء الظلمة أو عدم ايماننا على أن تمس هذا أو ذاك . ولكننا نقول والاسف ملء جوانحنا انها تحول دون تمتعنا بالحق بينما الحق ذاته قائم كالطود لا يتزعزع .

« وكل كاهن يقوم كل يوم يخدم ويقدم مراراً كثيرة تلك الذبائح عينها

التي لا تستطيع البتة ان تنزع الخطية وأما هذا فبعد ما قدم عن الخطايا ذبيحة واحدة جلس الى الابد عن يمين الله منتظراً بعد ذلك حتى توضع اعداؤه موطئاً لقدميه لانه بقربان واحد قد أكمل الى الابد المقدسين » عب ١٠ عدد ١١ ــ ١٤ . تستطيع هذه الذبيحة إن تمنح كما لا أبدياً بالنسبة لدم المسيح زد على ذلك ان بهذا الدم عينه تذوق نفوسنا هذا الكمال ولا يتصورن أحد انه يكرم عمل المسيح ويعظم شهادة الروح لهذا العمل برفضه قبول كمال مغفرة الخطايا المعلنة له في دم الصليب ولنعلم انه ليس من علامات التقوى ولا من مظاهر الدين الصحيح أن نتكر ما أجرته لنا نعمة الله في المسيح وما دوّنه الروح الابدي لنفوسنا على صفحات الوحي

اليس من الغريب أيها القاريء العزيز والباحث المنقب انه عند ما تمثل الكلمة يسوع جالساً عن يمين الله بالنسبة للفداء الكامل نكون بهذا في مركز ليس بأي حال أفضل مما لاولئك الذين لهم فقط كاهن بشري يقف يومياً لاداء الخدمة ويقدم سلسلة الذبائح نفسها ؟ ونحن نعلم أن كاهناً الهياً قد جلس الى الابد وأما أولئك فلهم فقط كاهن أرضي لا يستطيع مطلقا في دائرة وظيفته أن يجلس فهل لا نكون بعد ذلك أفضل منهم في راحة العقل وادراك النفس وحالة الضمير العملية ؟ أيحتمل بان عقولنا لا تستقر على الراحة التامة في حين اننا نستند على عمل تام ؟ إن الروح القدس ـ كما ذكرنا في هذه الفقرات المقتبسة من الرسالة الى العبرانيين ـ قد ذكر كل شيء من شأنه اراحة نفوسنا في الامر المتعلق برفع الخطايا بدم المسيح الثمين وعلى هذا لماذا لا نتمتع الآن تمتعا كاملا بسلام الضمير التام ؟ ألم يعمل لك يسوع أكثر

مما أجراه دم المحول للعابد اليهودي ؟

على أن القاريء ربما يجيب رداً على ما ذكرناه له والححنا بقبوله فيقول « أنا لا أشك مطلقاً في تأثير وفاعلية دم يسوع واني أؤمن بانه يطهر من كل خطية ولا يخامرني ريب أن الذين يثقون بالخلاص في ذلك الدم قد اصبحوا في مأمن تام وسيتمتعون في السرور الابدي . ولست أجد صعوبة في سائر هذه الامور بل ليس ما يتعبني تأثير الدم اذ انني اعتقد به تماما ولكن ما يقلق أفكاري هو فائدتي الذاتية ولذتي العملية في ذلك الدم وهذا لم أهتد فيه على قرار حاسم ولم أصل الى نتيجة حسنة واني أصرح أن الدم ظاهر لي كالشمس في رابعة النهار أما أمر فائدتي منه فهي ظلام مملوء بالقنوط واليأس »

كانت هذه صورة مجسمة لما يجول باحساسات القاريء وشعوره فالحاجة ماسة لان يتأمل بامعان في العدد الرابع من الاصحاح التاسع عشر من سفر العدد اذ هناك يرى أن أساس التطهير هو أن دم الكفارة تقدم لله وقد قبله . وهذا حق ثمين ولكنه لم يفهم الا يسيراً وانه من المهم للنفس التي ترغب حقيقة في هذا الامر أن يكون لها رأي واضح في موضوع الكفارة وانا لمطبوعون بان تنشغل بافكارنا وحواسنا حول دم المسيح بدلا من أن نحصرها في شخصه وفي افكار الله عنه واذا كان الدم قد تقدم لله وقبله واذا كان قد مجد ذاته في رفع الخطايا فماذا يبقى للضمير المدرب تدريباً الهيا غير أن يجد راحة كاملة في ذلك الذي تمم كل مطاليب الله وأرضى عدله ووضع أساسات ذلك المكان العجيب الذي فيه يلتقي الله يكره الخطية مع خاطيء فقير تحطم

على صخور الاثم بل لماذا أضع أمامي أمر فائدتي من دم المسيح كأن ذلك العمل لا يكمل بدون شيء من عندياتي أدعه حسبما شئت . فائدتي او شعوري او اختباري أو اعتباري او امتلاكي أو أي شيء آخر ؟ لماذا الارتاح في المسيح فقط ؟ وهذا معناه الحصول على فائدة ولذة في المسيح اما اللحظة التى فيها ينشغل القلب بفائدته الذاتية ومنفعته الشخصية والآونة التي فيها يبتعد النظر عن الغرض الالهي الذي تضعه أمامنا كلمة الله ويشهره لنا الروح القدس . في هذا الوقت عينه تنشأ الظلمة الروحية ويحل الارتباك وبدلا من أن تفرح النفس في كمال عمل المسيح تصبح معذبة بالنظر الى شعورها المملوء بؤسا ونقصا « لقد اريق دم الذبيحة وتم عمل الكفارة وذهب يسوع للصليب لحسم قضية شعبه وهو الآن في السماء جالس كرئيس كهنة الله يحمل على صدره جميع اسمائهم* وهنا — تبارك الله تعالى — الاساس الراسخ « لتطهير خطايانا » ولسلام الضمير الكامل « تم عمل الكفارة » . كل شيء قد أكمل . وقد ذبح المرموز اليه بالبقرة الحمراء واسلم نفسه للموت تحت غضب الله ودينونته العادلة حتى أن كل الذين يضعون ثقتهم فيه ينالون في اعماق نفوسهم تطهيراً الهيا وسلاما كاملا . ولقد تطهرت ضمائرنا لا بافكارنا عن الدم بل بالدم نفسه . يجب أن تمسك بذلك ولنعلم ان الله قد اعطانا اسما ومقاما وهذا في الدم فقط ذلك الدم الذي ينبيء — بسلام عميق — لكل نفس متعبة تستند على تأثيره الابدي . واننا لنسأل عن السبب الذي لاجله نرى موضوع الدم المبارك لم يفهم الا

* هذا جاء منظوماً فنقلناه نثراً

قليلا ولم يعط حقه من الاحتفاء الا يسيراً ؟ لماذا يحاول الناس الاصرار على النظر الى شيء آخر أو الاستمرار في مزجه بغيره من الامور ؟ ليت الروح القدس يرشد القارىء اثناء قراءة هذه السطور ليضع قلبه وضميره على ذبيحة كفارة حمل الله .

وبعد أن بسطنا للقارىء الحقيقة الثمينة المبينة لنا في موت البقرة الحمراء نريد الآن أن نتأمل قليلا في حرقها . لقد سبق أن نظرنا الى الدم والآن لننظر الى الرماد . في ذاك ذبيحة موت المسيح كالمطهر الوحيد من الخطية وفي هذا نجد ذكرى ذلك الموت يطبقه الروح القدس على القلب بواسطة الكلمة ليزيل كل دنس يلحق بنا في المسير من يوم الى يوم وهذا يعطي كمالا عظيما وجمالا فائقا للرمز الذي نحن بصدده وان الله لم يجهز ما هو لازم للخطايا الماضية فقط بل للدنس الحاضر ايضاً حتى نكون دائماً أمامه في المقام والحظوى التي لعمل المسيح الكامل وهو يجعلنا نسير في الاقداس وفي دائرة وجوده القدس ونحن مطهرون من الرأس الى اخمص القدم ولا يرانا هو على هذه الصورة فقط بل يعطينا ايضاً أن نشعر بذلك في ضميرنا الداخلي وهينا بروحه بواسطة الشعور الداخلي العميق بالطهارة أمام عينيه حتى يجري تيار شركتنا معه بدون تموج أو تعرج « ولكن إن سلكنا في النور كما هو في النور فلنا شركة بعضنا مع بعض ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية » يوحنا الاولى ص ١ عدد ٧ ترى كيف نسترد شركتنا اذا عجزنا عن أن نسير حسب النور أو نسينا ذلك ومسسنا الشيء النجس ؟ لا سبيل الى ذلك الا بازالة النجاسة .

وكيف ذلك؟ بتطبيق حقيقة موت المسيح على قلوبنا وضمائرنا وعندئذ يقودنا الروح القدس لان نحكم على ذواتنا وكذلك يعيد على أذهاننا ذكرى تلك الحقيقة الثمينة ألا وهي أن المسيح قد ذاق الموت من أجل هذه النجاسة التي نفعلها بدون اهتمام ونعملها بغير مبالاة وليس المعنى نضح دم المسيح ورشه مرة أخرى — اذ ان هذا بعيد عن فكر في الكتاب المقدس ولكن المقصود منه هو ان الروح القدس يجدد بعمله ذكرى موت المسيح للقلب المنكسر

«وتحرق البقرة أمام عينيه... ويأخذ الكاهن خشب أرزوزوفا وقرمزاً ويطرحهن في وسط حريق البقرة ... ويجمع رجل طاهر رماد البقرة ويضعه خارج المحلة في مكان طاهر فتكون لجماعة بني اسرائيل في حفظ ماء نجاسة . انها ذبيحة خطية » العدد ص ١٩ عدد ٥ — ٩ .

وان جل غرض الله أن يكون شعبه طاهراً من كل أثم وان يسير منفصلا عن هذا العالم الحاضر الشرير حيث لا يوجد غير الموت والنجاسة ويكون هذ الانفصال بعمل الروح القدس بالكلمة في القلب « نعمة لكم وسلام من الله الآب ومن ربنا يسوع المسيح الذى بذل نفسه لاجل خطايانا لينقذنا من العالم الحاضر الشرير حسب ارادة الله وابينا » غلاطية ص ١ عدد ٣ و ٤ وايضاً « منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح الذي بذل نفسه لاجلنا لكي يفدينا من كل اثم ويطهر لنفسه شعبا خاصاً غيوراً في اعمال حسنة» تيطس ص ٢ عدد ١٣ و ١٤

ومن المبهج تلك الخطة المستمرة التي تتخذها روح الله في أن يبين خلاص الضمير من كل معنى للشعور بالاثم مرتبطاً تمام الارتباط مع انقاذ القلب من

التأثير الأدبي الذي لهذا العالم الحاضر الشرير وعلينا الآن أيها القاريء العزيز أن نوجه جل اهتمامنا لتأييد صحة هذا الارتباط الكائن بينهما ولاشك اننا لا نصل الى ذلك الا بقوة الروح القدس. غير انه يلزمنا أن نسعى باخلاص لفهم الامر بالاخص نبذل جهدنا في أن نتمم عملياً حلقة الاتصال بين موت المسيح ككفارة عن الخطية وكالقوة الادبية للانفصال عن العالم اذ أن كثيرين من شعب الله ان وصلوا الى ادراك الطرف الاول لا يتعدونه الى ما بعد ذلك وكثيرين يكتفون بمعرفة غفران الخطايا في عمل الكفارة الذي انجزه يسوع ولكنهم في نفس الوقت لا يقدّرون الموت عن العالم بالمقابلة مع موت المسيح ومع تحقيق ذاتيتهم فيه

ترى ماذا نجد عندما نقف ونشخص الى حرق البقرة الحمراء الوارد في العدد ص ١٩ . وحين نمتحن كومة الرماد الرمزية ؟ قد يجيب البعض «نجد خطايانا هناك » . هذا حق ـ شكراً لله ولاجل محبته — اذ لا شك اننا نجد هناك كل خطايانا وآثامنا وذنوبنا وجرمنا القرمزي . الكل قد أصبح رماداً ولكن هل هناك أكثر من ذلك ؟ هل نستطيع بعد التحليل الدقيق أن نستكشف شيئاً آخر ؟ نعم بدون جدال اذ نجد الطبيعة هناك في كل دور من أدوارها ـ من أعلى نقطة في تاريخها الى ادناها . زد على ذلك اننا نشاهد كل مجد العالم وأن خشب الارز والزوفا يمثلان الطبيعة من أقصى أطرافها وبوضع هذه الاطراف (في الحريق) يدخل معها كل ما هو كائن بينها « وتكلم (سليمان) عن الاشجار من الارز الذي في لبنان الى الزوفا النابت في الحائط أما «القرمز» فيعتبره جميع الذين بحثوا الكتاب في هذا العدد كرمز

أو تعبير عن العظمة البشرية والآلهة الدنياوية ومجد العالم . مجد الانسان.وعلى هذا نرى في حرق البقرة الحمراء نهاية كل هذه الاشياء والقاء الجسد مع جميع متعلقاته وهذا ما يجعل لحرق البقرة معنى عميقاً وهو حق عرف قليلا جداً ومعرض اذا عرف ان يُنسى سريعاً.ذلك الحق هو المجسم في كلمات الرسول الخالدة « حاشا لي أن افتخر الا بصليب ربنا يسوع المسيح الذي به قد صلب العالم لي وأنا للعالم » غلاطية ص ٦ عدد ١٤

نحن معرضون لان نقبل الصليب كأساس للنجاة من جميع نتائج الخطية وكالواسطة لقبولنا أمام الله قبولا تاما ثم نرفض أن نرى فيه الاساس لانفصالنا النهائي عن العالم.شكراً ومجداً لله . اذ ان الصليب لم يصر الاساس لخلاصنا من الخطية فقط بل أكثر من ذلك اذ قد فصلنا الى الابد من كل ما يتعلق بالعالم الذي نحن سائرون فيه . ترى هل رفعت خطاياي عني ؟ بلا شك فليتبارك الله كل نعمة ولكن على أي أساس ؟ طبقا لكمال ذبيحة كفارة المسيح كما يراها الله وعلى هذا المنوال ايضا قياس نجاتنا من هذا العالم الحاضر الشرير — من ازيائه · من قوانينه . من عاداته : من مبادئه. وليس للمؤمن أدنى شركة مع هذا العالم ويتضح هذا له بمقدار ما يتعمق في روح وقوة صليب ربنا يسوع المسيح ـ ذلك الصليب الذي قد ابعده من كل حطام الدنيا وجعله سائحا غريبا في الارض.وان القلب الورع ليرى ظل الصليب لائحا متبلجا فوق تبرج العالم وبريقه وعظمته ومجده وهذا كان نظر بولس الذي ساقه لان يحسب هذا العالم ـ في اجمل صوره وابدع اشكاله وابهى امجاده ـ نفاية .

هذه هي قيمة العالم كما قدرها شخص ترى عند رجلي عمالائيل فلقد قال « قد صلب العالم لي وأنا للعالم » غل ٦ : ١٤ . وقد سار بولس على هـذا المنحى وهكذا يجب أن يكون كل مسيحي ـ غريباً في الارض . سيرته في السماء ولا يكون هـذا من قبيل الشعور والاقوال النظرية فقط بل عن حق ساطع وأمر واقع وكما وثقنا أن خلاصنا من جهنم هو أكثر من شعور ونظريات كذلك انفصالنا عن هـذا العالم الحاضر الشرير. كلاهما حقيقي وأكيد . الواحد نظير الآخر

ليت شعري لماذا لم يأخذ هـذا الحق العملي مكانه في سويداء قلوب المسيحيين في الوقت الحاضر ؟ لماذا نتباطأ عن أن يحض بعضنا بعضاً لاظهار ما لصليب المسيح من قوة الانفصال ؟ اذا كان قلبي ينبض بالمحبة ليسوع فعندئذ لا أسعى في سبيل الحصول على مكان ونصيب واسم حيث لم يلق هو غير صليب أثيم مجرم عات . وهذا أيها القاريء العزيز هو الطريق البسيط للنظر الى هذا الامر فهل تحب المسيح حقاً ؟ هل لمست محبته القادرة قلبك وجذبته اليها ؟ اذا كان كذلك فتذكر أن العالم قد نبذ سيدك نبذ النواة وكما كان بالامس كذلك هو اليوم ـ منبوذ من العالم . لا تغيير ولا تبديل . اذ أن العالم باق على ما هو عليه ولتعلم أن من حيل الشيطان التي يستنبطها انه يقود الناس لقبول الخلاص من المسيح بينما يتنعمون في الوقت عينه عن تحقيق اتحادهم به في رفضه وكذلك يرشدهم الى الاستفادة من عمل كفارة الصليب بينما يقرون عينا وينعمون بالا في العالم الملطخ بجريمة صلب يسوع . وقصارى القول يستدرج الشيطان الناس ليفتكروا ويعلنوا أن جريمة الصليب قد انتهت .

وقد أصبح عالم القرن العشرين مختلفاً كل الاختلاف عن عالم القرن الاول ولو كان الرب يسوع على الارض الآن لعومل بنقيض ما قوبل به حينئذاك لأن العالم اليوم ليس وثنياً بل مسيحياً وهذا يجعل فرقاً جوهرياً أساسياً يحق معه للمسيحي أن يقبل الاستيطان في العالم وان يكون له اسم ومركز ونصيب فيه اذ يرى انه اليوم غير ذاك الذي صلب ابن الله على خشبة الجلجثة الملعونة .

لهذا كان من المحتم علينا أن نقرر لكل من يقرأ هذه السطور أن هذه الامور هي بدون تردد كذب ومحض افتراء من عدو النفوس المحتال المخادع فالعالم لم يتغير وان كان قد بدل زيه لكنه باق على طبيعته وروحه ومبادئه واليوم يغلي مرجله بغضاً ليسوع كما كان يوم ارتفع ذلك النداء عالياً «خذه خذه . اصلبه» حقا لا تغيير فيه واذا امتحنا العالم بذلك القياس العظيم والمحك الجليل فلا مندوحة عن أن نراه هو بعينه العالم الشرير المبغض لله الرافض المسيح . ترى ما هو هذا القياس ؟ المسيح المصلوب . ليت هذا الحق الثمين ينقش على صفحات قلوبنا . ليتنا نقدره ونبرز للملأ قوته . ليته يفصلنا عن كل ما يتعلق بالعالم . ليتنا نفهم تماما الحق الماثل في رماد البقرة الحمراء . عندئذ يصبح انفصالنا عن العالم حقيقيا وقويا ويصير تكريس انفسنا للمسيح متينا وواقعيا . ليمنح الرب ـ بطيبته الفائقة ـــ شعبه هذا الامر في هذا العصر الذي ساد فيه الاعتراف الوهمي العالمي الذي يعرج هنا وهناك

والآن لنتأمل قليلا في كيفية استعمال الرماد

«من مس ميتا ميتة انسان ما يكون نجساً سبعة أيام. يتطهر به في اليوم الثالث وفي اليوم السابع يكون طاهراً . وان لم يتطهر في اليوم الثالث ففي

اليوم السابع لا يكون طاهراً . كل من مس ميتاً ميتة انسان قد مات ولم يتطهر ينجس مسكن الرب . فتقطع تلك النفس من اسرائيل . لان ماء النجاسة لم يرش عليها تكون نجسة . نجاستها لم تزل فيها » سفر العدد ص ١٩ عدد ١١ - ١٣

انه لأمر خطير ان نطالب بالعمل مع الله ونسير معه من يوم الى آخر وسط مشهد ملوث منجس فالله لا يستطيع أن يرى نجاسة على من قد تنازل بالمسير معهم وتفضل بالسكنى فيهم ومع انه يقدر ان يصفح ويمحو الذنوب ويشفي ويطهر ويرد ولكنه لا يصادق على شر لم يقض عليه ولا يحتمل بقاءه على شعبه ولو عمل بخلاف ذلك لعد الامر نكرانا لاسمه ولطبيعته . غير أن هذا وان كان من الخطورة بمكان عظيم ولكنه في الوقت عينه مبارك وعجيب ولاشك اننا نفرح ان ندعى للعمل معاله يتطلب حضوره القداسة ثم يضمنها ويكفلها . نحن الآن مارون في عالم فيه تحيط بنا مؤثرات منجسة ولا جدال أن النجاسة لا تأتي الآن عن طريق مس « ميت أو عظم انسان أو قبر » لان هذه الاشياء كانت - كما نعلم - رموزاً للاشياء الادبية والروحية التي نحن الآن في خطر الاحتكاك بها كل يوم وكل ساعة . لا نشك في ذلك ولكن أولئك الذين يشتغلون كثيراً في مصالح العالم وأعماله يدركون أكثر الصعوبة العظمى التي تعترضهم في سبيل النجاة منه بأيد طاهرة . لذلك كانت الحاجة ماسة للسعي المقدس في تكوين عاداتنا ومجتمعاتنا لئلا تتنجس وتقطع شركتنا مع الله الذي يجب أن نكون معه في حالة تناسب قداسته « كونوا قديسين كما اني أنا قدوس »

ولكن القاريء الذي تتوق نفسه الى القداسة قد يسأل مدفوعاً بعامل الشوق والرغبة « ما العمل اذا كان حقا أننا محاطون بالمؤثرات المنجسة احاطة السوار بالمعصم واذا كنا عرضة لان تتنجس ؟ بل ما السبيل اذا كان من المحال أن تكون لنا شركة مع الله ونحن بأياد منجسة وضمير ملوم ؟ » نقول قبل كل شيء كن ساهراً . اطلب الرب باجتهاد ونشاط فهو أمين جواد . سميع للصلاة . مجيب للدعاء . يهب بسخاء ولا يعير « يعطي نعمة اعظم » وهذا بمثابة صك أبيض يستطيع الايمان ان يرصد فيه أية قيمة فهل هو غرض تمسك الحقيقي أن تسير مع الله وهل هي أنشودتك أن تتقدم في الحياة الالهية وتنمو في القداسة الشخصية ؟ اذاً كن على حذر اذ كيف يمكنك الثبات ساعة واحدة باتصال مع أمور من شأنها أن تلوث يديك وتدمي ضميرك وتحزن الروح القدس وتقطع شركتك . كن صريحاً راسخا . كن ذا قلب سليم وطوية خالصة اترك على الفور الشيء النجس سواء أكان عادة أو مجتمعاً أو أي أمر آخر . ارفضه مهما غلت قيمته وعظم شأنه . اقطع كل صلة به ولو كان في ذلك خسارة كبرى واعلم انه لا يوجد ربح عالمي أو غنم أرضي يستطيع أن يعوض لك الضمير الطاهر اذا فقدته والقلب غير الملوم اذا أضعته ونور طلعة أبيك السماوي اذا سلب منك . الست مقتنعاً بذلك ؟ إن لم تكن فاطلب نعمة لتزودك بروح الاقتناع

- قد يقول قائل « ما العمل اذا اصبحت النجاسة أمراً واقعاً ؟ وكيف تستأصل شأفتها ؟ » اسمع جواب ذلك في اللغة الاستعارية الواردة في سفر العدد اصحاح ١٩ « فيأخذون للنجس من غبار حريق ذبيحة الخطية ويجعل

عليه ماء حياً في اناء ويأخذ رجل طاهر زوفا ويغمسها في الماء وينضحه على الخيمة وعلى جميع الامتعة وعلى الانفس الذين كانوا هناك وعلى الذي مس العظم أو القتيل أو الميت أو القبر ينضح الطاهر على النجس في اليوم الثالث واليوم السابع ويطهره في اليوم السابع فيغسل ثيابه ويرحض بماء فيكون طاهراً في المساء »

ويلاحظ القارىء أن هناك عملا مزدوجاً مذكور في العددين الثاني عشر والتاسع عشر - عمل اليوم الثالث وعمل اليوم السابع - وكلاهما جوهري وضروري لازالة النجاسة الناتجة عن الالتصاق بأنواع الموت المختلفة التي سبق ذكرها . والآن ما الذي يشير اليه هذا العمل المزدوج وما الذي يعني به في تاريخنا الروحي ؟ نعتقد أن المقصود من ذلك هو اننا لما نكون غير ساهرين ولا قوة روحية لنا عندئذ نلمس الشيء النجس فنتدنس وقد نجهل ذلك ولكن الله يعلم كل صغيرة وكبيرة عنه وهو يهتم بنا ويعتني بأمرنا - تبارك اسمه - لا كقاضٍ يشتعل قلبه حقداً وغضباً أو كمنتقد جافي الطبع عابس الوجه بل كأب محب ودود لا يعزو أبداً الينا شيئاً ما لان الكل قد وضع في الماضي على ذاك الذي مات عوضاً عنا ولكن لنعلم انه وان كان لا يضعنا تحت طائلة الذنب الا انه يشعرنا به شعوراً عميقاً حياً ويبكت بامانة الشيء النجس ويشهره مهما بلغت قوته وذلك لانه لا يحسبه علينا . ثم إن الروح القدس يرسم امام أذهاننا خطيتنا وهذا يجعل في القلب آلاماً مبرحة لا ينطق بها قد تستمر دقائق أو أياما . شهوراً أو أعواما اذ قد قابلنا شابا مسيحيا عانى من ضروب الشقاء أشكالا وألوانا مدة ثلاث سنوات

بسبب ذهابه الى رحلة مع اصدقاء عالمين وانما نعتقد أن عمل التبكيت الذي يجريه الروح القدس هو المكني عنه بعمل اليوم الثالث فهو يذكرنا أولا بخطيتنا ثم يضع نصب أذهاننا وطبق على نفوسنا بواسطة الكلمة قيمة دم المسيح كالمطهر من النجاسة التي نحن في عرضة أن نتلوث بها بسهولة وهذا ما يوافق عمل اليوم السابع اذ نزيل الدنس ويرد لنا شركتنا .

ويجدر بنا أن نتذكر انه من المحال أن نتخلص من النجاسة باية وسيلة أخرى فقد نجتهد في أن نتناساها ونسعى لنسدل الستار عليها وقد نحاول أن نضمد الجرح قليلا ونخفف من وطأة الامر وقد نعهد لطول الزمن مهمة ازالته وطمس معالمه من الذاكرة ولكن كل هذا لا يجدي نفعا بل هو عمل لا يوجد أشد ضرراً منه وقليلة هي الاشياء التي يمكن اعتبارها أسوأ وأوهى من العبث بالضمير أو مطالب القداسة فهو جهالة خطرة لان الله قد أعد في نعمته كل ما يلزم لازالة النجاسة التي يكتشفها ويحكم عليها ولنعلم انه لا بد من ازالة الدنس والا فوجود الشركة من رابع المستحيلات « إن لم أغسلك فليس لك معي نصيب » وايقاف شركة المؤمن هو بمثابة قطع نفس من شعب اسرائيل ولا ننسى انه من المحال أن يقطع المسيحي من المسيح ولكن شركته قد تقطع على أثر فكر واحد شرير وعندئذ يتحتم الحكم عليه والاعتراف به وازالة لطخته قبل استرداد الشركة . يحسن بنا أن نتذكر هذا فان الاستهانة بالخطية والاستخفاف بها أمر خطير . ولنتأكد انه ليس في الامكان الحصول على شركة مع الله ونحن سائرون في النجاسة وكل فكر غير هذا تجديف على اسمه تعالى وعلى طبيعته وعلى عرشه وجلاله فلنحذر ذلك أيها القاريء العزيز

وليكن لنا ضمير طاهر وتمسك بقداسة الله والا فتغرق سفينة اعماننا وتتمزق أوصالها اربآ اربآ . ليت الرب يحفظنا سائرين بدمائة الاخلاق ولين العريكة صاحين مصلين الى أن تفك أوتاد خيمتنا الارضية ونخلع جسد الخطية والموت وندخل العالم النوراني المجيد في الاعالي حيث لا خطية ولا موت لا نجاسة

وعند ما نطالع فرائض وطقوس النظام اللاوي لا نجد أمراً أدعى الى الاخذ بمجامع القلوب من تلك العناية الفائقة التي كان يلاحظ بها الهاسرائيل شعبه ليكون في مأمن من المؤثرات الدنسة ولقد كانت عينه ترعاه وتراقبه في الليل والنهار في اليقظة والنوم . في الموطن والخارج . في احضان العائلة وفي العزلة والانفراد ولقد كان يهتم كل الاهتمام بمؤونته وملابسه بعاداته القومية ونظاماته البيتية وقد دربه على ما يؤكل ومالا يؤكل ما يلبس وما لا يلبس ولم يقتصر على ذلك بل بيّن له فكره بايضاح فيما يختص بلمس الاشياء واستعمالها وبالاجمال قد احاطه بحصون منيعة واسوار قوية ـ قادرة ـ لو اعارها اذنا واعية ـ على مقاومة تيار النجاسه الجارف الذي كان يتهدده من جميع الجهات

وانا لنقرأ في كل هذا — بكيفية صريحة وبحروف بارزة — قداسة الله كما اننا نقرأ نعمته ايضاً ولما لم يكن في وسع قداسته الالهية أن تحتمل النجاسة على شعبه لذلك قد اعدت نعمته الربانية التدبيرات العظيمة لازالتها وقطع دابرها وهذه تظهر في اصحاحنا على نوعين هما دم الكفارة وماء النجاسة . حقاً ما أثمن هذه التدبيرات والمعدات التي تمثل في آن واحد قداسة

الله ونعمته ولو لم نعلم ما جهزته لنا النعمة الالهية لكانت المطاليب العالية التي تطلبها القداسة الربانية قاضية علينا مفنية لنا ولا محالة فاذ قد تحققنا من النعمة نستطيع أن نشدو فرحاً بما يطلبه الله والا فهل نود أن نرى قياس القداسة الالهية الكامل ناقصاً عما هو عليه قيد شعرة ؟ حاشا بل كيف نستطيع أن نقدم على ذلك أو لماذا نرغب فيه وقد دبرت النعمة الالهية ما تطلبه القداسة الربانية ؟ قد كان للاسرائيلي أن يرتعد عند ما تقع على مسامعه كلمات كهذه « من مس ميتا ميتة انسان ما يكون نجساً سبعة أيام » وأيضا « كل من مس ميتا ميتة انسان قد مات ولم يتطهر ينجس مسكن الرب فتقطع تلك النفس من اسرائيل » اذ أن هذه كلمات كان من شأنها أن تملأ قلبه خوفا ووجلا وقد تقوده الى الاستغاثة والقول « ماذا اعمل . كيف اسير ؟ يلوح لي إنه من المحال أن انجو من النجاسة » ولكن ما المعنى اذاً من رماد البقرة الحمراء المحروقة ؟ ما المقصود من ماء النجاسة ؟ ماذا يراد بكل ذلك ؟ كلها تعلن ذكرى ذبيحة موت المسيح كما يطبقها الروح القدس بقوته على القلب « يتطهر بها في اليوم الثالث وفي اليوم السابع يكون طاهراً وان لم يتطهر في اليوم الثالث ففي اليوم السابع لا يكون طاهراً » وعليه فلنعلم انه اذا لوثتنا النجاسة ولو عن طريق السهو يجب ازالتها قبل أن يتاح لنا استرداد شركتنا ولا ننسى انه لا يمكن النجاة من لطختها بأية واسطة من عندياتنا بل فقط باستعمال التدبير الالهي — ماء التطهير . وكما أن الاسرائيلي لم يقو من تلقاء ذاته على شق عصا الطاعة في وجه فرعون وعلى خلع نيره عنه وكما انه لم يكن له حول على النجاة من سياط مسخرية

الذين اقامهم عليه. كذلك لم يكن له حول أو مجهود به يقدر أن يمحو ما علق به من النجاسة على أثر لمس رفات الميت

وليلاحظ القاريء أن الامر ليس هو تقديم ذبيحة جديدة أو استعمال السم من جديد اذ من المهم جداً ان يكون هذا واضحاً بيّناً فان موت المسيح لا يمكن تكراره، المسيح بعد ما أقيم من الاموات لا يموت أيضاً لا يسود عليه الموت بعد. لان الموت الذي ماته قد ماته للخطية مرة واحدة والحياة التي يحياها فيحياها لله. وانا نقف — بنعمة الله — في مركز الحظوى والقيمة التي لدم المسيح ولكن لاننا محاطون من جميع الجهات بالتجارب والشراك ولان فينا الميل الى الشر والجنوح اليه ولاننا نعلم ان لنا عدواً قوياً واقفا لنا بالمرصاد ليوقعنا في مكائده وليفصلنا عن طريق الحق والطهارة لذلك كان من الصعب علينا أن نخطو خطوة واحدة لولا طريق النعمة التي قيض الله لنا فيها كل لوازمنا في موت ربنا يسوع المسيح وفي شفاعته. وليس الامر فقط أن دم يسوع المسيح قد غسلنا من كل خطايانا وصالحنا مع الله القدوس بل « لنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار» « هو حي في كل حين ليشفع فينا » وهو « يقدر أن يخلص الى التمام الذين يتقدمون به الى الله » وهو موجود لاجلنا في حضرة الله في كل حين وهو يمثلنا هناك ويضمنا في المركز الالهي الكامل وفي الشركة التي أوصلنا اليها موته الكفاري. ولا يمكن أن تخيب قضيتنا أو تسقط من يد شفيع كهذا اذ هو يستعمل كل وسائل نعمته وحبه حتى لا تهلك أضعف نفس في قديسيه لاننا فيه وهو فينا .

والآن أيها القاريء المسيحي ماذا يجب أن يكون تأثير هذه النعمة العملي على قلوبنا وحياتنا بل ما سلطانها على نفوسنا عند ما نفكر في الموت والحريق — في الدم والرماد — في ذبيحة الكفارة والكاهن الوسيط والشفيع ؟ كيف تعمل في ضمائرنا ؟ هل تقودنا الى الاستهانة بالخطية ؟ هل تجعلنا نسير بدون مبالاة وعدم اكتراث ؟ هل يكون مآل تأثيرها فينا ان نسترسل في الشطط ونظهر في جميع طرقنا بمظهر الاستخفاف والطيش ؟ وا أسفاه على القلب الذي يفتكر ذلك وبحق نقرر أن الشخص الذي ينتحل لنفسه عذراً من التدبيرات الغنية المذخرة في النعمة الالهية ليجعله مبرراً له للسلوك بدون تروٍ وللتصرف برعونة ونزق بمثل هذا لا يعرف الا قليلا — اذا جاز انه يعلم شيئا ما — عن الطبيعة الحقيقية أو النفوذ الخاص الذي للنعمة وتدبيراتها والا فهل يمكننا أن نتصور أن رماد البقرة الحمراء أو ماء النجاسة يكون له من التأثير ما يؤدي بالاسرائيلي الى الاهمال في سيره . كلا بل الامر بالعكس اذ أن مجرد التفكير في التدبيرات التي أعدها الله في أمانته ضد النجاسة يدفعه الى الشعور بشناعة الخطية وخطورة التدنس بها وهذا هو على الاقل التأثير الحقيقي الذي يتأتى عن معدات النعمة الغنية وان كومة الرماد وهي موضوعة في مكان طاهر كانت لسانا ناطقا بشهادتين مزدوجتين — امانة الله وبغضه للخطية . ولقد كان فيها اعلان صريح على ان الله لا يستطيع أن يرى نجاسة على شعبه وكذلك فيها بيان واضح على انه قد أعد جميع الوسائل لازالتها ومن المحال ان نفهم ونتمتع بتعليم الدم المرشوش والرماد وماء النجاسة دون ان تاتي فينا فزعاً مقدسا من الخطية في سائر انواعها الدنسة ونستطيع

ان نثبت ايضاً انه من الصعب أن يتنجس انسان قد جاز في عذاب الضمير المنجس وان الضمير الطاهر لكنز ثمين جداً ليس من الهين تركه أو التخلي عنه كما ان الضمير المنجس عبء ثقيل ليس من السهل حمله ومبارك الله كل نعمة لان فيه تذخرت كل حاجياتنا ووجدنا كل ما يلزمنا في السبيل الكامل الذي رسمه وليس ذلك ليجعلنا ان نتمادى في الاهمال ولكن ليصيرنا ساهرين « يا أولادي اكتب اليكم هذا لكي لا تخطئوا » ثم يقول « وان اخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار وهو كفارة لخطايانا . ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم ايضاً » رسالة يوحنا الاولى ص ٢ عدد ١

وقبل أن ننتقل من هذا الموضوع نعلق بايجاز على الاعداد الختامية فيه « فتكون لهم فريضة دهرية والذي رش ماء النجاسة يغسل ثيابه والذي مس ماء النجاسة يكون نجساً الى المساء وكل ما مسه النجس يتنجس والنفس التي تمس تكون نجسة الى المساء » سفر العدد ١٩ عدد ٢١ و ٢٢ واننا لنرى في عدد ١٨ ان الامر كان يحتاج الى رجل طاهر لينضح على النجس وكذلك نفهم من عدد ٢٣ ان عملية رش انسان آخر كانت تنجس من يقوم بها

وعندما نقارن هذين الامرين نتعلم حسب قول أحدهم « إن أي شخص يعالج خطية آخر ــ ولو كان في طريق واجبه ان يطهرها ــ لابد انه يتنجس. لا كالشخص المذنب عينه . هذا حق . لأنه لا تمكن أن نلمس الخطية دون أن تتدنس » وتعلم ايضاً انه يجب أن نتلذذ شخصياً بعمل المسيح المطهر كي نستطيع أن نرشد الغير الى التمتع بفاعليته. وحري بنا نتذكر أن الذين كانوا ينضحون ماء النجاسة على الآخرين كان لزاماً عليهم أن يستعملوا

ذات الماء لا تفسهم . ليت قلوبنا تتعمق في هذا . ليتنا نظل دائماً في الشعور العميق بالطهارة الكاملة التي يضعنا فيها موت المسيح ونوطدنا عليها عمله الكهنوتي . وعلينا ان لا ننسى ابداً ان الالتصاق بالخطية ينجس . هكذا كان حالها في النظام الموسوي وهو بعينه اليوم

الاصحاح العشرون

« وأتى بنو اسرائيل الجماعة كلها الى برية صين في الشهر الاول وأقام الشعب في قادش وماتت هناك مريم ودفنت هناك » عدد ١

ينطوي هذا الاصحاح الماثل أمامنا على بيان هام وتاريخ شهير لحياة البرية وتجاربها اذ فيه نرى موسى خادم الله يمر خلال بعض المشاهد الشاقة في حياته الحافلة بالحوادث فلقد بدأ الامر بان نشبت يد المنون اظفارها في مريم . تلك التي سمعنا صوتها في المواقف المعروفة في سفر الخروج ص ١٥ شادياً مرنماً ترنيمة الفوز والنصر . تلك المحبوبة بعينها قد سطت عليها عاديات الموت ففارقت الحياة ودفنت رفاتها في برية قادش . وضعت الدف جانباً وخمد صوت أغانيها في سكون الموت ولا تعود فيما بعد لتتولى قيادة الراقصات . قد غنت غناء شجياً في حياتها وأمسكت بكيفية عجيبة مباركة المفتاح الموسيقي لاغنية المجد الطنانة الرنانة التي أنشدتها على ضفة القيامة في البحر الاحمر . قد اشتمل قرارها على الحقيقة المركزية الكبرى للفداء « رنموا للرب فانه قد تعظم . الفرس وراكبه طرحهما في البحر » كان هذا بلا

جدال لحنا رخيما عزيزاً بل افضل ما يقال وأنسب ما ينطق به في ذلك المجال السار

ولكن النبية قد ماتت. تركت المشهد. تبدل صوت الطرب بصوت التذمر والانين واصبحت حياة البرية عبثاً ثقيلا وتجاربها محكا يمتحن الطبيعة البشرية لتظهر ما يدور بقلب الانسان ولا شك أن أربعين سنة تصرف في العمل والسفر كفيلة ان تحدث تغييراً عظيما في الناس وانه لينذر جداً أن نجد حالة واحدة فيها ظلت الحياة الروحية على بهجتها وبهائها أو نمت قليلا جداً خلال كل عصور الحياة المسيحية واثناء جميع مراحل نضالها .على انه ما كان يجب ان يصبح الامر نادراً بهذا الحد بل كان يجدر ان يكون على نقيض هذا بما ان ذلك في الواقع هو بمثابة حقائق نواجهها لاظهار الله ذاك الذي - تبارك اسمه تعالى - يتخذ من التجارب عينها التى نجوز فيها فرصة ليعلن نفسه لنا في اجمل وأرق مظاهر المحبة التي لا يعتريها تغيير . ومن المحال ان تضيع رأفته أو تسقط رحمته أو تنضب تلك الينابيع الموجودة فيه اذ لا يستطيع شيء ما ان يستنفدها لانه هو هو أمساً واليوم والى الابد بالرغم عن رداءتنا وخبثنا . ولانه يظل كما هو مهما بقي الانسان خائناً مارقا متورطا في الغلط والخطأ

هذا هو عزاؤنا وسرورنا ومصدر قوتنا . نحن نسير مع الله الحي . ما ابدع هذا الحق ! ! اذاً مهما كانت الطوارىء والظروف ففيه كفاية كل نازلة وسد « مقتضيات كل ساعة » وتستطيع نعمته المملوءة بالاناة والصبر ان تحتمل عيوبنا المتعددة وسقطاتنا الكثيرة وتقصيراتنا التي لا تحصى بل ان قوته تكمل في ضعفنا . أمانته لا تبطل . رحمته من دور الى دور اذ قد يقضي

الاصدقاء نحبهم أو يقصر ذراعهم و قد تنقطع رُبط الصداقة القوية في هذا العالم الموسوم بالجفاء والجمود و قد تنحل الاواصر التي تتحد الشركاء في العمل فينفصل الواحد عن الآخر . و قد تموت مريم وهرون ولكن الله يبقى كما هو وهنا السر العميق للسعادة الحقيقية الراسخة . واذا كنا قد ملكنا يد الله الحي وقلبه فلا مجال للخوف بل اذا استطعنا أن نقول « الرب راعي» عندئذ نقدر أن نقول « فلا يعوزني شيء »

على انه لا تزال مشاهد الحزن والتجربة موجودة في البرية ولا بد لنا أن نجوز فيها وهذا هو عين ما كان مع شعب اسرائيل في اصحاح تأملاتنا فلقد دعوا للملاقاة عواصف البرية العنيفة فقابلوها بأنات الجزع والتذمر « ولم يكن ماء للجماعة فاجتمعوا على موسى وهرون وخاصم الشعب موسى وكلموه قائلين . ليتنا فنينا فناء اخوتنا أمام الرب . لماذا أتيتما بجماعة الرب الى هذه البرية لكي نموت فيها نحن ومواشينا. ولماذا أصعدتمانا من مصر لتأتيا بنا الى هذا المكان الرديء. ليس هو مكان زرع وتين وكرم ورمان ولا فيه ماء للشرب »عد٢ ـ ٥

لقد كانت تلك اللحظة شاقة جداً لروح موسى ولا يمكننا أن نبدي رأياً عما كان يتأتى من الوقوف أمام ستمائة الف نفس صاخبة متضجرة وسماع تعبيراتهم المرة ورؤيتهم يتهمونه بكل المصائب والبلايا التي رسمها أمامهم عدم ايمانهم . ولا شك أن ذلك لم يكن تجربة عادية لامتحان صبر الانسان ولذلك لا غرابة مطلقا اذا كان ذلك الخادم العزيز المكرم قد وجد الامر فوق طاقته « فأتى موسى وهرون من أمام الجماعة الى باب خيمة الاجتماع وسقطا على

وجهيهما . فتراءى لهما مجد الرب » عدد ٦

ومن المؤثر جداً أن نجد موسى ساقطا على وجهه أمام الله آونة بعد الاخرى على انه رأى نجدة وافية وراحة وافرة في الهروب من شعب غفير هائج والالتجاء الى الله الذي تكفي ينابيعه لدرء ذلك الظرف « سقطا على وجهيهما . فتراءى لهما مجد الرب » . لم يحاولا في تلك الفرصة ان يعدا جوابا للشعب « أتيا من أمام الجماعة » ورميا بنفسيهما على الله الحي ولا يوجد أحسن مما عملاه اذ مَن يقدر غير الله كل نعمة على سد عشرات ألوف حاجيات البرية ؟ ولا شك ان موسى قد أصاب شاكلة الحق وظهر بمظهر الحكمة والدراية اذ قال بادىء ذي بدء « ان لم يسر وجهك فلا تصعدنا من هنا » خروج ص ٣٣ عدد ١٥ . لان وجود الحضرة الالهية كان الجواب الوحيد لحاجة جمع كهذا وفعلا كان فيه كل الكفاية فمخازن الله لا تفرغ وهو لا يُخيّب ابداً القلب المتوكل عليه . لنذكر انه تعالى يسر بأن يعمل ولا يمل مطلقاً من اعطاء شعبه جميع حاجياته ولنتأكد انه اذا بقي هذا الحق دائماً أمام اذهاننا وقلوبنا فعندئذ نسمع قليلا من زفرات القلق وعدم الرضا وكثيراً من نغمات الشكر والحمد . ألا فلنعلم ان حياة البرية تمتحن كل انسان وهي تظهر ما فينا وشكراً لله فانها تبين ايضاً ما في قلبه لنا

« وكلم الرب موسى قائلا . خذ العصا واجمع الجماعة أنت وهرون أخوك وكلما الصخرة أمام اعينهم أن تعطي ماءها فتخرج لهم ماء من الصخرة وتسقي الجماعة ومواشيهم . فأخذ موسى العصا من أمام الرب كما أمره . وجمع موسى وهرون الجمهور أمام الصخرة فقال لهم اسمعوا أيها المردة . أمن

هذه الصخرة تخرج لكم ماء. ورفع موسى يده وضرب الصخرة بعصاه مرتين فخرج ماء غزير فشربت الجماعة ومواشيها » عدد ٧ — ١١

يوجد في الفقرة الآنفة غرضان جديران بالتفات القاريء «الصخرة» و «العصا» وكلاهما يمثلان النفس شخص المسيح في صورتين واضحتين فنقرأ في كورنثوس الاولى ص ١٠ عدد ٤ «كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم والصخرة كانت المسيح » وهذا ظاهر بيّن لا يحتاج الى إعمال الفكر أو اجهاد الذهن « الصخرة كانت المسيح » — المسيح الذي ضرب لاجلنا

أما عن « العصا » فيجب أن نعلم انها ليست عصا موسى — عصا السلطان — عصا القوة لان هذه لا توافق الحالة التي نحن بصددها فقد سبق لها أن أنجزت عملها وضربت الصخرة وانتهى الامر كما تعلم مما جاء في الخروج ص ١٧ حيث نقرأ « فقال الرب لموسى مر قدام الشعب وخذ معك من شيوخ اسرائيل . وعصاك التي ضربت بها النهر (انظر خروج ص ٧ عدد ٢٠) خذها في يدك واذهب ها أنا أقف أمامك هناك على الصخرة في حوريب فتضرب الصخرة فيخرج منها ماء ليشرب الشعب ففعل موسى هكذا أمام عيون شيوخ اسرائيل · وفي هذا رمز للمسيح المضروب لاجلنا في الدينونة بيد الله . وليلاحظ القاريء التعبير « عصاك التي ضربت بها النهر » لماذا تذكر كلمة « النهر » بل لماذا يشار الى ضربة العصا . الجواب وارد في الخروج ص ٧ عدد ٢٠ « رفع (موسى) العصا وضرب الماء الذي في النهر أمام عيني فرعون وأمام عيون عبيده فتحول كل الماء الذي في النهر دماً »

تلك العصا التي حولت الماء جمعاً هي بعينها التي ضربت „ الصخرة التي كانت المسيح „ كي تفيض علينا مجاري الحياة والانتعاش.

على ان هـذه الضربة لا تـكون الا مرة واحدة لا تكرار لها ابداً „ عالمين ان المسيح بعد ما أقيم من الاموات لا يموت ايضا . لا يسود عليه الموت بعد لان الموت الذي ماته قد ماته للخطية مرةواحدة والحياة التي يحياها فيحياها لله „ رومية ٦ عدد ٩و ١٠ „ ولـكنه الآ ن قد أظهر مرةعند انقضاء الدهور ليبطل الخطية بذبيحة نفسه ..... هكذا المسيح ايضاً بعدماقدم مرة لـكي يحمل خطايا كثيرين „ عب ص ٩ عدد ٢٦ و ٢٧ „ فان المسيح ايضاً تألم مرةواحدة من أجل الخطايا البار من أجل الأثمة لـكي يقربنا الى الله » بطرس الاولى ص٣ عدد١٨

ولما كان موت المسيح لا يكرر مرة أخرى لذلك كان موسى مخطئاً كل الخطأ في ضرب الصخرة مرتين بل مخطئاً في ضربها كلية اذ كان الامر له أن يأخذ « العصا » — عصا هرون — عصا الـكهنوت ويكلم الصخرة لقد تم فعلا عمل الـكفارة واجتاز رئيس كهنتنا العظيم السماوات ليظهر هنالك أمام الله لاجلنا ولتفيض علينا ينابيع الفرح . الروحي على أساس الفداء التام وبالنسبة لخدمة المسيح الـكهنوتية التي ترمز اليها عصا هرون المفرخة

لهـذا ارتكب موسى غلطاً فادحاً بضرب الصخرة مرة ثانية — بل اخطأ في استعمال العصا كلية لهذا الامر . وعلى ظننا انه لو ضرب بعصا هارون لأودى بازهارها الجميلة موارد التلف والعطب. غير ان الحال ما كان يقتضي ذلك لان كلمة واحدة كانت كافية بازاء عصا الكهنوت — عصا النعمة ولـكن

موسى عجز عن ان يرى ذلك فقصر في تمجيد الله . قد نبست شفتاه بما لا يليق وبغير ارشاد ولذا كانت النتيجة حرمانه من عبور الاردن . لم تستطع عصاه أن تسلس قيادة الشعب وتسير به الى الامام — اذ ماذا تعمل عصا السلطان والجبروت مع شعب متذمر — كذلك لم يسمح له ان يخطو بنفسه لانه عجز عن ان يقدس يهوه في أعين الجماعة

ولكن يهوه اهتم بمجده فقدس ذاته أمام الشعب ورغماً عن تذمرهم وتمردهم ورغماً عن خطأ موسى وفشله سال لهم الماء مدراراً من الصخرة المضروبة .

وليس ذلك كل الامر اذ لم يقتصر انتصار النعمة وفوزها في امداد شعب اسرائيل المتذمر بما يشربون فقط بل في ما جاء عن موسى نفسه اذ نراها ساطعة كما يتضح من سفر التثنية ص ٢٤ فهي النعمة التي حملت موسى الى رأس الفسجة ومن هناك أرته ارض كنعان وهي النعمة التي دفعت يهوه لان يعد قبراً لعبده ويدفنه فيه . ولا مشاحة ان رؤية ارض كنعان برفقة الله أفضل من دخولها مع شعب اسرائيل ولكن لا ننسى أن موسى قد حرم من أن يطأها بسبب مازلف منه، والله ـ في عدله وقضائه ـ أبقى موسى خارجاً عن كنعان غير ان الله ـ في نعمته ـ أتى به الى الفسجة وهاتان الحقيقتان الواردتان في تاريخ موسى تمثلان تماماً الفرق بين النعمة والقضاء ـ أمر ممتع جداً وهام للغاية فالنعمة تعفو وتبارك ولكن القضاء لا بد أن يأخذ مجراه ولنذكر أن « ما يزرعه الانسان اياه يحصد أيضاً » وهذا المبدأ يتمشى في جميع طرق الله في قضائه ومع ذلك لا يوجد أوقع من « هكذا

تملك النعمة بالبر للحيوة الابدية بيسوع المسيح ربنا » رومية ٥عدد ٢١ . حمداً ومجداً لذالك الذي هو ينبوع هذه النعمة ومجراها

أما ما جاء في اعداد ١٤ — ٢١ في اصحاحنا فهو بيان للاخبار التي دارت بين موسى وملك أدوم وانـا لنتعلم ونستفيد بملاحظة الاسلوب الذي أنتهجه كل منهما ومقارنته بالتاريخ الوارد في سفر التكوين ص ٣٢ و٣٣ فلقد كان عيسو يحمل غلا وضغينة ليعقوب ومع ذلك بتداخل الله المباشر لم يجرأ على ان يمس شعرة من رأس أخيه ولذا نجد من الجهة الاخرى انه تحتم على اسرائيل أن لا يتداخل في ممتلكات عيسو واذ حل يعقوب محله ووقف موقفه، عليه أن لا يوغر صدر أدوم وان لا يستفز غضبه« وأوص الشعب قائلا. أنتم مارون بتخم اخوتكم بني عيسو الساكنين في سعير فيخافون منكم فاحترزوا جداً . لا تهجموا عليهم. لاني لا اعطيكم من أرضهم ولا وطأة قدم لاني لعيسو قد اعطيت جبل سعير ميراثاً . طعاماً تشترون منهم بالفضة لتأكلوا وماء ايضاً تبتاعون منهم بالفضة لتشربوا » سفر التثنية ص ٢ عدد ٤ ــ ٦ وبذا نرى أن الله نفسه الذي لم يسمح لعيسو ان يمس يعقوب في تكوين ص ٣٣ لم يصرح لاسرائيل ان يمس أدوم في سفر العدد ص ٢٠

وان الفقرة الختامية في اصحاح ٢٠ تأخذ بالالباب ولكننا لا نقتبسها هنا وعلى القارىء ان يرجع اليها ويقارنها تمام المقارنة مع الفصل الوارد في الخروج ص٤عدد ١ —١٧ فلقد اعتبر موسى مرافقة هرون له أمرا لا يمكن الاستغناء عنه ولكنه وجد أخيرا انه شجى في حلقه وشوكة في جنبه وهنا نرى موسى يجرده من ثيابه لينضم مع آبائه وفي هذا عظة بالغة سواء أنظرنا

اليها من جهة موسى أو هرون واذ قد أسلفنا التأمل في هذا الجزء التاريخي لذا لا نتأمل فيه الآن راجين أن ينقش الرب على صفحات قلوبنا ما فيه من التعليم الخطير .



الاصحاح الحادي والعشرون

يضع هذا الاصحاح أمامنا بصورة جلية أمرا جميلا معروفاً هو الحية النحاسية ، ذلك الرمز الانجيلي العظيم « وارتحلوا من جبل هور في طريق بحر سوف ليدوروا بأرض أدوم فضاقت نفس الشعب في الطريق وتكلم الشعب على الله وعلى موسى قائلين لماذا أصعدتمانا من مصر لنموت في البرية لانه لا خبز ولا ماء وقد كرهت انفسنا الطعام السخيف » عدد ٤ و٥

وأسفاه ! ما أشبه الليلة بالبارحة . فالحادثة بعينها تتكرر مرة تلو الاخرى — « تذمرات البرية » . كان حسناً لديهم النجاة من مصر عند ما أمطر الله عليها سيولا من نقمته وقضائه الرهيب وفي ذلك الظرف كان تعلقهم يسيرا بقدور اللحم والقثاء والبطيخ والبصل والثوم لاقترانها بكوارث الاوبئة التي صبتها يد الله عند حمو غضبه أما الآن فقد مضى ذلك العهد وانقضى وأصبحت الاوبئة نسياً منسيا وبقيت فقط قدور اللحم عالقة بالاذهان « ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر اذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزاً للشبع » خروج ص١٦ عدد ٣

ما أغرب هذه اللغة ! يفضل الانسان البقاء بجانب قدور اللحم في

أرض الموت والظلام على السير مع الله في البرية وأكل خبز نازل من السماء . فلقد تجلى مجد الله على رمال الصحراء لان مفدييه كانوا هناك ولقد تنازل لاحتمال كل أفعالهم المهيجة المثيرة « وليحمل عوائدهم في البرية » وكان من شأن هذه النعمة الواسعة وهذا التنازل الفائق ان يولد فيهم روح الشكر والخضوع التام ولكن شيئاً من ذلك لم يكن لانه ما برز أول مظهر من مظاهر التجربة حتى رفعوا عقائرهم بالصراخ والعويل « ليتنا متنا في أرض مصر »

ومع كل فلقد ذاقوا سريعا الاثمار المرة التي نتجت عن روحهم الصاخبة « فأرسل الرب على الشعب الحيات المحرقة فلدغت الشعب فمات قوم كثيرون من اسرائيل » (عدد٢١: ٦) وكانت الحية أصل تذمرهم ومنشأ عدم رضاهم. ولما ان لدغتهم الحيات كانت حالتهم خير ما يتبين لهم فيه حقيقة تململهم وتضجرهم وهكذا اذا لم يسر شعب الله بانشراح ورضاء معه فلا مندوحة عن ان يذوقوا قوة الشيطان . ويا للاسف فانها قوة مخيفة مزعجة في أي حال من الاحوال.

ثم ان لدغة الحيات أشعرت الاسرائيليين بخطيتهم « فأتى الشعب الى موسى وقالوا قد أخطأنا اذ تكلمنا على الرب وعليك فصلِّ الى الرب ليرفع عنا الحيات » عدد ٧

وهنا أفسح المجال للنعمة الالهية لتمثل دورها على المسرح.وان حاجة الانسان دائماً أبداً هي الباعث لاظهار نعمة الله ورحمته وأن اللحظة التي استطاع فيها الاسرائيليون ان يقولوا « قد أخطأنا » في هذا الوقت عينه لم

يكن ثمت وقت للابطاء لان الله كان في مقدوره ان يعمل وفي هـذا كل الـكفاية.ولا ننسى انه عند ما تذمر الاسرائيليون كانت لدغة الحيات هي الجواب الذي قوبلوا به ولـكن لما اعترفوا كانت نعمة الله هي الرد الذي أعطي لهم.ولقد كانت الحية في الحالة الاولى أداة بؤس وشقاء ثم بدت في الحالة الاخرى واسطة لارجاعهم وتمتعهم بالخير والبركة « فقال الرب لموسى اصنع لك حية محرقة وضعها على راية فكل من لدغ ونظر اليها يحيا » عدد ٨ وهكذا علقت صورة الحية التي جلبت الضرر لتكون المجرى الذى تسيل فيه النعمة الالهية مدراراً للخطاة المساكين المجروحين وهذا رمز بديع جميل للمسيح على الصليب

ومن الخطأ الشائع أن ننظر الى الرب يسوع كالمانع لغضب الله لا كمجرى محبته.أما أنه احتمل غضب الله ضد الخطية فهـذا حق ثمين ولـكن هناك ما هو أكثر من ذلك فانه قد أتى إلى هـذه الارض البائسة ليموت على خشبة اللعنة حتى يستطيع بموته أن يفتح ينابيع محبة الله الدائمة لقلب الانسان العاصي المعدم وهـذا يجعل فرقاً شاسعاً في تمثيل طبيعة الله وصفاته للخاطىء.ولنعلم انه لا يوجد شيء يمكن أن يأتي بالخاطئ الى حالة السعادة والقداسة الحقيقيتين الا تثبته في الايمان والتمتع بمحبة الله.إن أول مسعى بذلته الحية عند ما هاجمت الخليقة في جنة عدن هو انها زعزعت ثقة الإنسان في شفقة الله ومحبته وبهذا انشأت فيه عدم الرضا بالحالة التي وضعه فيها الله وكانت النتيجة السقوط ـ تلك النتيجة العاجلة التي أفضى اليها تشككه في محبة الله وعلى هذا فقيام الانسان ورجوعه يأتيان من ايمانه

بتلك المحبة وهذا ما يقوله ابن الله نفسه « هكذا احب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية » يوحنا ٣ : ١٦

وبالاشارة الى الحقيقة الانفة الذكر قد أعلن الرب صريحاً انه كان المرموز اليه بالحية النحاسية وكابن الله المرسل من السماء قد كان حقا عطية محبة الله واعلانها لعالم هالك وليس ذلك فقط بل ليعلق على الصليب كفارة عن الخطية اذ بهذا وحده تستطيع المحبة الالهية ان تسد حاجات الخاطىء المائت « كما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يرفع ابن الانسان لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحيوة الابدية » ولقد ذاق الجنس البشري قاطبة لدغة الحية المميتة ولكن اله كل نعمة قد وجد علاجا شافياً ودواء ناجعاً في ذاك الذي رفع على خشبة اللعنة وبواسطة الروح القدس النازل من السماء يدعو الآن كل من يشعر بانه قد لدغ ليأتي و ينظر الى المسيح وينال الحياة والسلام . والمسيح هو عطية الله العظمى وفيه قد أعلن للخاطيء خلاصاً كاملا مجانياً حاضراً وأبدياً ـ خلاصاً تاماً ثابتاًموافقاً للصفات الالهية ومناسباً لمطاليب عرش الله حتى ان الشيطان لا يقوى مطلقاً على اقامة سؤال او علة بشأنه . والقيامة هي التزكية الالهية لعمل الصليب الأمر المؤيد لمجد ذاك الذي مات عليه ولذلك يستطيع المؤمن أن يتمتع بالراحة العميقة والطمأنينة الحقيقية بالاشارة الى الخطية اذ قد سر الله بالمسيح وحيث انه ينظر الى المؤمنين فيه فهو يسر بهم ايضاً .

وليكن معلوماً ان الايمان هو الواسطة التي بها يتمسك المؤمن بخلاص

المسيح فلقد كان على الاسرائيلي أن ينظر فقط وعندئذ يحيا - لا أن يشخص الى نفسه أو يتطلع الى جراحه - أو يبصر حواليه بل أن يولي نظرة مباشرة الى العلاج الالهي واذا رفض ذلك أو أهمله فلا يحصد شيئاً غير الموت. دُعي ليصوب ناظريه الى علاج الله الذي كان موضوعاً بمرأى من الجميع وما كانت هنالك أدنى فائدة للنظر الى أي مكان آخر لان الكلمة التي أعطيت لهم هي « كل من لدغ ونظر اليها يحيا » وقد وضع الاسرائيلي تجاه الحية النحاسية لانها كانت علاج الله الشافي له فالنظر هنا أو هنالك عديم الجدوى بينما النظر الى تدبير الله وعلاجه يؤدي الى الحياة

وهذا هو الحال الان فالخاطيء مدعو فقط لان ينظر الى المسيح - لا الى الفرائض - أو الكنائس أو الناس أو الملائكة ولما كان لا عون لدى هؤلاء لذلك لم يُطلب منه ان ينظر اليهم بل الى المسيح الذي في موته وقيامته الاساس الابدي لسلام المؤمن ورجائه فالله يؤكد له « انه لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحيوة الابدية » وهذا يجب ان يشبع القلب والضمير وكما ان الله قد سر به هكذا يجب علينا نحن ولنثق أن الشك معناه نكران كلمة الله بل لو قال اسرائيلي « كيف أعرف أن النظر الى الحية النحاسية يشفيني » أو لو استرسل في التأمل في عظمة طبيعة دائه واليأس من شفائه واستمر يحاج ويباحث في عدم فائدة النظر الى التدبير الالهي والعلاج الرباني وقصارى القول لو منعه أمر ما مهما كان عن النظر الى الحية النحاسية فعندئذ يكون هذا رفضاً باتاً لله وتكون النتيجة التي لا مناص منها الموت المحتم.

وعلى هذا المنوال ، الحال مع الخاطيء فان خطاياه تتلاشى وتزول في اللحظة التي فيها يتمكن من القاء نظرة ايمان الى المسيح اذ أن دم المسيح شبيه بمجرى عظيم مطهر يفيض على الضمير فينزع كل لطخة ويتركه بلا عيب أو لوم أو دنس أو ما شاكل ذلك وكل هذا في نور قداسة الله حيث لا يباح لاية وصمة من الخطية ان تستقر هناك .

وقبل أن نختم تأملاتنا على الحية النحاسية يحسن بنا أن نلاحظ ما نطلق عليه المسئولية الفردية المجردة التي امتازت بها نظرة الاسرائيلي الملدوغ الى الحية فلقد كان الامر شخصيا وكان على كل انسان ان ينظر بنفسه ومحال أن ينظر فرد لاجل شخص آخر بل لا خلاص عن طريق النيابة والتوكيل . كانت الحياة في نظرة ولكن هذه النظرة كان من اللازم ان تتم وكذلك كان الامر في حاجة الى اتصال شخصي مباشر بعلاج الله

هذا ما تم حينئذاك وهذا هو عين الواقع الآن اذ يلزم ان نجوز في الامر بانفسنا مع المسيح ولنعلم ألا قدرة للكنيسة أو أي طائفة من الكهنوت أو القساوسة أن تخلصنا بل يجب أن يكون هناك ارتباط شخصي مع المخلص والا فلا حياة « فكان متى لدغت حية انسانا ونظر الى حية النحاس يحيا » . هكذا كان تدبير الله عندئذ وهو بعينه تدبيره الآن لانه « كما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي ان يرفع ابن الانسان» فلنتذكر هاتين الكلمتين الصغيرتين « كما » و « هكذا » لانهما ينطبقان على سائر تفاصيل الرمز والمرموز اليه ولا يغيبن عن اذهاننا أن الايمان والتوبة والخلاص كلها أمور شخصية . ومع أن المسيحية فيها اتحاد وشركة ولكن

يجب أن نعمل لا نفسنا مع المسيح ونسير لذواتنا مع الله ومحال أن نحيا أو نعيش بإيمان الآخرين واننا نكرر القول بصيغة تأكيدية انه توجد علاقة فردية متينة في كل دور في حياة المسيحي وسيره العملي

ولا نطيل التأمل بعد ذلك في الرمز المعروف « الحية النحاسية » بل نطلب من الله أن يعطي القاريء قوة ليتمعن فيه بنفسه ويطبق تطبيقاً شخصيا هذه الحقيقة الثمينة المبسوطة في احد الرموز البديعة الواردة في العهد القديم عسى أن يقوده ذلك لان ينظر بإيمان أعمق وبروح خاضعة الى الصليب ومن ثم يشرب في قرارة نفسه من منهل السر الثمين الماثل هناك بل ليت القاريء لا يكتفي بحصوله فقط على الحياة بنظرة الى الصليب بل يتغلغل أكثر فأكثر في معناه العميق العجيب وبذا يرتبط تمام الارتباط بذاك الذي لما رأى انه لا توجد وسيلة أخرى لنجاتنا وضع نفسه طوعاً واختياراً ليسحق على خشبة اللعنة لأجلنا ولأجل خلاصنا

والآن نختم تأملاتنا في الاصحاح الحادي والعشرين باستلفات نظر القاريء الى الاعداد ١٦ــ ١٨ « ومن هناك الى بئر وهي البئر حيث قال الرب لموسى اجمع الشعب فأعطيهم ماء . حينئذ ترنم اسرائيل بهذا النشيد . اصعدي أيتها البئر أجيبوا لها . بئر حفرها رؤساء حفرها شرفاء الشعب بصولجان بعصيهم »

وهذه فقرة مشهورة جاءت ملائمة لزمانها ومكانها فلقد سكنت التذمرات وأصبح الشعب على ابواب ارض الموعد . ذهبت لدغة الحيات ذهاب أمس والله بنعمته مد الشعب بحاجاتهم بدون عصا وبغير ضرب

وفي استطاعة الله ان يفتح لهم بئراً ويضع في أفواههم ترنيمة مهما أحاط بهم الاموريون والموابيون والعمونيون ومهما اعترضهم سيحون بقوته وبأسه ووقف في وجههم اثناء مسيرهم . ما أعظم الهنا ! ! ما أجمل ان نتتبع أعماله وطرقه مع شعبه في جميع مشاهد البرية ! ! ليتنا نتعلم ان نثق به بدون أدنى ريب وان نسير معه بسرور وخضوع مقدس من يوم الى آخر اذ ان هذا هو الطريق الحقيقي للسلام والغبطة

الاصحاحات ٢٢ - ٢٤

تشتمل هذه الاصحاحات الثلاثة على قسم خاص قائم بذاته من أقسام هذا السفر ويا له من جزء عجيب مملوء بالتعاليم الثمينة المتنوعة وفيه يضع أمامنا الوحي أولا صورة النبي الطماع وثانياً نبواته العظيمة السامية . ونقطة الضعف المخيفة والمحسوسة في قضية بلعام هي محبته الشنيعة للمال وهذا النوع من الناس لسوء الحظ مشاهد وملموس في وقتنا الحاضر وقد كانت فضة بالاق وذهبه بمثابة طعم وفخ لهذا الانسان الشقي ولا نزاع في أن هذا الطعم جذاب ينقاد اليه الانسان بسهولة طائعاً مختاراً بدون حاجة لمقاومة، والشيطان اهتدى الى رجله وعرف مقدار الثمن الذي يستطيع أن يشتري به صاحبه . ولو كان قلب بلعام مستقيما مع الله لصرف رسل بالاق بمجرد أن سمع رسالتهم . والرد بسيط لا يحتاج لحظة واحدة للتفكير ولا يدعو للاخذ والرد ولكن بلعام كان قلبه معوجاً وبه مرض ولهذا نراه في اصحاح ٢٢ والعوامل

المختلفة تتنازعه فتارة يميل قلبه للذهاب جرياً وراء فضة بالاق وذهبه ولكنه يعود ويراجع نفسه لان أمر الله صريح يقضي عليه بعدم الذهاب ويأمره بان لا يلعن هذا الشعب لانه مبارك ، وكان بلعام يود أن يحافظ على صورة التقوى وهي كستار يخفي تحته مطامعه الكثيرة التي جعلته يتوق الى المال ويرغب من كل قلبه في الحصول عليه ولكن بطريقة تتفق مع مظهره الديني. ويالها من تعاسة تامة تمثلت في شخص بلعام الذي اصبح اسمه يضرب به المثل في صفحات الكتاب .وصار شخصه رمزاً ومظهراً لمبلغ انحطاط الانسان وفساد قلبه ويقول الوحي في رسالة يهوذا « ويل لهم لانهم سلكوا طريق قايين وانصبوا الى ضلالة بلعام لاجل أجرة وهلكوا في مشاجرة قورح »والرسول بطرس يصور لنا بلعام حسب حقيقته التي تجلت في تصرفاته واخلاقه الرديئة المنحطة الدالة على اسوأ صورة ممثلة لمبلغ السقوط البشري حين يتكلم الرسول عن أولئك الذين « لهم عيون مملوءة فسقا لا تكف عن الخطية خادعون النفوس غير الثابتة لهم قلب متدرب في الطمع أولاد اللعنة قد تركوا الطريق المستقيم فضلوا تابعين طريق بلعام بن بصور الذي أحب أجرة الاثم ولكنه حصل على توبيخ تعديه اذ منع حماقة النبي حمار أعجم ناطقا بصوت انسان »

٢ بط ٢ : ١٤ ـ ١٦

هذه الآيات الصريحة تدل دلالة قاطعة على حقيقة اخلاق بلعام وروحه، فقلبه منصب في المال « أحب أجرة الاثم » ودوّن الروح القدس تاريخ بلعام ليكون عبرة لكل مسيحي وأعظم منبه له على الاحتراس من الطمع الذي هو عبادة الاوثان . ولسنا في حاجة لان نتوسع في سرد تفصيلات

ووقائع هذه القضية المحزنة وغاية ما يمكننا هو أن نستلفت نظر القاريء العزيز الى الصورة المرسومة في اصحاح ٢٢ التي تتمثل فيها شخصية الملك الداهية الماكر وشخصية النبي الطماع العنيد ايضاً. واذا تأمل القاريء في هذه الصورة جيداً تبين له جليا شر الطمع والخطر الادبي العظيم الناتج عن اتجاه عواطف القلب وأمياله نحو غنى هذا العالم غير اليقيني وثبت لديه ايضاً هذا الحق الثمين وهو انه لا توجد بركة أعظم من وضع خوف الله أمام عيوننا دائما .

ولنتقدم الآن لنتأمل في النبوات العجيبة التي نطق بها بلعام في حضرة بالاق ملك موآب . ولا يوجد ألذ من هذا المنظر العجيب الماثل أمام عيني الواقف في مرتفعات بعل، ولا أحلى من ملاحظة موضوع هذه النبوات وبيت القصيد في كل هذه المجهودات ومن سماع المتكلمين عن قرب والوجود من وراء الستار في مثل هذه الفرصة المهمة الفريدة لمشاهدة هذه المناظر العجيبة .

ولم يعلم اسرائيل شيئاً عما كان يدور في ذلك الوقت بين يهوه العظيم والعدو اللعين من الامور التي لم تكن تخطر لاسرائيل على بال وربما كان الشعب يتذمر في خيامه في نفس اللحظة التي كان يعلن فيها الله جمال وكمال اسرائيل على فم النبي الطماع . وقد تمنى بالاق واشتهى ان يلعن بلعام اسرائيل ولكن تبارك اسم الله لانه لا يسمح لاي انسان ان يلعن شعبه . وأحيانا يتداخل الله مع شعبه بنفسه في السر ويحكم على أمور كثيرة فيهم ولكنه لا يسمح قط لآخر ان يفتح فاه ضدهم . وقد يرى الله من الضروري ان

يظهر لشعبه حقيقة حالته ولكنه لا يأذن لغريب مهما كان ان يظهر شيئا من ذلك . وهذه نقطة مهمة جداً وفي غاية الخطورة وذلك لان ما يفتكره العدو من نحو شعب الله أو ما يعتقده افراد هذا الشعب في انفسهم أو ما يفتكره أحد أفراد هذا الشعب في الآخر كل هذا لا يقدم ولا يؤخر اذ المهم والشيء الوحيد الذي يجب ان يهتم له كل قلب هو ماذا يفتكر الله في شعبه فهو وحده العليم بكل أمورهم المطلع على أفكارهم ونياتهم العارف ما في خبايا قلوبهم وهو ليس في حاجة لان يقول له أحد عن الانسان لانه يعلم ما في الانسان وما هو عليه وعينا الرب تخترقان أستار الظلام ولهذا فجميع اسرار القلب والطبيعة والحياة بجملتها جميعها مكشوفة ومعلومة لديه . ولا تستطيع الملائكة ولا البشر ولا الابالسة أن تعرفنا كما يعرفنا الله. فالله يعرفنا جيد المعرفة ومعه وحده أمرنا ونستطيع أن نقول مع الرسول المغبوط هتاف النصرة « ان كان الله معنا فمن علينا » رو ٨ : ٣١ فالله يرانا ويفتكر فينا ويتكلم عنا بالخير ويعمل لاجلنا « لاننا عمله مخلوقين في المسيح يسوع لاعمال صالحة قد سبق فاعدها لكي نسلك فيها » وذلك كله طبقا لكمال عمله فينا ولاجلنا فالناس ربما تجد فينا غلطات كثيرة ولكن من جهة مقامنا لا يرانا الله الا في جمال وكمال المسيح فنحن كاملون فيه وعند ما يتطلع الله ليرى شعبه لا يبصر فيه الا عمل يديه الكامل وحاشا أن يتطرق الى عمله المبارك أي نقص أو عيب أو خطأ يؤثر على مجد اسمه القدوس وخلاصه العظيم فصفاته تعالى واسمه ومجده وكمال عمله كل هذا متصل تماما بمقام أولئك الذين اتحدهم بذاته العلية

لهذا كله بمجرد أن يتقدم العدو أو الواشي ليتهم شعب الله نجد الله جل جلاله يتنازل ليواجه بنفسه المشتكي ويرد على كل التهم ولا يبني الله رده على حقيقة شعبه في ذاته وانما يعلى دائماً نظره متجها نحو عمله الكامل الذي صير أفراد شعبه كاملين. فمجد الله مرتبط بهم وفي الدفاع عنهم انما دفاع عن مجده تعالى ولهذا نراه يتداخل بينهم وبين كل واش. ولا نزاع في أن مجد الله يتطلب ظهور شعبه في مظهر الجمال والكمال المستمدين من جمال وكمال المسيح واذا جاء العدو ليلعن ويشتكي فجواب الله على ذلك انما هو تيار فيضان الرضى الابدي عن شعبه الذي اختاره بنفسه والذي جعله اهلا لان يبقى في حضرته المقدسة الى أبد الابدين

وهذا ما نراه واضحاً جلياً في الاصحاح الثالث من نبوة زكريا فهناك أيضا نرى العدو مجتهداً في مقاومة الكاهن العظيم النائب عن شعب الله وماذا كان جواب الله ؟ أمر الواقفين قدامه أن ينزعوا عنه الثياب القذرة ويلبسوه ثيابا مزخرفة ويضعوا على رأسه عمامة طاهرة بمثابة تاج للكاهن الذي اشتهى الشيطان ان يلعنه ويتهمه ولكنه عاد بالخيبة والخجل واسكته الرب تماما اذ لم يجد ما يتكلم به لان الثياب القذرة قد نزعت والشخص الذي كان بمثابة وصمة اصبح تاجا للكهنة بل الشخص الذي لم يكن يصلح الا وقيداً للجحيم اصبح اهلا لان يجول في مقادس الرب

وعلى هذا المنوال تماما نجد في سفر نشيد الانشاد العريس وهو يتأمل في العروس فيشاهدها قائلا «كلك جميل ياحبيبتي ليس فيك عيبة» اصحاح ٤ : ٧ مع ان العروس عندما تتكلم عن نفسها لا تجد ما تقول سوى « انا

سوداء» اصحاح ١ : ٥ و ٦ وهكذا الحال في انجيل يوحنا ١٣ حيث يتطلع الرب الى تلاميذه ويشهد عنهم قائلا « الذي قد اغتسل هو طاهر كله » مع أن أحدهم بعد ساعات قليلة مضت على هذا النطق الكريم انكره وابتدأ يلعن ويحلف انه لا يعرفه فالفرق عظيم بين ما نحن عليه في المسيح والبون شاسع بين مقامنا المضمون وحالتنا المتغيرة

وهل ياترى هذا الحق المجيد المتعلق بمقامنا السامي العجيب يجعلنا نهمل أو نغض الطرف عن حالتنا من الوجهة العملية ؟ حاشا لله من فكر شرير كهذا والامر بالعكس وذلك لان الروح القدس يستخدم معرفتنا بمقامنا الرفيع الثابت في المسيح وسيلة يرفع بها مستوى حياتنا العملية ولنسمع ما يقوله الرسول المغبوط بهذه المناسبة في رسالته الى كولوسي ٣ : ١ — ٥ « فان كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله اهتموا بما فوق لا بما على الارض لانكم قد متم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله.متى أظهر المسيح حياتنا فحينئذ تظهرون انتم أيضا معه في المجد.فأميتوا أعضاءكم الخ » . ولا يجوز لنا بأي حال من الاحوال أن نقيس مقامنا على حالتنا بل بالعكس دائماً ابداً نحكم على حالتنا طبقاً لمقامنا واذا كنا نخفض من مقامنا تبعا لحالتنا فكأننا بذلك قد وضعنا العقبات في سبيل كل تقدم مسيحي عملي . وهذا الحق واضح جلي في أمثال بلعام الاربعة واسمحوا لنا أن نقول جريا مع العرف أن بالاق لو لم يفكر في الاستعانة ببلعام ليلعن شعب الله لما كانت تعرض لنا هذه الفرص التي فيها رأينا منظر اسرائيل المجيد حسب « رؤيا القدير » — « من رأس الصخور » لرجل « مفتوح

السنين » وتبارك اسم يهوه العظيم لانه استطاع أن يفتح على جناح السرعة عيني الانسان لترياه حقيقة المقام الذي وصل اليه شعبه وتقف على فكر الله من جهته وهو وحده صاحب الحق والامتياز في اعلان أفكاره الصالحة من جهة شعبه الممتاز . فقد يجتمع بالاق وبلعام ورؤساء موآب والكل يتجمهرون ليسمعوا لعنات شعب اسرائيل التي أتى بلعام خصيصا لينطق بها . وقد يبني هؤلاء الاشخاص سبعة مذابح ويصعدون ثوراً وكبشاً على كل مذبح. وقد تؤثر فضة بالاق وذهبه وتعمي بصيرة النبي الكذاب والطماع ، قد يتم هذا كله بل قد تجتمع قوات الارض والجحيم والبشر والشياطين وتتألب هذه القوات بشدتها وأحوالها وظلماتها ولكنها لا تستطيع أن تحرك الفم قيد شعرة بلعنة أو تهمة ضد شعب الله . وكما ان العدو لم يستطع ان يجد عيباً أو نقصا في عمل الخليقة التي شهد الله عنها قائلا «فاذا كل ما عمله حسن جداً » كذلك لا يستطيع ان يجد علة في مفديي الرب الذين يضيئون بهاء وحسنا البسهم اياها الرب . ولكي يتيسر لنا أن نرى شعبه في هذه الحالة البهية ما علينا الا « أن نصعد الى رأس الصخور » وتكون لنا « العين المفتوحة» التي تتطلع الى شعبه من وجهته تعالى فنراه في « رؤيا القدير »

ولنتقدم الآن بعد سردنا ملخص هذه الاصحاحات المهمة لنلقي نظرة خاصة على كل مثل من هذه الامثلة الاربعة وسنجد في كل منها مميزاً خاصاً ووجهة نظر تختلف في كل مثل تبعا لصفات وسجايا ومزايا شعبه كما يراها القدير .

في المثل الاول من أمثال بلعام المدهشة نرى انفصال شعب الله

الظاهر الملموس عن باقي الشعوب واضحاً باجلى بيان « كيف ألعن من لم يلعنه الله وكيف أشتم من لم يشتمه الرب . إني من رأس الصخور أراه ومن الآكام ابصره . هوذا شعب يسكن وحده وبين الشعوب لا يحسب . من احصى تراب يعقوب ورُبعَ اسرائيل بعدد : لتمت نفسي موت الابرار ولتكن آخرتي كآخرتهم » عدد ٢٣: ٨ـ١٠ (١)

وفي هذا نرى اسرائيل ماثلا أمامنا وحده مفروزاً ليكون شعباً خاصاً منفصلا عن باقي الشعوب . شعباً لا يجوز له — تبعاً لفكر الله من جهته — باي حال من الاحوال أو في إي وقت من الاوقات او لاي سبب من الاسباب أن يمتزج ويختلط ببقية الشعوب او يحسب بينها « شعب يسكن وحده » وهذا ظاهر وأكيد ينطبق على نسل ابراهيم كما ينطبق على جميع المؤمنين الآن بل من هذا الحق العظيم تفيض نتائج عملية مهمة خطيرة فيجب اذاً أن ينفصل شعب الله عن باقي الناس ويتصل به وحده تعالى لا لان الشعب أفضل من غيره ولكن لان الله تعالى هو الذي أفرزه ويود ان يرى شعبه دائما ابداً مفروزاً له وحده.والمقام لا يسمح لنا بالتوسع في هذه النقطة ولكن يحسن بالقارىء العزيز ان يشبع هذا الموضوع بحثا في نور كلمة الله « هوذا شعب يسكن وحده وبين الشعوب لا يحسب » اصحاح ٢٣ عدد ٨ و ٩

---

(١) تاقت نفسي بلعام لان يموت موت الابرار ويشتاق كثيرون مثله ويحنون الى ذلك ولكن فاتهم أن الطريق الوحيد الذي يوصلهم الى أن يموتوا موت الابرار هو الحصول على حياة الابرار وظهور ثمار هذه الحياة فيهم ويا للأسف ما أكثر الذين

واذا كان الله قد سر في نعمته المطلقة المجانية ان ينتسب لشعب وان يدعو هذا الشعب ليكون خاصته في العالم و «يسكن وحده» ويضيء لاجل مجده في وسط «الجالسين في الظلمة وظلال الموت» فلا بد وان يجعله في حالة تليق بشخصه المبارك وتتفق مع أفكاره الصالحة من جهته وتؤول لمدح مجد اسمه العظيم الجليل ولهذا نجد النبي في المثل الثاني منقاداً بالرغم عنه لاعلان حالة هذا الشعب الخاص من الوجهة الايجابية علاوة على الوجهة السلبية التى أوضحها في المثل الاول «نطق بمثله وقال قم يابالاق واسمع. اصغ الي يا ابن صفور. ليس الله انساناً فيكذب ولا ابن انسان فيندم. هل يقول ولا يفعل. أو يتكلم ولا يفي. اني قد أمرت ان ابارك فانه قد بارك فلا ارده. لم يبصر اثماً في يعقوب ولا رأى تعباً في اسرائيل. الرب الهه معه وهتاف ملك فيه. الله اخرجه من مصر له مثل سرعة الرئم. انه ليس عيافة على يعقوب ولا عرافة على اسرائيل. في الوقت يقال عن يعقوب وعن اسرائيل ما فعل الله. هوذا شعب يقوم كلبوة ويرتفع كأسد لا ينام حتى يأكل فريسة ويشرب دم قتلى» اصحاح٢٣ عدد ١٨ — ٢٤

وهنا نجد أنفسنا بلا مراء على رابية مرتفعة كما انها صخرية وهي بحق «رأس الصخور» حيث الهواء البليل وسلسلة «الآكام» وهناك

يرغبون في موت الابرار ولكنهم يرفضون ان يحيوا حياتهم وما أشقى وأتعس بلعام وجميع الذين ينصّبون الى ضلالته ويسعون وراء الذهب والفضة وفي الوقت نفسه يريدون أن ينضموا الى صفوف اسرائيل الله ـ حقاً في هذا الغرور الباطل وكل الغرور لأنه واضح جداً اننا لا نقدر أن نخدم الله والمال

لا يرى شعب الله الا في « رؤيا القدير » — يشاهد بالمنظار الذي يشاهده به جل جلاله ويراه فيه بلا عيب ولا لوم أو ما شا كل ذلك ـ مخفية عيوبه عن الابصار وبهاء الله يتجلى عليه فيكسبه لآلىء وائتلافا

وفي هذا المثل السامي نرى ان بركة اسرائيل ونجاته لا يرتكزان عليه بل على أمانة يهوه وصدقه. « ليس الله انسانا فيكذب أو ابن انسان فيندم » وهذا يضع اسرائيل على اساس وطيد ثابت لان الله يكون صادقا دائما ابداً تلقاء ذاته وهل هناك قوة تستطيع ان تحول بينه وبين اتمام كلمته وميثاقه ؟ محال ذلك ،، قد بارك فلا أرده ،، فالله لا يسترد البركة والشيطان لا يمكنه مطلقا أن يسترجعها

وبهذا نلاحظ ان كل الحوادث تسير في دائرة معينة مقررة ،، لانه وضع لي عهداً أبدياً متقناً في كل شيء ومحفوظاً » ٢ صموئيل ص ٢٣ عدد ٥ وقد جاء في المثل الآنف الذكر ان « الله لم يلعن » وورد هنا ان « الله قد بارك » فمن هذا يتضح ان هناك تقدما مطرداً محسوساً ملموساً اذ كلما قاوم بالاق بلعام — ذلك النبي المحب للمال — من مكان الى آخر نجد يهوه ينتهز الفرصة ويتحين الوقت ليظهر جمالا رائعاً جديداً في شعبه وليبين طرقاً أخرى تدل على سلامة مركزه وثبات حالته فنعلم انه ليس فقط شعباً منفصلا يسكن وحده بل هو أيضاً شعب مبرر « الله معه وهتاف ملك فيه » « لم يبصر إثماً في يعقوب ولا تعباً في اسرائيل » غير ان العدو قد يقول « يوجد إثم وتعب هناك في كل الجماعة » ولكن من ذا الذي يحمل يهوه على ان يشاهد تلك الآثام بينما هو بنفسه قد سر ان يمحوها كغيمة ملبدة من أجل اسمه

واذا كان قد طرحها خلفه فمن ذا الذي يمكنه ان يحضرها أمام وجهه ؟ « الله هو الذي يبرر . من الذي يدين ؟ » فالله يرى ان شعبه قد أصبح خالصاً من كل شائبة حتى انه يستطيع ان يسكن وسطه ويسمعه صوته

اذاً نستطيع ان نهتف بأن المرجع هو الى « ما فعل الله » لا « ما فعل اسرائيل » ولو وضع عمل اسرائيل على بساط البحث لوجد بلعام وبالاق مجالا متسعاً أمامهما ليكيلا له من اللعنة كيلا مطففاً ولكن ـ مجداً للرب لان شعبه يرتكز على ما فعله هو تعالى ولان له أساساً وطيداً كعرش الله « ان كان الله معنا فمن علينا » واذا كان قد أخذ على عاتقه عوضاً عنا بان يتولى الرد على كل من يرفع تهمة علينا فمن المحقق والحالة هذه ان السلام الكامل هو نصيبنا في الحياة

ومع كل هذا فما زال ملك موآب يلتهب قلبه أملا في الوصول الى بغيته وما برح يتسعى سعياً متواصلا للحصول على غايته ولا شك ان هذا كان يدور بخلد بلعام لانهما تعاونا وتحالفا معاً ضد اسرائيل شعب الله الامر الذي يذكرنا جلياً بالوحش والنبي الكذاب للذين سيقومان فيما بعد ويمثلان دوراً خطيراً في مستقبل اسرائيل كما هو واضح في صفحات الوحي

« فلما رأى بلعام انه يحسن في عيني الرب ان يبارك اسرائيل لم ينطلق كالمرة الاولى والثانية ليوافي فألا (يا له من تصريح هائل !) بل جعل نحو البرية وجهه . ورفع بلعام عينيه ورأى اسرائيل حالا حسب أسباطه فكان عليه روح الله . فنطق بمثله وقال وحي بلعام بن بعور وحي الرجل المفتوح العينين . وحي الذي يسمع أقوال الله . الذي يرى رؤيا القدير مطروحاً وهو

مكشوف العينين. ماأحسن خيامك يا يعقوب . مساكنك يااسرائيل كاودية ممتدة . كجنات على نهر . كشجرات عود غرسها الرب . كأرزات على مياه يجري ماء من دلائه . ويكون زرعه على مياه غزيرة ويتسامى ملكه على اجاج وترتفع مملكته . الله أخرجه من مصر . له مثل سرعة الرئم . يأكل أمماً مضايقيه (اعلان مخيف لبالاق) ويقضم عظامهم ويحطم سهامه . جثم كأسد . ربض كلبوه . من يقيمه . مباركك مبارك ولاعنك ملعون »

ص ٢٤ عدد ١ — ٩.

ان المبدأ المجسم هنا هو « يوجد بعدماهو أفضل وأعلى »ونستطيع ان نهتف « المجد لله في الاعالي » عندما نتسلق رأس الصخور ونسمع تلك الاقوال الجميلة التي نطق بها النبي الكذاب رغم ارادته فلقد كانت الحالة تتدرج من حسن الى أحسن بازاء اسرائيل بينما كانت تسير من رديء الى أردأ بالنسبة لبالاق الذي وقف لا ليسمع اسرائيل « يبارك » فقط بل ايضاً ليسمع نفسه « تُلعن » نتيجة سعيه في لعنة اسرائيل

ولنلاحظ هنا بنوع خاص النعمة الغنية التي تسطع خلال هذا المثل الثالث « ما أحسن خيامك يا يعقوب . مساكنك يا اسرائيل ! » ولا ريب انه اذا نزل انسان ليمتحن تلك الخيام والمساكن في «رؤيا»البشر لبدت أمامه « سوداء كخيام قيدار » ولكنه اذا نظر اليها في « رؤيا القدير » لاسفرت عن « حسن رائع » ومن لا يراها على هذه الصورة يحتاج ان يكون « مفتوح العينين » وعلى هذا القياس أقر انني اذا كنت متطلعا الى شعب الله من « رأس الصخور » فعندئذ يتسنى لي ان أبصره كما يبصره الله

متسربلا بكل بهاء المسيح ـ كاملا فيه ـ مقبولا في شخصه وهذا ما يقويني على السير معه ويعطيني شركة واتصالا به ويرفعني فوق مسائله المعقدة واختلافاته الكثيرة ـ عيوبه وزلاته ـ وسائر تقصيراته وعاهاته (١) أما اذا لم أتأمل فيه من هذا العلو الشاهق ومن هذه المرتفعات الالهية المقدسة فلا بد من ان يقع نظري على بعض ثلمات ومساويء ينجم من ورائها تشويه شركتي تشويهاً تاما وكذلك يتأتى عنها انقطاع حبل المودة وذبول زهرة المحبة

أما من جهة اسرائيل فسنرى في الاصحاح التالي مباشرة الخطية المريعة التي سقط فيها ومع كل فهل غير يهوه قضاءه ؟ كلا « هو ليس ابن انسان فيندم » فلقد أدبه على خطيته وإثمه لان الله قدوس ولا يمكنه ان يصادق بوجود ما يغاير طبيعته في شعبه ولكنه لا يقدر مطلقا ان يسترد قضاءه بخصوصه فلقد أحاط علما بكل شيء عنه وفهم من هو وتيقن ما هو مزمع ان يفعله ومع كل فلقد قال « لم أبصر إثماً في يعقوب ولا تعبا في اسرائيل » ما أحسن خيامك يا يعقوب . مساكنك يا اسرائيل ! » والآن هل يخفف هذا من شناعة الخطية ؟ لامشاحة ان مجرد التفكير بهذا يعتبر كفراً وتجديفا اذ ان الله يستطيع ان يؤدب شعبه على ذنوبه ولكن عند اللحظة التي فيها يتقدم عدو ليلعنه أو يصمه بأية تهمة نراه تعالى يقف بجواره ويقول « لا أبصر إثماً » ـ «ما أحسن خيامه» .

أو هل تظن أيها القاريء ان مثل هذه المشاهد ـ مشاهد النعمة

(١) القول الوارد في النص لا يمس بأي حال من الاحوال موضوع التأديب في بيت الله ونحن ملزمون ان نحكم على الخطية الادبية والغلط التعليمي ١ كورنثوس ص ٥ عدد ١٢ و١٣

الغنية ـ تساعد على انتشار نكران الاعمال الصالحة وعدم تعليق أهمية عليها؟ ليكن هذا الفكر بعيداً جداً عنا ولنثق اننا لا نكون على مدى شاسع من منطقة تلك الخطيئة الشنيعة الا عند ما نستنشق عبير النسيم الصافي المقدس من « رأس الصخور » ـ تلك الارض المقدسة التي منها يرى شعب الله لا كما هو عليه في ذاته بل كما هو في المسيح وليس حسب أفكار الانسان بل بمقتضى فكر الله.زد على ذلك إننا نستطيع القول بأن الوسيلة الوحيدة الفعالة لرفع علم الاخلاق والاداب هي العيشة بالايمان في هذه الحقيقة الغالية المفعمة بالطمأنينة والسلام ألا وهي ان الله يرانا كاملين في المسيح .

على انه جدير بنا أن نلقي نظرة أخرى للمثل الثالث لنرى انه لا تبدو فقط خيام اسرائيل حسنة في عيني يهوه بل أيضاً يمثل أمامنا الشعب نفسه في اتصال تام بتلك الينابيع القديمة ينابيع النعمة والخدمة الحية الموجودتين في الله . « كأودية ممتدة كجنات على نهر كشجرات عود غرسها الرب كأرزات على مياه » . ما أبدع هذا وما أسمى جماله ! وما أعجب ان نرى تحالف بالاق وبلعام ذلك التحالف الشرير ينتج مثل هذه الاقوال العالية . ولكن هناك أكثر من هذا اذ لا نرى فقط اسرائيل يشرب من منهل ينابيع النعمة والخلاص تلك الينابيع الابدية الثابتة بل أيضاً نجده ـ كما هو الحال دائما أبداً ـ يجري بركة للآخرين « يجري ماء من دلائه » ونشاهد ان غرض الله هو ان الاثني عشر سبطاً سيكونون فيما بعد واسطة خير وفير وسعادة كبرى لجميع أطراف الارض وهذا ما نتعلمه مما جاء في حزقيال ص٤٧ وزكريا ص١٤ ولسنا نريد هنا ان نطيل التأمل في هذين الاصحاحين، فقط نشير

اليها كمرآة يتجلى فيها الجمال الفائق والكمال العجيب اللذان يشرقان في هذه الامثلة المجيدة التي نطق بها بلعام . على ان القاريء يستطيع أن يتمعن في هذين الاصحاحين وما ماثلهما ليحصد الفوائد الروحية الجمة. فقط عليه أن يكون على حذر من الطريقة المميتة التي يسمونها كذباً « روحانية » تلك التي يقصد منها تطبيق جميع البركات الخاصة ببيت اسرائيل على الكنيسة المسيحية بينما يتركون فقط لعنات الناموس لاسرائيل ولنتأكد ان الله لا يصادق على طريقة كهذه فاسرائيل محبوب من أجل الآباء « هبات الله ودعوته بلا ندامة » رومية ١١

والآن نختم هذا المقال بملاحظة وجيزة على مثل بلعام الاخير وهي ان بالاق لما وقعت على أذنيه تلك الشهادة الباهرة القوية عن مستقبل اسرائيل وقهره لجميع أعدائه لم يتملكه اليأس والقنوط فقط بل اتقد غيظاً « فاشتعل غضب بالاق على بلعام وصفق بيديه وقال بالاق لبلعام . لتشتم أعدائي دعوتك وهوذا أنت قد باركتهم الآن ثلاث دفعات . فالآن اهرب الى مكانك . قلت اكرمك اكراما (؟) وهوذا الرب قد منعك عن الكرامة. فقال بلعام لبالاق ألم أكلم أيضاً رسلك الذين ارسلت الي قائلا : ولو اعطاني بالاق ملء بيته فضة وذهباً (ذات الشيء الذي كان قلبه المسكين يشتهيه ويلتهب حنينا اليه) لا أقدر ان اتجاوز قول الرب لاعمل خيراً أو شراً من نفسي . الذي يتكلمه الرب إياه اتكلم . والآن هوذا أنا منطلق الى شعبي . هلم أنبئك بما يفعله هذا الشعب بشعبك في آخر الايام . ثم نطق بمثله وقال وحي بلعام بن بعور وحي الرجل المفتوح العينين . وحي الذي يسمع أقوال الله . ويعرف

معرفة العلي . الذي يرى رؤيا القدير ساقطاً وهو مكشوف العينين · أراه ولكن ليس الآن · أبصره ولكن ليس قريباً (حقيقة مزعجة ومفزعة لبلعام) يبرز كوكب من يعقوب · ويقوم قضيب من اسرائيل فيحطم طرفي موآب ويهلك كل بني الوغى » ص ٢٤: ١٠–١٧

وهذا يتوج الموضوع الذى ترمي اليه هذه الامثال اذ فيه يوضع الحجر الاعلى المصوغ من حق ثمين ونعمة غنية ومجد عال على ذلك البناء الفخم وانا لنرى في المثل الاول انفصال الشعب انفصالا تاما ونجد في الثاني تبريره الكامل ونشاهد في الثالث ثمارهم الناضجة وجمالهم الادبي الرائع حتى لا نكاد نصل الى الرابع الا ونجد انفسنا على ذروة التلال – فوق أعلى صخرة من الصخور – نطل على سهول المجد العظيمة في طولها واتساعها ممتدة الى مستقبل لا نهاية له فنرى الاسد الخارج من سبط يهوذا رابضاً · نسمع زئيره · نراه قابضا على جميع اعدائه ساحقا اياهم ثم يبرز كوكب يعقوب ولا يختفي مرة أخرى وعندئذ يتبوأ داود الحقيقى عرش أبيه ويصبح اسرائيل رفيع الشأن في الارض ويكسو الخجل وجوه اعدائه ويبقى جميع مضايقيه في امتهان ابدي واحتقار دائم .

ومن المحال ان نتصور شيئا يفوق هذه الامثلة. ومما يزيدها جمالا ذكرى ورودها في ختام رحلات بني اسرائيل في البرية ، تلك الرحلات التي قدموا فيها برهانا عظيما واضحا عن أنفسهم وتكوينهم وطبيعتهم وأميالهم ولكن الله لم يغير محبته من جهتهم رغم تصرفاتهم لان الذين أحبهم قد أحبهم الى المنتهى وعلى هذا قد خابت المحالفة وظهر عقم الاتحاد الذي احكمت

حلقاته بين « الوحش والنبي الكذاب » الرمزيين اذ نال اسرائيل بركة الله دون ان تلحقه لعنة انسان « ثم قام بلعام وانطلق ورجع الى مكانه . وبالاق ايضا ذهب في طريقه »



الاصحاح الخامس والعشرون

يتجلى أمامنا هنا مشهد جديد فبعد ان كنا على ذروة الفسحة نسمع شهادة الله عن اسرائيل هنالك في ذلك المكان الذى ظهر فيه كل شيء رافلا في طوبالٍ من الجمال والبهاء وا كتسحت الغيوم ولم يبق ما يشين او يعيب، بعد ان كنا هنالك أصبحنا الآن في سهول موآب . تغيرت سائر الامور . وشتان بين الظرفين فهنالك كنا بأزاء الله وأفكاره وهنا صرنا أمام الشعب وأحواله وهذا يذكرنا باستهلال وخاتمة الاصحاح الثاني عشر من الرسالة الثانية الى أهل كورنثوس اذ نرى في المقدمة المركز الايجابي للمسيحي ونشاهد في الخاتمة الحالة التي يمكن ان يهوى اليها اذا لم يحترس ويسهر . تلك ترينا « إنسانا في المسيح » جديراً بأن يختطف الى الفردوس في أية لحظة وهذه تبين لنا انه في الامكان أن يتورط قديسو العلي في الخطية والجهل ويرتطموا بصخور الاثم والشر

وهذا هو الحال مع اسرائيل عند ما ينظر اليه أطناً من « رأس الصخور » في « رؤيا القدير » وحينما يشاهد ثانياً في سهول موآب فنرى في المكان الاول مقامه

الكامل ونبصر في الثاني حالته الموسومة بالنقص الملآى بالمساويء والعيوب ولنا في أمثال بلعام مايرشدنا الى تقدير الله لمقام شعبه كما لنا في رمح فينحاس ما يقودنا الى قضائه الرهيب وحكمه العادل على شرور وذنوبه . ولا شك ان الله لا يغير مطلقا فكره المتعلق بمقام أولاده ولكنه يحاكمهم ويؤدبهم عند مالا توافق تصرفاتهم مقامهم ومركزهم اذ ان جل مقاصد ارادته الغنية ان تنطبق حالتهم على مركزهم . ولكن واأسفاه من ذلك المصدر الذي ينبعث منه الفشل والسقوط ألا وهو تلك الطبيعة الفاسدة التي تعمل بطرق متعددة فيضطر الله الى أخذ عصا التأديب حتى يمحق الشر الذي مارسناه ويسحق الاثم الذي عملناه

وفي هذا صورة بارزة لما جاء في سفر العدد ص٢٥ اذ بعد ان عجز بلعام عن يلعن اسرائيل ورجع يجر ذيول الخيبة والفشل نراه يستعمل دهاءه وينصب شراكه لاغراء شعب الله وايقاعه في غائلة الزنا حتى بذلك يصل الى مبتغاه وينال ما كان يصبو اليه « وتعلق اسرائيل ببعل فغور . فحمي غضب الرب على اسرائيل فقال الرب لموسى خذ جميع رؤوس الشعب وعلقهم للرب مقابل الشمس فيرتد حمو غضب الرب عن اسرائيل » عدد ٣ و ٤ ثم يلي ذلك التاريخ الهام الذي ينبيء عن غيرة فينحاس وأمانته «فكلم الرب موسى قائلا . فينحاس ابن العازار بن هرون الكاهن قد رد سخطي عن بني اسرائيل بكونه غار غيرتي في وسطهم حتى لم أفن بني اسرائيل بغيرتي . لذلك قل هأنذا أعطيه ميثاقي ميثاق السلام فيكون له ولنسله من بعده ميثاق كهنوت أبدي لاجل انه غار لله وكفر عن بني اسرائيل » عدد ١٠ —١٣

ولا شك ان الاغراض التي قبضت على زمام فينحاس الامين وتملكت على مشاعره ووجدانه في ذلك الظرف كانت كلها تتجه الى مجد الرب وخير اسرائيل فقد كانت الساعة خطيرة . ساعة لا مكان فيها للتدليل الباطل والعطف المزيف . ساعة تطلب منه ان يشهر من العزيمة سيفاً مرهفاً ويشمر عن ساعد الجد ليقوم بعمل شاق صارم . والحق يقال انه توجد فرص كثيرة في تاريخ شعب الله تصبح فيها الشفقة على الانسان عدم أمانة لله ولذا من المهم جداً أن ننتبه لها . فلقد أدى عمل فينحاس العظيم الى نجاة الجماعة وتمجيد يهوه وسط شعبه وافساد غرض العدو وبينما نرى بلعام يسقط مع المديانيين المرذولين اذا بفينحاس يصبح متمتعاً بكهنوت أبدي .

والآن نكتفي بما ذكر من التعليم الجميل الذي يحتوى عليه هذا الجزء الوجيز آملين ان نستفيد منه وليت روح الله يعطينا شعوراً دائماً بكمال مقامنا في المسيح حتى تصبح تصرفاتنا العملية منطبقة عليه تمام الانطباق

الاصحاح السادس والعشرون

هذا الاصحاح لا يتطلب كثيراً من الشرح والتفسير مع انه من أطول الاصحاحات الواردة في سفر العدد وفيه نجد بيان التعداد الثاني للشعب عند ما كان على أهبة الدخول الى أرض الموعد وما أشد الاسف الذي يخامرنا عند ما نرى انه لم يبق على قيد الحياة أحد غير يشوع وكالب من الستمائة الف مقاتل الذين أحصوا أولا . ولقد أصبح الجميع تحت أطباق الثرى رفاتاً

سحيقاً وسقطوا هناك على رمال البرية وكأنهم لم يكونوا وأما رجلا الايمان فبقيا ليحصدا نتيجة ايمانهما ويقطفا من ثماره في حين ان الذين لم يصدقوا يقول عنهم الرسول مسوقاً بالروح القدس « سقطت جثثهم في القفر »

ما أخطر هذا الامر وما أعظم التعليم الذي ينطوي عليه والعظة البالغة التي ينم عنها اذ نرى ان عدم الايمان منع ذلك الجيل الاول من دخول أرض كنعان وكان سبباً في موته وعلى هذه الحقيقة يبني الروح القدس احدى التحذيرات الخطيرة والتنبيهات الهامة الواردة في سجل الوحي الالهي فلنسمعها « لذلك . . . . . . انظروا أيها الاخوة ان لا يكون في أحدكم قلب شرير بعدم ايمان في الارتداد عن الله الحي بل عظوا أنفسكم كل يوم ما دام الوقت يدعى اليوم لكي لا يقسى أحد منكم بغرور الخطية . لاننا قد صرنا شركاء المسيح ان تمسكنا ببداءة الثقة ثابتة الى النهاية . اذ قيل اليوم ان سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم كما في الاسخاط . فمن هم الذين اذ سمعوا أسخطوا أليس جميع الذين خرجوا من مصر بواسطة موسى . ومن مقت أربعين سنة . أليس الذين اخطأوا الذين جثثهم سقطت في القفر . ولمن أقسم لن يدخلوا راحته الا للذين لم يطيعوا . فنرى انهم لم يقدروا أن يدخلوا لعدم الايمان فلنخف انه مع بقاء وعد بالدخول الى راحته يرى أحد منكم انه قد خاب منه لاننا نحن أيضاً قد بشرنا كما أولئك لكن لم تنفع كلمة الخبر أولئك اذ لم تكن ممتزجة بالايمان في الذين سمعوا » عب ص ٣ عدد ٧ — ص ٤ عدد ١ و٢.

هنا السر العملي العظيم — كلمة الله ممتزجة بالايمان : وما أثمن هذا

الامتزاج اذ هو الامر الوحيد الذي ينفع حقاً أي إنسان فلقد نسمع الشيء الكثير ولقد نتكلم بأقوال لاحصر لها ولقد نعترف اعترافات جمة مراراً عديدة ولكننا نظل واثقين انه بمقدار ما تمتزج كلمة الله بالايمان بهذا المقدار عينه يكون قياس القوة الروحية . تلك القوة التي تذلل الصعاب وتغلب العالم وتساعد على المسير وتمتعنا بكل ما منحه الله لنا . هذا وان الكلمة قد ثبتت في السماء الى الابد فاذا تأيدت في قلوبنا بالايمان فتكون هناك حلقة اتصال الهية تربطنا بالسماء وكل ما فيها وبمقدار ارتباط قلوبنا الحيوي بها وبالمسيح الموجود هناك بهذا المقدار عينه تنفصل عملياً عن هذا العالم الحاضر وترتفع فوق نفوذه ومؤثراته ولنعلم ان الايمان يمتلك جميع ما أعطاه الله ؛ الايمان يدخل الى ماوراء الحجاب . الايمان يستطيع أن يرى الله الذي لايرى . الايمان يتشغل لا بالامور المنظورة الوقتية بل بالاشياء الابدية غير المنظورة . الناس تفتكر ان الملك والعقار ثابتان وأما الايمان فلا يعرف شيئاً دائماً ومحققاً الا الله وكلمته . الايمان يأخذ كلمة الله ويحفظها في قرارة القلب فتبقى هناك كنزاً مخفياً اذ هي وحدها الكفيلة بأن تدعى بكنز يصير الشخص المغبوط الذي يحوزه مستقلاً عن العالم . على انه قد يكون فقيراً معدماً لا يملك شيئاً من حطام هذه الدنيا الزائلة ومع ذلك اذا كان غنياً في الايمان فقط فقد ملك غنى لا ينطق به — « قنية فاخرة وحظ » «غنى المسيح الذي لا يستقصى»

ولا تظنن أيها القارىء ان هذه صور خيالية أو رؤى وهمية بل هي حقائق جوهرية وأمور واقعية الهية في طاقتك منذ الآن ان تتمتع بها في جميع غناها وجمالها فاذا تمسكت بكلمة الله وطابقته بها واذا صدقت ما يقوله

فقط لانه هو الذي نطق به — وهذا هو الايمان — فعندئذ يكون لك هذا الكنز الذي يجعل مالكه مستقلا عن هذا المشهد الذي يعيش فيه الناس منقادين بنظر عيونهم وليس الا . هذا وان رجال العالم « الايجابي » و « الحقيقي » يقصدون بذلك ما يتاح لهم رؤيته وعجم عيدانه وبمعنى آخر الاشياء الزمنية المدركة بالحس — الملموسة — الواضحة وأما الايمان فلا يعرف أمراً ايجابياً واقعياً إلا كلمة الله الحي

لذلك كان عدم وجود الايمان هو المانع الذي حال دون دخول اسرائيل أرض كنعان والسبب الذي لاجله سقطت ستمائة الف جثة في القفر وهو بعينه الذي يبقي الآلاف المؤلفة من شعب الله في ربقة الاسر والظلام بينما كان حرياً بهم ان يسيروا في الحرية والنور . هو الذى يتركهم في الكآبة والغم بينما كان جديراً بهم ان ينعموا في بهجة وقوة خلاص الله الكامل. هو الذى يلقي في قلوبهم الخوف والفزع من الدينونة في حين انه كان أولى بهم ان يعبروا الطريق فرحين في رجاء المجد . هو الذى يجعلهم في حيرة وشك عما اذا كانوا ينجون من سيف المهلك في مصر في الوقت الذى يلزمهم فيه ان يعيّدوا بذلك الرخاء الذى يكلل هامة أرض كنعان

حقا اذا سبر شعب الله غور هذه الاشياء ونظروا اليها في حضوره وفي نور كلمته فعندئذ يعرف بكيفية أتم ويقدر بطريقة افضل الميراث الذى يراه الايمان في كلمة الله الابدية . ثم يفهم بوضوح الاشياء التي وهبت لنا مجانا في ابن محبته . ليت الرب يذيع نوره وبحقه ويقود شعبه الى كمال نصيبه في المسيح حتى يأخذ مركزه الحقيقي ويؤدى شهادة صحيحة لاجله منتظراً مجيئه المجيد وقدومه المبارك

الاصحاح السابع والعشرون

ان تصرف بنات صلفحاد كما هو وارد في الفقرة الاولى من اصحاحنا يضع أمامنا التباين الفائق والفرق العظيم بينه وبين عدم الايمان الذي سبق أن علقنا عليه ولا شك ان بنات صلفحاد لا يندمجن ضمن أولئك الذين على استعداد دائماً أبداً لان يتركوا الباعث الالهي ويخفضوا القياس الرباني ويتنازلوا عن المزايا المعطاة بواسطة النعمة العلوية . أجل فلا شركة لاولئك النسوة الخمس النبيلات مع هذا النوع فلقد حملن بالنعمة على أن يقمن قاعدة الايمان على أعلى أساس وبكل جرأة مقدسة قررن ان ينلن ويستفدن مما اعطاه الله والآن لنقرأ تاريخهن العطر

« فتقدمت بنات صلفحاد بن حافر بن جلعاد بن ماكير بن منسى من عشائر منسى بن يوسف . وهذه أسماء بناته محلة ونوعة وحجلة وملكة وترصة . ووقفن أمام موسى والعازر الكاهن وأمام الرؤساء وكل الجماعة لدى باب خيمة الاجتماع قائلات . أبونا مات في البرية ولم يكن في القوم الذين اجتمعوا على الرب في جماعة قورح بل بخطيته مات ولم يكن له بنون . لماذا يحذف اسم أبينا من بين عشيرته لانه ليس له ابن . اعطنا ملكا بين اخوة أبينا » ص ٢٧ عدد ١—٤

هذا شيء جميل للغاية ويحسن بالمرء ان يقرأ هذه الكلمات النفيسة التي هي كبلسان القلب خصوصا في وقتنا الحاضر الذي فيه قل الاهتمام بأمر

المقام العجيب الذي وصل اليه شعب الله والنصيب المبارك الذي حصل عليه وفيه نرى الكثيرين يعيشون من يوم لآخر ومن سنة لاخرى وهم غير مكترثين ولا مهتمين بمعرفة الاشياء الممنوحة لهم مجاناً من الله ولا يوجد شيء يحزن القلب أكثر من روح عدم المبالاة التى جعلت الكثيرين ممن يطلق عليهم اسم المسيح غير مكترثين بهذه المواضيع الجوهرية الهامة المختصة بمقام المؤمن المسيحي وسلوكه ورجائه وكنيسة الله . ولا نقصد الآن ان نتكلم عن هذه الامور المهمة لاننا سبق ان تأملنا مراراً في هذه الحقائق الخطيرة أثناء تعليقنا على اسفار موسى الثلاثة الاول في « مذكراتنا » ولكننا نستلفت نظر القاريء العزيز الى الحقيقة التالية وهي إننا نخطيء الى أنفسنا والى الرحمة الغنية التى رحمنا بها كما إننا نهين اسم ربناوالهنا اذا أظهرنا روح عدم المبالاة من جهة ما أعلنه الله لنا في كتابه العزيز من الحقائق السامية المتعلقة بمركز الكنيسة ونصيبها اجمالا ومركز كل مؤمن ونصيبه أفراداً . واذا كان الله فى غنى نعمته الفائضة علينا شاء بل سر ان يمنحنا امتيازات ثمينة كمسيحيين أفلا يليق بنا ان نظهر كل اهتمام ونسعى لمعرفة هذه الامتيازات وألا يجدر بنا أن نسعى للحصول فعلا على هذه البركات ببساطة الايمان الخالي من كل رياء وتصنع ؟ وهل من اللائق ان نقابل صنيع الله المعلن في كتاب وحيه تعالى بالاستخفاف فلا نفرق بين مركزنا كعبيد أو بنين ولا يهمنا ان كان روح الله ساكناً فينا أم لا . ولا نميز ان كنا تحت الناموس أو تحت النعمة . ان كانت دعوتنا سماوية او ارضية . حقاً هذا لايجوز بأي حال من الاحوال . ولا يوجد أوضح من هذا الحق في الكتاب

المقدس ألا وهو ان الله يبتهج ويسر بأولئك الذين يقدّرون ويتمتعون بما تقدمه لهم محبته السامية . أولئك الذين يجدون فرحهم الكامل في شخصه المبارك.والكتاب المقدس فيه من الادلة على صدق هذه النظرية الشيء الكثير ومن هذه الادلة الحادثة موضوع تأملنا في هذا الاصحاح . ففيها نرى بنات يوسف — ويجب ان ندعوهن بنات يوسف لان جدهن في الواقع يوسف — وهن من حيث حالتهن الطبيعية يتيمات فقدن والدهن ولا عون لهن ولا معين وقد قطع الموت حسب الظاهر الرابطة التي تربطهن بكل حق لهن في ميراث شعب الله . فماذا فعلن ؟ هل اندحرن واستسلمن وأظهرن عدم الاهتمام بوقوفهن موقف المكتوف اليدين ؟ وهل كان يستوي عندهن ان يكون لهن محل ونصيب مع اسرائيل الله او لا ؟ كلا أيها القاريء فقد أظهرن روحاً تختلف عن ذلك بكثير وتصرفن تصرفاً يليق بنا ان نتأمل فيه جيداً ونجاريهن فيه بل عملن عملاً يليق بنا ان نقول عنه انه طيّب قلب الله فقد اعتقدن عن يقين ان لهن نصيباً في ارض الموعد لا يستطيع الموت أو اي شيء مما حصل في البرية ان يحرمهن منه « لماذا يحذف اسم أبينا من بين عشيرته لانه ليس له ابن » فهل يستطيع الموت او عدم وجود نسل ذكر او أي عامل آخر ان يحجز او يعيق خير الله . حقاً يستحيل ذلك « اعطنا ملكا بين اخوة أبينا »

يالها من كلمات نبيلة سامية . كلمات قد اخترقت كبد السماء ووصلت الى عرش الله والى قلب إله إسرائيل بل كلمات بلغت الى مسامع جميع شعب اسرائيل فكانت بمثابة شهادة قوية فعالة وقد وقف موسى أمامهن مبهوتاً فلم

يستطع ان يعطي جواباً لان الموضوع الذي عرض عليه فوق مستوى المشرع ولا ننكر ان موسى كان خادماً لله، خادماً أميناً مطوباً ومكرما ولكن مرة ومرتين نراه في غضون هذا السفر العجيب سفر العدد او بالحرى سفر البرية وقد عرضت عليه مسائل لم يستطع ان يبت فيها وحده كحادثة القوم الذين تنجسوا للانسان الميت (راجع الاصحاح التاسع من هذا السفر) وحادثة بنات صلفحاد في الفصل المطروح أمامنا .

« فقدم موسى دعواهن امام الرب فكلم الرب موسى قائلا : — بحق تكلمت بنات صلفحاد فتعطيهن ملك نصيب بين اخوة ابيهن وتنقل نصيب أبيهن اليهن » عدد ٥ — ٧ وبذلك قد انتصرت بنات صلفحاد انتصاراً باهراً على مرأى من كل الجماعة. ومن المؤكد ان الايمان الوطيد البسيط لا بد وان يكافأ دائما علانية فالايمان يمجد الله ولهذا يكرم الله الذين يكرمونه بايمانهم وهل نحن في حاجة لان نجول في أسفار الوحي من سفر الى سفر ومن صفحة الى اخرى لنبرهن على صدق هذه النظرية ؟ وهل من داع لان نستلفت نظر القارىء الى ايمان ابرهيم وحنة ودبورة وراحاب وراعوث في أيام القدم في العهد القديم أو الى المريمات وأخصهن السيدة مريم العذراء واليصابات وقائد المائة والمرأة الفينيقية في العهد الجديد ومن على شاكلة هؤلاء جميعاً . فحيثما قلبنا الطرف نجد هذا الحق العملي العظيم جلياً واضحا في كل اجزاء الكتاب وهو ان الله يسر بالايمان الوطيد البسيط . الايمان الذي يمسك بمواعيد الله ويحرص كل الحرص على كل ما اعطاه الله ومنحه لقديسيه . الايمان الذي يرفض بكل اباء رغما عن كل ضعف وموت طبيعي

ان يسلم ولو قيد شعرة في الميراث الالهي المعطى منه تعالى . فبالرغم عن كون عظام صلفحاد قد سقطت في القفر واختلطت برمال البرية وبالرغم عن عدم وجود نسل ذكر لصلفحاد يحمل اسم أبيه يستطيع الايمان ان يرقى فوق مستوى هذا كله ويعول على أمانة الله الذي يستطيع ان ينفذ ما وعد به في كلمته تعالى .

« بحق تكلمت بنات صلفحاد » ودائماً يتكلمن بالحق لان كلماتهن كلمات الايمان ولهذا فمن المؤكد انها كلمات حق في نظر الله. ومن أفظع ما يمكن ان نجرؤ على وضع حدود وقيود « لقدوس اسرائيل » فهو يود ان نثق فيه وأن نعطيه فرصة بايماننا ليعمل بحسب غناه في المجد ومهما سحبنا من بنك الله فيستحيل ان نسحب كل رصيد الايمان وحاشا لله ان يخزي طلب الايمان أو يرفض إجابة سؤل قلب المؤمن . واذا كان الله لا يقدر ان ينكر نفسه فعلى هذا القياس لا يقدر ان يخيب رجاء المتوكلين عليه.وحاشا له ان يجيب المؤمن بقوله « أنت أخطأت الحساب وطلبت أكثر من اللازم وصعبت السؤال وصعدت الى مستوى عال جداً فانزل قليلا وخفف من غلوائك وخفض من مقياس رجائك » آه . حاشا لله ان يقول قولا كهذا وذلك لان الشيء الوحيد في هذا العالم الذي يبهج ويطيب قلب الله هو الايمان الذي يتكل عليه وحده ويثق فيه الى النهاية.ومن المؤكد ان الايمان الذي يستند على الله الحي ويثق فيه تماماً هو الايمان الذي يحبه تعالى ويؤدي الى خدمته ومدحه من كل القلب

لهذا نشعر اننا مدينون لبنات صلفحاد لانهن القين علينا درساً لا يقدر

وفضلا عن ذلك انتهز الله فرصة احتياجهن وأعلن حقاً جديداً كان بمثابة أساس لقاعدة الهية أوجب العمل بها في الاجيال المقبلة وأمر الله موسى عبده قائلا له « أيما رجل مات وليس له ابن تنقلون ملكه الى ابنته » و لولا ايمان وأمانة بنات صلفحاد الخمس وتصرفهن الحسن لما كنا نستطيع ان نسمع شيئاً عن هذا المبدأ العظيم الذي وضعه الله بشأن المواريث.ولو كن أصغين لصوت الجبن أو عدم الايمان وامتنعن عن ان يتقدمن الى الامام وأحجمن عن طلب حقهن أمام كل الجماعة لأضعن ليس فقط حقهن في الميراث والبركة بل جميع بنات اسرائيل في مثل ظرفهن كن يحرمن هذا النصيب أيضاً . بينما بالعكس كانت نتيجة عمل ايمانهن الثمين النشيط انهن احتفظن بميراثهن وحصلن علي البركة وشهد الله لهن شهادة حسنة وتخلد ذكرهن واسمهن في صفحات الوحي وأدى تصرفهن الجميل الى وضع قاعدة الهية جرى عليها العمل اجيالا عديدة

هذه كلها نتائج الايمان الباهرة ولكن يجب ان لا يغرب عن بالنا ان الكرامة العظيمة والرفعة السامية التي ينالها ويصل اليها ويختبرها بالنعمة كل مؤمن أمين ، هذه الرفعة تجعله في خطر أدبي وهذا الخطر يجب الاحتياط له . وهذا ما نراه واضحاً جلياً في تاريخ بنات صلفحاد كما هو مدون في الاصحاح الاخير من هذا السفر « وتقدم رؤوس الآباء من عشيرة بني جلعاد بن ماكير بن منسى من عشائر بني يوسف وتكلموا قدام موسى وقدام الرؤساء رؤوس الاباء من بنى اسرائيل وقالوا . قد أمر الرب سيدى ان يعطي الارض مقسمة بالقرعة لبني اسرائيل وقد أمر سيدي من الرب ان

يُعطي نصيب صلفحاد أخينا لبناته . فان صرن نساء لأحد من بني اسباط بني اسرائيل يؤخذ نصيبهن من نصيب آبائنا ويضاف الى نصيب السبط الذي صرن له فمن قرعة نصيبنا يؤخذ ومتى كان اليوبيل لبني اسرائيل يضاف نصيبهن الى نصيب السبط الذي صرن له ومن نصيب سبط آبائنا يؤخذ نصيبهن . فأمر موسى بني اسرائيل حسب قول الرب قائلا بحق تكلم سبط بني يوسف » اصحاح ٣٦ : ١ ـ ٥

فرؤوس الآباء من عشائر بني يوسف يجب ان يسمعوا كما سمعت بنات صلفحاد وايمان الاخيرات كان جميلا نفيساً ولكن الخطر وكل الخطر ان ينسين حقوق الآخرين وهن في هذا المستوى العالي الذي أوصلهن اليه الايمان وينقلن الحدود التي وضعت وقت ان أعطى الله لبني اسرائيل الارض مقسمه بالقرعة . هذا ما يجب الاهتمام به وعمل ما يلزم لمنعه . ومن الطبيعي الافتراض ان بنات صلفحاد سيأتي يوم فيه يتزوجن ومن المحتمل جداً ان يتزوجن برجال من غير اسباط بني يوسف وبذلك تحصل ارتباك وتشويش في سنة اليوبيل التي فيها يجب ان يرجع كل شيء لنصابه ويضاف نصيبهن الى نصيب السبط الذي صرن له ومن نصيب سبط بني يوسف يؤخذ نصيبهن وفي هذا ما فيه من المغايرة لسنة اليوبيل الامر غير الجائز ان يكون ولهذا كانت حجة رؤساء الآباء وجيهة جداً ومقنعة للغاية فنحتاج لان نحتاط من كل وجه حتى يتيسر لنا ان نحافظ على الايمان وهو موفور الكرامة وعلى الشهادة الحقة الواجبه فلا نتعالى ونتشامخ ولا نتصلب ونتشدد مهما قوي ايماننا بل بالحري نتواضع تحت يد الله القوية ونظهر استعدادنا دوما

للخضوع لسلطان الحق الالهي الكفيل بحفظ توازن كل شيء

« هذا ما أمر به الرب عن بنات صلفحاد قائلا · من حسن في أعينهن يكنّ له نساء ولكن لعشيرة سبط آبائهن يكن نساء فلا يتحول نصيب لبني اسرائيل من سبط الى سبط بل يلزم بنو اسرائيل كل واحد نصيب سبط آبائه . . . . . . كما أمر الرب موسى كذلك فعلت بنات صلفحاد فصارت بنات صلفحاد الخمس نساء لبني أعمامهن صرن نساء من عشائر بني منسى بن يوسف فبقي نصيبهن في سبط عشيرة ابيهن » عدد ٦ - ١٢

وبذلك كل شيء ترتب على أحسن منوال فعمل الايمان خاضع لحق الله. وحقوق كل شخص روعيت بطريقة تتفق مع المصالح الحقة للمجموع بينما في الوقت نفسه مجد الله قد حوفظ عليه تماما في وقت اليوبيل. عوضا عن التشويش والخلط في تحديد نصيب كل سبط اذ نصيب وميراث كل سبط جميعه مصون حسب القسمة الالهية

يا ليتنا نستفيد من تاريخ بنات صلفحاد المملوء بالتعاليم النافعة

والفصل الاخير من هذا الاصحاح فيه عبرة بالغة وفيه نرى معاملات الله التأديبية ماثلة أمام عيوننا بكيفية مؤثرة جداً على القلب والوجدان « وقال الرب لموسى اصعد الى جبل عباريم هذا وأنظر الارض التي أعطيت بني اسرائيل ومتى نظرتها تضم الى قومك انت ايضا كما ضم هرون اخوك لانكما في برية صين عند مخاصمة الجماعة عصيتما قولي ان تقدساني بالماء أمام اعينهم ذلك ماء مريبة قادش في برية صين » عدد ١٢ - ١٤

فموسى قضى عليه ان لا يجاوز نهر الاردن ولم يحرم موسى من قيادة

شعب الله فقط والاتيان به الى ارض الموعد بل هو نفسه حرم من الوصول اليها شخصياً وهذا نطق به قضاء الله العادل ولكن من الجهة الاخرى نرى النعمة تتلألأ بلمعان باهر حيث اقتاد الرب عبده موسى وأصعده الى رأس الفسجة ومن هناك استطاع ان يرى أرض الموعد في كل جمالها وعظمتها ليس فقط حسب حالتها التي وجدها فيها شعب اسرائيل وقت ان امتلكها فعلاً بل حسب الحالة التي كانت عليها وقت ان وهبها الله لشعبه .

ونرى بياناً أوفى لهذه الحادثة الدالة على ثمار النعمة الغنية في آخر سفر التثنية حيث يخبرنا الوحي أيضا ان الرب دفن عبده موسى وياله من أمر عجيب لا يوجد له مثيل في كل تاريخ قديسي الله.ومع ان هذا الفصل مملوء بالتعاليم النافعة العميقة ومع ذلك لسنا في حاجة لان نتوسع في شرحه هنا إذ سبق لنا ان كتبنا شرحا وافيـاً لهذه النقطة (١) فموسى فرط بلسانه مرة ولهذا منع من عبور نهر الاردن وفي هذا نرى قضاء الله العادل ولكن موسى أخذ الى رأس الفسجة وهناك كان في حضرته تعالى ملازما ليهوه العظيم فتمكن من رؤية أرض الموعد جميعها وبعد ذلك عمل يهوه قبراً لعبده موسى ودفنه فيه وفي هذا نرى نعمة الله العجيبة الفريدة . النعمة التي اخرجت دائما من الآكل أكلا ومن الجافي حلاوة وهل يوجد أعز وأعظم من ان نكون نحن موضوع هذه النعمة ! ياليت نفوسنا تبتهج أكثر فأكثر بالينبوع الابدي الذي منه تنبع جميع مجاري النعمة بفيضان غزير .

١ راجع النبذة المسماة « النعمة والقضاء » والمنشورة في مجلة جدداً وعتقاً لسنتها الرابعة ص ١٢١ (باللغة الانجليزية)

وقبل ان نتم هذا الفصل نشير بكلمة الى تصرف موسى في مسألة تعيين خلف له ذلك التصرف الدال على انكار الذات التام فموسى رجل الله المبرور كان متحليا دائما بهذه النعمة النادرة والفائقة ومتشربا بروح التخلي عن الذات وعدم الاعتداد بالنفس وما أحوجنا الى هذه الروح التي جعلت موسى لا يطلب ماهو لنفسه أبداً بل بالعكس نراه المرة بعد المرة كلما عرضت له الفرص التي فيها يمكن ان يعمل لاجل نفسه ويبني بناء شهرته وحظه الشخصي عاليا شاهقا يعرض عنها اعراضا تاما ويبرهن بجلاء ووضوح تام على ان مجد الله وخير شعبه قد أخذا بمجامع قلبه ولبه لدرجة لم يبق معها مكان لاي اعتبار شخصي أو مصلحة واحدة ذاتية وهذا ما نراه في آخر فصل من هذا الاصحاح . فلما ان سمع موسى نطق الله الكريم القاضي بمنعه من عبور الاردن لم يظهر حزناً وأسفاً لحرمانه ولم يندب سوء حظه وانما فكر فقط في مصالح الجماعة « وكلم موسى الرب قائلا . ليوكل الرب اله أرواح جميع البشر رجلا على الجماعة يخرج أمامهم ويدخل أمامهم ويخرجهم ويدخلهم لكيلا تكون جماعة الرب كالغنم التي لا راعي لها » عدد ١٥ — ١٧

وياله من احساس جميل دل على عدم وجود أي أثر لمحبة الذات في قلب موسى في الله الامر الذي سر قلب الله الذي يحب شعبه لدرجة ان تنازل ليرعاه بنفسه وأظهر له كل عناية . والشيء المهم عند موسى ان يرى اعواز شعب الله وحاجياته جميعها قد سدت . بهذا هو يقنع فلا يهمه على يد من يتم العمل مادام العمل قد أنجز ومن حيث شخصيته ومصالحه ومآل اموره الكل يستودعه براحة قلب في يد الله الواعد بأن يعتني به ولكن الشيء

المهم الذي يشغل قلبه أمر شعب الله المحبوب وبمجرد ان رأي الرب يوكل يشوع على الجماعة ليقودها استراح قلبه وأظهر استعداده للانتقال من هذا العالم والدخول الى الراحة الابدية . حقاً انه لخادم أمين ورجل سعيد . ياليت يوجد الرب بيننا ولو عدداً قليلا ممن تحلوا بهذه الروح العالية روح التضحية وانكار الذات بل روح الغيرة لمجد الله وخير شعبه. وبكل أسف نرى الحالة تدعونا لان نكرر قول الرسول « الكل يطلبون ما هو لانفسهم ولا ما هو ليسوع المسيح » .

ياليت الرب يلهب قلوبنا جميعاً ويوجد فينا هذه الرغبة الصادقة لنكرس ذواتنا تماماً روحاً ونفساً وجسداً لخدمته تعالى بل ياليت نتعلم ان نعيش بالحق لا لذواتنا بل لاجل ذاك الذي مات لاجلنا — ذاك الذي أتى من سماء مجده الى هذه الارض لاجل خطايانا ورجع ثانية من هذه الارض الى السماء لاجل ان يرثي لضعفاتنا ووعد ان يأتي لاجل خلاصنا ومجدنا الابدي



الاصحاح الثامن والعشرون

والاصحاح التاسع والعشرون

هذان الاصحاحان يكونان مجموعاً واحداً ويجب قراءتهما معاً ويشتملان على جزء مهم من هذا السفر مشحون بالتعاليم الكثيرة المفيدة. وفي العدد الثاني من الاصحاح الثامن والعشرين خلاصة ما جاء في هذين الاصحاحين

« وكلم الرب موسى قائلا أوص بني اسرائيل وقل لهم قرباني طعامي مع وقائدي رائحة سروري تحرصون ان تقربوه لي في وقته » ففي هذه الكلمات يجد القاريء مفتاحاً لهذا الجزء المستقل في سفر العدد والواضح غاية الوضوح « قرباني » « طعامي » « وقائدي » « رائحة سروري » وكل هذا ظاهر ناطق يدل دلالة واضحة على ان المقصود هو المسيح من نحو الله فوان كان المسيح قد سد كل أعوازنا ولكن هذا ليس المقصود هنا وانما هذه العبارة الواردة في هذا العدد تشير بنوع خاص الى المسيح كمن هو طعام الله وموضوع سرور قلبه ؛ فالمسيح طعام الله وياله من تعبير عجيب ولكنه حق وقاما نفتكر فيه أو نفهمه حق الفهم لاننا بالاسف ميالون لان ننظر الى المسيح من هذه الوجهة فقط أي كمن اكمل لنا عمل الفداء وكمن هو علة خلاصنا الذي فيه قد حصلنا على غفران خطايانا وبه خلصنا من عذاب الجحيم وعلى يديه نلنا كل البركات التي تباركنا بها.وتبارك اسمه العظيم لان هذا كله أصبح لنا بالمسيح فهو الذي أوجد لنا خلاصاً ابديا ولجميع الذين يؤمنون به ويطيعونه وهو الذي حمل خطايانا في جسمه على الخشبة ومات البار من أجل الاثمة لكي يقربنا الى الله بل هو الذي يخلصنا من خطايانا وعواقبها ، من سيادة الخطية وسلطانها في الوقت الحاضر ومن نتائجها المريعة في المستقبل هذا كله حق بلا مراء ولهذا نجد في الاصحاحين وفي كل عدد من أعدادهما ذكراً لذبيحة الخطية (راجع بنوع خاص اصحاح ٢٨ عدد ١٥ و٢٢ و٣٠ وأصحاح ٢٩ عدد ٥ و ١١ و ١٦ و ١٩ و ٢٢ و ٢٥ و ٢٨ و ٣١ و ٣٤ و ٣٨) ومع ان ذبيحة الخطية الكفارية جاء ذكرها ٢٢ مرة في هذين الاصحاحين الا

إنه مما لا نزاع فيه ان الخطية أو التكفير عن الخطية ليست هي الموضوع الرئيسي فيهما وذلك لان العدد الثاني الذي اقتبسناه من اصحاح ٢٨ لم ترد فيه اشارة الى الخطية أو التكفير عنها مع انه من المسلم به ان في هذا العدد خلاصة الاصحاحين وليس ذلك فقط بل لم ترد إشارة عن الخطية أو التكفير عنها لغاية عدد ١٥ من أصحاح ٢٨

وهل نحن في حاجة لان ننوه عن وجوب اتجاه الفكر حالا والاهتمام بذكر ذبيحة الخطية بمجرد الكلام عن الانسان وخطية الانسان ؟ يستحيل ان نتعرض لموضوع اقتراب الانسان لله وعبادته تعالى وشركته معه من غير ان نبدأ أولا بوضع موت المسيح الكفاري كالاساس الوحيد الذي لامفر منه والقلب يعترف بهذه الحقيقة وهو مبتهج ؛أى ابتهاج وفي كل أجيال الابدية ستنبعث من أعماق قلوبنا ونفوسنا آيات الحمد للمسيح الذى أحبنا وبذل نفسه لاجلنا ولكن مع التسليم بهذا كله نستطيع ان نؤكد للقراء الاعزاء ان في المسيح وفي موته الثمين على عود الصليب يوجد ماهو أهم من حمله خطايانا وسده كل أعوازنا وكل من يقرأ اصحاح ٢٨و٢٩ من سفر العدد لابد وأن يسلم معنا بهذا الحق الصريح ويكفي ان نذكر هذا الشاهد البسيط المؤيد لصحة نظريتنا وهو ان مجموع اعداد الاصحاحين هو ٧١ عدداً ، من بينها ١٣ عدداً فقط تشير الى ذبيحة الخطية بينما ال ٥٨ عددا الباقية موضوعها القرابين التي هي رائحة سرور الرب

وبالاجمال نقول ان الفكرة الرئيسية هنا هي سرور الله في المسيح فالصباح يعقب المساء واليوم يتلو اليوم والاسبوع يليه الاسبوع والشهر

يعقبه الشهر من بداءة السنة الى نهايتها وفي أثناء ذلك نجد المسيح كالدهن المهراق العظيم الثمن يفيح عبيره فينعش قلب الله . ومن المسلم به ان الخطية قد دينت وأبطلت الى الابد وتم التكفير عنها وخطايانا جميعها قد غفرت وذنوبنا قد محيت ويحق لنا ان نقدم الشكر من أعماق القلب لله الآب ولابنه يسوع المسيح من أجل هذه الرحمة العظيمة ولكن فوق هذا كله وأهم من هذه النتائج ان قلب الله قد شبع وانتعش وابتهج بالمسيح .وما الذى كانت ترمي اليه ذبيحة الخروفين كل صباح ومساء ؟هل كانت ذبيحة خطية او ذبيحة محرقة ؟ لنسمع الجواب من فم الرب نفسه « وقل لهم هذا هو الوقود الذى تقربون للرب خروفان حوليان صحيحان لكل يوم محرقة دائمة الخروف الواحد تعمله صباحا والخروف الثاني تعمله بين العشاءين وعشر الايفة من دقيق بربع الهين من زيت الرض تقدمه محرقه دائمة هي المعمولة في جبل سيناء لرائحة سرور وقوداً للرب » عدد ٣ — ٦

وأيضا ماذا كان المقصود من الخروفين المخصصين لكل سبت ؟ هل كان المراد بهما ذبيحة الخطية أم ذبيحة المحرقة ؟ الجواب في عدد ١٠ « هذه محرقة كل سبت » وكانت هذه المحرقة مزدوجة من خروفين معاً وذلك لان السبت رمز للراحة التي بقيت لشعب الله والتي فيها يتعظم قدر المسيح من الوجهين المزدوجين ولكن صفة هذه الذبيحة ظاهرة ظهوراً بيناً فهي تشير الى المسيح من نحو الله وهذا هو المقصود من ذبيحة المحرقة أما ذبيحة الخطية فتشير الى المسيح من نحو البشر ففي ذبيحة الخطية تتمثل شناعة الخطية وكراهيتها وأما في ذبيحة المحرقة فيتجلى قدر المسيح الفائق التقدير

وكماله الفائق كل تعبير .

وهكذا الحال في بداءة كل شهر (راجع عدد ١١) وفي عيد الفصح والفطير (عدد ١٦ — ٢٥) وفي عيد الباكورة (عدد ٢٦ ـ ٣١) وفي عيد الهتاف بالبوق (اصحاح ٢٩ : ١ ـ ٦) وفي عيد المظال (عدد ٧ ـ ٣٨) وبالاختصار نجد الفكرة الرئيسية في وسط هذه المحافل المقدسة هي المسيح كرائحة سرور الله.فذبيحة الخطية ورد ذكرها ولكن ذبائح محرقة السرور لها المركز الاول كما يتضح ذلك من مجرد قراءة هذين الاصحاحين فكل من يقرأهما لا بد وان يلاحظ الفرق العظيم بين المركز الذي تشغله ذبيحة الخطية والمركز الذي تشغلة ذبيحة المحرقة فذبيحة الخطية عبارة عن « تيس واحد من المعز » بينما ذبيحة المحرقة تشتمل على « ثلثة عشر ثوراً » و« اربعة عشر خروفاً حولياً » وغيره.وفي هذا المدد الكبير ما يدل دلالة واضحة على المكانة العظمى التي تشغلها ذبيحة المحرقة التي هي وقود رائحة سرور للرب في الكتاب المقدس

وغرضنا ايها القاريء العزيز من توسعنا بهذه الكيفية أثناء تعليقنا على هذا الفصل هو ان نستلفت نظر القاريء المسيحي الى نوع العبادة الحقيقية التي يتطلع اليها الهنا وتتطلبها قلبه فالمسيح موضوع سرور الله ولهذا يجب ان يكون جل غرضنا في عبادتنا ان نقدم لله ما يسر قلبه وهو المسيح ابنه الذي يجب ان يكون موضوع عبادتنا ومحور تأملاتنا وما دمنا منقادين بروح الله فلا بد وان يتم لنا ذلك . ومما يؤسف له ان الحال معنا كثيراً ما يخالف ذلك . ففي اجتماعاتنا وفي مخادعنا نجد أصواتنا مراراً كثيرة خافتة

ونفوسنا مثقلة وجامدة والسبب في ذلك مشغوليتنا بذواتنا عوضاً عن المشغولية بالمسيح . فالروح القدس عندما يرانا في هذه الحالة عوضاً عن ان يتمم عمله فينا بأخذه مما للمسيح ويخبرنا يضطر لان يشغلنا بذواتنا لنحكم على أنفسنا بسبب طرقنا غير المستقيمة

كل هذا مما يؤسف له غاية الاسف ومما يدعونا لان نوجه عظيم التفاتنا كجماعة وأفراد في أثناء اجتماعاتنا الجهارية وفي أوقات خلواتنا الخاصة وتعبدنا في مخادعنا . واذا القينا نظرة الى اجتماعاتنا في أوقات عبادتنا نراها في غالب الاوقات ضعيفة مجدبة تائهة والترنيمات فيها والصلوات بعيدة عن المرمى

وبالاختصار حالة الاجتماعات في أوقات كثيرة لا تتفق مع العبادة بمعناها الصحيح وذلك لانك تجد فيها حركة دائمة غير مقترنة بوجهة معينة ولا يتخللها هدوء وسكون وحاشا الله ان ينتعش قلبه بمثل هذه العبادة التي لا نجد فيها ما يصح ان يسميه « قربانه طعامه مع وقائده رائحة سروره » فنحن كثيراً ما ننشغل بالذات من حاجيات وضعفات وتجارب وصعوبات وبذلك نحرم الله من طعامه ووقائده ونسلبه حقه ونمنع عنه ألذ طعام يشتهيه قلبه . وهل معنى هذا ان نغض النظر عن تجاربنا وضيقاتنا وحاجياتنا ؟ كلا ولكننا نستطيع ان نستودع هذه كلها في يد الله الذي يأمرنا ان نلقي كل همنا عليه ونحن واثقون انه يعتني بنا فهو يدعونا لان نلقي أحمالنا وأثقالنا عليه بيقين الايمان الذي يؤكد لنا انه يعيننا ويعضدنا — والا يكفينا ان الرب يفتكر فينا ويهتم بنا ؟ ألا يساعدنا ذلك على التخلص من ذواتنا وبالاخص عندما نجتمع حوله وفي حضرته المقدسة فنقدم له لا من عندياتنا ولكن مما

يعطينا هو لكي يكون الكل منه واليه ? فالرب قد جهز لنا كل شيء واهلنا لكل شيء. وخطايانا وأحزاننا جميعها حملها مرة وأراحنا منها الى الابد فلا يجوز لنا ان نتقدم بها الى الله كأنها طعامه ووقائد سروره فانه تبارك اسمه اهتم بأمر هذه الخطايا والاحزان ودبر ما فيه الكفاية لخلاصنا منها ولكن حاشا لله ان يكون فيها سروره وطعامه

وألا يجدر بنا ايها القاريء المسيحي ان نفتكر في هذه الامور ونطبق هذه الملاحظات على اجتماعاتنا ومخادعنا. لان الحكم فيها سواء ? وألا يجب علينا ان ندرب نفوسنا حتى نصل الى الحالة التي يتسنى لنا فيها ان نقدم اليه تقدمات لذيذة لديه لدرجة انه دعاها طعامه ? والحق يقال يعوزنا القلب الممتليء دائماً بالمشغولية بالمسيح كرائحة سرور الله وليس معنى هذا اننا غير مقدرين للذبيحة الكفارية قدرها . حاشا وانما غرضنا ان نقول على سبيل التذكرة ان يسوع المسيح ربنا ليس فيه فقط غفران خطايانا وخلاص نفوسنا بل أكثر من ذلك والا فما المراد من ذبيحة المحرقة وذبيحة السلامة وذبيحة الملء وذبيحة التقدمة ? أليس المراد هو المسيح كرائحة السرور والمسيح كطعام الله وفرح قلبه تعالى ? وهل نحن في حاجة للقول ان المسيح الذي كفر عن الخطية وصار لعنة لاجلنا مرة هو المسيح موضوع لذة وسرور قلب الله ? لا شك ان كل مسيحي يسلم بذلك . ولكن بالرغم عن التسليم بهذه الحقيقة قلما نميل وتنحصر أفكارنا في المسيح كرائحة سرور الله وهذا مما يؤسف له جداً ويجب ان نحكم على ذواتنا ونسعى لتلافي هذا النقص . ولا يوجد أنفع في هذا الخصوص من التأمل جيداً في هذين الاصحاحين من

سفر العدد وهما اصحاح ٢٨ و ٢٩ . ياليت الله بروحه القدوس يستخدم هذه التأملات لاجل هذه الغاية المقدسة وقد سبق لنا في تعليقاتنا على سفر اللاويين ان ذكرنا بحسب النور المعطى لنا من الله شرحاً مختصراً لهذه الذبائح والاعياد ولهذا ومنعاً للتكرار نلفت نظر القاريء العزيز الى ما أوردناه تعليقاً على الاصحاحات ١ — ٨ واصحاح ٢٣ من سفر اللاويين في المجلد المذكور اذ ربما يجد ما يساعده على فهم المراد من الذبائح المختلفة والاعياد الكثيرة المشار اليها في هذين الاصحاحين

الاصحاح الثلاثون

هذا الفصل المختصر وان كان يختص باسرائيل ويتعلق بالنذور واللوازم إلا انه نافع ومفيد لنا وفيه نرى الحكم بالنسبة لنذر الرجل والتزامه يختلف اختلافاً بيّناً عن الحكم في نذر المرأة والتزامها «اذا نذر الرجل نذراً للرب أو أقسم قسماً ان يلزم نفسه بلازم فلا ينقض كلامه . حسب كل ما خرج من فمه يفعل » عدد ٢ أما بالنسبة لنذر المرأة فالحكم يختلف « وأما المرأة فاذا نذرت نذراً للرب والتزمت بلازم في بيت أبيها في صباها وسمع ابوها نذرها واللازم الذي ألزمت نفسها به فان سكت ابوها لها ثبتت كل نذورها وكل لوازمها التي ألزمت نفسها بها تثبت وان نهاها ابوها يوم سمعه فكل نذورها ولوازمها التي الزمت نفسها بها لا تثبت والرب يصفح عنها فان أباها قد نهاها» عد ٣ — ٥

وهكذا كان الحال تماماً مع الزوجة فزوجها يحق له ان يثبت نذورها ولوازمها أو ينهاها عنها فلا تثبت . هـذا هو القانون الذي سنه الله للنذور واللوازم وبمقتضاه لا مفر للرجل من القيام بوفاء جميع نذوره ولوازمه فحسب كلما خرج من فمه يجب عليه ان يفعل وان يتمم ومهما كان الامر الذي تعهد به صعباً فحتم من نفاذه اذ لا توجد وسيلة للتخلص من هذا التعهد ولا منفذ يخرجه من المأزق الذي أوجد نفسه فيه بنذره ولازمه

وكلنا نعلم ايها الاعزاء الشخص الذي أخذ على عاتقه بكامل النعمة هذه المهمة والتزم بطوعه واختياره ان يتمم مشيئة الله مهما كلفته هذه المشيئة ونعلم أيضاً من هو المشار اليه بقوله « وأوفي نذوري للرب مقابل كل شعبه» « فالانسان يسوع المسيح » هو الذي نذر النذر والتزم باللازم ووفى تماماً النذر واللازم وأكمل كل شيء لمجد الله وخير شعبه الابدي،في بستان جثسيماني نسمع أنات قلبه الدالة على منتهى حزنه وآلام نفسه فصرخ قائلا « ان أمكن ان تعبر عني هذه الكأس » ولكن لا مفر من تجرع هذه الكأس عن آخرها . فكان غير ممكن ان تعبر عنه هذه الكأس لانه أخذ على عاتقه والتزم بهذا العمل المبارك وهو خلاص الانسان فكان لا بد له ان يجتاز لجج الموت الرهيب والدينونة المريعة والغضب الشديد وبالاختصار كان لا بد له ان يواجه تماماً كل ما استلزمته حالة الانسان التعيسة فكانت له صبغة كان يجب ان يصطبغها وقد انحصر حتى تكمل وبعبارة أخرى كان يجب ان يموت يسوع المسيح البار حتى بموته يمكنه ان يفتح لنا ابواب النعم والبركات فتتدفق الينا أنهار المحبة الالهية الابدية لتغمرنا فالحمد والتعبد لاسمه العظيم الى الابد

هذه بالنسبة لنذور الرجل ولوازمه أما فيما يتعلق بنذر المرأة سواء كانت مقيمة في بيت أبيها في صباها ولم تتزوج أو متزوجة وفي عصمة زوجها فالحكم في هذه الحالة يشير الى أمة اسرائيل من وجهين أولهما اسرائيل تحت القضاء واسرائيل تحت النعمة فاذا نظرنا الى أمة اسرائيل وهي تحت القضاء نجد يهوه العظيم كالآب والزوج لهذه الامة وقد سكت يوم ان سمع نذورها ولوازمها وتعهداتها بان تحفظ جميع ما أوصاها به وبذلك قد ثبتت كل نذورها وكل لوازمها التي ألزمت نفسها بها وها هي الى اليوم تقاسي أمر النتائج تحقيقاً لذلك القول الكريم « ان لا تنذر خير من ان تنذر ولا تفي » ولكن من الوجهة الاخرى اذا نظرنا الى أمة اسرائيل من وجهة النعمة نجد الآب والزوج قد اخذا على عاتقهما الوفاء بكل شيء ولذلك ستسامح أمة اسرائيل ويؤتى بها الى ملء البركة بعد قليل لا على مبدأ وفائها بنذورها ولا ثبوت لوازمها بل على مبدأ النعمة المطلقة المجانية والرحمة الواسعة المؤسسة على دم العهد الابدي. وياله من أمر عجيب وثمين ان نجد المسيح في كل صفحة من صفحات الوحي فهو مركز وأساس وبداءة ونهاية جميع طرق الله. ياليت قلوبنا تمتلىء به وشفاهنا وحياتنا تنطق بحمده وسبحه بل ياليتنا ننحصر ضمن دائرة محبته ونعيش لمجده كل أيام غربتنا هنا على الارض ثم نذهب الى بيتنا الابدي لنكون معه كل حين

وقد أبدينا الملاحظات السابقة لاعتقادنا انها المقصودة بالذات في هذا الاصحاح ولكن هذا لا يمنع من تطبيق هذا الفصل بصفة ثانوية على الافراد وبالتبعية فقد كتب لاجل تعليمنا له الشكر ككل أجزاء الكتاب المقدس

ويجب على كل مسيحي تقي أن يكون موضوع لهجه وسروره تتبع معاملات الله وطرقه سواء كانت على مبدأ النعمة أو القضاء. مع اسرائيل أو مع الكنيسة مع الجماعة أو مع الافراد.

ياليتنا نتوسع في هذا الدرس العملي النافع بقلب متسع وبصيرة مستنيرة

الاصحاح الحادى والثلاثون

نرى هنا آخر فصل من حياة موسى الرسمية المتعلقة بخدمته كما ان في اصحاح ٣٤ من سفر التثنية آخر فصل من حياة موسى الشخصية « وكلم الرب موسى قائلا انتقم نقمة لبني اسرائيل من المديانيين ثم تضم الى قومك فكلم موسى الشعب قائلا جردوا منكم رجالا للجند فيكونوا على مديان ليجعلوا نقمة الرب على مديان الفاً واحداً من كل سبط من جميع أسباط اسرائيل ترسلون للحرب فاختير من ألوف اسرائيل ألف من كل سبط اثنا عشر الفاً مجردون للحرب فارسلهم موسى الفاً من كل سبط الى الحرب هم وفينحاس ابن العازار الكاهن الى الحرب وأمتعة القدس وأبواق الهتاف في يده فتجندوا على مديان كما أمر الرب وقتلوا كل ذكر » عد ١ — ٧ وياله من أمر عجيب أن يقول الرب لموسى « انتقم نقمة لبني اسرائيل من المديانيين » وموسى يقول لاسرائيل « ليجعلوا نقمة الرب على مديان». لقد أخذ الشعب بمكر بنات مديان فوقع في حبائلهن تحت تأثير بلعام ابن بعور السيء والآن

أتى الوقت الذي يجب على الشعب فيه ان يتطهر تماما من كل الدنسات التي ارتكبها مع المديانيين بسبب غفلته وعدم احتراسه وكان من المحتم ان يعمل السيف في رقاب المديانيين وجميع النهب المسبي لا بد وأن يجتاز نار الدينونة ان كان مما يدخل النار والا فيجتاز في ماء التطهير ليكون طاهراً ومن ذلك نرى ان الاشياء التي تدنست بالشر جميعها بدون استثناء قضي عليها القضاء الحق . ولاحظ أيها القاريء العزيز ان هذه الحرب كانت غير طبيعية بمعنى ان شعب اسرائيل بسبب عدم أمانته ومعاملته غير المقدسة مع المديانيين الغلف اضطر لان يدخل في هذه الحرب التي لم تكن له لأنها ليست من حروب كنعان ولولا عدم أمانة شعب اسرائيل لما وجد داع لهذه الحرب البتة ولهذا لانجد ذكراً ليشوع بن نون هنا بالمرة ولا علاقة له بهذه الحرب مع انه هو الذي تعين من قبل الله ليخلف موسى من بعده في قيادة جماعة الرب فعلى العكس من ذلك نرى قيادة هذه الحرب تسامت لفينحاس بن العازار الكاهن وقد دخل فيها « وأمتعة القدس وأبواق الهتاف في يده »

وهذا كله ظاهر جداً وله معنى خاص فالكاهن له المكانة الاولى في هذه الحرب وأمتعة القدس لها المركز الاول بين آلات الحرب وذلك لان الغرض من هذه الحرب هو محو الوصمة التي أوجدها اختلاط شعب الله بالمديانيين أعداء الرب وإزالة العار الذي نتج عن هذه الخطية ولهذا نرى الكاهن وفي يده أمتعة القدس وأبواق الهتاف في مقدمة الصف عوضاً عن قائد الجيش بسيفه ورمحه . ونحن لا ننكر ان السيف وجد في هذه الحرب ولكن لم تكن للسيف المكانة الاولى التي كانت للكاهن وأمتعة القدس ولا

يفوتنا ملاحظة ان الكاهن الذي اعطيت له هذه القيادة هو نفس الشخص الذي غار غيرة للرب واقتفى أثر الرجل الاسرائيلي والمرأة المديانية وطعن كليهما في بطنه وبذلك نفذ القضاء العادل في الشر الذي ارتكب وهو موضوع الانتقام في هذا الاصحاح .

والتعليم المستفاد من ذلك كله ظاهر وعملي وجميل فالمديانيون يشيرون الى نوع خاص من التأثير الذي يضغط به العالم وأهله على قلوب شعب الله. تلك القوة قوة العالم التي يستخدمها الشيطان كاحبولة تمنعنا عن الدخول والتمتع بنصيبنا السماوي فاسرائيل كان يجب عليه ان يبتعد عن المديانيين وينفصل عنهم تماما ولا يشتبك معهم في شيء ما ولكن بالاسف في ساعة شريرة وعلى غير حذر منه وفي غفلة تامة وقع في مكائد المديانيين ووجدت له علاقة معهم فكانت النتيجة التي لا بد منها وهي الحرب والاستئصال التام وهكذا الحال معنا تماما نحن معشر المسيحيين فمأموريتنا والمطلوب منا ان نجتاز في هذا العالم كغرباء ونزلاء لا شأن لنا مع العالم الا ان نكون شهوداً أمناء لنعمة المسيح وهكذا نضيء كأنوار في وسط ظلمة هذا العالم الادبية ولكن بالاسف كم من المرات نقصر في المحافظة على هذا الانفصال العملي التام ونشتبك مع أهل العالم وبالتبعية نجلب على أنفسنا متاعب كثيرة ونزج بأنفسنا في حروب ومصارعات ليست لنا بالمرة فالحرب مع مديان لم تكن منا ضمن البرنامج الموضوع لاسرائيل مع الله وانما هي من صنع اسرائيل نفسه ولكن شكراً لله لانه يتداخل بملء نعمته وبواسطة خدمة الكهنوت الخاصة في حرب المديانيين ليسمح لاسرائيل ليس فقط أن يغزو وينتصر بل ان يسلب أيضاً ويغنم الشيء الكثير مما يدل

على ان الله في جوده وصلاحه ، غير المحدود يخرج من الشر خيراً ومن الآكل أكلا ومن الجافي حلاوة وقد تجلت نعمته بامعان بديع عجيب في المشهد الماثل أمامنا في هذا الفصل بتنازله وقبوله جزءاً من الغنائم التي أخذها اسرائيل من المديانيين ولكن قبل هذا كله يجب الحكم على الشر والاقتصاص منه تماما « فكل ذكر » يجب ان يقتل وكل عون للشر يجب ان يستأصل تماما وأخيراً نار الدينونة وماء التطهير يجب ان يعملا عملهما في الغنيمة والسبي وذلك كله يجب أن يتم قبل ان يمد الله أو احد افراد شعبه يده لشيء من هذا كله .

ويالها من دروس عملية مقدسة عديدة تُرى ماثلة أمامنا في هذا الفصل فياليت قلوبنا تستفيد منها ونطبقها على حياتنا بل ياليت الرب يعيننا لنعيش حياة الانفصال التام عن العالم وأهله ونركض في الجهاد الموضوع أمامنا وفي طريقنا السماوي ونحن كأناس نصيبهم وبيتهم في الاعالي . ياليت الهنا في رحمته يمنحنا ذلك .

الاصحاح الثاني والثلاثون

كثرت المناقشة حول واقعة الحال المدونة في هذا الفصل واختلفت الآراء في تصرف السبطين ونصف فهل كانوا محقين أو مخطئين في اختيارهم لميراثهم على الجانب الشرقي لنهر الاردن ؟ هذه هي النقطة المهمة التي يجب حلها . هل تصرفهم في هذا الموضوع كان نتيجة القوة أو الضعف ؟ وكيف

يتيسر لنا أن نعطي حكماً عادلا في هذه القضية ؟ ويجب علينا ان نلاحظ أولا موقع المكان الذى عينه الله ليكون نصيباً لشعبه وميراثا لهم من قبله تعالى . بكل تأكيد أرض الموعد على الجانب الآخر من الاردن المقابل للبرية في أرض كنعان وما دام الامر كذلك فلا حاجة بنا لان نذهب بعيداً اذ يكفي ملاحظة ذلك لتكوين رأي صائب وهل يجوز بأي حال من الاحوال لقلب صادق أمين يفتكر ويشعر ويحكم حسبما يملي الله ان يخطر على باله فكرة اختيار نصيب وأرض خلاف التي منحها وعينها الله ؟ حاشا فهذا مستحيل وبالتالي فمن السهل علينا معرفة الحكم الصحيح في هذه القضية فقد كان من الخطأ والقصور ان يختار رأوبين وجاد ونصف سبط منسى ولو وطأة قدم لهم شرق نهر الاردن ولكنهم بالاسف انقادوا في تصرفهم وراء شهواتهم وتغلبت عليهم العوامل النفسانية العالمية وجالوا ببصرهم في الارض « أرض يعزيز وأرض جلعاد » فرأوها مكان مواش وفضلوها على أرض الموعد نظراً لمواشيهم الكثيرة ومصالحهم الشخصية وذلك كله بدون ان يعملوا حساباً لمشيئة الله وسابق تعيينه. ولو كانت أعينهم بسيطة ومتجهة نحوه تعالى فقط لما فكروا قط في اتخاذ ولو شبر واحد من الارض في عبر الاردن الى الشرق .

وما أكثر الارتباكات التي يقع فيها الانسان الغير البسيط القلب والغير المخلص . ولا يوجد أعظم من الشخص الذي يستطيع بنعمة الله ان يسير بأقدام ثابتة ويتبع خط سير معين من غير أن يلتفت يميناً أو يساراً حتى لا يعرض نفسه لتجارب وفخاخ هو في غنى عنها . ومن امتيازنا المقدس وحظنا الطيب

ان تتصرف في أمور الحياة المختلفة بكيفية لا تدع مجالا للارتباكات والتشويشات والسر في ذلك ان نسير مع الله ونحن محكومون في كل تصرفاتنا وسلوكنا بالقانون الذهبي الوحيد — كلمة الله.

وظاهر جداً من سياق هذا التاريخ الواضح في هذا الفصل ان رأوبين وجاد ونصف سبط منسى لم يكونوا منساقين ولا خاضعين لهذا القانون الذهبي فهم كانوا مترددين بين بين من ذوي المبادىء المختلطة الذين يكفيهم أن يكونوا على الحدود حتى يميلوا الى أي الجانبين حسب الظروف. أناس يطلبون ما لأنفسهم ولا يطلبون ما هو لله ولو كان رأوبين وجاد قلبهما مستقيما أمام الله بل لو حكموا الضمير في نور الله لما استطاعت أية قوة ان تزحزحهما عن المركز الذي دعاهما اليه الله ولما قبلا ان يكون نصيبهما في غير أرض كنعان.

وظاهر ايضاً ان موسى قابل اقتراح سبط رأوبين وسبط جاد ونصف سبط منسى بعدم الارتياح وبفتور تام وذلك لان قلبه كان يلتهب شوقاً لارض الموعد وكان يحنّ لرؤية هذه الارض ويشتاق لان يذهب اليها ويوجد فيها ولكن على الرغم منه لم يسمح له بهذه الامنية حيث قضى الله عليه ان لا يدخل الى أرض كنعان لانه لم يقدس ربه في وسط بني اسرائيل عند ماء مريبة قادش في برية صين. فكيف يمكن لموسى وهذا احساسه وهذا هو حنينه لارض الموعد ان يصادق على تصرف هؤلاء الرجال الذين كانوا ليس فقط مهيئين بل راغبين فعلا لان يأخذوا نصيباً لهم في الارض بعيداً عن أرض كنعان في عبر الاردن الى الشرق ؟ ومما لا نزاع فيه ان

الايمان يستحيل ان يكتفي أو يشبع الا بالمركز الحقيقي والنصيب الصالح الذي اعطاه الله لشعبه والعين البسيطة لاترى سوى الميراث المعطى من الله كما ان القلب الامين لا يشتهي سوى هذا الميراث المبارك . لهذا كله نجد موسى لاول وهله يعترض على رأوبين وجاد ونصف سبط منسى ولكن في النهاية عاد ووافق تقريباً على اثر الوعد الذي اعطوه لموسى والعهد الذي ارتبطوا به وهو ان يعبر الاردن كل متجرد منهم للجند امام الرب للحرب . وحسب الظاهر في تصرف رأوبين وجاد ونصف سبط منسى الدليل القاطع على انكار الذات والتضحية المقترنة بالنشاط والغيرة حيث هان عليهم ان يتركوا أعز الناس اليهم زوجاتهم وأولادهم ويعبروا الاردن لكي يحاربوا عن اخوتهم ولكن في الواقع ونفس الامر ألم يجنوا على زوجاتهم وأولادهم بتركهم شرق الاردن بعيدين عن أرض الموعد محرومين من الارض التي تفيض لبناً وعسلا ومن النصيب والميراث الذى تكلم عنه الله مع ابرهيم واسحق ويعقوب ؟ وما هو الباعث الذى حدا بهم لهذا التصرف ؟ الباعث الوحيد على ذلك هو صلاحية الارض الكائنة شرق الاردن لان تكون مرعى خصباً لمواشيهم الكثيرة . لاجل هذا الغرض التافه فضل سبط رأوبين وسبط جاد ونصف سبط منسى أن يتخلوا عن نصيبهم داخل الحدود المعينة لاسرائيل الله :

والآن لنتأمل في النتائج التي نتجت عن هذا التصرف . وهذا ما نراه واضحاً جلياً في سفر يشوع اصحاح ٢٢ حيث يذكر لنا الوحي النتيجة الاولى المحزنة التي أدى اليها تصرف السبطين ونصف السابق الاشارة اليه

فقد رأوا من الضروري ان يبنوا مذبحاً وفعلا « بنوا مذبحا على الاردن مذبحا عظيم المنظر » لئلا يأتي وقت فيه يقع نزاع كقولهم بينهم وبين باقي أسباط اسرائيل فيقول الآخيرون للاولين ليس لكم قسم في الرب فيكون المذبح الذي لهم على زعمهم شاهداً بين الطرفين ولكن علامَ يدل هذا كله؟ ألا يدل على انهم كانوا مخطئين في اتخاذهم نصيبهم في عبر الاردن الى الشرق. ويكفي ان تلاحظ أيها القاريء العزيز تأثير بناء المذبح على كل الجماعة حيث ارتبكت الجماعة كلها وانزعجت بسبب بناء مذبح شرق الاردن عدا مذبح الرب الاله الذي هو قدام مسكنه في أرض الموعد ومن يقرأ الفصل الآتي لاول وهلة يلوح له ان هناك تمرداً وعصياناً بينه وبين الحرب قاب قوسين أو أدنى « ولما سمع بنو اسرائيل اجتمعت كل جماعة بنى اسرائيل في شيلوه لكي يصعدوا اليهم للحرب . فأرسل بنو اسرائيل الى بني رأوبين وبني جاد ونصف سبط منسي(١) إلى أرض جلعاد فينحاس بن العازار الكاهن وعشرة رؤساء معه رئيسا واحداً من كل بيت أب من جميع اسباط اسرائيل كل واحد رئيس بيت آبائه في ألوف اسرائيل . فجاءوا الى بني رأوبين وبني جاد ونصف سبط منسى الى أرض جلعاد وكلموهم قائلين . هكذا قالت كل جماعة الرب (وألم يكن السبطان ونصف من بين هذه الجماعة؟) ما هذه الخيانة التي خنتم بها اله اسرائيل بالرجوع اليوم عن الرب ببنيانكم لانفسكم مذبحا لتتمردوا اليوم على الرب . أقليل لنا اثم فغور الذي لم نتطهر منه الى هذا اليوم وكان الوبأ في جماعة الرب حتى ترجعوا أنتم اليوم عن الرب

(١) فكأن السبطين ونصف منفصلان فعلا عن بقية أمة اسرائيل

فيكون انكم اليوم تتمردون على الرب وهو غداً يسخط على كل جماعة اسرائيل ولكن اذا كانت نجسة أرض ملككم فاعبروا الى أرض ملك الرب التي يسكن فيها (ويالها من كلمة موجعة) مسكن الرب وتملكوا بيننا وعلى الرب لاتتمردوا وعلينا لاتتمردوا ببنائكم مذبحاً غير مذبح الرب الهنا » يشوع ٢٢ : ١٢ – ١٩

ولا نزاع في ان كل سوء التفاهم هذا وكل التعب والانزعاج الذي نراه أمامنا في هذا الفصل كان نتيجة عدم تصرف السبطين ونصف بامانة أمام الله وانحرافهم عن المركز الذى تعين لهم من قبل الله . وقد استطاعوا ان يبدوا المعاذير التي حدت بهم لان يبنوا مذبحاً لهم في عبر الاردن الى الشرق وتمكنوا من إقناع اخوتهم باقي الاسباط بعد طول جدال ولكن لولا تصرفهم هذا المشكوك فيه وعدم احتفاظهم بما لهم كما سبق لما كان هنالك داع لبناء المذبح اصالة لتقديم المعاذير وايجاد الانزعاج الذي أحدثه عملهم بين جماعة بني اسرائيل

ويحسن بالقاريء المسيحي ان يتثبت من هذه النقطة لانها في غاية الخطورة ومنها ينتج أعظم الضرر كما انه من الجهة الاخرى يستطيع ان يستخلص منها فوائد عملية كثيرة.ومما لا نزاع فيه ان كل شخص قد استنار ذهنه الروحي وأمعن النظر في الادلة السابق ايضاحها لا بد وان يلوم السبطين ونصف لانهم قصروا في عبور نهر الاردن واتخاذهم نصيبهم في أرض ملك الرب.وما أوردناه فيه الكفاية لاثبات صحة هذا الحكم واذا أراد القاريء ان نزيد المسألة إيضاحاً ويضيف على الادلة التي تقدمت دليلا

مقنعاً آخر فليطالع الاصحاح ٢٢ : ١ من سفر الملوك الاول ليرى ان السبطين ونصف كانوا أول من وقع في قبضة يد العدو ملك ارام

وربما يخطر ببال القاريء ان يسألنا قائلا « وما علاقة هذا كله بنا ؟ وما هى الفائدة التي تعود علينا من سرد هذا التاريخ الطويل الخاص ببني اسرائيل ؟ الفائدة ظاهرة والتعليم ثمين فإن هذا الفصل ينادينا بصوت مسموع وكلمات جلية جليلة قائلا « احذروا من الاكتفاء بالاشياء المنظورة الموجودة في هذا العالم وضعوا قلوبكم على ما لكم في السماويات ولا تقصروا في التمتع بنصيبكم الحقيقي ومركزكم الذي أوصلتكم اليه نعمة الله وأعبروا نهر الموت والقيامة وهما نهر الاردن الحقيقي الروحي لتأخذوا أرض ملك الرب التي لكم فوق الشمس في السماويات التي بوركنا فيهما بكل بركة روحية (١)

هذا هو التعليم المستفاد على ما نعتقد من هذا الفصل وهو تعليم هام جداً اذ لا يوجد أعظم من توجيه القلب كله للمسيح والتثبت من الحق الكامل وعدم الانحراف عن المركز الذي لنا في المسيح ولو شعرة واحدة وأولئك الذين يدّعون انهم مسيحيون ولكنهم ينكرون دعوتهم السماوية

(١) يوجد بلا شك كثيرون من المسيحيين المخلصين محرومين من النظر الى دعوتهم السماوية والتمتع بالمركز الذي وصلت اليه الكنيسة والى الآن لم يدخلوا ليتمتعوا بالحقائق الخاصة المباركة الواردة في الرسالة الى أفسس وان كانوا بالرغم عن ذلك حسب النور الذى لهم مخلصين وغيورين وطيبين ولكنهم بالاسف محرومون من التمتع بكامل البركات التى لهم ولم يصلوا بعد لادراك مبلغ الشهادة المسيحية الحقة .

وصفتهم الخاصة ويتصرفون كأنهم من هذا العالم انما يسببون اضراراً جسيمة لعمل الله ويعطلون جداً الشهادة للمسيح وهؤلاء الاشخاص هم آلات قوية في يد الشيطان ويمكننا ان نقول ان المسيحي المتزعزع المحمول بكل ريح المتردد يوما مع العالم وأهله ويوما مع المسيح وجماعته، مثل هذا الشخص شر على المسيحية أكثر من الكافر الملحد الذي يجاهر بمعتقده الفاسد ومن العالمي العائش للعالم بصورة ظاهرة فالضرر الذي يلحق عمل الله من الشخص المدعي الذى له صورة التقوى فقط أشد من الضرر الناتج عن فعل الاشرار.وربما يتصور القارىء ان في هذا شيئاً من المبالغة ولكننا نؤكد له ان هذا هو الحق الصريح فالمسيحيون بالاسم الواقفون على الحدود أصحاب المباديء المعوجة الراغبون في مزج العالم مع الكنيسة والارتواء من مياه العالم ومياه المسيح في وقت واحد هؤلاء الناس أشد خطراً على كرم المسيح وعمله من أية فئة أخرى ويستخدمهم العدو لتنفيذ مآربه الكثيرة.وما نحتاج اليه الآن شديد الاحتياج جوقة من الشهود الامناء للمسيح الذين يعطون قلوبهم بجملتها للعمل ويتقدمون اليه ويستمرون فيه من غير تردد ولا امهال وهم متقدمون الى الامام وبذلك يعلنون صراحة وعلى الملأ انهم يبتغون وطناً أفضل أى سماوياً فهم مجدون والعالم لا نصيب له في قلوبهم

فالازمة الروحية الحاضرة لا تحتاج الا لمثل هؤلاء الاشخاص الروحيين وأي شيء يؤلم القلب ويحزن النفس ويضعف العزيمة أكثر من أن نجد أشخاصاً يتمسكون بتعاليم سامية جداً ويتمسكون بأصوات عالية

عن الموت والقيامة ويفاخرون بالامتيازات السماوية والمبادىء العالية والتعاليم الفائقة ولكن بكل اسف سلوكهم وتصرفهم يكذبان كل ادعاءاتهم فهم يحبون العالم والاشياء التي في العالم يحبون المال ويحرصون على جمع المال والاحتفاظ بالمال جهد طاقتهم

فلنتأمل جيداً ايها القارىء المسيحي المحبوب في هذا الحق الخطير ولنحكم بحق وبامانة على ذواتنا في نور حضرة الله الساطع ونطرح كل شيء مهما كان عزيزاً على قلوبنا بمجرد ان نعرف انه يعطلنا عن تكريس ذواتنا نفسا وروحا وجسداً تكريساً كاملا لذلك الذي احبنا وبذل نفسه لاجلنا. ياليتنا نتصرف في حياتنا بطريقة طاهرة نقية لا تدع مجالا للشك في صدق نوايانا ولا نحتاج معها لاقامة مذبح خلاف مذبح الرب كما عمل السبطان ونصف (راجع يشوع ٢٢) أو لعمل أي شيء كان نعلن به عن محل عبادتنا وعن شخص معبودنا ومن نحن له تابعون ولخدمته منقطعون بل بعكس ذلك تكون حياتنا طاهرة نقية شفافة وشهادتنا ناطقة بنفسها وبغير حاجة لواسطة، وتصرفاتنا تنطق وحدها بحقيقة حالتنا، وسلامنا يفيض كنهر جار وبالاختصار اتجاه سيرنا وسريرتنا يكون نحو تمجيد اسم الحبيب الذي دعي اسمه علينا ياليت الرب يحرك قلوب شعبه خصوصا في هذه الايام الاخيرة التي ظهر فيها روح الفتور والتساهل والتراخي وعدم الاهتمام بالروحيات لكي نغار غيرة للرب فنسلم نفوسنا وننكر ذواتنا ونكرس حياتنا للمسيح وعمله ونثق من كل القلب في الله الحي . ياليت القارىء العزيز يشاركنا في هذه الحاسيات والطلبات

الاصحاحان

الثالث والثلاثون والرابع والثلاثون

ذكر الوحي في الاصحاح الثالث والثلاثين بكل تفصيل بيان رحلات بني اسرائيل في البرية بما لا مزيد عليه من العناية والتدقيق وكل من يقرأ هذا الفصل يشعر تماما بمحبة الله العجيبة وعنايته الكاملة التي تجلت وسط شعبه أثناء مسيره كله في البرية هذه الاربعين سنة. ومن الغريب ان الله يتنازل ليسجل بكل دقة تاريخ رحلات شعبه المسكين البائس من اللحظة التي خرج فيها من مصر لغاية الوقت الذي فيه عبر نهر الاردن أو بالحري من وقت ان ترك ارض الموت والظلمة الى ان وصل الى ارض الموعد التي تفيض لبنا وعسلا « هو يعلم كل الطريق الذي سرتم فيه وهذه الاربعين سنة كان الرب الهكم معكم ولم يعوزكم لشيء » فالرب سار في مقدمة شعبه كل خطوات الطريق ورافقه في كل دور من ادوار البرية وفي كل ضيقاته تضايق معه وكما تعتني المربية الحنون والممرضة الشفوق اعتنى الرب له المجد كل إعتناء بشعبه وفي كل مدة الاربعين سنة ثيابهم لم تبل وأرجلهم لم تتورم وها هو الآن في هذا الفصل يرجع بهم وبذا كرتهم الى كل الطريق الذي قادتهم يده الرفيعة اليه ويدون لهم كل مرحلة من رحلات هذه السياحة العجيبة ويبين لهم كل بقعة في البرية وطأتها اقدامهم وذلك كله بمزيد العناية والتدقيق فيالها من رحلات عجيبة وياله من رفيق يعين كل الطريق

ولا يوجد ما يعزي قلب السائح المسيحي الضعيف المعيى اكثر من يقينه وتأكده من ان محبة الله غير المحدودة وحكمته التي لا يتطرق اليها الخطأ هما اللتان تمهدان وتعينان كل خطوة من خطوات سفر البرية . فالرب يتنازل ليقود شعبه في الطريق السوي الذي يؤدي بهم الى بيته تعالى والذي يوصلهم الى شخصه المبارك . وما من ظرف يوجد فيه المؤمن بل ما من عنصر من عناصر كأس حياة المؤمن الا وقد جهزه الرب الحكيم المحب الامين وغرضه فيه خير المؤمن في الوقت الحاضر وسعادته ورفاهيته في الابدية . فياليتنا نضع نصب عيوننا ان نسير معه من يوم لآخر وقلوبنا واثقة فيه كل الثقة ونحن طارحون كل اثقالنا وهمومنا عليه ومسلمون ذواتنا وكل متعلقاتنا تماما بين يديه . هذا هو أساس ونبع السلام الحقيقي والبركة العظمى كل الطريق وبعد قليل تنتهي الغربة وبمجرد ان تطأ أقدامنا آخر مرحلة من رحلات البرية يأخذنا الرب اليه لنكون معه ومثله الى الابد وعندئذ تفرح قلوبنا اذ تتذكر مخاوف وأخطار وحروب الماضي وتستعرض جيوش الاعداء الذين قد اخضعتهم يد الرب تلك اليد التي تتنازل لتمسح كل دمعة من عيوننا

وفي الاصحاح الرابع والثلاثين نجد بيانا وافيا وتخطيطا دقيقا رسمته يد يهوه العظيم لحدود أرض الميراث فنفس اليد التي قادت بني اسرائيل في كل رحلاتهم هي التي عينت لهم حدود مساكنهم ويا للاسف لان بني اسرائيل لم يضعوا يدهم قط على كامل الارض التي منحهم الله اياها ميراثا لهم فمع ان الله اعطاهم جميع ارض كنعان وأعطاها لهم الى الابد ولكنهم

اكتفوا بجزء من الارض والى حين فقط ولكن تبارك اسم الرب لان الوقت قد قرب ونسل ابرهيم سيدخل الى ارض الموعد ويمتلك جميع ارض كنعان* وان كان محروماً منها في الوقت الحاضر اذ لا بد من ان يتمم الله مواعيده لشعبه ويقوده لنوال كل البركات التي نص عليها عهده الابدي ذلك العهد الذي تثبت بدم الحمل وحاشا لله أن تسقط كلمة أو حرف مما وعد به لان كل مواعيده فيها النعم والآمين بيسوع المسيح الذي هو هو أمساً واليوم والى الأبد ولأبينا الصالح وابنه المبارك والروح القدس كل حمد من الآن والى الابد

الاصحاح الخامس والثلاثون

في الاعداد الاولى من هذا الفصل المشبع نرى تدبير الله العجيب الخاص بعبيده اللاويين فكل سبط من أسباط بني اسرائيل كان له هذا الامتياز وعليه هذا الواجب ان يعطي اللاويين من نصيب ملكه مدنا للسكن مع مسارحها محدداً عددها حسب نصيبه الذي ملكه « جميع المدن التي تعطون اللاويين ثماني وأربعين مدينة مع مسارحها والمدن التي تعطون من ملك بني اسرائيل من الكثير تكثرون ومن القليل تقللون كل واحد حسب نصيبه الذي ملكه يعطي من مدنه للاويين » عد ٧ و٨ فلم يكن هناك لعبيد الرب اللاويين ملك أو ميراث الا في شخصه تعالى ولم يكن لهم نصيب في أرض كنعان الا ما يعطيه لهم الرب ويأمر به تعالى. وما

* يقصد المؤلف ما سيحدث مستقبلاً في الملك الألفي حينما تكون اورشليم هي مركز العبادة لكل الشعوب

أعظمه ميراثاً بل ما أثمنه نصيباً وفي نظر الايمان لا يوجد لهذا النصيب مثيل وطوبى لمن يستطيع أن يقول بحق « الرب نصيب قسمتي وكأسي انت قابض قرعتي » . ونرى هنا اهتمام الرب العجيب بعبيده اللاويين المتكلين عليه وتنازله لان يشرك معه جماعة اسرائيل في التمتع بهذا الامتياز المقدس الا وهو تدبير المدن اللازمة لمن كرسوا ذواتهم لعمله تعالى وضحوا كل شيء في سبيل خدمته

ومن ذلك نتعلم إذاً ان جميع المدن التى أعطيت لبني لاوي من بين ملك اسباط اسرائيل الاثنى عشر ثماني وأربعون مدينة مع مسارحها وقد كان من امتياز اللاويين أن يخصصوا ست مدن من بين الثماني والاربعين مدينة لتكون مدن ملجأ يهرب اليها القاتل الذى قتل نفساً سهواً وحقاً انه لتخصيص عجيب وتدبير غريب في وضعه وفي الغرض المقصود منه .

ومدن الملجأ الست نصفها يقع على الجانب الشرقي من الاردن والنصف الآخر على الجانب الغربي وبغض النظر عن خطأ رأوبين وجاد أو صوابهما في اتخاذهما ملكهما على حدود الاردن الى الشرق فالله في رحمته لم يترك القاتل سهواً من غير ملجأ يهرب اليه من ولي الدم بل أكثر من ذلك أمر الله تعالى ان تكون مدن الملجأ هذه واقعة وموزعة في وسط مدن بني اسرائيل بحيث عندما يحتاج الاسرائيلي الذي قتل سهواً لمدينة ملجأ يهرب اليها يجدها قريبة منه سهل الوصول اليها فكانت بذلك مدينة الملجأ قاب قوسين أو أدنى من قاتل النفس سهواً الذي يتعقبه بسيف ولي الدم المنتقم وهذا مما يتفق تماما مع صفات الهنا جل جلاله فاذا وقع يوماً ما قاتل النفس سهواً بين يدي

ولي الدم المنتقم فما ذلك لان مدينة الملجأ لم تكن قريبة منه وانما في الواقع لانه قصر في استعمال الواسطة بالهروب الى مدينة الملجأ . فكل ماهو لازم لخلاصه من ولي الدم قد تجهز ومدن الملجأ قد تخصصت وتميزت بأسمائها وتعينت تماما وعرضت للجميع وكل شيء كان ظاهراً بسيطاً سهلاجداً .هذه هي طرق الله العجيبة . ولاشك انقاتل النفس سهواً كانعليه هذا الواجب ومحتم عليه ان يبذل كل جهده ويجري بكل ما أوتي من قوة لكي يصل الى مدينة الملجأ ولا بد وأن يفعل ذلك لنجاته

ولا يخطر ببال عاقل ان قاتل النفس سهواً يبلغ به فقد البصيرة وشدة التبجح والرعونة لدرجة ان يقف مكتوف اليدين مظهراً عدم المبالاة وهو يقول في نفسه « ان كان من حظي النجاة نجوت فلا داعي لبذل المجهود وإن كان ليس من حظي النجاة فيستحيل عليّ ان أنجو لان مجهوداتي لافائدة منها ولا طائل تحتها » ونحن لا نظن أبداً ان قاتل النفس سهواً يخطر بباله مثل هذا القول الدال على منتهى الغباوة أو يتصرف مثل هذا التصرف الدال على منتهى الرعونة وذلك لانه يعلم حق العلم ان كل هذه الاقاويل والافكار لا تجديه نفعاً عند ما يلقي ولي الدم يده عليه . والشيء الوحيد الذي يجب على قاتل النفس سهواً فعله هو الهروب لحياته والتخلص من حكم القتل الواقع فوق رأسه لا محالة ان لم يدخل داخل أبواب احدى مدن الملجأ ليأمن على حياته وبمجرد وصوله اليها يستطيع ان يستنشق نسيم الحرية ولا يمسه أذى ولا شر.وفي اللحظة التي يجتاز فيها باب مدينة الملجأ الى الداخل يصير في أمن تام تنفيذاً لتدبير أمر الله . ولو سقطت شعرة واحدة

من رأس قاتل النفس سهواً وهو داخل حدود مدينة الملجأ لتعطل نفاذ أمر الله وحق اسمه تعالى الاهانة والعار وحاشا لله أن يسمح بذلك ولكن لا ننسى ان قاتل النفس سهواً يجب عليه أن لا يتخطى حدود دائرة مدينة الملجأ ولا يتعدى باب هذه المدينة وما دام داخلها فهو آمن مطمئن، وخارج الباب هو عرضة لنقمة ولي الدم ولذلك لم يكن مأذوناً له أن يخرج لزيارة أصدقائه وكان منفياً عن أهل بيته وخلانه وكأنه بمثابة سجين داخل حدود مدينة الملجأ ولكنه سجين على الرجاء وغائب عن أهل بيته ومحروم من التمتع بمحبة قلوبهم متوقعاً بفارغ الصبر ذلك اليوم الذي يموت فيه رئيس الكهنة فتعود اليه حريته الكاملة ليسترد مرة اخرى ملكه ويرجع الى بيته

ونحن نعتقد ان هذه الفريضة ذات المغزى الجميل تتعلق بنوع خاص ببني اسرائيل فهم قد قتلوا رئيس الحياة والبحث يدور حول هذه النقطة . هل ينظر الله الى بني اسرائيل الذين قتلوا رئيس الحياة كقاتلي نفس سهواً أم بتعمد مع سبق إصرار؟ فان كان الثاني أي بتعمد فلا رجاء لهم ولا ملجأ ولا نجاة لانه لا يجوز بأى حال من الاحوال لقاتل النفس عمداً ان يحتمي في مدينة الملجأ. وفي سفر يشوع اصحاح ٢٠ نص القانون الواجب اتباعه في هذه الحالة « وكلم الرب يشوع قائلا كلم بني اسرائيل قائلا اجعلوا لانفسكم مدن الملجأ كما كلمتكم على يد موسى لكي يهرب اليها القاتل ضارب نفس سهواً بغير علم فتكون لكم ملجأ من ولي الدم فيهرب الى واحدة من هذه المدن ويقف في مدخل باب المدينة ويتكلم بدعواه في آذان شيوخ تلك المدينة فيضمونه اليهم الى المدينة ويعطونه مكاناً فيسكن

معهم واذا تبعه ولي الدم فلا يسلموا القاتل بيده لانه بغير علم ضرب قريبه وهو غير مبغض له من قبل ويسكن في تلك المدينة حتى يقف أمام الجماعة للقضاء الى ان يموت الكاهن العظيم الذي يكون في تلك الايام حينئذ يرجع القاتل ويأتي الى مدينته وبيته الى المدينة التي هرب منها » ٢٠ : ١ — ٦

والقانون صارم جداً فلا يرحم قاتل النفس عمداً « ان القاتل يقتل. ولي الدم يقتل القاتل حين يصادفه » سفر العدد اصحاح ٣٥

وسيعامل الله اسرائيل على مبدأ النعمة كقاتل نفس سهواً وليس كالقاتل بتعمد « يا أبتاه اغفر لهم لانهم يفعلون ما لا يدرون » وقد وصلت هذه الكلمات الفعالة الى اذن وقلب الله اسرائيل الذى سمع واستجاب هذه الصلاة ولا يجوز ان يخطر ببالنا ان استجابة هذه الصلاة كانت قاصرة من حيث انطباقها على يوم الخمسين فقط · كلا . فمفعولها سار الى الآن وسيتم تحقيق مفعول هذه الصلاة عملياً وعلى الوجه الاكمل في مستقبل تاريخ بيت اسرائيل.وشعب اسرائيل الآن تحت رعاية الله وهو منفي وغريب عن أرضه وبيت أبائه ولكن سيأتي الوقت الذي فيه يسترد هذا الشعب أرضه ولكن لا يموت رئيس الكهنة لانه حاشا لرئيس الكهنة العظيم يسوع المسيح ان يموت تبارك اسمه الحي الى الابد بل سيترك مركزه الحاضر ويأتي بصفة جديدة كالكاهن الملوكي ليجلس على عرشه وحينئذ سيعود المنفي لبيته الذي فقده مدة طويلة وتمتلك ميراثه الذى قضي عليه قبلا بالمصادرة فأخذ منه وقد رد اليه وهذا كله لا يتم الا بعد ان يأخذ رئيس الكهنة مركزه كالكاهن الملوكي كما سبق . واذا قلنا بغير ذلك

فكأننا نغض النظر عن واقعة قتلهم لرئيس الحياة وهذا محال . فقاتل النفس سهواً يجب ان يحرم من ممتلكاته الى الوقت المعين ولكن ليس هذا معناه ان يعامل كالقاتل بتعمد وذلك لانه فعل ما لا يدرى « ولكنني رحمت » وهذا ما يقوله الرسول بولس واضعاً نفسه كمثال لاسرائيل « لاني فعلت بجهل في عدم ايمان » ويقول الرسول بطرس « والآن أيها الاخوة انا اعلم انكم بجهالة عملتم كما رؤساؤكم أيضاً » هذه الآيات الصريحة اذا أضيفت اليها شفاعة المسيح الثمينة وهو فوق الصليب تدل دلالة قاطعة على ان اسرائيل سيعامل كقاتل نفس سهواً وليس كالقاتل بتعمد وقد أعد الله ملجأ وحمى لشعبه المحبوب وفي الوقت المعين سيرجعون الى مساكنهم التي فقدوها ردحاً طويلا من الزمن والى الارض التي أعطاها يهوه العظيم كمنحة من لدنه تعالى لخليله ابرهيم الى الابد .

هذا هو التفسير على ما نعتقد المستفاد من الفريضة الخاصة بمدن الملجأ واذا أردنا ان نطبقها على حالة الخاطيء الذي يلجأ الى المسيح ففي هذه الحالة يجب ان نحتاط لذلك جداً وان ندقق كل التدقيق لتظهر لنا أوجه المقارنات الكثيرة التي لا تتفق مع المشابهات وذلك لان قاتل النفس سهواً وهو في مدينة الملجأ لم يخلص من القضاء والدينونة كما هو ظاهر من سفر يشوع ٢٠ : ٦ بينما المؤمن بيسوع لا شيء من الدينونة عليه ولا يمكن ان يأتي الى دينونة وذلك لأبسط الاسباب وهو ان المسيح حمل الدينونة نيابة عنه .

ومن الوجه الآخر كان هناك احتمال ان يقع قاتل النفس سهواً في

قبضة يد ولي الدم فيما اذا تجرأ على الخروج خارج باب مدينة الملجأ بينما المؤمن بيسوع لا يهلك الى الابد وهو في الامان التام كالمخلص نفسه له المجد . وأخيراً نجاة قاتل نفس سهواً كانت وقتية ومتعلقة بحياته هنا على الارض بينما المؤمن بيسوع خلاصه أبدي وحياته أبدية في السماء . ومن هذا ترون ايها الاعزاء ان في الواقع ونفس الامر من كل وجه تقريباً لا يوجد تشابه بين موضوع مدن الملجأ في العهد القديم وبين المسيحي الذي التجأ للمسيح سوى من وجه واحد فقط سنأتي على ذكره وانما توجد مقارنات عديدة لذيذة مفيدة .

والنقطة الوحيدة التي تتفق في الحالتين المذكورتين هي الخطر العظيم المحدق بكل من الاثنين قاتل النفس سهواً والخاطيء المسكين وحاجتهما الشديدة التي تدفعهما للهروب والنجاة بالالتجاء الى مدينة الملجأ والمسيح واذا كان يعد من الجنون المطبق ان يتهاون قاتل النفس سهواً أو يتردد ولو لحظة في طريقه التي تؤدي به الى مدينة الملجأ حيث الخلاص والنجاة فبالاولى كثيراً يكون الجنون أشد فيما اذا تأخر الخاطيء عن الاتيان الى المسيح أو تردد في ذلك . ربما لا يتيسر لولي الدم ان يضع يده ويقبض على قاتل النفس سهواً في حالة ما لم يكن داخل مدينة الملجأ فيفلت من بين يديه وهو خارج هذه المدينة ولكن لا بد للخاطيء البعيد عن المسيح ان يقع تحت طائلة الدينونة اذ لا مفر من ذلك واذا وجد حجاب بين النفس والمسيح حتى ولو كان هذا الحجاب أرق من الشعرة فلا سبيل الى النجاة . ويالهول هذا الفكر . يا ليته يؤثر على قلب القاريء الذي هو بعد في خطاياه بل

ياليته لا يجد راحة لنفسه ولو لحظة واحدة الا بعد ان يهرب لنجاة نفسه فيمسك بالرجاء الموضوع أمامه في الانجيل . فالقضاء والدينونة يتعقبان كل واحد وهي دينونة أكيدة رهيبة ثابتة فليست المسألة احتمال مجيء ولي الدم ليقتص وانما الدينونة الرهيبة لا بد وان تأتي على رأس كل شخص بعيد عن المسيح

فاذا وقع هذا المجلد بين يديك وكنت ايها القاريء العزيز غير متجدد ولا مفكر ولا مهتم بأمر خلاص نفسك نرجوك ان تصغي لانذار المحبة هذا وان تهرب لحياتك وبكل قوانا نتوسل اليك ان لا تتوانى لان التواني في هذه الحالة جنون محض وكل لحظة ثمينة جداً وانت لا تعلم الساعة التي فيها تقطع حياتك من أرض الاحياء وتودع في المكان الذي لا يوجد فيه شعاع واحد من الرجاء ولا بارقة صغيرة من الامل . مكان الظلمة الابدية والشقاوة الابدية والعذاب الابدي حيث دود لا ينام ونار لا تطفأ .واسمح لنا ايها القاريء المحبوب ان نتوسل اليك في ختام تعليقاتنا هذه ان تأتي الآن وتأتي كما انت بالحالة التي عليها ليسوع الواقف وهو فاتح أحضان محبته وقلبه المحب ليرحب بك ويقبلك ويحميك ويخلصك ويباركك حسب محبة قلبه العجيبة وعظمة اسمه الفعال وذبيحته الكاملة

ياليت الروح القدس يقودك بعمل قوته التي لا تقاوم للاتيان الآن الى المسيح « تعالوا اليّ » وهذا ما يقوله الرب المخلص المحب « ياجميع المتعبين والثقيلي الاحمال وأنا أريحكم » ويالها من كلمات ثمينة نرجو ان تجد مكاناً رحيباً في قلوب كثيرين من التعابى بيركة عمل الرب .

والآن نختم تأملاتنا في هذا السفر العجيب من بين أسفار كتاب الله الفريد (١) ونحن شاعرون تماما بعظم أعماق وغنى هذا المنجم الذهبي الثمين الذي اجتهدنا ان نقتاد القاريء العزيز اليه ونسير معه فيه . وفي الوقت نفسه نشعر بضعف الملاحظات التي توفقنا لابدائها ومع ذلك نرجو ونحن واثقون في الاله الحي ان يقود بالروح القدس قلب وذهن القاريء المسيحي للتمتع بحقه الثمين وهكذا يؤهله أكثر فأكثر لخدمته تعالى في هذه الايام الاخيرة الشريرة حتى بذلك يتعظم اسم ربنا يسوع المسيح ويثبت حقه الحي الفعال . ياليت الله في رحمته الواسعة المتزايدة يمنحنا ذلك لاجل خاطر يسوع المسيح

تشارلس ماكنتوش

(١) سبق لنا ان أشرنا الى الاصحاح السادس والثلاثين أثناء تاملنا في الاصحاح السابع والعشرين



مطبعة كنيسة الإخوة بجزيرة بدران

ت : ٧٧٨٤٩٢

رقم الايداع بدار الكتب ٤١٨٠ / ١٩٨١